موتـــك حياتـــي

منتخبات آبائيّة لزمن الصوم الكبير المقدّس

إعـــداد وتعـــريب

القـــارئ يوحنّـــا

جميع الحقوق محفوظة
لدير القديس جاورجيوس
دير الحرف

طبعة ثانية ٢٠١٢

إنّك إلهي أيّها المسيح، ولا أخجل بذلك وإن كان رجالٌ أثمةٌ قد قبضوا عليك، ولا أنكر أنّك جُلدت على ظهرك، ولا أُخفي أنك سُمّرت على الصليب، بل أفتخر بقيامتك، لأنّ موتك كان حياتي، فيا أيّها الربّ القدير المحبّ البشر المجدُ لك.

(من صلاة المساء للّحن السابع في المعزّي)

فهرس المحتويات

	الصفحة
فهرس المحتويات	٥
1 فاتحة (دعاء إلى الثالوث القدّوس)	٩
أحد الفريسيّ والعشّار	١٧
أحد الابن الشاطر	٢١
سبت الأموات	٣٠
أحد مرفع اللّحم (أحد الدينونة)	٣٩
سبت النسّاك الأبرار	٤٧
عظة إلى الرهبان (للقدّيس كيساريوس)	٥٠
عظة أخرى (للقدّيس يوحنّا الدمشقيّ)	٥٤
أحد مرفع الجبن (أحد الغفران)	٥٨
حذار السُكْر	٦٠
بدء الصوم الكبير المقدّس	٦٢
الاثنين من الأسبوع الأول	٦٢
الثلاثاء من الأسبوع الأول	٦٩
الأربعاء من الأسبوع الأول	٧٣
الخميس من الأسبوع الأول	٧٦
الجمعة من الأسبوع الأول	٧٨
المديح الأول	٧٩
السبت من الأسبوع الأول (المعظّم في الشهداء ثيوذورس التيرونيّ)	٨٣
أحد استقامة الرأي	٨٥
الاثنين من الأسبوع الثاني	٩١
الثلاثاء من الأسبوع الثاني	٩٥
الأربعاء من الأسبوع الثاني	٩٧
الخميس من الأسبوع الثاني	١٠٠

الجمعة من الأسبوع الثاني.. ١٠٢
السبت من الأسبوع الثاني.. ١٠٤
الأحد الثاني (أبونا الجليل في القدّيسين غريغوريوس پالاماس) ١٠٧
الاثنين من الأسبوع الثالث.. ١١٠
الثلاثاء من الأسبوع الثالث.. ١١٢
الأربعاء من الأسبوع الثالث.. ١١٦
الخميس من الأسبوع الثالث.. ١١٩
الجمعة من الأسبوع الثالث.. ١٢١
عيد البشارة.. ١٢٣
السبت من الأسبوع الثالث.. ١٢٥
الأحد الثالث (أحد السجود للصليب الكريم المحيي) ١٢٨
الاثنين من الأسبوع الرابع.. ١٤٢
الثلاثاء من الأسبوع الرابع.. ١٤٥
الأربعاء من الأسبوع الرابع.. ١٤٩
الخميس من الأسبوع الرابع ١٥٤
الجمعة من الأسبوع الرابع.. ١٦٠
السبت من الأسبوع الرابع.. ١٦٤
الأحد الرابع (أبونا البارّ يوحنّا السلّمي) ١٦٧
الاثنين من الأسبوع الخامس.. ١٧٤
الثلاثاء من الأسبوع الخامس.. ١٧٦
الأربعاء من الأسبوع الخامس.. ١٨٣
الخميس من الأسبوع الخامس (خميس التوبة) ١٨٩
دعاء توبة.. ١٩١
الجمعة من الأسبوع الخامس.. ١٩٤
السبت من الأسبوع الخامس (المديح الكبير) ١٩٦
دعاء إلى والدة الإله (للقديس غريغوريوس پالاماس) ١٩٦

الأحد الخامس (أمّنا البارّة مريم المصريّة) ٢٠٠
الاثنين من الأسبوع السادس........ ٢٠٤
الثلاثاء من الأسبوع السادس........ ٢٠٧
الأربعاء من الأسبوع السادس........ ٢٠٩
الخميس من الأسبوع السادس........ ٢١١
الجمعة من الأسبوع السادس........ ٢١٥
سبت لعازر........ ٢١٨
أحد الشعانين........ ٢٢٢
الاثنين العظيم المقدّس........ ٢٢٨
الثلاثاء العظيم المقدّس........ ٢٣١
الأربعاء العظيم المقدّس........ ٣٣
الخميس العظيم المقدّس........ ٢٣٦
الغسل وإعلان الخائن........ ٢٣٦
سرّ الإفخارستيّا........ ٢٣٧
سرّ الكهنوت........ ٢٤١
الرجاء والوصيّة........ ٢٤٨
أناجيل الآلام الخلاصيّة........ ٢٥٠
الصلاة العجيبة........ ٢٥٠
الخيانة والتسليم........ ٢٥٥
جحود بطرس........ ٢٥٨
الحكم على الديّان العادل........ ٢٦١
حتّى موت الصليب........ ٢٧٠
الجمعة العظيم المقدّس........ ٢٧٩
تألّم ليشفينا........ ٢٧٩
ومات ليُحيينا........ ٢٨٣
ودُفن ليُقفر قبورنا........ ٢٩٢

السبت العظيم المقدّس (سبت النور) ٢٩٧
المسكنة القصوى.. ٢٩٧
معموديّة الخلاص.. ٢٩٨
أحد الفصح العظيم المقدّس.. ٣٠٥
أناجيل القيامة (الإيوثينا) ٣١٠
ملحـــق.. ٣٢٠
كلمة في خميس الصعود ٣٢٠
كلمة في أحد العنصرة ٣٢٣
دعاء إلى الروح ٣٢٧
خاتمـــــة.. ٣٣٠
نشيد إلى المحبة ٣٣٠
دعاء إلى والدة الإله ٣٣١
فهرس المؤلّفين... ٣٣٣
Bibliography

فـــاتحـــــة

دُعـــاءٌ إلـــى الثالـــوث القـــدّوس

أيّها الآب والابن والروح، الثالوث القدّوس، الصلاح الذي لا يَنضب، المُراق على الجميع، الجَمال المعشوقُ الذي لا دنس فيه، خلّصني، وأشفق عليّ، واغفر لي. أخطأتُ، فاعتدتُ وفسدت. أخطأتُ، فتواطأتُ واسترسلت. أخطأتُ، فقرّرت وانحرفت. أخطأتُ، فراعيت وضللت. أظلمتُ وأنا جنينٌ بعدُ غامضُ الهيئة، ودنوت من سن البلوغ خازياً، وقضيت الفتوّة ملطّخاً، وقطعت الشباب وأنا مدعاةٌ للاشمئزاز، ثمّ الرجولة وأنا ملتوٍ ملوّث، الرجولةَ وأنا مُبعدٌ ومشجوب، الرجولة وأنا رَجِسٌ ومدنّس، ثم الشيبَ وأنا نتِنٌ فاسد بل منذ القُمُط ازدريتُ ولا عقلَ لي بنعمة روحك الإلهيّة، وبالمعموديّة الإلهيّة. فاتّسختُ متمرّغاً في الخطيئة، وأظلمت داجياً في الفجور. منذ الطفوليّة وأنا أهرع إلى السماجة، وحتى الشيخوخة أقترف السفاهات. فاحتقرت كلَّ عطيّةٍ صالحة، وتمّمت كلَّ شناعةٍ كافرة. تدنّست في حمأة الرذائل، وتغاضيت عن الفضائل الباعثة الحياة في النفس. رذلتُ المواهب الممنوحة من الله، وغرّبتُ الخيراتِ الأبديّة. تنكّرت للّباس الكلّي الغبطة، المنسوج فوق، المتقدّس. فلم أرتضِ بسيرة الأبكار، ولم أفضّل سلوك الأعفّاء. بل اكتسبت لباسَ الأهواء المشؤوم، الثوبَ العفِن، الخشِن، المُسودّ، وقميص الجسد الملطّخَ تماماً، والمِسحَ المُخزي، رداء النتانة. وشققت قميص عدم الفساد، مستبدلاً إيّاه بأفعال الدناءة. ونفرت من العين العفيفة، ونفدتُ إلى العين الفاسقة. فهَوَيت أعمال الإفراط المُخجلة، متمرِّغاً بها في كلّ وقتٍ

ومكان. وأهملت خوفك، ونعمتك المخلِّصة. فحُزت الرغبة الشديدة في الخطيئة، واكتسى مصباحي بالأقذار فعلاً. واندفعت إلى الفواحش بشتّى الطرق، وعكفت على السماجات بالكليّة. حتى الشيخوخةِ أحمل السفاهات؛ ومن التوشّح بالمجد الذي لا يَبلى، أفضيت إلى التدثّر بالموت. تلقّيت كلّ شذى، وإذا بي أعانق كلّ خَمّ. أخطأتُ إلى السماء، إلى الأثير، إلى البحر، وإلى كلّ الخليقة. أزِلُّ أمام عينين معصومتين عن الخطأ، ولا أستأهل النظر إلى فوق. عَدِمت الغنى الأبويّ، مرتكباً رِجس الابن الشاطر الفاقد الحظوة، فاقبلني مسامحاً إيّاي أكثر ممّا أستحقّ. لأن ها ظلامُ ليل العمر قد خيّم وأنا في الأهواء، وحلّت لُجّةُ اللجج المُبيدة، فأنرني الآن بلمعان التوبة، مُفتَدِياً إيّاي من الجحيم ومن الظلمة البرّانيّة، وحابساً اللصوصَ الهمجيّين والكُلومَ والنتانةَ في آنٍ معاً. وبعُذوبة مياه التوبة، خلّصني من جراح الأهواء النفسانيّة. أخرجني من القرف، وأبعدني عن الفساد. أفعمني من أريج الصلاح. اخطفني بسِترك الإلهيّ، والتهمْني بنعمة روحك. قلتُ أحتمي بكلام الربّ، قلتُ أسير مهتمّاً بالخلاص، لكنّي غالباً ما كنت أندفع نحو الفساد، غالباً ما كنت أميلُ إلى فعل السوء. قلتُ أستميل خوفك الباعث الحياة في النفس، لكنّي كَبَتُّ انقباضَ القلب الخلاصيّ. بل غالباً ما كنت أغضّ الطرْف عن كلّ خوف، غالباً ما كنت أحبّ القبائح. يا لشقائي، إذْ عاهدت الملائكة الناظرين! على إماتةالهوى، وخلْع الجسد، وتطهير النفس، وتلطيف الفكر، واختيار الحياة والتقديس. قلتُ أطارد كلّ دنس، قلتُ أفضّل كلّ طُهر،لكنّي غالباً ما كنت أُشيع الفسق، غالباً ما كنت أنهزم لفعل الإجرام. قلتُ أعبر طريق

المكوث في السكينة العفيفة المقدّسة، لكنّي غالباً ما كنت أغادر إلى الشطارة، غالباً ما كنت أُداني القرف. يا لَشقائي، كيف طرحتُ نعمة الروح! كيف نبذتُ تقديس الجسد! كيف وأنا مُقتدى وُجدتُ دنِساً! كيف اختفيتُ عن الساحات المقدّسة! أتجلبَبُ باللون الداكن وقد اعتراني القلق، وبهيئة المؤمنين الإلهيّة حقّاً والعظيمة، إلاّ أنني أطوف فساد الشاطرين. شِبتُ، ولا عفّةَ لديّ. النور بارح عينَي الجسد، والظلمة انسلّت إلى عينَي القلب. يداي ورِجلاي تشاركت المسير، ولكنْ لا المفاسدُ كفّت ولا الثرثراتُ انفصلت. يا لَشقائي، كيف أنّي لم أتعلّم بعد مع مرور الوقت! كيف أنّي لم أفرَّ من النتانة وقد شِبت! يا لَشقائي، كيف أن العمر مضى وما بدا اللاّهوى! كيف أنّي ارتضيت بشطارة الأبالسة! كيف أنّي وددت مسالك الشيطان! فأهّلني إذاً أيّها الثالوث الكلّي القداسة، أن أرتعد الآن من لهيب جهنّم! ومن نهر النار التي تلتهم كلّ شيء! من النهر الباعث على الاضطراب بشدّة! وأن أرتعد الآن من حكم الموت! وأن أتصوّر في قلبي المحاسبين القساة! وأن أحمل الأقوال إلى حيّز العمل، والأفكار النافعة، كما يجب على الناس فِعلُه في هذه الحالة. بكّتني أنا الدنس، لأهجر أعمال الشرور المشؤومة، والأفكارَ المخزية، والأوهام المتهوّرة. وأهّلني أيّها الثالوث الكليّ القداسة، ألاّ أبلغ مَوقِدة أغصان الكرمة (يوحنا١٥ : ٦)، وألاّ أكون مأكلاً للوحش، وألاّ أُظهِر الجموح والعنف، فلا أزيدَ الشرَّ القديم. بل اجعلْ حِمْل سقطاتي خفيفاً، فأتجنّب الشرّ المثير للسخرية، وأُخضِع أهواء الذهن الكريهة خضوعاً تامّاً، وأُخمد الاهتياجاتِ المنتفِخة. واجعلني أحفظ الكلام الإلهيّ أيضاً، فتتقوّى بقوّتك قوّتي التي لا قوّة لها.

فظلمة القلب تستنير بنورك، وبتطهيرك تستنير العقول. ضربُك يُنجّي من الشرّ القاتلِ النفس. فانتزِعني من الشياطين سالماً من الجراح، ومن المضادّين بلا وصمةٍ ولا لوم، ومن مكيدة إبليس، ومن طغيان العنف والقساوة. وأنعِم عليّ الآن بنعمة روحِك الإلهيّ، لأعمل بأقوالك، وأتمّم شرائعك، وأرعوي بخوفك الأنجع، وأفعل ما يوافقك أنت ويخلّصني. نجّني من دنس الجسد وفَحْشه، وأفعِم عقلي بصفائك. واحفظني بلا عِثارٍ كما في النهار، لأسير بلياقةٍ في طرقك الإلهيّة، مفتدياً ثمر العمل الذي لم أمتلكه بعد. أمّا الجهل الأحمق للتعب المُعيب، فلْينسلّ خارجاً من قلبي، وليَخْتَفِ من داخل قلبي. فها أوان الموت، والدينونة الواضحة، وتلك القشعريرة بداعي إسرافي، والوعيُ للجَلَدات المُحْنِيَة، وسهام المحاسبين المفنِّدين المشتعلةُ لإحراقي واستهلاكي وإذابتي. أيّة قوةٍ تردعها، أيّة قدوةٍ تُخمدها؟ ومزاولة الشرّ ترميني في النار! فلا تشهّرني في الدينونة. ها إنّي أسمع: إهمالٌ للصالحات شرّير، ونفسٌ مسودّةٌ أُسيء استعمالُها، وفوهةُ الموت على مقربةٍ تستعدّ، وسيف النهاية الناريُّ المُناوئ يتقدّم من الآن فصاعداً، والملاكُ الموبِّخ، حاملُ الحربة المنتصِب المُعسكِر، المُناوِش، والحاصدُ عقم القلب. واحسرتاه، طالما يتقدّم الأسد والتنين! واحسرتاه، فالنار المزمجِرة المتأجّجة تقترب! والحسام الباعث على الرعدة والاضطراب! فأظهرني أنا الشقيّ مؤازَراً، أظهرني غريباً عن التلف والسعير والحَرْق. إذْ لم يبقَ لي أي منجدٍ أنا المعذَّب، ولا من يؤازرني أنا المصدوع، ولا من يسمع أنيني، ولا من ينظر آلام قلبي، إلاّك أنت الشغوف بالمعونة السرّية.

فيا قلبي خُذ العِبرة وحدك في الخفية. ويا نفسي، قرّرتُ أن أراكِ في الموت المرّ، قلقةً شاحبةً في الذعر، متّهَمةً لا منصورةً بمعاينة ملاك، كئيبةً ممتلئةً دموعاً. أراكِ تَتْلفين في نار الموت، منظورةً أسفل، مشطورةً إلى أربع، مكروهةً، منبرِصةً ومعوزة، عاريةً، وسخةً ومثخَنةً بالجراح. يا للشقاء، كيف ستُطرحين منحلّةَ الجسد! كيف ستُسادين من عشّاري الشياطين! كيف ستتحمّلين لجّة العذاب! كيف ستندبين في هاوية أسفل السافلين! فقبل إعلان الدينونة تُدانين، وقبل جهنّم تغادرين مسرعةً إلى جهنّم، وقبل لجّة اللجج تَشْخصين ببصرك نحو فُتحة لجّة اللجج، وقبل الظلمة ترتمين في الظلام المرعب. فكيف ستقومين واحسرتاه إلى الدينونة التي في إمكانها الكثير؟ خازيةً مُترعةً بالظلمات قارعةً صدرك مضطربة. كيف ستمْثلين ويا لَلشقاء في دينونة الربّ؟ صُحبة الجسد المدنّس الأثيم! مضبوطةً من الأغلال العقليّة بشكلٍ يُرثى له، مكبّلةً بسلاسل السقطات غير المنحلّة. فكيف واحسرتاه ستلتقين مُحاكِميك! كيف ستلاقين محفلَ الشياطين! كيف تودّين سماع الحُكم بَإحدارك إلى الظلمة! حيث تحترقين إلى كلّ الدهور، نائحةً بانتظام، باكية، إزاء لمعان سيف الموت. قد يَظهر السيّد شفوقاً عليك، قد توثَقين مع المُغربَلين. ويبقى القلب نادباً إزاء النهاية، متوسلاً بخوفٍ ورعدة!

فيا أيّها الآب والابن والروح، الثالوث القدّوس، خلّصني خلافاً للاستحقاق، خلافاً للرجاء.أيّها النار المطهِّرة من الخطايا، المنقّيةُ النفس من الزلاّت، الراحضة نفسي من الأقذار، المنقيّة نفسي من الأدناس، الكابحة أفكار نفسي، المقوِّمة جنوحَ الذهن، نحو النحيب، والمالكةُ خواطرَ

الذهن، لأندب على كثرة اتّهاماتي، وأبكي على كثرة ديوني؛ والمُطهّرة القلب من العيوب، فأنوحَ بمرارةٍ وأُدمّع بلا توقّف. يا سيّد الأرباب المطلق الضابط الكلّ، أشفق عليّ أنا عبدك المفعَم خِزياً، معتِقاً إياي من الخزي الأبديّ، ومن جهنّم، ومن الظلمة البرّانية. بنورك أضئ ذهني المضطرب، وارفع أفكار نفسي الراكدة، هذه النفس المذعورة القلقة نظير المزمعين على تقديم حساب، والباكية النائحة كالمحكوم عليهم، وذلك بُغية تتميم الصلوات النقيّة المتواصلة، وانجلاء سكينة الذهن في النفس، وإماتة المشيئات المَقيتة، واحتقار الانشغالات الباعثة على العظمة، وبغية التفكير المعتدل، والمحبّة، ودمعة القلب المفرِّحة، والتأوّهات المفعمة بالشذى، بل التأوّهات المتقدّسة. وبما أن التقشّف قادرٌ على حَمل النور، أعطني أن أضبط بطني العادم الشبع، وأن أتجنّح بالإمساك الرشيق. وجّه اقتدار الأفكار في ذهني، واحكم أنت بطني وعففه؛ الذي إن ضُبط استتَرْتُ، وإن خَمَل اتّسخت، وإن عَمِي استُغِلت. الآن يُضرمني أخيراً بالأفكار المُخزية، ليُحدِرني من ثمّ إلى ادلهمام الشبع، ويجعلني تالياً في قعر الهاوية العظمى. الغمّ الباطل واضطراب القلب يَرزحان بشدّةٍ أخيراً واحسرتاه، والغضب يَحثّ على العدوانيّة والحماقة، فيما قتامُ السأم وعتمةُ البطالة يطردان نعمة الروح! مجد البشر الباطل والصيتُ الفاني يجتذباني إلى الاحتقار المفرِط. والكبرياء، هَوَس الشياطين، تُطيّعني لجنون الأهواء. القلب المثلّث الشقاء يتحسّر بمرارة، مرتجفاً طوال اليوم، لمثوله الأكيد لدى الشيروبيم بخوف، وانذهالِه إزاء السيرافيم برعدة! فيا أيها الثالوث القدّوس، نجّني من أهوائي، وأنِر بنورك ظلمتي، وأهّلني أن

أذرف الدمع بلا انقطاع، وأندب نائحاً في كلّ وقتٍ ومكان، شاخصاً نحو الساعة التي يتقدّم فيها الديّان إلى الدينونة، حين تتزعزع السماء، وترتجف الأرض، ويرتعش البحر، وتنحلّ كلُّ الخليقة، ويدمَّر مخالفو الناموس، وتدوّي الأبواق نافخةً بجرأة، ويتراكض مصفّ العادمي الأجساد، وتعذَّب النفوس المعوزة، وتُحرَق النفوس المدنّسة. وعندما تجلس على العرش العالي، عندما تدينني أنا المُدان، لا تضمُّني أنا الكريه إلى الجداء الملعونة، بل إلى الخراف المغبَّطة، فأتنَعّم في المظالّ المعيّنة للأبرار.

أيّها النور المثلّث الضياء، الثالوث الكلّي القداسة، المثلّث الوجوهِ الواحدُ في الجوهر، خلّصني لإيماني فحسبُ وخلافاً للرجاء، وأظهرني ملِكاً على الأهواء شديدَ البأس، وحرّرني من كلّ خطيئة. إغسلني، زيّني وأطلقني. أنظر إليّ بعينَي الرأفة، واقتَدني بملاكٍ نيِّر، حكَمٍ لذهني ومؤازرٍ ومُربٍّ، مرشِدٍ مستقيمٍ إلى الخلاص، حافظٍ نفسي وجسدي. جفّف شَرّي المنبجِس، وأنبِعْ فيَّ غزارة الدموع، لا دموع العادمي العيب والمستنيرين وغير المازِحين في اعترافهم بالخلاص، بل [دموع] المنقادين بطُرق التوبة، أنا المدنّس والدنيويّ، إذْ لا توجد وسيلةٌ للخبث الشرّير إلاّ وطبّقتُها في كلّ آنٍ ومكان. فالآن أحني لك ركبة قلبي، وأُطأطئ عنقي لملكوتك، وأقدّم طلبتي لصلاحك، فاترك لي كثرة تُهمي، اترك لي ديوناً هذا مِقدارها. لا تحرمْني الخيرات الأبديّة، ولا تُقصِني عن مائدة الخلود، ولا تغرّبْني عن فرح القدّيسين. بل أهّلني للشركة المقدّسة، لأجل محو ذنوبي الكثيرة، ولأجل العتْق والتنقية والخلاص. لكنّ ساعة الموت الغاشم قد أزِفت، فأرسل لي عندها ملائكةً صالحين

لامِعين يُرافقونني، ورُدَّ عنّي رهط الشياطين. اجتذبني إلى فوق بعيداً عن الآثام، وانتزِعْ نفسي من العقوبات إلى الملكوت الوحيد المثلّث الضياء، مؤهّلاً إيّاي لفرح القدّيسين، ومُنعِماً عليّ بوساطة صلاحك، بالبساطة، والكفِّ عن الشرّ، والتودّد إلى الرأفة القُصوى. أنعِم عليّ بشفاعة مريم الفائقة السموّ، الفتاةِ الأمّ البتول مُبهِجة العالم، السلَّم الإلهيّة، الصولجان والعرش الحيّ. أنعِم عليّ بشفاعة مصفّ الملائكة العادمي الأجساد السماويّين المُشِعّين. أنعم عليّ بشفاعة سابقك المتقدّس المتلألئ الحامل النور، المبشّر والملهَم منذ الطفولة، والمنير الذين في الظلمات قبل السيّد. أنعم عليّ بشفاعات أجواق القدّيسين، وأجواق الأنبياء ورؤساء الآباء والشهداء وجميع القدّيسين حَمَلَةِ النور قاطبة. وهكذا أباركك وأعظّمك بشغف، أنت الذي تباركه القوّات في السماوات، إلى كلّ الدهور التي لا حدّ لها، لأنه بك يليق المجد والكرامة والقدرة في جميع الدهور التي لا تنتهي[1]*. (القدّيس سمعان المترجم)

* للأمانة العلمية، ولتعميم الفائدة، ذيّلنا الكتاب بلائحة المراجع التي أُخذت منها النصوص، فاطلبها هناك إن شئت.

أحد الفريسيّ والعشّار

الرسالة ٢تيم٣: ١٠-١٥ الإنجيل لو١٨: ١٠-١٤

"كلّ من رَفَع نفسه اتّضع ومن وضع نفسه ارتفع" (لو١٨: ١٤)

✞ لقد صعد الفرّيسي للصلاة، لكنّه بدلاً من أن يصلّي إلى الله مدح نفسَه. وما كَفاه أنّه لم يُصلِّ وأنّه مدح نفسه أيضاً، بل وشتم أيضاً ذاك الذي يصلّي... أمّا العشّار، فإنّ تبكيتات ضميره كانت تُقصيه عن الله، فيما كانت تقواه تصِلُه به.. لكي يُنظر إليه إذاً لم يَنظر، بل ولم يتجاسر على النظر إلى فوق، سيّما وأنّ ضميره كان يُرهقه، لكنّ الرجاء كان يرفعه. انظرْ أيضاً: "كان يقرع صدره (لو١٨: ١٣)"، [أي] كان يعاقب نفسه، ولذلك كان الربّ يغفر عند اعترافه: "كان يقرع صدره قائلاً: أللّهم اغفر لي أنا الخاطئ". هوذا إنسان يصلّي.. فلْيفتحوا عيونهم الآن، ولْيُنصتوا، أولئك القوم الذين يُعجبون بقدراتهم الخاصّة ويقولون: "لقد خلقني الله إنساناً، ولكنّي أجعل نفسي بارّاً". أوَليس هذا أسوأ وأشدَّ رداءةً من الفريسيّ؟ فالفريسيّ في كبريائه كان يدّعي البرارة، ومع ذلك كان يؤدّي الشكر لله. كان يشكر الله لأنّه ليس كسائر البشر، لكنّه أُنّب لأجل كبريائه وزهوه. ولم تكن غلطته تأدية الشكر لله، بل توهُّمه أنّه ليس بحاجة إلى أي شيء.. إنّك كاملٌ إذاً، وغنيّ، ولست بحاجة إلى القول: "اترك لنا ما علينا". ولكن، إن اعتُبر المرء مُذنباً لتأدية الشكر بكبرياء، فما الذي لا يستحقّه في مهاجمته النعمةَ بكُفر[2]؟ (المغبوط أغسطينوس)

✞ يجب على الصالحين ألاّ يستكبروا كما لو كان ذلك ناجماً عن استحقاقاتهم الخاصّة، وكذلك على المتهاونين ألاّ ييأسوا من رحمة الله. بل فليحافظ الأوّلون على عطايا الله بتواضع، ولْيَلجأ الأخيرون، بندمٍ بالغ وسرعة، إلى هذه العلاجات التي

هي التوبة والإصلاح. لأنَّ الصالح يذلّل فور شروعه في التكبّر، فيما المتكبّر يُرفع برحمة الله إن تواضَع[3]. (القدّيس كيساريوس أسقف آرل)

✞ متى تجذَّر الاعتداد بالنفس عبْر العادة في الفكر، فلن يستطيع إبادتَه إنسان، أو في وقتٍ قصير، بل ثمّة علاجٌ مركّزٌ فعّالٌ لا بد منه لبلوغ أصل الشكوى[4]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

✞ حضورٌ دائمٌ للفكر الشهوانيّ الذي يولّد فيهم انعدامَ السلام، بل الذي هو مخصَّصٌ لكبْح عُجبهم؛ نزَقٌ؛ الرغبة في امتلاك كلِّ شيءٍ بطريقتهم؛ الولعُ بالجدل وإدانة الآخرين؛ قلبٌ يستخفّ بالجميع؛ عقلٌ قد انحرف تماماً؛ الرغبةُ في التواصل مع العالم والتنقّل فيه، للنقاش والثرثرة بأحاديث فارغة، بحثاً دوماً عمّا هو جديد.. هوذا ما يحصل للإنسان متى بدأ يرى نفسه حكيماً في عيني نفسه، لأولئك الذين ينتفخون كِبْراً إزاء صلاح الله والذين يهينونه بغرورهم[5]. (القدّيس إسحق السوريّ)

✞ لن أعرف الفقر [الروحيّ] إلاّ إذا احتفظتُ بالتعليم الروحيّ لنفسي رافضاً إبلاغه[6]. (القدّيس يوحنا الذهبي الفم)

✞ لنتأمّل سيرة الربّ في الجسد، علّنا نستطيع أن نكون متواضعين في حياتنا. لنتشرّب آلامه، علّنا نستطيع احتمال أحزاننا بصبرٍ عبر مُحاكاته[7]. (القدّيس فيلوثيوس السينائيّ)

✞ إنّ أولى درجات التواضع تكمن في أن يضع المرء مخافة الله دوماً نصْب عينيه، وأن يحترس تماماً من نسيانها، وأن يتذكّر الوصايا الإلهية بلا انقطاع؛ وهكذا يتأمّل في نفسه باستمرارٍ ذلك الجحيمَ الذي يحترق فيه لأجل خطاياهم أولئك الذين يحتقرون الله، وتلك الحياة الأبديّة المعَدّة لخائفيه. وعليه، ففي احتراسه كلّ حينٍ من الخطايا والرذائل، أي زلاّت الفكر، واللّسان، واليدين ، والرجلين، والمشيئة الذاتيّة أيضاً، وكذلك رغبات الجسد، إنّما يَعتبر الإنسانُ أنّ الله يلاحظه من

أعلى السماء في كلّ وقت، وأنّ أفعاله في كلّ مكانٍ تحدث تحت نظر الألوهة وتُنقل إلى الربّ بواسطة الملائكة في كلّ آن[8]. (القدّيس بنديكتوس)

✞ يُعرف أن المرء يزاول فضيلة التواضع حقّاً متى تحمّل الملامات بصبر، والشتائم وكلّ ما يُسيء إلى حبّ الذات؛ سيّما وأنّ هذه التجارب هي بمثابة الأعصاب للتواضع. فلقد كابدها يسوع المسيح نفسُه، إذْ دُعيَ سامريّاً (يو٨:٤٨)، وقيل عنه إنّ به شيطاناً (يو٧:٢٠؛ ٨:٤٨؛ ١٠:٢٠)، ولُطم (يو١٨:٢٠) وقُذف بشتى أنواع الإهانات. فيجب علينا إذاً أن نتحمّل الإهانات بصبرٍ متواضع، على غِراره، وأن لا نتّضع ظاهرياً كما تفعل بعضُهُنّ، أولئك اللواتي لا يتصنّعن التواضع إلاّ ليُمتدحن أكثر، واللواتي يَنْتَفِشن كالصِّلّ متى أُهِنَّ في العلَن[9]. (القدّيسة سنكليتيكي)

✞ إنّ تواضع النفس يُعِينها أكثر من أيّ شيءٍ آخر.. أمّا شيطان الغمّ الذي يطرح النفس إلى اليأس، فعلينا سَوقه إلى خارج قلوبنا، للمضيّ من ثمّ قُدُماً، بالتوبة عن الخطيئة وبصُحبة الرجاء في الله.. وبرفضنا على الدوام أن تقتحم القلبَ أفكارُ مدْح الذات، فلْنَرَ أنفسنا كَلا شيءَ أمام الله[10]. (القدّيس يوحنّا كاسيانوس)

✞ إن لم يبتغِ الإنسان امتلاكَ أسُس تواضعٍ حقيقيّ، فلن يستطيع أن يكون راسخاً ثابتاً، أيّاً كانت خيراتُه. في هيكل بناء المسيح، يشيَّد انطلاقاً من الأسفل للارتفاع نحو القمم، وأمّا في هيكل بناء الشيطان فانطلاقاً من القمّة للإسقاط نحو الأسفل.. إنّ أبناء الله وأبناء الشيطان لا يتميّزون في الواقع إلاّ من خلال التواضع أو الكبرياء.. وما قَذف به الشيطان إلى الأسفل عبر الكبرياء رفعه المسيح عبر التواضع؛ لا ذاك الذي يُظهره المرء من حينٍ إلى آخر فحسب، خارجيّاً، بل ذاك الذي يحافَظ عليه في الضمير.. وعليه، فالذي يستر الكبرياء في قلبه إنما يُشيع نتانةً فظيعةً عند لَومه، فيما الوديع والمتواضع ينشر عَرْفاً مستحَبّاً.. لا تنتقدْ شيئاً، لا

تجادِل في شيء، لا تكن لديك القِحة على التذمّر مطلقاً في أيّة مناسبة، لأنّك إنّما أتيت الدير لتخدم لا لتقود، لتُطيع بالحريّ لا لتأمر. ولا تجتهد في قطع لسانك عن التذمّر المميت فحسْب، بل ولا تُصغِ بطيبة خاطرٍ إلى أحدٍ آخر يتذمّر. حاول بالحريّ وقَدْر قواك، أن تخفّف من غضبه بنُصحك المقدّس المحسِن.. إذاً، ثمّة معاونون لله؛ وحالما يرون سمّ الكبرياء متسرِّباً إلى قلب أحد إخوتهم، يجتهدون على جناح السرعة في التصدّي له عبر دواء التواضع الحقيقي.. لأنّه، إن لم تكن لدينا المحبّة والتواضع الحقيقي، فلا ينبغي علينا أن نضع كلّ اتّكالنا وكلّ ثقتنا في الثوب الرهبانيّ وحده، وذلك لئلاّ نكون كالقبور المُجصَّصة (متى٢٣:٢٧)[11]. (القدّيس كيساريوس أسقف آرل)

أحد الابن الشاطر

الرسالة ١كور٦:١٢-٢٠ الإنجيل لو١٥:١١-٣٢

"أقوم وأمضي إلى أبي وأقول له يا أبتِ قد أخطأتُ إلى السماءِ وأمامك" (لو١٥:١٨)

✠ "الربّ صادقٌ في كلّ أقواله (مز١٤٤:١٣)". فهو لا يكذب عندما يقول: "إن كانت خطاياكم بلون الأرجوان فإنّي أبيّضها كالثلج، وإن كانت بلون القرمز فإنّي أبيّضها كالصوف (أشع١:١٨)". فطبيب النفوس العظيم مستعدٌّ لشفاء كلّ مرض. وها هي ذي أقواله، ها هوذا فمه نبْعُ العذوبة والخلاص يقولها: "الأصحّاء لا يحتاجون إلى طبيب، بل المرضى. فإنّي لم آتِ لأدعو الصدّيقين بل الخطأة إلى التوبة (متى٩:١٢-١٣)". والربّ إنّما يريد تطهيرك من جُرحك المؤلم وأن يُظهر النور بعد الظلمات. هو الراعي الصالح يبحث عنك، بعد تَركه الخراف التي لم تَضلّ. وإن قرّبت [له] نفسك لن يتردّد، بل محبّ البشر هذا لا يأنف من حَملك على منكبيه، فرِحاً لإيجاده خروفه الضالّ. الآب لابثٌ ثمّة ينتظر رجوعك عن الخطأ. عُدْ فحسْب، وفيما ستكون بعيداً بعدُ يبادر هو، ويُلقي بنفسه على عنقك وباحتضانٍ عطوفٍ سيقبّل ذاك الذي طهّرتْه التوبة (لو١٥:٢٠ي). ولَسوف يوشّح بالحلّة الأولى نفساً قد خلعت عنها الإنسان العتيق مع أعماله، ويضع خاتماً في يدين قد اغتسلتا بدم الموت، وحذاءً في رِجلين قد حادتا عن الطريق الرديئة لتسلكا في سبيل إنجيل السلام. وسوف يُعلن لأخصّائه، ملائكةً وبشر، يوم بهجةٍ وفرح، فيعيّد لخلاصك بشتّى الطرق. وهو يقول في الواقع: "الحقّ أقول لكم، أنْ هكذا في السماء يكون فرحٌ أمام الله بخاطئٍ واحدٍ يتوب (لو١٥:٧). وإن حدث لأحدٍ ممّن يظنّون أنفسهم واقفين أنْ تذمّر لأنّك استُقبلت سريعاً، فلَسوف يُجيب ذاك الآب الصالح هو نفسُه

لأجلك ويقول: "لا بدّ أن نتنعّم ونفرح، لأنّ ابني هذا كان ميتاً فعاش، وكان ضالاً فوُجد (لو ١٥: ٣٢)"[12]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

✞ إن بقي لديك بعضُ أملٍ في الخلاص، إن كان لديك ذكر الله ولو قليلاً، إن كانت لديك رغبةٌ ما في الخيرات الآتية، إن كان لديك خوفٌ ما من العقوبات المعَدّة لغير التائبين، إذاً عُد سريعاً إلى زهدك، وارفع باصرتَيْك نحو السماء، وهلمّ إلى الرشْد، وانبذ ضلالك، واخلعْ السكْر الذي انسكب عليك، وقاومِ ذاك الذي رمى بك إلى أسفل. ابذلْ قُصارى جهودك للنهوض ثانيةً عن الأرض.. تذكّر الراعي الصالح الذي سيمضي في إثْرك ويرفعك.. تذكّر مراحم الله، ولا تيأس من الخلاص. عُدْ فتذكّر ما كُتب، أنّ من يسقط ينهض، وأنّ من يرتدّ يتوب (إرم ٨: ٤).. ذلك أنّ الربّ لا يريد موت الخاطئ، بل أن يرجع ويحيا (حز ١٨: ٣٢). لا تتظاهر بالاستخفاف إذاً، لفكرة أنّك سقطت في لجّة شرور، فهوذا وقت النهوض، وقت الحِلْم، وقت الشفاء، وقت التقويم. هل انزلقت؟ هل خطئت؟ إهدأ، ولا تجعل نفسك على سكّة الأشرار، بل أسرع خارجاً. ومتى اهتديت وتألّمت، فعندئذٍ تخلص، لأنّ الصحّة إنما تأتي من الكدّ، والخلاص من الأعراق.. لا تترك نفسك تنهار، فثمّة خلاص.. ثمّة نعمةٌ تؤجّل العِقاب، وتنتظر التقويم.. صارِع إذاً من جديد ولا تتردّد، وارأف بنفسك وبنا جميعاً في المسيح يسوع ربّنا[13]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

✞ للإيمان بالمسيح ولقبول المسيحيّة، لا مناص للمرء من أن يعي حالته الخاطئة وأن يتوب؛ ولبقائه مسيحيّاً لا بدّ له من أن يرى خطاياه وأن يفطن لها، ليعترفَ بها من ثمّ ويتوب عنها.. فمن المحال، فيما يعيش المرء في الخطيئة ويحبّ الخطيئة، أن يتّخذه المسيح ليكون خاصّته.. كما وأنّ التوبة لا تطهّر المرء من خطاياه فحسب، بل إنّها تشحذ بصره أيضاً بحيث يرى نفسه بوضوحٍ أوفر.. أمّا فقدان الحسّ لدى النفس أو خُمودها، فيقوم على فقدان وخسارة حسّ التوبة والتفجّع

من روحنا، وخسارة ذلك الألم المفيد المسمّى الندم من قلبنا. والحال أنّ انعدام تألّم القلب أو السلامَ الوهميّ هو دلالةٌ صادقةٌ على وجهة نظر خاطئة، وعلى جهادٍ خاطئ، وعلى خداعٍ للنفس.. وأمّا السبيل إلى بلوغ الندامة فهو السيرة اليقظة.. والسيرة اليقظة المنتظمة الموافقة لوصايا الإنجيل، حتى ولو كانت سبب التوبة الأوّل، ما دامت غير مظلّلةٍ بالنعمة الإلهيّة وغيرَ مثمرةٍ لا تُنتج أسفاً صادقاً، وندامةً، وتفجّعاً، ودموعاً، وكلّ ما يشكّل التوبة السليمة.. بَيد أنّ الطريقة الروحيّة للتوبة والتفجّع لها من القدرة ما يجعلها في مأمنٍ من الخداع الشيطانيّ، أو ما يُسمّى بالضلال الشيطانيّ.. فكيف يمكنه أن يخدع شخصاً يتوخّى بكلّ قوّته اكتشاف حالته الخاطئة، شخصاً يتفجّع على ما قد كُشف له فاستفزّه لتوخّي المزيد من عمق النظر، والذي تدأب نفسه على أن يرى في ذاته التماساً واحداً وحيداً من امرئٍ خاطئ، لكي يسعه من خلال نشاطه الخارجيّ والباطنيّ كليهما أن يقدّم لله وعيَه لحالته واعترافَه بها[14]؟ (القدّيس إغناطيوس بريانشنينوف)

✞ كما أنّ الأفعى التي اجتُذبت من جُحرها المظلم إلى النور تبذل قصارى جهدها للهرب والاختباء، كذلك الأفكار الخبيثة التي يكشفها المرء عبْر اعترافٍ صادقٍ تجدّ في مغادرته[15]. (القدّيس يوحنا كاسيانوس)

✞ ينبغي على الإنسان الذي جرحه إبليس ألاّ يخجل من الاعتراف بزلّته، ومن التنحّي عنها، ومن طلب دواء التوبة لنفسه. ذلك أنّ من يخجل من كشْف جرحه تُصيبه الغنغرينة في الواقع، ما سيُلحق الضرر بجسده كلّه. أمّا الذي لا يخجل من ذلك، فهذا يتعافى جرحه ويُعاود النزول إلى القتال. وأمّا الذي التقط الغنغرينة، فلا يعود في وسعه أن يُشفى، ولا أن يستأنف القتال الذي كان قد توقّف عنه. المهزوم في معركتنا إذاً لديه الوسيلة للشفاء إن قال "لقد خطئت"، وليَطلبِ التوبة.. ثمّ إن من يعترف بزلّته يغفرها له الله[16]. (أفرهات)

✞ إن كان الإقرار بخطايانا يولِّد تعزيةً هذا مقدارها، فلَكم بالأكثر غسلها بأعمالنا نفسها! وإن كان الأمر خلافاً لذلك وكان الله يمنع الخارجين عن الصراط المستقيم مرّةً من العودة إلى حالتهم السابقة، فلا أحد من ثمّ أو عددٌ قليلٌ جداً وسهلُ الإحصاء للغاية يدخلون ملكوت السماوات. بل إنّا نجد الأكثر شهرةً في الواقع بين أولئك الذين أصلحوا سقطاتهم. فلقد كانوا يُظهرون حماساً شديداً للشرّ فصاروا يُبدون الحميّة عينها للخير، إذْ وَعوا جسامة الديون التي استدانوها.. وإذْ يضطرمون بنار التوبة يجعلون نفوسهم أشدّ نقاوة من الذهب المصفّى؛ ثمّ بهَدْي ضميرهم وتذكّر خطاياهم السالفة يبلغون ميناء اللاّهوى مدفوعين بهذه الريح العاتية[17]. (القدّيس يوحنا الذهبي الفم)

✞ يشمل النوح على الخطايا كآبةً حلوة جداً ومرارةً شبيهةً بالعسل، لأنّه متبَّلٌ برجاءٍ صالح وممتاز. لذلك يغذّي الجسد، ويجعل عمق النفس يتلألأ فرحاً، ويسمِّن القلب، ويجعل الجسمَ نفسَه نضراً. لقد كان داود على صوابٍ جداً عندما رنّم قائلاً: "صارت دموعي خبزاً لي نهاراً وليلاً (مز ٤١:٣)"[18]. (القدّيس نيلُس تلميذ الذهبي الفم)

✞ إنّ رحمة الله العظمى تأتي إلى نجدة الضعف البشريّ. فليست المعمودية فحسب، بل والتوبة أيضاً تستردّ الرجاء في الحياة الآتية. هكذا الذين دنّسوا هبة الحياة الفائقةِ الطبيعة، إذْ يدينون أنفسهم بأنفسهم يتلقّون غفران زلاّتهم[19]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ كيف يتوب المرء عمّا قام به؟ إن تاب عنه، ينبغي ألاّ يقوم به من بعد؛ وأمّا إن قام به [ثانيةً]، فيمكن أن تخدعه التسمية، في حين أنّ الخطيئة تستمرّ. أرجوكم إذاً أنْ بدّلوا سيرتكم، إذ لا يُعرف متى ينتهي العمر.. إنّكم تؤجّلون حُسن السيرة ظنّاً منكم بأنّ العمر سيكون طويلاً؛ تظنّون أنّ العمر طويلٌ ولا تخشَون الموت المفاجئ. ولْنفرض أنّه طويل، فاسهروا [بالحريّ] على أن يكون صالحاً. ها إنّي أطلب [إنساناً] واحداً يكون تائباً حقاً ولا أجده. أوَيمكنك أن تذكر لي شيئاً ما، ترغبه

أنت سيّئاً أكثر ممّا ترغبه صالحاً؟.. إذاً، هل نفسك هي الشيء الوحيد الذي تريده سيّئاً؟ فلِمَ تجرح نفسك إذاً؟ لمَ تُلحق الضرر بنفسك؟.. إنّ سلوكك الحسن وحده قادرٌ على منحي الفرح، والتعزية، والهدنة، وسْط مَضايقي وتجاربي. وإن كنتم لا تفكّرون في أنفسكم، أرجوكم أشفقوا [ولو] عليّ[20]. (المغبوط أغسطينوس)

✠ المسيح هو ذاك الذي يُصلِح، لا الذي يُقصي وينبذ. إذاً، ليسوا بتلامذته الحقيقيّين أولئك الذين يَستبدلون الوداعة بالخشونة، والتواضعَ بالكبرياء.. وأيّ شيئ أكثر قساوةً من توبةٍ لا تُرى فيها الغاية؟ أولَيس رفضُ المغفرة حرماناً للتوبة من مُحرّضها؟ إذْ لا يُمكن لأحدٍ أن يتوب كما يجب ما لم يكن راجياً الرحمة [21]. (القدّيس أمبروسيوس)

✠ لاحظوا كيف يحضّنا الله، عندما نعود، على السير في توبتنا حتى الغاية. إنّه يَعِدنا، عند رجوعنا، بشفاء جراحنا بيسوع المسيح. أمّا نحن، الذين لا يؤجّلون ولا يعيقون الخلاص، فكمِثل إسرائيل نجيب قائلين:" ها نحن خدّامك"...لقد قال لنا الله: "عودوا، أيّها الأولاد المتمرّدون، فأغفر لكم خياناتكم". وفي تبيّننا خياناتِنا ووعدَ الغفران، إنّما نجيب على الفور ونقول: "ها نحن لك، لأنّك أنت الربُّ إلهنا". وفي خضوعٍ نقول:" نحن لك ". فلنتذكّر إذاً بأنّا نَخضع لله في قولنا لهُ:"نحن خدّامك"، ولْنردّد لهُ:" نحن لك وليس لدينا من سيّدٍ آخر. فنحن لسنا أتباعاً لروح الغضب، ولا لروح الكآبة، ولا لروح الهوى، ولا للشيطان، ولا لأحد ملائكته، بل نحن سمعنا النداء ونجيب:"ها نحن لك". وعليه، فلْنبرهِن بسلوكنا، نحن المنتسبين إليه، أنْ ليس لدينا سيّدٌ آخر ولْنقُل له:" أنت، يا ربّ، إلهنا". بالحقيقة نحن لا نعترف بأيّ أحدٍ آخر، إذ لا نعترف بالبطن كالشرِهين الذين بطنهم هو إلههم، ولا نعترف بالمال كالجشعين لأنّ البخل من عبادة الأوثان. كما ولا نودّ قطّ إلهاً آخر، ولا عبادةَ أيّة خليقةٍ أخرى، بل إلهُنا هو ذاك الذي فوق الجميع، وفي الجميع، ولسنا متعلّقين إلاّ

بالمحبة التي تربطنا به. أجل، المحبّة تُتْحدنا بالله، ولذلك نردّد قائلين: ها نحن لك، لأنّك أنت الربّ إلهنا[22]. (أوريجانيس)

✞ إنّ تأجيل هذه الحياة المائتة ليس مديداً، كما ولا تدوم طويلاً تلك الإجازةُ المتروكةُ للمشيئات الطائشة، بل سيَحلّ محلّها عذابُ العقوبات الأبديّة، ما لم يفتّش عن علاج التوبة فيما تُعلّق العدالة حُكمَها[23]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ ينتظر الرّب منّا يوماً فيوماً أن نجاوب على مشوراته بأفعال، لأن أيام هذه الحياة إنّما أعطيت لنا كمهلةٍ بغية تقويم اعوجاجاتنا[24]. (القدّيس بنديكتوس)

✞ إنّي أرتعد خوفاً عندما أتصوّر كم أنّي أُهين الله باستمرار. هكذا أهدم في بعض الأحيان ما أبنيه في أحيانٍ أخرى. فعند المساء، أقول إنّي سأتوب غداً، ومتى حان الصباح أقضي النهار دونما اتضاع. ثمّ أعود فأقول في المساء التالي إنّي سأقضي الليل مصلّياً وسائلاً الله بدموعٍ أن يرضى فيغفر لي خطاياي، ولكن ما إن يأتي الليل حتى أستسلم للنعاس فيغلبني. أمّا الذين تلقّوا الأمْناء (لو١٩: ١٢-٢٧) هم أيضاً معي فيعملون دوماً لأجل استثمارها، حتى يستحقّوا المديح على ذلك ويتولّوا على عشْر مُدُن، فيما أنّي لكسلي دفنت مَناي في الأرض وها هوذا ربّي وسيّدي يقترب، ما يجعل قلبي يتجمّد من الهلع، غيرَ عالمٍ أيَّ عُذرٍ أتعلّل به أمامهُ عن كلّ الوقت الذي قضيته في هكذا تهاوُن. فيا إلهي، البريء من الخطأ وحده، إرحمني. خلّصني أيّها الكلّيّ الرأفة والكلّيّ الرحمة وحدهُ، إذ لا أعرف ولا أُومن البتّة بأحدٍ آخر سواك، أيّها الآب الكلّيّ القدرة مع ابنك الوحيد الذي تأنّس لأجلنا والروح القدس الذي يُحيي الكلّ. أذكرني إذاً يا من يحبّ البشر إلى الغاية، وأخرجني من هذا الحبس، من آثامي، إذ كما كان في وسعك أن تأتي بي إلى العالم عندما ارتضيت، هكذا لك أنت أيضاً أن تخرجني منه عندما ترتضي. اذكرني، فليست لي حماية أخرى سواك، وخلّصني أنا الخاطئ الفقير. وعسى هذه النعمة عينها التي

حَبَوتني بها، والتي كانت إبّان هذه الحياة كلَّ سندي وكلّ ملاذي وكلَّ مجدي، أن تَقيني أيضاً تحت جناحيها في ذلك اليوم الرهيب المرعب[25]. (القدّيس يرونيمس)

✞ عندما تتكشف عينا النفس بالتوبة ترى هذه الأمورَ بوضوح، وتُصغي إليها بمعرفة، وتدركها بفهم، فتخبر الجميع من ثمّ بعظائم الله بواسطة حكمة الله[26]. (نيكيتا ستيثاتوس)

✞ نحن لا نُدان بسبب كثرة شرورنا، بل لأننا لا نريد التوبة واكتساب المعرفة[27]. (القدّيس مرقس الناسك)

✞ على من يرغب في الخلاص أن يكون قلبُه مستعداً للانسحاق والتوبة: "ذبيحتي هي روحٌ منسحق، والقلب المنسحق المتواضع لا ترذلُه البتّة (مز ٥٠:١٧)"[28]. (القدّيس سيرافيم ساروفسكي)

✞ نحن نَخلص من خلال توبة القلب والاعتراف الحقيقي[29]. (القدّيس نكتاريوس)

✞ في ميلاده الأوّل، الذي باللحم والدم، إنّما يوافي الإنسانُ إلى الأرض وسرعان ما يزول. ثمّ يأتي الميلاد الثاني، الذي بالروح القدس، حين ينحدر النور عليه وهو يُغسل بماء [المَعمودية]. أمّا الميلاد الثالث فهو الذي بالدموع والألم يطهّر صورة [الله] فينا، تلك التي أظلمت بفعل الشرّ. ولقد حزنا الأول من والدينا، والثاني من الله، لكننا نحن أنفسنا من يُبدعون الثالث، ظاهرين للعالم كنورٍ معترفٍ بالجميل[30]. (القدّيس غريغوريوس اللاهوتيّ)

✞ التوبة هي الباب الذي يقود من حيّز الظلمات إلى حيّز النور. والله نور، وهو يبثّ ضوءه للمتّحدين به نسبةً إلى مدى تطهّرهم[31]. (القدّيس سمعان اللاهوتي الجديد)

✞ التوبة هي الخلاص، أمّا غياب الفهم فهو موت التوبة [32]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

✞ هذه الحياة في الحقيقة إنّما هي مكرّسة للتوبة، للنوح والنحيب.. ولذلك، من الضروري للمرء أن يتوب، لا ليوم واحد أو يومين فحسب، بل طوال حياته أيضاً... هل اقترفت خطيئة؟ إذن ادخلِ الكنيسة وتُبْ عن خطيئتك.. فهنا يوجد الطبيب لا القاضي، وهنا لا يخضع المرء لدعوى بل يحصل على غفران الخطايا.. فلْنطبّق إذاً على أنفسنا طب التوبة الخلاصيّ، ولْنَقبل من الله التوبة التي تشفينا. إذ لسنا نحن من يقرّبونها لهُ، بل هو من يمنحنا إياها[33]. (القدّيس يوحنا الذهبي الفمّ)

✞ على الجميع أن يذرفوا العبرات، على الجميع أن يتطهّروا، على الجميع أن يسْموا[34]. (القدّيس غريغوريوس اللاهوتي)

✞ إحذفوا الدموع، فيُحذف معها التطهير، وبلاِ تطهير لا يمكن لأحدٍ أن يَخلُص[35]. (القدّيس سمعان اللاهوتي الجديد)

✞ إنّ الشغف بالله والتألّم لأجله يبرزان الدموع[36]. (ثيوذوريتس القورشي)

✞ واحسرتاه! كم سنبكي ونأسف على ما لا نأسف عليه الآن[37]. (يوحنا موسخوس)

✞ التوبة بدون صدقة إنّما تبقى بلا حياة وبلا جناحين[38]. (القدّيس يوحنا الذهبي الفم).

✞ لا نقبلنَ أيّة فكرةٍ تقلّل من شأن خطايانا، ولا أية فكرةٍ تُفرِط في شأن غفرانها. فلقد حذّرنا الربُّ من أفكارٍ كهذه قائلاً: "إحذروا من الأنبياء الكذبة، الذين يأتونكم بثياب الحملان، وهم في الباطنِ ذئابٌ خاطفة (متى٧:١٥)". فما دام ذهننا عرضةً لهجمات الخطيئة، يعني أنّا لم ننل بعدُ الغفران، لأنّا لم نُثمر بعدُ ثمار توبةٍ لائقة. إذْ إنّ ثمر التوبة هو لاهوى النفس، واللاّهوى هو مَحْوالخطيئة. والحال أنّا لم نبلغ بعدُ اللاهوى الكامل إنْ كانت الأهواء تهاجمنا حيناً وتُعفينا من هجماتها طوراً، ما يعني أنّا لم ننل بعدُ الغفران الكامل لخطايانا. في المعمودية المقدّسة تحرّرنا من الخطيئة الأصليّة؛ أمّا الزلاّت التي كانت لدينا الجسارة لارتكابها بعد المعمودية،

فالتوبة هي التي تخلّصنا منها. فلْنتُبْ إذاً بصدق، حتى إذا ما تحرّرنا من أهوائنا نستطيع نَيل غُفران خطايانا[39]. (القدّيس مكسيموس المعترف)

سبت الأموات

الرسالة ١ كور١٠: ٢٣-٢٨ و١تسا٤: ١٢-١٧

الإنجيل لو٢١: ٨-٩، ٢٥-٢٧، ٣٣-٣٦

"فكذلك سيُحضر الله الراقدين بيسوع معه" (١ تسا٤: ١٤)

✞ كلّ نفسٍ صالحةٍ مُحبّةٍ لله، ما إن تنعتق من الجسد وتلِج فوراً حيّزَ التحسّس للخير الباقي والتأمّلِ فيه حتى تختبر نعيماً عجيباً، فتكونُ في الحبور وتتقدّم بامتنان نحو سيّدها، هاربةً من الحياة الحاضرة كما من سجنٍ لا يُطاق [40]. (القدّيس غريغوريوس اللاهوتيّ)

✞ عندما تنفصل النفس عن الجسد ويُبعثُ بها إلى عالمٍ آخر وحياةٍ أخرى، إنّما تكون مصحوبةً بأعمالها الخاصّة وحسْب. فإن كانت أعمالها صالحةً موافِقةً لمشيئة الله، فرحت وبَشّت وتذوّقت لذّة الخيرات سلفاً، سعيدةً بالرجاء، بعدما تلقّت وهي في الدنيا بواكير هذه الخيرات وعُربونَها، وبعد مثولها أمام الله وفرحِها مع ملائكته. وبالعكس، إن كانت أعمالها سيّئةً مفعَمةً بالجحود والخِزي، أمسك بها منخسُ الندم وكابدت جراحَ الضمير المؤلمة، وجراحَ اللذّة الرديئة المتلاشية، التي بقي منها النتانة والخِزي فحسب. ثمّ إنّ ملائكةً من العدوّ مُظلمين مُرعِبين يتسلّمونها ولا يُبيحون لها أن تكون حرّة، بل يقتادونها إلى زنزانةٍ معتمةٍ تسمّى الجحيم، حيث تُحتجز مع [مثيلاتها] الأُخريات منتظرةً حُكم الديّان والقضاءَ الأبديَّ بالعقوبات التي لا تنتهي [41]. (القدّيس فوتيوس المعترف)

✞ عند انفصال النفس عن الجسد، ينتصب أمامنا جيش القوّات السماويّة من جهة، ومن الجهة الأخرى قوّات الظلمة، زعماءُ الجمارك الروحيّة، مُحرّفو قضايانا. ومتى رأتهم النفس يعتريها الهلع والاضطراب، فتتوجّه إلى ملائكة الربّ

خائفةً مرتبكةً طلباً لمعونتهم. وبعدَ أن يُظلّلها الملائكة بأجنحتهم، تجتاز الفضاء روحياً مشرئبّةً نحو الأعالي، مروراً بالجمارك المتعدّدة التي سوف تسدّ عليها المنفذ إلى الملكوت، بتوقيفها وقَمْع اندفاعها نحو الملكوت. وسوف يطالبها كلٌّ منهم بحساباتٍ عن كلٍّ من خطاياها... فإنْ بدت النفس أهلاً للمكافأة بداعي سيرتها الورعة(...) مضت دونما خوفٍ نحو الملكوت...وأمّا لو اتّضح أنها عاشت في الفساد وعدم الانضباط، فلسوف يمكنها آنذاك أن تسمع هذه الكلمات الرهيبة: "فليضمحلّ الكافر حتى لا يرى مجد الله (أشع٢٦: ١٠)". عندئذٍ يتخلّى عنها ملائكة الربّ فيدنو إليها الشياطين المرعبون. وبعد أن تُربط النفس بقيودٍ لا تنحلّ، يُقذف بها إلى سجون الجحيم[42]. (القدّيس كيرلس الإسكندريّ)

✞ لا يظننّ أحدٌ أنّا تعلّمنا من الكتاب بأنّ الجحيم مكانٌ معيّن، بل هي حالة حياةٍ غيرُ هيوليّةٍ وغيرُ جسديّةٍ تمكث فيها النفس [43]. (القدّيس غريغوريوس النيصيّ)

✞ ليسَ ثمة اعترافٌ وتقويمٌ في الجحيم لمن ماتوا، لأنَّ الله حصر في الدنيا السيرةَ والعملَ وفي الآخرة الحسابَ على العمل[44]. (القدّيس غريغوريوس اللاهوتيّ)

✞ هوذا حسب اعتقادي عذابُ الجحيم: الندم.. فالألم الذي تضعه الخطيئة إزاء المحبّة في القلب إنّما هو أشدُّ تمزيقاً من أيِّ ألمٍ آخر. ومن العبث الظنُّ تالياً أنَّ الخطأة في الجحيم محرومون من محبّة الله التي تُعطى دونما تجزئة[45]. (القدّيس إسحق السوريّ)

✞ الجحيم هو الجَهل، لأنّ كليهما ظلام؛ والهلاك كثرة النسيان، إذ يتضمّن كلاهما الانقراض [46]. (القدّيس مرقس الناسك)

✠ هل تخشى الجحيم؟ ولكنّي لا أتوقّف عن الصراخ إليك بأنّ الإساءة إلى المسيح هي ممّا لا يُطاق بالأكثرِ والأشدُّ رهبةً من أيّ جحيم [47]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✠ حتى ولو أنّ الخطأة جميعَهم يكونون في جهنّم، إلاّ أنّهم لا يكابدون جميعُهم العذاباتِ نفسَها [48]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

✠ بالقرب ممّن اقترف الكثير من الشرّ في الدنيا، ينتصب ملائكةٌ مُرعِبون مُخيفون، ينظرون النار ويُلهبونها بداعي مرارة خيارهم، ولديهم وجوهٌ تشبه الليل بداعي حزنهم، وحقدِهم على البشر. ثمّ هاويةٌ سحيقة، وظلماتٌ لا مَخرج لها، ونارٌ لا تتوهّج، إذْ للنار في تلك الظلمات قدرةٌ على الاشتعال، لكنّ بَريقها قد انتُزِع منها. ثمّ صنفٌ من الدود سامٌّ آكلُ لحوم، يلتهم بنَهمٍ ولا يشبع قطّ، والذي إذْ يَنهش يَفرض أوجاعاً يعجز عنها الوصف [49]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

✠ عندما يقول إبراهيم للغنيّ: "بيننا وبينكم هوّةٌ عظيمةٌ [قد أُثبتت]، حتى إنّ الذين يريدون أن يجتازوا من هنا إليكم لا يستطيعون، ولا الذين هناك أن يعبروا إلينا(لو١٦: ٢٦)"، إنّما يبرهن ذلك على عدم وجود توبةٍ بعد الموت والقيامة. إذْ لن يستطيع الكفرة بلوغَ التوبة والدخولَ من ثمّ إلى الملكوت، كما ولن يُخطئَ الأبرار من بعدُ فيستحقّوا الذهاب إلى العذاب. وها هي ذي الهوّةُ العظيمة [50]. (أفرهات)

✠ بما أنّ قيامةَ الأموات مؤكّدة، فلا ينبغي الأسفُ البتّة على وفاتهم، ولا الاستسلامُ للانهيار حزناً. فلماذا تغتمّون إنْ كنتم تؤمنون أنّهم لم يكفّوا قطّ عن الحياة؟ لِمَ التحمّل بنفاد صبرٍ أنّ من تعتقدون بوجوب عودته قد انتُزِع منكم لزمن؟ إنّ ما تسمّونه موتاً ليس إلاّ رحيلاً، ولا داعي للبكاء على ذاك الذي تَقدّم غيرَه، بل بالحريّ ينبغي انتظار لُقياه. كما ولا بدّ من تلطيف هذا الانتظار بالصبر [51]. (ترتليانوس)

✞ من يتبصّر في ما ستكون حالُه ساعةَ موته يسلك بمخافةٍ على الدوام، ولأنّه لا يعود حيّاً في نظر نفسه والحَالةُ هذه، إلاّ أنه يكون حيّاً حقّاً في نظر خالقه. فهو لا يرغب في أيّ شيءٍ زائل، وينبذ إغراءات الحياة الحاضرة كافة، ويكاد يلازم نفسه كما لو كان ميْتاً، لعِلمه جيّداً أنّه سيموت لا محالة. وعليه، فكمال الحياة إنّما هو مُحاكاة الموت، وفي معايَشة هذا الاهتمام تجنَّب الصدّيقون فخاخَ الخطيئة [52]. (القدّيس غريغوريوس الكبير)

✞ بالنسبة إلى من يخافون الموت بشدّة، ليس الموت هو الثقيلَ الوطأة بل التعايشُ مع خوف الموت [53]. (القدّيس أمبروسيوس الأسقف)

✞ وهل الموتُ سوى رقادٍ طويلٍ وعميقٍ جداً يوقظ الله منه الإنسان؟... وعليه، فمن يرغب في العيش دوماً ولا يحبُّ السهر طويلاً بعض الشيء إنّما يخالف نفسَه؛ فهو لا يريد الموت ولا يريد مَحْوَ صورة الموت. لهذا السبب، وفي هذا المعنى، على المسيحيّ أن يُبقي ذهنه متأهّباً في ما يكفي من الأسهار، متمرّساً على سيرة الملائكة دون أدنى شكّ، في العفّة ونقاوة القلب[54]. (المغبوط أغسطينوس)

✞ لقد خلق إله الكلّ طبيعتنا كإناءٍ لحَمْل الصالحات، إلاّ أنّ عدوّ نفوسنا قد ملأنا من الشرّ بالحيلة، فلم يعُدْ ثمّة [فينا] متّسع للصلاح. لذلك، وكيلا يخلّد الشرُّ المغروز في داخلنا، احتاط اللهُ بتصفيةٍ مؤقّتةٍ للإناء، بحيث يستطيع العنصر البشريّ وقد تخلّص من الشرّ أن يُعاد صُنعه حرّاً من الشرّ، وأن يُستعاد إلى حياته السالفة (قبل السقطة). وهذه هي القيامة بالفعل: إعادة ترتيب طبيعتنا وفقاً لحالتها الأصليّة. إذاً، الموت أمرٌ حسَن، لأنّه يصير بالنسبة إلينا طريقةَ التحوّل نحو الأفضل. وعليه، فلْنطردِ الحزنَ على الرقاد يا إخوة، سيّما وأنّ الذين لا رجاء لهم هم وحدَهم مَن يحتاجون إلى مكابدته[55]. (القدّيس غريغوريوس النيصي)

✞ الموت راحة، وتخلُّصٌ من أتعاب الدهر وهمومه. فحينما ترى أحد أقربائك يرحل من ههنا، لا تسخطْ، بل تقبّلْ موته بفكرٍ ورعٍ، وعدْ إلى نفسك، وافحص ضميرك، واحسَب أن النهاية قريبةٌ بالنسبة إليك... فحتّى ولو كان الموت ناجماً عن الخطيئة، إلاّ أنّ الله يستخدمه لصالحنا[56]. (القدّيس يوحنا الذهبيّ الفم)

✞ يسمّى الموت رقاداً في كلّ مكان، ولهذا السبب يسمّى هذا الموضع مقبرة. ذلك كما لو كان يُقال إنّه موضعٌ مخصَّصٌ للراحة والرّقاد، وهذا الاسم إنّما هو مفيدٌ ومملوءٌ تعليماً. فحينما تصطحب ميْتاً إلى ههنا، لا تتفجّع، لأنّك لم تصطحبه إلى الموت بل إلى الرقاد، وهذا الاسم كافٍ لتسكين وجعكَ وتخفيفه[57]. (القدّيس يوحنا الذهبيّ الفم)

✞ إن كنت تخشى الموت، فاخشَ الرقاد أيضاً. إن كنت تخشى الموت، فاخشَ الأكل والشرب أيضاً، إذْ كلاهما طبيعيّ. عندما نخاف الموت، إنّما نكون خائفين خوفاً صبيانيّاً. فنحن نخشى الموت، ولكننا لا نخشى الخطيئة قطّ! ولدى الأولاد الصغار خوفٌ من الأشباح، لا من النار... وكذلك نحن، إذْ نخشى الموت الذي ليس هو في الواقع سوى شبَح، دون أن نخشى الخطيئة التي ينبغي الخشية منها حقّاً والتي تلتهم الضمير كالنار. وهذا ليس ضمنَ طبيعة الأمور، بل ينجم عن جهلنا.. فلقد كانت وفاتنا تسمّى موتاً في الأزمنة القديمة، وأمّا بعد مجيء المسيح وموته لأجل حياة العالم، فلم يعُدِ الموت يسمّى موتاً، بل رقاداً أو نوماً [58]. (القدّيس يوحنّا الذهبي الفم)

✞ إن أمكن، فلْنتذكّر الموت باستمرار، إذْ من هذا الذّكر يولد إقصاءُ الاهتمامات والتفاهاتِ كافة، أيضاً حِفظُ الفكر والصلاةُ الدائمة، عدم التعلّق بالجسد وبغضُ الخطيئة. في الواقع، منه تنشأ كلّ فضيلةٍ تقريباً. ولذلك، فلْنجعل هذا الذّكر متواصلاً [فينا] كتَنَفُّسنا [59]. (القدّيس إيسيخيوس الأورشليمي)

✞ أيّها الإنسان، حبّذا لو تحمل دوماً في قلبك التفكيرَ بأنّك ستموت. وليس الآباء وحدهم، بل معلّمو الفلسفة الدنيويّة أيضاً يعلّموننا أن نتذكّر الموت [60]. (القدّيس إسحق السوريّ)

✞ بما أنّنا نجهل لحظة الموت الوافد إلينا، وبما أنّنا سنكون عاجزين عن العمل بعد الموت، فيبقى أن نُحسن قبل الموت استخدامَ الوقت الذي مُنح لنا [61]. (القدّيس غريغوريوس الكبير)

✞ تذكّر وذكّر نفسك بهذا: "سوف أموت لا محالة! فلقد مات آبائي وأجدادي، وما من كائنٍ بشريٍّ بقي على الأرض إلى الأبد، كما أنّ المَنيّة التي توافي الكلَّ تَرصُدُني أنا أيضاً"! لا تبدّد إذاً الوقت المُعطى لك للتوبة. لا تسمّر باصِرتَيك نحو الأرض التي أنت فيها ممثّلٌ وقتيّ، والتي أنت عليها في منفى، والتي عليها قد مُنحتْ لك برأفة الله فرصةٌ لتَعدل عن رأيك وتُقدّم توبةً لتجنُّب سجون جهنّم الأبديّة والعذاب الأبديّ فيها. استخدم نوبة حَجّك القصيرةَ على الأرض لتحصّل فردوس سلام، وملاذاً مباركاً في الأبديّة. التمِس المُلكيّة الأبديّة عبْر زهدك بكلّ مُلكيّةٍ زمنيّة، وعبْر زهدك بكلّ ما هو جسديّ وطبيعيّ في حيّز طبيعتنا الساقطة. توسّل عبْر إتمام وصايا المسيح. توسّل عبْر توبةٍ صادقةٍ عن خطاياك التي اقترفتها. توسّل بواسطة صلاة [اسم] يسوع واقرنْ بها ذِكرَ الموت [62]. (القدّيس إغناطيوس بريانشنينوف)

✞ هل رأيتَ قطّ أمواتاً يدفنون أمواتهم؟ أو أنّ ميْتاً سيَنهض ليَدفن ميْتاً [آخر]؟ خُذ منّي إذاً هذا اليقين: أنّ الخاطئ ميْتٌ عند الله ولو كان حيّاً، وأنّ الصدّيق حيٌّ عند الله ولو كان ميْتاً [63]. (أفرهات)

✞ وإذْ نضع كلَّ هذا نصب أعيننا، فلْنتمرّس على الحكمة مع البساطة، كما في العقائد كذلك في الأفعال القويمة إبّان سيرتنا. لنَدِنْ أنفسنا هنا، لئلاّ يُحكم علينا مع العالم في ما بعد... ولا نقلْ لله فحسبُ" لا تذكرْ إساءاتنا"، بل فلْيقلْ كلٌّ منّا أيضاً

لنفسه "لا نذكرنّ الإساءات الموجَّهةَ إلينا من أنْدادنا في العبوديّة"... إذاً، لِمَ تتهجّم بالسيف ضدّ نفسك، كما يفعل القوم المجانين المُهتاجون، وتنفي نفسَك من الحياة الآتية، فيما يَتعيّن عليك أن تستخدم كلَّ وسيلةٍ لكي تُحرِزها؟ وإن كانت الحياة الحاضرة مرغوباً فيها إلى هذا الحدّ، فماذا يُستطاع القول بشأن تلك التي تلاشى فيها الألم والحزن والحِداد؟...وعليه، فمغبوطون هم، بل مثلّثو الغبطة، أولئك الذين ينعمون بتلك الراحة المغبوطة [64]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✠ نحن نؤمن بأنّ ثمّة عوناً عظيماً لكلّ تلك النفوس التي تقرَّب لأجلها الصلاة، حين تكون الذبيحة المقدّسة مستريحةً على المذبح، مقدَّسةً ورهيبة! وأودّ أن أثبت لكم ذلك بمَثَل. أعرف أنّ كثيرين يقولون: "أيّ نفعٍ للنفس المتوفّاة، أكانت بلا خطيئةٍ أمْ في حالة الخطيئة، إن ذُكرت في الصلاة"؟ ولكن، إنْ نفى مَلكٌ ما رعايا له قد أهانوه، ثمّ وافى ذَووهم ضافِرين إكليلاً ليقدّموه إلى المَلك من أجل الذين عاقبهم، أفَلَن يمنحهم الإعفاء من العقوبة؟ وهكذا الأمر بالنسبة إلى أمواتنا. فَحتّى ولو كانوا خطأة، لا نكون ضافرين إكليلاً بتلك الصلوات التي نقرّبها إلى الله من أجلهم، بل إنّما نقرّب المسيح الذي بذل نفسه بسبب خطايانا، ملتمِسين بذلك مصالحةَ رأفة الله لهم ولنا [65]. (القدّيس كيرلس الأورشليميّ)

✠ إنّ تقديم الذبيحة لأجل نياح الراقدين، والصلاةَ لأجلهم، هي عادةٌ يُراعيها العالم بأسره، ولذلك نؤمن أنّها تقليدٌ رسوليّ. فالكنيسة الجامعة تحافظ عليها فعلاً في كلّ مكان؛ ولو لم تكن مؤمنةً بأنّ الخطايا تُغفر للمؤمنين الراقدين، لما تصدّقت لأجل نفوسهم، ولما قدّمت ذبيحةً لله من أجلهم [66]. (القدّيس إيسيذورس الإشبيليّ)

✠ لِمَ سَلّم الآباء القدّيسون إلينا أن نقدّم القرابين لله في الكنيسة لأجل [إنسانٍ] راقد، وما هي المنفعة التي قد تَنتج من ذلك لنفس الراقد؟ فأجاب الملاك: "إنّ الله لم يسمح بأن يحصل أيُّ أمرٍ في كنيسته دونما فائدةٍ أو منفعة. فعندما تكون ثمّة تقدمةٌ

في اليوم الثالث، تنال نفس الراقد من ملاكه الحارس عزاءً في العذاب الذي تكابده بفعل انفصالها عن الجسد. وهي تنال العزاء لأنّ الشكر والقرابين قد قُدّمت لأجلها في الكنيسة، ما يُنشئ فيها رجاءً صالحاً. ذلك أنّ النفس تنقاد مدّة يومين على الأرض حسَب رغبتها وصُحبة الملاكَين الموجودَين أمامها. ولذلك تتسكّع النفس المُحبّة الجسد إمّا حول المنزل الذي منه انفصلت عن الجسد، وإمّا حول القبر الذي فيه دُفن جسدها، فتمضي يومين وكأنّها عصفورٌ يفتّش عن عشّه؛ أمّا النفس الفاضلة فتتنزّه عبْر الأماكن التي أنجزت فيها البِرّ. وفي اليوم الثالث، يأمر ذاك الذي قام من بين الأموات كلَّ نفسٍ مسيحيّةٍ أن تُقاد إلى السماء، على صورة قيامته، بغية الاشتراك في رحيل الجميع إلى الله؛ ولذلك إذْ تقدّم الكنيسة القرابين والصلاة لأجل النفس في اليوم الثالث إنّما تحافظ على عادةٍ حميدة. وبعد رحيلها إلى الله، يأمر الله أن تُعرّف النفس بشتّى منازل القدّيسين المستحبّة وجمالات الفردوس، فتعاينها النفس على مدى ستّة أيام، معجَبةً بالله خالقها كلّها ومعظِّمةً إيّاه. وعند رؤيتها كلَّ ذلك لا تتغيّر، كما ولا تنسى التعب الذي كانت قد عرفته لمّا كانت بعدُ في الجسد. ولكن، إن كانت مذنبةً بالخطايا، فقبل رؤيتها فرحَ الأبرار تَشْرع في التأسّف على خطاياها وفي لوم ذاتها قائلة: " ويلٌ لي! كم أنا معوزةٌ في هذا العالم! ففي تحمّسي لإشباع رغباتي، خسرت القسم الأكبر من حياتي بطّالةً، دون أن أخدم الله كما كان يليق، بغية التمكّن من استئهال هذه النِّعَم وهذا المجد. يا لَلويل، فقد كنت جِدَّ كسولة"!.. وبعد معاينتها أفراح الأبرار كافّةً لمدّة ستّة أيام، يصطحبها الملاكان من جديدٍ في رحلتها نحو الله. ولذلك تُحسِن الكنيسة التصرّف إذْ تقيم خدمة اليوم التاسع وتقدّم القرابين لأجل الراقد. وبعد رحيلٍ آخر، يأمر سيّدنا سيّدُ الكلّ بأن تُقتاد النفس إلى جهنّم وأنْ تُكشف لها أماكنُ العذابات الموجودةُ هناك، ومختلفُ شُقق جهنّم، وعذاباتُ الكفّار حيث توجد نفوس الخطأة الذين لا يكفّون عن النحيب وصرير الأسنان. فتعاين النفس

شتّى أماكن العذاب هذه طوال ثلاثين يوماً، مرتعدةً لفكرة أن يُحكَم عليها بالحجز هناك. ثمّ في اليوم الأربعين، تستأنف النفس رحلتها نحو الله، وحينذاك يعيّن الديّان للنفس الموضعَ الذي يناسبها تبعاً لأعمالها. لذلك تقوم الكنيسة بعملٍ صائبٍ إذْ تقيم في اليوم الأربعين ذكرانيّةَ الراقدين [67]. (القدّيس مكاريوس الإسكندريّ)

أحد مرفع اللّحم (أحد الدينونـة)

الرسالة ١ كور ٨:٨-٩: ٢ الإنجيل متى٢٥: ٣١ - ٤٦

"فيذهب هؤلاء إلى العذاب الأبديّ والصدّيقون إلى الحياة الأبديّة" (متى ٢٥ : ٤٦)

✠ أمّا "المسيح الدجّال" فسوف يأتي كغدّار، بهيئةٍ تُجيز له خِداع الجميع. سوف يأتي وكأنّه متواضع، وديع، ويقدّم نفسَه على أنّه ضحيّةُ الظلم، وكارهُ الأوثان، ويتراءى بمظهر التقوى، والصلاح؛ ويكون صديقاً للفقراء، محبوباً من الجميع؛ بل وسوف يكون في وسعه أيضاً أن يتّخذ التدابير البارعة في إرضاء الجميع، بغية أن يحبّه الناس. وسوف يخدع العالم إلى أن يوطِّد مُلكه، ويكون قادراً أيضاً على اجتراح آياتٍ عظيمةٍ وعجائب بهدف الترهيب... وبما أنّ العديد من الطبقات الاجتماعية والأمم سوف تتبادل تقدير مزاياه وسلطانه، فسوف توافق كلُّها بالإجماع على الفكرة الوحيدة لتنادي به ملَكاً بحَميّة، هاذّةً في ما بينها: "أوَيمكننا أن نجد إنساناً آخر صالحاً وعادلاً مثله؟"(68). (القدّيس إفرام السوريّ)

✠ نحن لا نعترف بمجيءٍ واحدٍ للمسيح فحسْب، بل بمجيءٍ ثانٍ أيضاً، والذي سيكون أرفعَ مجداً بغير قياسٍ من الأوّل. إذْ في مجيئه الأوّل، أظهر قدرته على التألّم؛ وأمّا في مجيئه الثاني، فسيكون لابساً تاجَ ملكوت السماوات. في مجيئه الأوّل، كان مُضجَعاً في مذود، ملفوفاً بقُمُط؛ وأمّا في الثاني، فسيكون مترديّاً النور كالسِّربال. في مجيئه الأوّل، كابد الصلب دونما اكتراثٍ للعار؛ وأمّا في الثاني، فسوف يأتي بمجدٍ صُحبة القوّات الملائكيّة. ولذلك لا نتوقّف نحن عند مجيئه الأوّل، بل ننتظر الثاني.. وسوف يأتي الربّ لا ليُحكم عليه من جديد، بل ليدين هو مَن كانوا قد حكموا عليه. وهو الذي كان صامتاً إبّان محاكمته، سوف يذكّر الكفّار الذين أبدوا فظاظتهم أمام الصليب بقوله: "أنتم صنعتم هذه وأنا سكتّ (مز٤٩:٢١)"! آنذاك، أتى المخلّص لتدبير

خلاصنا، ولتزويد البشر بتعاليمه؛ أمّا الآن، وسواء أرادوا أمْ لم يريدوا، فلَسوف يكونون مرغَمين على الخضوع لمُلكه[69]. (القدّيس كيرلس الأورشليميّ)

✞ عندئذٍ، تظهر علامة ابن الانسان في السماء، أي الصليب، الذي هو أشدّ سطوعاً من الشمس. إذْ يحدث أنّ الشمس تُظلِم أو تَحتجب، وأمّا الصليب فيَظهر. زدْ على أنّه لن يُرى لو لم يكن أشدَّ سطوعاً بكثيرٍ من الشمس. ولكن، لمَ ستظهر هذه العلامة؟ سوف يكون ذلك لتَخزى وقاحةُ اليهود. فلَسوف يأتي المسيح إلى تلك الدينونة حاملاً تبريره الأسمى ـــ أي الصليب ـــ ومُظهراً لا جراحَه فحسبُ بل موتَه المُخزي أيضاً[70]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✞ أيّها الإخوة، ما الذي يمكنه إقحامَنا في فزعٍ وندمٍ أشدّ مرارةً من رؤية تلك الدينونة الرهيبة، حين سنشهد الخطأة الذين لم يتوبوا قطّ مبعوثين إلى العذاب الأبديّ وفقاً لدينونة الله العادلة، مرتعدين ومحتجّين ونادبين عبثاً؟ كيف نستطيع كبْتَ صرخاتنا الخاصّة عندما نصورّ لأنفسنا العذابات المروِّعة الموصوفة في الكتاب المقدّس ـــ النار الأبديّة، والظلمة الخارجيّة، والهاوية التي لا يُسبر غورها، والتّنين الفظيع الذي لا ينام، وصرير الأسنان، وكافّة التعذيبات المدّخَرة لمن خطئوا وأغضبوا الله بميولهم الخبيثة ـــ وأنا الأوّل بين هؤلاء الأردياء؟! يا إخوتي، من الذي يمكنه بأيّ حالٍ وصْفَ الجلال المرهِب الذي لمجيء ربّنا الثاني، ورعب تلك الدينونة التي لا تُرتشى؟ قال بعض الآباء أنْ كان من الممكن الموتُ في تلك الساعة، علاوةً على أنّ العالم بأسره سيَفنى من الخوف. ولهذا السبب، ينبغي علينا حِفظُ الخوف المقدّس وإبقاءُ فكر الدينونة في ذهننا. وإن كان قلبنا مُعارِضاً التأمّل في تلك الأمور، فعلينا رغم هذه [المعارضة] أن نُجبره على فعل ذلك، متوجّهين إلى نفسنا بالعبارات التالية: "واحسرتاه، أيّتها النفس الشقيّة، فلقد دنا أوان رحيلك من هذه الحياة. إذاً، كم ستُرجئين تخلّيك عن طرقك وتلبثين في الذلّ؟ لِمَ لا تتأمّلين في ساعة الموت الرهيبة"[71]؟ (القدّيس نيلس سورسكي)

✝ إنّي على علمٍ بتلك التنكيلات، والغليان، وتحطُّم القلب، ورُزوح الركَب، والعذابات المماثلة التي لا بدّ أن تضرب آثام الكفرة. ولا حاجة للتكلّم بشأن محاكم الحياة المستقبَلة، إلى حيث سيُسلَمون بداعي التغاضي وعدم القصاص في هذه الحياة، حتى إنّ تكبُّد المرء للعقاب والتطهُّرِ الآن سيكون أكثر حكمةً بالحريّ من أن يُبعث به إلى تلك العذابات، التي ستكون آنذاك فترةَ العقوبة لا فترةَ التطهّر[72].
(القدّيس غريغوريوس اللاهوتيّ)

✝ كما أنّ كلاًّ منّا يتلقّى جسده الخاصّ بفَنٍّ من الله، كذلك يحتاز نفسه الخاصّة أيضاً، سيّما وأنّ الله ليس بفقيرٍ ولا بمجرَّدٍ إلى حدّ العجز عن مَنْح كلّ جسدٍ نفسَه الخاصّة مع طبعه الخاص. لذا، وحين يكتمل عدد البشريّين المحدَّدُ سلفاً من قِبَله، سوف يقوم جميع من كُتبوا إلى الحياة (رؤ ٢١: ٢٧)، مع أجسادهم ونفوسهم التي فيها كانوا لَيُرضون الله؛ أمّا من سيكونون أهلاً للعقاب، فلَسوف يتلقّونه هم أيضاً مع نفوسهم وأجسادهم التي فيها كانوا لَيَنشقّون عن صلاح الله.. ولقد علّم الربّ على الوجه الأكمل أنّ النفوس تبقى دون العبور إلى أجسادٍ أخرى، بل وأنّها تحافظ على ميزة الأجساد التي تآلفت معها كما هي، وأنّها تتذكّر الأفعال التي قامت بها على الأرض وتلك التي كفّت عن القيام بها. هوذا ما يظهر في قصّة الغنيّ ولعازر الذي كان متّكئاً في حضن إبراهيم (لو ١٦: ١٩- ٣١). فبحسَب هذه القصّة، تعرّف الغنيّ على لعازر بعد موته وتعرّف على إبراهيم أيضاً؛ وكان كلٌّ منهم لابثاً في الموضع الذي عُيّن له. أمّا الغنيّ، فكان يطلب أن يُبعَث لإغاثته لعازرُ هذا الذي كان قد أبى عليه حتى الفتاتَ [الساقط] من مائدته. وأمّا إبراهيم، فكان يُظهر بجوابه أنّه كان على اطّلاعٍ في ما يتعلّق لا بشخص لعازر فحسب، بل وبشخص الغنيّ أيضاً، وكان يَفرض على مَن لم يكونوا راغبين في الانتهاء إلى موضع العذاب هذا أن يَسمعوا موسى والأنبياء، وأن يتلقّوا بشارة ذاك المزمع أن يقوم من بين الأموات. ويَستلزم ذلك كلُّه بوضوحٍ أن تلبث النفوس دونما عبورٍ البتّة إلى أجسادٍ

أخرى، وأن تمتلك مَعالم الكائن البشريّ بحيث يمكن التعرّف إليها أيضاً، وأن تتذكّر الأمور الأرضيّة. إلى هذا، نلاحظ أن إبراهيم كان حائزاً على موهبة النبوءة، وأنّ كلّ نفسٍ تُلاقي دعوة الإقامة التي استحقّتها حتى قبل الدينونة[73]. (القدّيس إيريناوس)

✞ إن كان الله حقّاً ما هو عليه فعلاً، فينجم عن ذلك أنّه عادل، لأنّه لا يستطيع أن يكون إلهاً إنْ لم يكن عادلاً. ولكن، إن كان عادلاً، فهو يؤدّي لكلّ امرىءٍ حقَّه. لكنّا نلاحظ أنّ الجميع لا ينالون حقَّهم على الأرض؛ وينبغي علينا من ثمّ انتظارُ مُجازاةٍ أخرى، لكي ينال كلّ واحدٍ ما يستحقّه بدقّةٍ ولكي ينكشف عدلُ الله[74]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✞ إن كان الله يفرض العقاب فذلك لا يكون بتأثير الغضب، بل بهدف العدل، قاصداً بأنّه ليس حسناً أن يُهمَل العدلُ لأجلنا[75]. (اكليمنضوس الاسكندريّ)

✞ سوف يأتي المسيح ليدين الأحياء والأموات، والذي بحضوره سيقوم البشر كافّةً مع أجسادهم ليؤدّوا حساباً عن أعمالهم الخاصّة[76]. (القدّيس أثناسيوس الكبير)

✞ في يوم المجازاة، لن يُحاسَب على قَدْر الثروات بل على نوعيّة المشيئات[77]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ في يوم الفحص (أشع ١٠: ٣)، سوف تتّهمنا أفكارنا الخاصّة وأعمالنا السّابقة، فنحكم على أنفسنا بأنفسنا[78]. (القدّيس غريغوريوس اللاّهوتيّ)

✞ موت الهالكين الأبديّ، والذي هو عزْلهم عن حياة الله، إنّما يدوم بلا نهاية[79]. (المغبوط أغسطينوس)

✞ يكون الله نوراً للبعض، وناراً للبعض الآخر، وذلك وفقاً للجوهر والنوعيّة التي يجدها في كلٍّ منهم[80]. (القدّيس غريغوريوس اللاّهوتيّ)

✞ الشركة مع الله هي الحياة والنور والتمتّع بالخيرات التي منه. أمّا جميع الذين ينفصلون عنه طوعاً، فيعاقبهم بالانفصال الذي اختاروه هم أنفسُهم. والحال أنّ الانفصال عن الله هو الموت، والانفصال عن النور هو الظلمات، والانفصال

عن الله هو فقدان كلّ الخيرات التي منه، وعليه، فأولئك الذين خسروا بجُحودهم ما ذكرناه، إذْ باتوا محرومين من الخيرات كلّها، يغوصون في العقوبات كلّها. وهذا لا يعني أنّ الله يكون السبّاقَ إلى معاقبتهم، بل أنّ العقاب هو الذي يتبعهم بفعل حرمانهم من الخيرات كافّة[81]. (القدّيس إيريناوس)

✠ خيرات الأبديّة هي أوّلاً الحياة الأبديّة بحدّ ذاتها، ثمّ عدم الفساد، وخلودُ الجسد والنفس، والألفة مع الملائكة،والاستقرار في المدينة السماويّة، والأمجاد التي لا تَبلى، وآبٌ سرمديّ، ووطنٌ بلا أعداء. فلْنتُق إذاً إلى تلك الخيرات بكلّ شوق نفوسنا، ولْنطلبها بصلاةٍ مستمرّة، لا بثرثرةٍ بل بأنّاتٍ صادقة.. ولْنلتمسها بمثابرةٍ دائمة،ولْنتوسّلْها بكلّ ثقة... نحن نعيش أيّاماً رديئة، أيّاماً صعبة، يقول الناس. ولذلك، فلْتكن سيرتنا صالحةً لا عيب فيها، لكي تكون الأزمنة جيّدة. فنحن من يصنعون الأزمنة، وكما نكون نحن تكون هي... وبما أنّنا عائشون في الدنيا، فنحن وسْط الأشرار حتماً. إذاً، فلْننُح قدّام الربّ إلهنا، ولْنتحمّل الشرّ بصبرٍ بغية التوصّل إلى امتلاك الخير، ولا نتّهمنّ البتّة ربّ الأسرة المستحِقّ لكلّ حبّنا. فهو الذي يحملنا ولسنا نحن من يحملونه، وهو يعرف كيف يسوس خلائقه. أمّا أنتم، فاعملوا بما أوصاكم، وارجوا ما وعدكم به[82]. (المغبوط أغسطينوس)

✠ بالنسبة إلى من صاروا أولاد النور وبَني اليوم الآتي، بالنسبة إلى السالكين دوماً في النور، لن يأتي يوم الربّ أبداً، لأنّهم دوماً مع الله. وعليه، فإنّ يوم الربّ لن يَظهر لمن استناروا آنفاً بالنور الإلهيّ، بل سينكشف بغتةً لمن يقبعون في ظلمات الأهواء، لمن يعيشون بحسب هذا الدهر متشبّثين بالخيرات البائدة. لهؤلاء سيظهر ذلك اليوم بغتةً، على نحو مفاجئ، وسوف يكون لهم رهيباً كالنار التي لا يمكن أن تطاق[83]. (القدّيس سمعان اللاّهوتيّ الجديد)

✠ العادات الأهوائيّة إنّما هي تمهيداتٌ لعذاب جهنّم، تماماً كما أنّ الفضائل الناشطة هي سابقةُ ملكوتِ السماوات.. وإن صرفَ الناس عُمرهم الحاضر في

الخير أو في الشرّ، فبالمثل أيضاً سينالون جزاءهم وفقاً لما يستحقّون. ذلك أنّ حاصل المجازاةِ وطبيعتَها سوف يحدَّدانِ إمّا من خلال الفضائل أو من خلال الأهواء، المتجذّرةِ في العادة.. وكما أنّ بُذور العذاب الآتي حاضرةٌ خفيةً في نفوسِ الخطأة، كذلك بُذور البركات الآتيةِ حاضرةٌ في قلوبِ الأبرار، حيث تفعل فعلها روحيّاً وحيث تُستطعم روحيّاً؛ لأن ملكوت السماواتِ هو السيرة الفاضلة، تماماً كما أنّ عذابَ جهنّم هو العادات الأهوائيّة (84). (القدّيس غريغوريوس السينائيّ)

✠ نحنُ نستخفّ بوعيد العقوبات المُستَقبَلَة ولا نحسُب لها أيّ حساب، بل ونعتبر اسم جهنّم نفسَه كما لو كان حماقة، ونستهزئ بالأمر كما لو كنّا غير مستحقّين لأيّة غرامة، فيما يقول كلٌّ منّا:" أنا سأستمتع بهذا العالم القريب والقصير الأجَل. سوف ينتهي بي المطاف إلى الاحتراق في النار أبديّاً، لأجل الشهوات كافّة، ولكنْ يَطيب لي أن ألتقط الملذّات المنظورة؛ أمّا أساطير المستقبل غير المنظور، فلا أفكّر فيها" .. فلْنخجلْ إذاً ونُصلِح أنفسنا.. لنبكِ على أنفسنا، مُلتجئين الآن إلى الصلاة بنشاطٍ ومثابرة.. ولكن ، فلْنُصلِّ بدموعٍ وبإحناء الركَب (85). (سڤيروس الأنطاكيّ)

✠ لعلمنا بما نعلم، ولْنتفكّرنا في ذلك اليوم الرهيب، ولنتذكّرنا تلك النار وذلك الموضع المرعب الذي للعذابات، فلْنتُب من الآن فصاعداً، ولْنترك طريق ضلالاتنا. فلَسوف تأتي ساعةٌ يُغلَق فيها مسرح الحياة الحاضرة ولا يقاتِل أحدٌ فيها من أجلنا. لن يكون ثمّة تفاوضٌ مفتوحٌ بعدَ انتهاء هذه الحياة، فالمسرح بات مغلقاً ولن توجد وسيلةٌ من بعدُ لإحراز الإكليل. ذلك أنّ هذا الزمن هو زمن التوبة، وأمّا ذلك الحينُ فحينُ الدينونة. وعليه، فلنثِق بصلاح الله، ولْنحقّق توبتنا بحميّة، قبل أن يأتي ذلك اليوم حيث لا يُمكن لأيّة توبةٍ أن تفيدنا من بَعد! الآن كلّ المسألة تتعلّق بنا في الواقع، وأمّا آنذاك فسيكون الديّان هو السيّدَ الأوحدَ للدينونة والحُكم. "فلْنبادِر إذاً إلى وجهه بالاعتراف" ولْنبكِ ولْنَنُح. وإن استطعنا تهدئة ديّاننا قبل ذلك اليوم المقرّر، بحيث يغفر لنا خطايانا، فلن تعود لدينا حاجةٌ للّجوء إليه [آنذاك]. ولكن، إن لم

يحصل ذلك، ففي حضور الكون بأسره سيدينا، حين لا يعود لدينا أيُّ أملٍ في المغفرة [86]. (القدّيس يوحنا الذهبيّ الفم)

✞ تصوّر يومك الأخير، والقلق، وضيق النفَس، وساعة الموت، والحُكم الإلهيّ الوشيك، والملائكة المُسرعين، والنفْس المضطربة بشكلٍ مرعبٍ وسْط كلّ ذلك، الملذوعةَ مُقدَّماً بسُوط ضميرٍ خاطئ، والتي تلتفتُ بطريقةٍ تثير الشفقة نحو السفليّات ونحو الضرورة المحتومة لذاك السفَر الطويل. ارسم في فكرك صورة خاتمة الحياة الكونيّة، حين سيأتي ابن الله في مجده مع ملائكته، " لأنّه سيأتي ولن يبقى صامتاً (مز ٤٩:٣)"، حين سيأتي ليدينَ الأحياء والأموات كلاًّ بحسب أعماله، وحين سيُسمِع بوقُ الآخرة صوتاً قويّاً مرعباً سيوقظ أولئك الراقدين منذ بدء الأجيال، وحين سيتقدّم الذين عملوا الخير لقيامة حياةٍ والذين اقترفوا الشرّ لقيامة دينونة (يو٥:٢٩). تذكّر رؤيا دانيال الإلهيّة، وكيف يضع الدينونة نصْب عيوننا. يقول:"وبينما كنت أرى، نُصبت عروش، وجلس عتيق الأيام ، وكان لباسه أبيض كالثلج، وشعر رأسه كالصوف النقيّ، وعرشه لهيب نار. وكان نهر نارٍ يجري أمامه، وتخدمه ألوف ألوف، وتقفُ بين يديهِ ربوات ربوات، فجلس أهل القضاء وفُتحت الأسفار(دا ٧:٩-١٠)". الخير والشرّ، الظاهر والمستور، الأفعال والأفكار، هذه الأسفار إنّما تكشف كلّ شيء معاً، بوضوح، بغية أن يسمعه الجميع، الملائكة والبشر. وعند ذلك الكشْف، تُرى، أيُّ موقفٍ بالضرورة سيكون لدى من عاشوا سيرةً سيئة؟ أين ستختبئ إذاً تلك النفس التي ستظهر بغتةً وهي مفعمةٌ خزياً على مرأى جميع المتفرّجين؟ وبأيّ جسدٍ ستحمل تلك الجلداتِ المرعبة والنحيبَ المرّ، وعويل الأوجاع الغريب، والبكاء وصرير الأسنان، وحيثُ لا نهاية للآلام؟ فلا يمكن الانعتاق من هذه بعد الموت، وليس ثمّة عكْسٌ [للوضْع] ولا حيلةٌ تبيح الإفلات من تلك العقوبات الفظيعة. أمّا تجنُّبها فممكنٌ الآن. وفيما ذلك ممكن، فلْننهض إذاً من سقطتنا ولا نيأسنّ من أنفسنا،

وما دمنا نعلم كيف نتحرّر من الأسواء، سيّما وأنّ يسوع المسيح قد جاء إلى العالم ليخلّص الخطأة[87]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

✞ أرتمي على ركبتيك يا ربّ عابداً، وأشكرك يا إله الصلاح، وأتوسّل إليك يا إله القداسة. أمامكَ أجثو يا محبّ البشر، وأمجّدك أيّها المسيح الابن الوحيد ربّ الكلّ البريء من الخطأ وحدك. فلقد أسلمت ذاتك لأجلي أنا الخاطئ غير المستحقّ، إلى الموت، بل إلى موت الصليب، وهكذا أعتَقتَ النفوس من عقالات الشرّ. ما الذي سأؤدّيه لك إذاً يا ربُّ لقاءَ صلاحٍ كهذا! المجد لكَ، يا محبّ البشر! المجدُ لكَ، أيّها الرحيم! المجد لكَ، أيّها الطويل الأناة! المجد لكَ، يا من يغفر الخطايا ! المجد لكَ، يا من أتى ليُخلّص نفوسنا! المجد لكَ، يا من تجسّد في حشا البتول! المجدُ لكَ، يا من قُيِّد! المجد لكَ، يا من جُلدَ! المجد لكَ، يا من أهين! المجد لكَ، يا من سُمّر على الصليب! المجد لك، يا من دُفن ثمّ قام! المجد لك، يا من كُرز به للبشر وبه آمنوا! المجد لك، يا من صعدَ إلى السماء! المجد لك، يا من جلس عن يمين الآب! وسوف تأتي بجلال الآب والملائكة القدّيسين لتدين في تلك الساعة المخوفة الرهيبة كلّ النفوس التي احتقرت آلامك المقدّسة. سوف تهتزّ قوّات السماء. جميع الملائكة، ورؤساء الملائكة، والشيروبيم والسيرافيم، إنّما سيظهرون بخوفٍ مرتجفين إزاء مجدك. أُسس الأرض ستتزعزع، وكلّ حيٍّ سيرتعد أمام جلالك العظيم. في تلك الساعة، فلْتَقِيَنّي يدك تحت جناحيك، بغية خلاص نفسي من النار المهولة، ومن صرير الأسنان، ومن الظلمات البرّانيّة والدموع الأبديّة، ولكي أتمكّن من تمجيدك منشداً هكذا: المجد لذاك الذي بصلاحه الرحيم تنازل لتخليص الخاطئ [88]. (القدّيس إفرام السوريّ)

سبت النسّاك الأبرار

الرسالة رو ١٤: ١٩ – ٢٣ الإنجيل متى ٦: ١ – ١٣

"إنّه حسَنٌ ألاّ تأكلَ لحماً ولا تشرب خمراً ولا شيئاً يعثر به أخوك أو يشكّ أو يضعف" (رو ١٤: ٢١)

✠ إن سِيَر الآباء هي فردوس الله في عدن (تك٢: ٨)، المزركَش والمزيَّن لا بزروع ماديّةٍ بل بثمار الروح. فثمّة نسمة حياةٍ فيه تفوح بأطيابها، وفيه الحيّة لا تَجرح بل جُرحت، ولم تُبعَد عنه بل قُذفت، كما كان لائقاً. وإن كان ملكوت السماوات في داخلكم (لو١٧: ٢١) حسب قول الربّ، فذاك الذي يدعو سِيرَ الآباء ملكوت السماوات لا يخطئ. لأن إلهنا الصالح فيه يستريح، وكملكٍ سخيٍّ يوزّع على خدّامه إنعاماته الروحيّة[89]. (القدّيس ثيوذورس الستوديتي)

✠ في شخصك، في حرّيتك ، كن شهيداً وقاضياً، كنْ مراقبَ نفسك.. لقد أدّى الشهداء الشهادة نهاراً، وأمّا النسّاك فأثناء الأسهار. لقد سَرد المتفرّجون انتصاراتِ الشهداء قدّام الملوك، وأمّا "ابنُ الملَك" فقد رسَم الوعود المقطوعة للأبرار كما للشهداء. لقد كُلّل الشهداء في النار، واليقظون في الأسهار. السيف إنّما جعل الشهداء ذائعي الصيت، وكذلك خدمةُ الصلاة بالنسبة إلى النسّاك. لقد عانى الشهداء الجوع، والنسّاك الشجَن. لقد عُذّب الشهداء بالعطش، والتائبون بالتقشّفات. لقد كابد الشهداء العذابات، والنسّاك مارسوا التوبة. لقد ربح الشهداء الملكوت بثباتهم، والعذارى بعفّتهنّ. أجساد الشهداء إنّما ضُربت بالعِصيّ قدّام الحكّام لأجل الرجاء، فيما أعضاء النسّاك اليقظين قد قُتلت بالأسهار لأجل المواعد. لقد هزم الشهداء مضطهِديهم، وأمّا صناديد القفر فقد هزموا التجارب. لقد رأى المتفرّجون صراعات الشهداء في المدرّجات، وأمّا الله فيراكم سرّاً تنتصرون[90]. (القدّيس إفرام السوريّ)

✟ لنَشخصْ بأبصارنا ثابتةً إلى الربّ، ولنوطّد حماستنا في اقتدائنا بهذا النموذج الرفيع. لنلاحِظ القدّيسين أيضاً ولْنتهذّب بقربهم ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً. وهكذا إذْ نصير أوفر حماسةً بفضل هذه الأمثلة ونحفظ كلاًّ من وصايا الربّ بلا وصمةٍ ولا لوم، تحت خطر الموت نفسه، يمكننا دخول الحياة الأبديّة ونيل ميراث ملكوت السماوات، كما وَعد ذاك الذي يجهل الكذب، ربُّنا وإلهنا يسوع المسيح ابن الله الحيّ الوحيد[91]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

✟ إنّ من يعاشر القديسين سيتقدّس[92]. (إكليمنضوس الإسكندريّ)

✟ من يكرّم الله يكرّم القديسين أيضاً ومن يحتقر القدّيسَ يحتقر ربَّه[93]. (القدّيس إبيفانيوس)

✟ القدّيس هو من تطهّر وتقدّس بحسب الإنسان الداخليّ.. فتجنُّب الشرّ ليس هو الكمالَ بَعد، إذْ يَلزمك علاوةً على ذلك أن تلِج ذهنك الملطَّخ وتقتل فيه الحيّة، قاتِلَك، الذي يختبئ فيه، فوق الذهن حتّى وأكثر عمقاً من الأفكار، في ما يسمّى بحُجُرات النفس وخلواتها. فالقلب لجّةٌ في الواقع، ولذا لا بدّ لك من قتل هذه الحيّة وطرْح كافّة النجاسات التي فيك. لأنّ كلّ الفلاسفة، والناموسَ ، والرُّسلَ، ومجيءَ المخلّص أيضاً، إنّما كان غرضهم النقاوة. كلّ البشر يحبّون النقاوة، سواء كانوا يهوداً أم يونانيين، ولكنّهم لا يستطيعون بلوغها. إذاً لا بدّ من التنقيب كيف وبأيّة وسيلةٍ يمكن الحصول على نقاوة القلب، وهذا لن يحصل بوجهٍ آخر أكيداً إلاّ مروراً بذاك الذي صُلب لأجلنا. فهو الطريق، والحياة والحقّ، والباب، واللؤلؤة الثمينة، والخبز الحيّ السماويّ؛ وليس في وسع أحدٍ، بدون هذا الحقّ، أن يعرف الحقَّ ولا أن يخلُص[94]. (القدّيس مكاريوس)

✟ هلمّ نحدّد باستقامةٍ لأنفسنا الأبرار هدفاً، ولْنسعَ نحوه شاخصين إليه دوماً.. لنوقظْ غفوتنا بصوت أقوالهم العذب ولْنُلْقِ من ذهننا ثِقَل الشهوات. لنطهّر أفكارنا

من الدنس ومن الإثم المَقيت، ولنتأمّل نفوسنا عبْر مرآة تصرّفاتهم. فهم كالحرّاس، يحيطون دوماً بمعسكر ذرّيتنا، لئلاّ يستسلم، ولئلاّ يخترق الشرّير صفوفنا. فلْنقتَدِ دوماً بسلوكهم، في شأن الكمال.. الشجعان قد انتصروا بالإيمان، على الأهواء التي فيهم؛ فلْنلتجئ إليه إذاً في حروب الجسد والنفس كافةً. إنّه درعٌ يتلقّى سهام العدوّ، والسيف الناريّ لا يصدّ صلابته. به تُختبر خواطر البشر كما في بوتقة، فيما ثَوران الأهواء يُظهرُ غشَّ بشاعة النفس. فلْيكن من الذهب إذاً، ذهنُ نفسنا في بوتقة اختباره، ولا يستسلمنّ إزاء تحريضات مَيلنا السيّئ. وفي ثبات نفسنا، لننظر يسوع ونقتدِ بهِ، هو مبدأ إيماننا وغايته، والذي بدل السرور تحمّل الصليب لأجلنا(عب ١٢:٢). ولْنَثبت في محبّة إيمانه، لكي نملك معه، ولْيكن صومنا لأجل المسيح زوفى ترحضُ أدراننا[95]. (نرساي)

✞ تلك هي السيرة الملائكيّة على الأرض في الحقيقة، متى عشنا معاً دونما حسد، ببساطة، بمحبّة، بسلام، بفرح، بتكامل، ومتى اعتبرنا نموّ قريبنا وكأنهُ ربْحُنا نحن، وتراخيَ قريبنا، وسقطتَه أو مصيبتَه وكأنّها خسارتنا نحن.. وأيضاً حينما فائضُ المواظبين على الصلاة بلا انقطاعٍ يأتي ليسدّ نقْصَ الذين في الخدمة أو الذين يستريحون، وحينما بالمقابل فائضُ الذي يخدمون ويعملون يكمِّل ما ينقُص لدى من يُمضون وقتهم في الصلاة[96]. (القدّيس مكاريوس الكبير)

✞ إنّ الرهبان يصلّون لأجل الكون، وهذه هي الشهادة الكبرى لصداقتهم[97]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✞ الأديار إنّما هي مناراتٌ تتوهّج من علُ لتَهدي الوافدين إليها من بعيد. وإذ قد استقرّت في الميناء، فهي تدعو الناس كافةً إلى مشاطرتها سكينتها، غيرَ مُجيزةٍ للناظرين إليها بأن يغرقوا أو يمكثوا في الظلمات[98]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفمّ)

✞ إن كان عسيراً ما قد أُمرتَ به، فهل ستجعله أكثر يُسراً بتذمُّرك! طِعْ إذاً بتواضع؛ وأمّا إن كنت عاجزاً عن ذلك، فاطلُب الصفح عن عَجزك بتواضع.. أتبدو أوامر رئيسكَ قاسية؟ إذن كم ستكون أشدّ قساوةً عليكَ مشوراتُ الخدّاع؟ ذلك أنّ الشيخ يعاقِب ليقوِّم، وأمّا الشيطان فيداهِن ليُهلِك[99]. (القدّيس كيساريوس أسقف آرل)

✞ في وسعنا نزع ثياب الدهر وارتداء ثياب السيرة الرهبانيّة خلال ساعة، وأمّا المحافظة بثباتٍ على مستوًى أخلاقيٍّ جيّدٍ والجهادُ ضدّ مُتع هذا العالم المستحبّةِ باطلاً، فهذا ما علينا الاجتهاد فيه ما حيينا، بمعونة المسيح[100].(القدّيس كيساريوس)

عظة إلى الرهبان

(للقدّيس كيساريوس الآنف الذكر)

١-أيُّها الأعزّاء للغاية، إنّا لم نلتئم في هذا المكان لا بغية الراحة ولا بغية الأمان، بل بغية النضال والمقاومة. لقد أتينا إلى ههنا لنزاع، وارتقينا لشنّ حربٍ على الرذائل. فأعداؤنا في الواقع إنّما هم رذائلنا، التي تحدّث الكتاب بشأنها فقال: "إحذر أن تقطع عهداً (خر٣٤:١٢)" معها! يا إخوة، إنّ عنايةً ساهرةً ومقاوَمةً لا تكلُّ ضروريّتان لنا؛ وذلك لأنّ هذه المقاومة لا تنتهي وهذا العدوّ لا يسالِم. أمّا هزْمُه ففي وسعنا، وأمّا قبول صداقته فليس في وسعنا.. ولذلك، بالغُ الخطورة هو هذا النضال الذي اتّخذناه على عاتقنا، لأنّه يحصل في داخل الإنسان ولا ينتهي إلاّ مع الإنسان نفسه.

٢-إذاً، إن كنّا قد اجتمعنا في هذه الخلوات الهادئة وهذا المعسكر الروحيّ، فلكي نحارب كلّ يومٍ ضدّ أهوائنا بكفاحٍ لا يتعب؛ وذلك بغية إخضاع مشيئاتنا كإماءٍ لشيوخنا كلّ يوم، ولاختتان الشرور من قلوبنا، ولإنهاك سيف لساننا. فلا نقذفنّ بالإهانات بعضنا بعضاً فحسب، بل ولنكن فاقدي الحسّ أيضاً إزاء تلك التي يقذفنا بها الآخرون.

٣-إن أموراً كهذه تعني بخاصّةٍ حرفتنا في الواقع: ألاّ نسعى في هذه الحياة إلى أيّة تعزية، أيّ شرف؛ أن نفرّ من الرضى الذي تولّده الأمور الحاضرة، أن نهيّئ النفس لمواعيد الثواب الأبديّ، أن نجذل للخضوع والضعة، أن نسعى إلى حبّ الفقر، وأن نستأصِل من قلوبنا لا مَلَكاتِنا وحسبُ بل ورغائبَنا الخاصّة أيضاً. في الواقع، ألاّ يملك المرء شيئاً فهذا فعل الضرورة أحياناً، وأمّا عدم الرّغبة فهو فعل الفضيلة.

٤-وهوذا أمرٌ آخر عليكم معرفته، وهو أن ثمّة منفعةً كبرى أو خطراً جسيماً لمن عزموا على العيش في وسطكم حسبَ دأبهم أو تهاونهم. لذلك، طوبى لتلك النفس التي تُفرح الكثيرين في الجماعة بحُسن سلوكها، والتي تبني وتنير العديدين سواهم. ذلك أنّ خيراتها تتضاعف عبْرَ تواصلها والكثيرين. وهنا تنطبق أيضاً هذه الحكمة العائدة إلى حكيمٍ ذائع الشهرة: "يا بنيّ، إن كنت حكيماً فلنفسك ولمن حولك (أم ٩:١٢)".

٥-ولذلك، إن مال راهبٌ يعيشُ في الجماعة إلى التواضع وبدا صابراً، إن أخرج من باطنه خيراً ليضعه في تصرّف القريب، فبهذا القدْر يجعل تقدُّم الآخرين خاصّته. وبالعكس، إن اجتذب الآخرين عن عصيانٍ أو كبرياء ــ وهذا أمرٌ مألوفٌ وسهلٌ مع الأسف ــ إلى مَثَل إثمه السيّئ، فلَسوف يجعَله كلٌّ ممّن أضاعهم تحت طائلة الدينونة. فكلّ من ألحقَ به الأذى سيسبّب له الخسائر، والخطيئة ستنقلب عليه بطرقٍ عديدةٍ بعد أن غادرتْه مرّة. لذا، وكما ينبغي الإعجاب والإشادة كثيراً بمن أسهم حسْنُ سلوكه في تقدّم الكثيرين، كذلك ينبغي النوح بحقٍّ على من كان سوء سيرته سبب هلاكٍ للكثيرين.

٦-ولذلك، أيّها الإخوة الأعزّاء للغاية، يجب علينا نحن الذين في الجماعة أن ندأب على تطبيق كلّ ما يفيد البنيان، لئلاّ تؤذي رذائلُنا فضائل الآخرين، ولئلاّ يُضعف فتورنا حميّة الآخرين، ولئلاّ يُنفد مَيلنا إلى الغضب صبرَ الآخرين، ولئلاّ

تبدّل كبرياؤنا تواضع الآخرين، ولئلاّ يُفسد مرضنا صحة الآخرين، ولئلاّ تلوّث بشاعتنا جمال الآخرين، حتى لا نطفئ مصابيح الآخرين المضيئة بعجزنا نحن عن إضاءة مصابيحنا.

٧-ففي الحقيقة، تلك العذارى الجاهلات، أيّاً كان جهلهنّ، ما كنّ يرغبن في إطفاء مصابيح الأخريات بقدر ما كنّ يرغبن في إضاءة مصابيحهنّ. ولذلك، إن أَعوزتْ، على مثال هؤلاء، نعمةُ التواضع الجزيلة الثمن، أو نار الإيمان، أو شعلةُ الحميّة، أو زيت المحبّة، أو نور الحشمة، فليأتِ المرءُ إلى من يَراها وافرةً فيهم. ودون انتزاعها منهم بل عبْر اقتدائه بهم، فليُمرّر لهم نعمةَ القريب، ولْينلْ من خيرات الآخر، ليس بدون خسارةٍ فحسبُ بل ومع منفعةٍ أيضاً لمن يملكها. إذْ لن ينقص لديك البتّة الخيرُ الذي نفعتَ به الآخر، لن تخسر أبداً من نورها النارُ التي انتقلت إلى الكثيرين، تماماً كما أنّ نور الشمس لا ينقص بفعل مشاهدة الكثيرين له؛ فهو يزوّد الكلّ بعطاياه، أيّاً كان عدد مشاهديه، ويستمرّ مع ذلك في كماله على الدوام.

٨-مباركةٌ من الله تلك النفسُ التي يُخزي تواضعُها الكبرياء، والتي يهدّئ صبرها نَزقَ القريب، والتي توبّخ طاعتها الكسلَ بصمت، والتي توقظ حميّتها فتور الآخر اللاّمبالي.. ذاك الذي يرى، وقد تعكّر غضباً، عين (مز٦:٧) قلب قريبه، فيضيئها، بنعمة تعزيةٍ وبنيان، إنّما يتصرّف على نحوٍ أفضل من ذاك الذي إذْ يرى أخاً أحزنهُ أحدهم بعض الشيء وبدلاً من أن يمدّ له يداً معزّيةً لإنهاضه، يعمَد إلى دفع هذا الكائن المترنّح بعباراتٍ سيّئةٍ كحائطٍ متخلخل (مز٦١:٤) مساهماً بذلك في سقوطه. كان باستطاعته أن يوبّخه بطريقةٍ صحيحةٍ حسَب النظام؛ والحال أنّه حرّضه بنصائحه المنحرفة، ولكن لأجل كسْره؛ سلّحهُ، ولكن لأجل إبادته.

٩-ولذلك أيّها الإخوة، فلْيسلك من تكفيه شُروره الخاصّة بحيث لا يدان على إضاعة الآخر أيضاً. إنّا متأكّدون أيّها الأعزّاء للغاية، بأنّا إن لم نتنبّه إلى ذلك وإن

لم نستأصل ونختن أهواءنا كلّ يوم، فمصيرنا أن نكون أدنى شأناً ممّا كنّا عليه عندما كنّا عائشين في الدهر (العالم)، بل وستصير حالتنا الأخيرة شرّاً من الأولى (لو ١١:٢٦).

١٠- طبعاً أيّها الأعزّاء للغاية، حين كنّا منتسبين إلى العالم، قائمين فيه بالنشاطات والأعمال التي نخجل منها الآن، لم يكن الخصم (الشيطان) معاكساً لنا، بل كان على اتفاق [معنا]، لأنه لم يجد أينَ يزاول حقده في سيرتنا البائسة الضائعة. فأعمالنا كانت تبهجه، وجرائمنا وخطايانا كانت تكفيه بحدّ ذاتها. فمن في الواقع يشنّ حرباً ضدّ جنديّه؟ من يودّ مصارعة تابعه؟ أمّا حياة ذاك الذي لا يتنازل العدوّ لإيذائها فتتخطّى كلّ بؤس.

١١- وعلى العكس من ذلك، الآن وقد رفضنا مشيئاته، فهو يرى عابديه راجعين أدراجهم إلى خدمة خالقهم السابقة، يرى فينا أصنامه التي تحوّلت نوعاً ما إلى هياكل لله (٢كور٦:١٦)؛ وإذْ يصرف بأسنانه ويزأر كأسد (١بط ٥:٨)، يتفحّص المجرِّب الساهرُ كلّ فرص الإيذاء، هو ذاك الأسد الذي يؤكّد الرسول بشأنه قائلاً:"إسهروا"، إذاً" فإبليس خصمكم، كأسدٍ زائرٍ، يجول ملتمساً من يبتلعه (١بط ٥:٨)".

١٢- طوبى لمن يَستحسن هذا الأسدُ التفتيشَ عنهم واقتفاءهم أكيداً عبْر آثار فضائلهم ورائحة استحقاقاتهم. فهو لا يفتّش في الواقع إلاّ على الصالحين، لأنّ الأشرار يسعون هم أنفسهم إليه. إنّه يركض بقوّة في إثْر الأوّلين، فيما ينقضّ على الآخرين حتى دون أن يكلّف نفسه المشقّة. طوبى لمن يُجبَر هذا الأسد على التفتيش عنهم بحقد، والذين لا يُسمح لخبثه بإيجادهم. طبعاً، هذه العبارات تطنّ في آذاننا بذعر: "كأسدٍ زائرٍ"؛ ولكنْ، لأنْ قد قيل: دسمَ طعامه (حب١:١٦)"، فإنْ فتّش فذلك لأنه اختار، وإن زأر فلأنّه يئس، كما نقرأ في موضع آخر: "يصرف بأسنانه

ويذوب (مز ١١١: ١٠)". هكذا يعبّر الكلام الإلهيّ، حتى تقترن التعزية بالذعر.فإنْ "صرف بأسنانه"، فلأنّهُ يتعذّب؛ وأمّا أنّه "يذوب"، فلأنّه مهزوم. ولكن، كم هي عظيمةٌ الخيرات التي أعدّها الله للإنسان وسْط كل ذلك.

١٣- إذاً، أيّها الأعزّاء للغاية، إذْ نفكّر في هذه الأمور ونتنازع في النضال، فلنتذكّر أنّنا تلاميذ أبينا (الرئيس) المجيد الشهير وأبناؤه. ليخطف كلٌّ منّا ما استطاع من خيرات هذا الأب الذي لم يعطِ وصيّة. فليأخذ هذا من إرثه ثوبَ الإيمان الحريريَّ الغنيّ بالأعمال المختلفة، ولْيَستولِ هذا على موهبة الوداعة والبساطة، وليطالب هذا الآخر لنفسه بصُدرة اليقظة وطوق الحكمة، ولْيَحجز هذا جوهرة الندم وكنزَ العفّة. في الواقع، حتّى ولو أنّ [الأبّ] صديقَ الله الجزيلَ الثراء هذا قد نَقل معه كلَّ ما كانَ لديه، إلاّ أنّه تركَ لنا ذلك كلّه إن شئنا.

إذاً، في سعينا إلى الخيرات التي تركها لنا، فلْنتصرّف بحيث أنّ ذاك الذي سيستعيد الحياة في منتهى الدهور ليقوم إلى المجد الأبديّ يقوم عبْرَ استحقاقاته المولودة في أبنائه من جديدٍ في الكنيسة منذ الآن، آمين(101).

عظة أخرى

(للقدّيس يوحنّا الدمشقيّ)

١- إعلم يا أخي أنّ ثمّة ثمانية أفكارٍ تهاجم الراهب، كما يقول الآباء. الأوّل هو فكر الشراهة، والثاني فكر الشهوة الرديئة المخزية، والثالث فكر الطمع، والرابع فكر الكآبة، والخامس فكر الغضب، والسادس فكر الضجر، والسابع فكر المجد الباطِل، والثامن فكر الكبرياء.

٢-عليك إذاً أيّها الراهب أن تعرف وتتفحّص بعنايةٍ ما هو الهوى الذي يحرّكك ويهيّجك بفعل أعدائنا أرواح الشرّ، وما هو الفكر الأهوائيّ الذي يكون ذهنك موافقاً عليه.

٣-فإن رأيت أن الشراهة وفتور الهمّة يعذّبانك، عاملْ بطنك بقساوةٍ محدّداً لهُ مقدار الأكل والشرب، وتذكّر بلا انقطاعٍ انفصال النفس عن الجسد، والدينونةَ الآتية، وجهنّم المرعبة، بل وأيضاً الرغبة في ملكوت السماوات، وهكذا يمكنك قهر واحتقار اللذّة الآتية من البطن.

٤-وإنِ استحوذَ عليك فكر الشهوة الرديئة المخزية، تمرّسْ على ضبط جسدك، وكسْر نفسك، ومزاولة الأسهار مقرونةً بالصلاة المتواصلة. وعلاوةً على ذلك، تحفّظْ من جرأة الكلام، ولا تدن ولا تثلب أحداً، بل أحرز هذه كلّها برعدةٍ كاملة. وفكّر أيضاً في الموت، وتحمّلِ العطش طوعاً، ولا تقبل مصادقة النساء بأيّ شكلٍ من الأشكال، بل ولا تنظر البتّة إلى وجوههنّ، وهكذا تتخلّص من الهوى.

٥-وإن شئت قهر حبّ المال، أحبب الفقر والتجرّد وفكّر في الحُكم الذي طالَ يهوذا، فكّر أنّه بداعي الطمع أسلم الربَّ إلى الأشرار، وأنّ الطمّاع يدعى عابد وثنٍ في الأسفار المقدّسة (كو٣:٥)، وأن الطمع يُفقدنا رجاءنا في الله، وأنّ التمتّع بالمال لديه فترةٌ واحدةٌ فيما يكون قصاص الطمّاعين أبديّاً. وإن تأمّلت في ذلك ولم تفتّش البتّة عمّا يتعدّى الضروريّ، فلَسوف تتغلّب على هذا الهوى.

٦-وإن جعلتك كآبة العالم تضطرب وتهتز، فعليكَ بالصلاة دوماً ووضع رجائك كلّه في الله، والدأب بعنايةٍ على دراسة الأسفار المقدّسة، والتواصل مع الرهبان الأتقياء الذين يخافون الله، واحتقار الحاضرات كما لو أنها لم تكن، والتفكّر في الغبطة السماويّة ومكافآت الصدّيقين. فإن ضربك أحد أو شانك أو اضطهدك، لا تغتمّ بل بالحريّ افرح، واحزن فقط عندما تُهين الله. هكذا يمكنك، بالروح، أن تتخلّص من الهوى.

٧-وإن حرّكك الغضب والنزق، ائتزر بالودّ وصرْ خادم إخوتك. وإن أمكنك، اغسل أرجلهم غالباً، بكل تواضع، واطلب المغفرة من الجميع، وأكثر من زيارة المرضى، واستخدم لسانك لترتيل المزامير، فتنعتق من الهوى سريعاً.

٨-وإن شئت الانتصار على الضجر ، أتعب نفسك نوعاً ما في العمل اليدوي، واقرأ، وصلِّ كثيراً مع الرجاء الثابت بالاستجابة، وفكّر في المحتضَرين، وفي الخطأة المعذَّبين، الذين يهلكون. انظر كيف يعاقَبون ويعذَّبون بلا شفقة، وهكذا يهدأ الهوى فيك.

٩-وإن استبدّ بك المجد الباطل والثناء البشريّ بشدّة، فعليكَ ألاّ تفعل شيئاً بغية إظهار نفسك للناس، بل أن تنشر كلّ نشاطك وأنت متوارٍ، بحيث لا يراه سوى الله وحده. ولا تحبَّ الثناء ولا التكريم البشري، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الأثواب الرائعة، والامتيازات والأماكن الأولى، بل أحببْ أن يلومكَ الناس ويتّهموك ويحتقروك باطلاً، واعتبر نفسك الأعظم في كل الخطأة.

١٠- وإن رأيت هوى الكبرياء الشنيعةِ الشيطانيَ يهاجمك، فعليكَ بعدم إهانة وعدم إدانة وعدم احتقار أحدٍ على الإطلاق، بل أن تعتبر نفسك حثالة الجميع، وأن تفكّر كثيراً في أن الربّ إن لم يبنِ البيت، عبثاً يتعب البنّاؤون (مز١٢٦:١)، وأن ترى نفسك مديناً دوماً، وأن تحسب نفسك كلا شيء أمام الله وجميع البشر. ولا تكن جسوراً ما لم تتلقَّ الدعوة، واضعاً نصب عينيكَ ذاكَ الذي على الرغم من حضوره إلى العرس قد طُرِحَ في الظلمة الخارجية مقيَّد الرّجلين واليدين (متّى٢٢:١٣). ولكن، حتّى ولو كنت تصوم، وتسهر وتفترش الأرض، وترتّل المزامير، وتمارس الصبر، وتُكثر من فعل التوبة، وتزاول كل أشكال الخير، فلا تقل: "هذا ثمر تعبي وحميّتي الشخصيّة"، بل بالحريّ "هذا نتيجة معونة الله ومؤازرته وليس نتيجة جهدي". لذلك يا أخي، ثابر دوماً على أن تكون بسيطاً بلا لوم، ولا يكن ما في قلبك

مغايراً لما في فمك، فهذا نفاق، ولتكن صلاتك ودموعك متواصلة. وإذْ تتصرّف على هذا النحو، تتخلّص من هذه الخطيئة المشؤومة الشقيّة.

هذا وبعض الأهواء يتعلّق بالجسد، والبعض الآخر بالنفس. أمّا المتعلّقة بالجسد فهي الشراهة والنجاسة والسكْر والفجور، وأمّا التي تصيب النفس فهي كُره القريب والحسدُ والمجد الباطل والكبرياء. هذه تؤثّر على نفوسنا عندما تغيب عنها المحبّة ورباطة الجأش، فيما تتوقّف تلك بالصوم والأسهار. وعندئذٍ، يتلقى الذهن نوراً يكون خاصّاً به، فيرى الله بلا عائق[102].

أحد مرفع الجبن (أحد الغفران)

الرسالة رو ١٣:١١ – ٤:١٤ . الإنجيل متى ٦:١٤–٢١

" إن غفرتم للناس زلاّتهم يغفر لكم أبوكم السماوي أيضاً (متى ٦:١٤)

✞ على الرغم من أنّ الإنسان تحوّل عن الله وأحزنه بداعي معصيته وخطاياه التي لا تُحصى، إلاّ أنّ المسيح جعله ثانيةً في ذاته أمام الآب كما كان الإنسان الأول. ففي آدم، كان قد مات كأُمٍّ جذرُ النسل البشريّ؛ أمّا البارزون منه ــ أي نحنُ أنفسنا ــ فقد أزهرنا مجدداً في المسيح، ونحن إنّما نعيش ونخلُص إن اتخذناه حياةً لنا وجذراً ثانياً[103]. (القدّيس كيرلس الإسكندري)

✞ لقد علّمتنا الوصايا الإلهية، كما الإنشاء الرسوليّ، بأن كل إنسانٍ واقعٍ وسْط مخاطر هذه الحياة ملزَمٌ بالتماس رحمة الله عبر مزاولته هو الرحمة[104]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ لا نكن ذوي صعوبة في المغفرة، إذْ ها قد عُرض علينا إمّا الميلُ إلى الثأر وإمّا عذوبَةُ الحِلْم. أمّا الإنسان الذي لا يزال معرّضاً لخطر التجارب، فيُتمنّى لهُ بالأكثر ألاّ يحصل على عدم معاقبة زلاّته من أن يعاقب هو زلاّت الآخر. ومن جهة أخرى، أيّ شيء أكثر تقيّداً بالإيمان المسيحي من مَنْح غفران الإساءات لا في الكنيسة فحسب بل في كافة البيوت أيضاً؟.. فلا يتجاسرنّ أحدٌ إذاً أن يمنع عن الآخرين لزلاّتهم الغفران الذي يتمنّى هو الحصول عليه لزلاّته.. لا يؤمّلنّ أحدٌ أن يكون لهُ ثمّة نصيبٌ في العيد الفصحي إنْ تهاون في استرجاع السلام الأخوي. فعند الآب الأسمى في الواقع، لن يُحسب في عداد الأبناء من لم يكن في محبّة إخوته[105]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ فليفرح المرء إن وَجد أحداً يغفر له، لكي ينال هو نفسه غفرانه[106]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ حيث أنّه ما من أحدٍ لا يخطأ، فلا يكن ثمّة من لا يغفر. لنُعطِ بلا صعوبةٍ ما قد تلقّيناه نحن أنفسنا بفرح(متى١٠:٨)؛ وعندئذٍ، بقدر ما نكون رحماء، سواء بوفرة الصدقات أمْ بنسيان الزلاّت، هكذا نصير أبرياء على الوجه الأكمل[107]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ كيف يمكنك أن تدعو الله عادلاً حين تقرأ مَثَل أجرة العمَلة أو الابن الشاطر؟ هذا ما لم يقُلهُ لنا عن الله أحدٌ آخر لنشكَّ في الأمر، بل ابنُه نفسه[108]. (القدّيس إسحق السوري)

✞ في الصلاة نحصل على ما يرحضنا كلّ يومٍ حتى تُترك لنا خطايانا كلّ يوم، ولكن وفقاً للشرط التالي: " كما نترك نحنُ لمن لنا عليه"[109]. (المغبوط أغسطينوس)

✞ يحدّد الربّ شروط غفرانه في إلزامه إيّانا بأن نترك لمدينينا ما لنا عليهم، كما نطلب نحنُ بأن يُترك لنا ما علينا. فنحنُ لا نستطيع أن نطلب مغفرة خطايانا إلاّ إذا تصرّفنا بالمثل تجاه مدينينا.. والله إنمّا يأمرنا بحفظ السلام والوئام في بيته، وبالعيش وفقاً لنواميس الولادة الجديدة؛ وإذْ أصبحنا أبناء الله علينا صَون كلام الله. فلا بدَّ من أن تطابقَ وحدةَ "الروح" وحدةُ النفوس والقلوب. ذلك أن الله لا يقبل الذبيحة من المحرّضين على الشقاق، بل يُرجعهم من المذبح ليتصالحوا وإخوتهم أوّلاً، إذْ يُريد الله أن يسالَم بصلوات سلام. فالقربان الأحسن لله إنّما هو سلامنا، وئامنا، ووحدة الشعب المؤمن بأسرهِ في الآب والابن والروح القدس[110]. (القدّيس كبريانوس)

✞ حقاً، أيّها الإخوة الأعزّاء، ليس في وسع أحدٍ قطّ أن يُعفي نفسه من محبّة أعدائه. فمن الممكن أن يقال لي: "إنّي لا أستطيع الصوم، ولا أستطيع الصلاة طوال الليل". ولكن، هل يمكن أن يقال: " لا أستطيع أن أحبّ " ؟ يمكن القول: "إنّي لا

أستطيع بذل كلّ أموالي للفقراء وخدمة الله في دير" . ولكن، لا يمكن القول: "إنّي لا أستطيع أن احبّ" . فتقول لي: "لا أستطيع أن أحرم نفسي من الخيرات واللحوم". أصدّقك، ولكنّي لا أصدّقك البتّة لو قلت لي إنّك عاجزٌ عن المغفرة لمن أساء إليك. بل وليس لدينا أيُّ عذرٍ لعدم قيامنا بذلك، سيّما وأنّا ملزَمون بتأدية هذه الصدقة مخرجين إياها لا من مخزننا وإنّما من قلبنا. وعليه، فلنحبَّ لا أصدقاءنا فحسب، بل وأعداءنا أيضاً.. لكنك تقول لي: " لقد كبّدني عدوّي الكثير من الألم بحيث لا يمكنني أن أحبّه على الإطلاق". إذاً، أتنظر إلى ما صنعه بك إنسانٌ ولا تنظر إلى ما صنعته أنت تجاه الله؟ افحصْ ضميرك بحرص، فتجد أنّك اقترفت أخطاءً تجاه الله أكثر بكثير ممّا اقترفه إنسانٌ تجاهك ولم تُصلحها، ثمّ مدى الوقاحة في رغبتك أن يغفر الله لك الكثير فيما لا تقبل أنت أن تغفر القليل[111]. (القدّيس كيساريوس)

حذار السُكْر (رو١٣:١٣)

هكذا هو السكر: يستحوذُ على فكر البشر السكارى كما يستحوذ على فكر الصوم الذي فسَق، وإذْ يكبِّل العقل يرغمنا على ترك ثروة الأفكار كلّها تنفق بطريقةٍ طائشةٍ وبلا تمييز. فالإنسان السكران لا يعلم ما الذي ينبغي قولُه، وما الذي ينبغي السكوت عنه، سيّما وأنّ فمه مفتوحٌ دوماً وأن لا قفل ولا باب قدّام شفتيه. الإنسان السكران لا يعلم سياسةَ أقواله بتمييز، ولا يعلم تنظيم ثروة عقله بلياقة، ولا يعلم الاحتفاظ ببعض الأمور وصرفَ سواها بل يبدّدها بأكملها وينشرها بأجمعها. السكْر جنونٌ طوعيٌّ يخون الأفكار؛ السكْر شقاءٌ سخيف، ومرضٌ يُسخر منه، وشيطانٌ آثر أن يكون كذلك وهو أشدّ تكديراً من اختلال العقل. أوَتريد أن تعرف بماذا يكون الإنسان السّكران أشدّ بؤساً أيضاً ممّن مسّهُ شيطان؟ إنّا نُشفق كلّنا على من مسّهُ شيطان، أمّا ذاكَ فنستكرهه. نرأف بالأول، فيما هذا الأخير يغضبنا ويُغيظنا. لمَ إذاً؟ لأنّ هوى الأول سببه دَسيسة، وأمّا هوى الأخير فسببهُ تهاونه. بالنسبةِ إلى الأول، إنّما المقصود مكيدةٌ دبّرها أعداؤه، وأمّا بالنسبة إلى الآخر فالمقصود مكيدةٌ دبّرتها

أفكارُه؛ بيْدَ أنّ الإنسان السكران يُكابد عذاباتٍ مماثلةً لتلك التي يكابدها الممسوس من الشيطان. فهو ضالٌّ بالمِثل، مختلٌّ بالمِثل، ويقع أرضاً بالطريقة نفسها، ويدير حدقتيه بالمثل، وإذْ يتمدّد على الحضيض يكون عرضةً لاختلاجات مماثلة، ويُسيل الريق من فمه، ويُفيض اللعاب الفاسد نفسه، ويكون فمه مترعاً بنتانةٍ لا تطاق. إنسانٌ كهذا يصيّر نفسه مقزّزاً عند أصدقائه، هُزأةً عند أعدائه، محتقَراً تماماً عند خدّامه، كريهاً عند زوجته، شخصاً لا يُطاق عند الجميع، بل وأكثر تكديراً أيضاً من الكائنات التي لا عقل لها. ذلك أن الكائنات غير العاقلة لا تشرب إلاّ بنسبة عطشها وتَحدّ رغبتها بحاجتها، فيما الإنسان السكران يتجاوز الرغبة بداعي إفراطه ويصير أشدّ غباوةً من الكائنات التي لا عقل لها.

أمّا نحن، فلنا كأسٌ حسنةٌ لنسكر بها، كأسُ سكْرٍ تولّد الاعتدال لا الانحطاط. وما هي هذه الكأس؟ إنّها الكأس الروحيّة، الكأس الخلاصيّة، الكأس الطاهرة المملوءة بدم المعلّم. هذه الكأس لا تولّد السكر. هذه الكأس لا تولّد الانحطاط، لأنّها لا تُحبط القوى بل تنشّط القدرات. هذه الكأس لا تشلّ الأعصاب، بل تُحفّز الأعصاب. هذه الكأس تولّد القناعة. هذه الكأس هي محطّ إجلال الملائكة، محطُّ هلع الشياطين، محطّ تقدير البشر، ومحطّ محبّة المعلّم.. المقصود إذاً إنّما هو سكرٌ من نوعٍ جديدٍ يؤسّس القوّة، ويولّد ضبطاً للنفس ومقدرةً لأنّه من الصخرة الروحيّة سال. كما أنّ دوره لا يكمن في إفساد الأفكار، بل في نشر الأفكار الروحيّة (112). (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

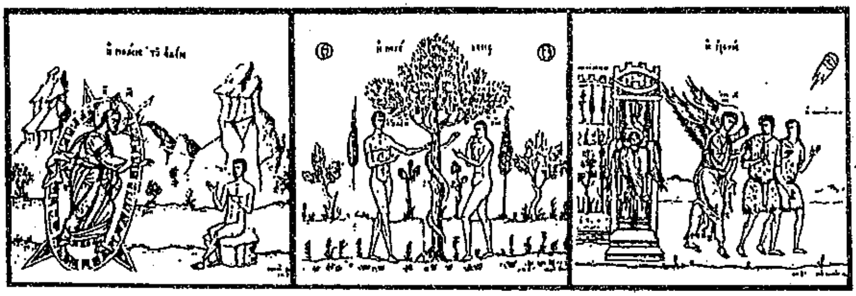

بدء الصوم الكبير المقدّس

الاثنين من الأسبوع الأول

القراءات: إشع ١:١-٢٠ / تك ١:١-١٣ / أم ١:١-٢٠

الإنجيل لو ٢١:٨-٣٦

"السماءُ والأرض تزولان وكلامي لا يزول" (لو ٢١:٣٣)

✞ ما من نفسٍ مؤمنةٍ تشكّ في أن العناية الإلهية لا يفوتها أيُّ جزء من هذا العالم ولا أيُّ زمن، وفي أنّ نجاح الأعمال الدنيوية لا يتعلّق بسلطة الكواكب، التي ليست بشيء، بل أنّ كلّ شيءٍ ينظَّم من خلال القرار الكليّ العدل والكليّ الرأفة الذي للمَلك المطلق[113]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ إنّ سني حياتنا وظروف الأحداث الزمنية لا تعتمد على طبيعة العناصر ولا على تأثير الكواكب، بل على سلطة الله الأسمى الحقيقيّ الذي يَلزمنا طلب معونته ورحمته بإلحاحٍ في كلّ ما نرغبه باستقامة. في الواقع، إن كنا خطئنا إليه ـ ويا للشقاء! ـ فليس ثمة ما يستطيع إغاثتنا خارجاً عنه، كما ولا يمكن لأية محنةٍ أن تؤذينا إن كان هو مؤيّداً لنا[114]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ ليس من شيء وخيمٍ كالتصوّر الراسخ عند معظم البشر، [القاضي] بنَسْب علل الخطايا إلى تحرّكات النجوم، والزعم بأن ضرورات القدر تحكم حياتنا، كما يفعل المنجّمون بكثير من الشعوذة. ففي اتكالهم على التخمين ـ هذا الحدّ الوسط بين الصدق والكذب ـ أكثر ممّا على العقل السليم، إنّما يضلّون بعيداً جداً عن الرؤية الصحيحة للحقائق. ولكن، بغية دراسة هذه الوسائل بأفضل ما لدينا، لنبدأ في تجريد فن التدجيل هذا الذي يزوّد مُشايعيه بجمٍّ من التبجّح، كما لو كانوا هم وحدهم

من فهموا ــ من خلال حسابات الكلدانيين ــ كيف يُرسم النظام الفلكي.. إنّ السديم ولُجج الضلال هي التي يدور فيها هؤلاء الأشقياء جِدّياً.. فلقد أعادوا ربط الأحداث البشرية بالظواهر الفلكيّة، دون أن يخجلوا من اختزال دوران الكون بعبارات هندسية، نظريات وصور، ومن التعليم بأنّ السماء هي نظير ألبُومٍ للصور، فيها المجنّحات والحيوانات المائية والبرّية، وأنّ خواصّ النجوم هي حصيلة الأحداث التي جرت قديماً في سيَرٍ بشريةٍ؛ وهكذا يعلّقون تحرّكات الكواكب بهيكل هذا الخُلق!.. وهم يسلّمون بأن لم يكن ثمّة طالعٌ فلكيّ قطّ [سابقاً]، وأن حياة أجدادنا قد انقضت لذلك بشكل جيّد جداً. إذاً، أوَننجح كأطبّاء نشيطين في التخفيف من أضرار الكذب نوعاً ما، وفي تثبيط همّته معالجين إياه بطرق البرهان الخلاصيّة؟ لا بدّ من محاولة القيام بذلك، وقيادة بحثنا عن الحقيقة كما يلي.

لو كان من الأفضل للبشر أن يكونوا خاضعين لناموس معلّق بولادتهم بالأحرى لا بما هو عكس ذلك، فلمَ إذاً، أيّها الأشقياء، لِمَ يوجد قدَر ولادة دفعةً واحدةً مُذ وُلد الجنس البشري؟ ولو كان ثمّة قدر، فأية حاجة إذاً لهذه الكائنات الموضوعة حديثاً جداً بين النجوم، الأسد والسرطان والجوزاء والعذراء والثور والميزان والعقرب والجدي والقوس والحوت والحمل والدلو وسواها، والتي بحسب رأيكم، يَفتتح سَيرها لعموم المائتين حيازة تلك المعرفة، معرفة المستقبل المضفى عليها طابع الرياضيات ــ أو الملعونة بالأحرى ــ والتي عنها تتكلّمون؟ وعليه، فإمّا أنّ البشر قديماً كانوا مقدَّرين بولادتهم ــ وفي هذه الحالة لا تكون نظرية المنجّمين سوى ترّهات ــ وإمّا أنهم ليسوا كذلك، وعندها يكون الله قد بدّل الأمور ليعطي الحيَوات وضعاً وسيراً أفضل، فيما يكون العهد السالف قد وُجد أكثر سوءاً بالنسبة إلى من عاشوا فيه! والحال أنّ القدماء كانوا أفضل حالاً من المعاصرين، ومن هنا أتت تسمية "العصر الذهبيّ". الخلاصة إذاً أنّ الولادة لا تحدّد مصيراً، وأنّ

الله هو الذي ينظّم سير الفصول، وأنّ السماء ليست ذاك الألبومَ من الصور الملوّنة. أمّا الشمس والقمر والنجوم الأخرى، التي خُلقت لتوجيه الوحدات الزمنية ومراقبة انتظامها (تك١:١٦-١٨)، لتزيين السماء وتبدّل الفصول، فلو كانت إلهيّةً وأفضل من البشر لحملت بالضرورة حياةً أفضل في الغبطة والسلام، بل وأسمى من حياتنا في البرّ والفضيلة، مدفوعةً بحركةٍ ليست سوى حُسن ترتيب ونجاح. ولكن، إن كانت هي ما يختلق ويُثير المصائب والانحرافات عند المائتين، فعندها تكون أكثر شقاوةً من البشر بالتأكيد، في عملها على تجاوزات هذه الحياة وتقلّباتها وحوادثها، وفي معاينتها الأرضَ وأعمالنا الفاسدة المرصودة للموت دون أن تستنير بسيرةٍ أسمى من سيرتنا، إنْ صحّ على الأقلّ بأنّ وجودنا رهنُ تأثيرها وتحريضها. ليس من فعلٍ البتّة دونما رغبة، وليس من رغبةٍ دونما حاجة، ولكنّ الإلهيّ لا حاجة له؛ وهو يجهل من ثمّ كلّ فكرٍ رديء. ولو كانت طبيعة النجوم من فئةٍ أكثر قرباً إلى الله، لو كانت أفضل من فضيلة أفضل البشريين، لجهلت النجوم كلّ فكرٍ منحرف، ولكانت بلا حاجات. وإن كانت بلا حاجات، غريبةً عن هذه الانفعالات، فكيف يمكنها أن تختلق للبشر إراداتٍ هي نفسُها منزّهةٌ عنها، وتحرّكاتٍ هي غريبةٌ عنها؟ ولكن، الافتراض بأنّ الإنسان لا يملك حرّية الإرادة، والزعمُ بأنّه محكومٌ من الضرورات المحتومة لقدرٍ ما ومن قراراته غير المكتوبة، إنّما هو إهانةٌ لله نفسه في جعله مصدر الخطيئة البشريّة ومسبّبها. فلو كان هو من يقود طواف النجوم الدائريَّ كلّه، بانسجامٍ، وبحكمته التي لا توصف ولا تُدرك، قابضاً بشدة على زمام الكون، وكانت النجوم هي التي تحدّد في حياتنا طرق الرذيلة والفضيلة، مكبِّلةً فيها البشر برُبط الضرورة، إذاً لأبدى هؤلاء القوم اللهَ وكأنّه العلة المسؤولة عن الشرور والموزِّع لها . ولكنّ الله ليس علّةً لأيّ ضررٍ يلحق بأيّ أحد. إلى هذا، ما من أحدٍ حتى ولو كان قليل الذكاء،لا يكتشف بأنّ الإلهيّ يكون عادلاً، صالحاً، حكيماً،

صادقاً، نافعاً، وأنّه ليس مسؤولاً عن أي سوء، وأنه بريء من كل هوى، وهكذا دواليك. وإن كان الأبرار أفضل من الظالمين، إن كان الظلم كريهاً في أعينهم، إذاً إن كان الله وهو البارّ يجد فرحه في العدل ويمقت الظلم الذي هو نقيض العدل وفي حربٍ ضدّه، فعندها لا يكون الله قطّ العلّة المسؤولة عن الظلم. وإن كان المعتدلون أفضل من الفاسدين وكان الفساد كريهاً عندهم، إذاً إن كان الله يجد فرحه في الاعتدال ويجهل كلّ فكر هوى، فعندها يكون الفساد بغيضاً في عينيه. وعليه، فإن فعلاً يوحي به الاعتدال، كونه فضيلة، لَهو أفضل من فعلٍ يوحي به الفساد، والذي هو رذيلة. ذلك أنّ كلّ امرئ يُحسن إلى نفسه وإلى المجتمع إن كان معتدلاً، في حين أنّه يؤذي نفسَه والمجتمع إن كان فاسداً. إذاً، إن كانت ثمّة هوّة بين الرخاوة القذرة والرجولة، بين الفاسدين والمعتدلين؛ إن كانت فئة الرجوليين والمعتدلين هي الفضلى، وكانت الأسوأ فئةُ أولئك الذين في الجهة المقابلة؛ إن كان المحسوبون في الفضلى هم القريبين من الله والأصدقاءَ له، وكان المحسوبون في الأسوأ هم البعيدين عن الله والأعداءَ له، فعندئذٍ يكون أنصار الحتميّة الكوكبيّة قد طابقوا الظلم مع العدل، والرخاوة الدنيئة مع الرجولة، والفساد مع الاعتدال، وهذا أمرٌ مستحيل.

إن كان الخير عدوَّ الشرّ، والشرّ مبايناً للخير، فالعادل من ثمّ يختلف عن الظالم. والله إذاً ليس هو العلّة المسؤولة عمّا هو سيّئ، كما ولا يجد فيه فرحَه، لأنّه صالح. وعليه، فإن كان ثمّة أشرار، فهم أشرارٌ بداعي تقصيرهم الأخلاقيّ الخاصّ لا بداعي قَدَر ولادة.

ثمّ إن كانت ولادة الإنسان هي التي ترصده بقضاءٍ وقدرٍ ليُخضِّب يديه بالقتل، فيما الناموس يحظّر عليه ذلك، فعندئذٍ، في معاقبة المجرمين وفي الحؤول بتهديداته دون تنفيذ أوامر القضاء والقدر، كالظلم والزنى والسرقة والتسميم، إنّما يكون الناموس معاكِساً لقضاء الولادة وقدَرها. لأنّ هذه الأفعال التي حتّمها القضاء والقدر

يمنعها الناموس كلّها، وكلّ الأفعال التي يَنهى عنها الناموس يُرغم القضاءُ والقدرُ [الناسَ] على ارتكابها. إذاً، الناموس يحارب القضاء والقدر. وإذا ما كان يحاربه، فلا يكون المشرِّعون مشرِّعين عندها من وجهة نظر القضاء والقدر، سيّما وأنّ الذين يأمرون بما هو مناقِضٌ للقضاء والقدر يقوِّضون القضاء والقدر. إذاً، إمّا أن يكون ثمّة قضاءٌ وقدرٌ للولادة، فلا يكون للنواميس من لزوم، وإمّا أن تكون ثمّة نواميس تخالف القضاء والقدر. والحال أنْ من غير المعقول [عندهم] أن يتمكّن أحدٌ من أن يولد أو أن يُنجز أيّ شيءٍ يُفلت من القضاء والقدر! أوَلا يقولون لنا بأن لا أحد لديه الإذن ولو بتحريك إصبعه إن لم يُرِد القدر ذلك؟ إذاً، هل هو القدر مَن أراد أن يولد مشرِّعون، وأن يسنّوا شرائعهم التي تمنع الزنى، وجرائم القتل، والانتهاكات، وقطع الطرقات، والسرقات، ما سيحمل على الاعتقاد من ثمّ أن في ارتكاب هذه الأفعال لا يُمتثل للقدر؟ أو أن الشرائع هي التي لا تطابق القدر إن كانت هذه الأفعال تطابقه؟! ذلك أنّ القدر لا يمكنه أن يحذف نفسه، أن يُبطل نفسه ويتناقض مع نفسه؛ فهو لا يستطيع أن يسنّ الشرائع بمنع الزنى والقتل، مع العقوبات والملاحقات بحقّ الأشرار من جهة، وأن يحرّض على القتل والزنى من جهةٍ أخرى. هذا مُحال، إذ ما من شيء ينشقّ عن نفسه، أو يحقد على نفسه، أو لا ينسجم مع نفسه، ليدمّر نفسه! فلو كان كلّ ما يحدث ـــ أيّاً كانت الحالة ـــ يُطيع قدَراً ما، بحيث لا يتملّص من ذلك أيُّ شيء، إذاً لكان وجود الناموس مطابقاً للقدر حتماً. بيد أنّ الناموس يحذف القدر معلِّماً أنّ الفضيلة تُدرس، وأنّها تنمو إن ثابر المرء عليها، وأن ينبغي الفرار من الانحراف الناتج عن تربيةٍ ناقصة.

إن كان القدر هو الذي يجعل البشر مذنبين بعضهم تجاه بعضٍ وضحايا بعضهم البعض، فأيّة حاجةٍ للنواميس؟ ولكن، إن كان هدفها المقاومة ضدّ المجرمين وكان الله مهتمّاً لأمر الضحايا، فقد كان من الأفضل عندها ألاّ يَخلق البشر أشراراً عن

قضاءٍ وقدر، بدلاً من أن يريد إصلاحهم بالنواميس بعد خلقهم هكذا. إلاّ أنّ الله صالح وحكيم، وما خلقه فهو الأفضل. إذاً، ولادة الإنسان لا تحدّد مصيره.

في الحقيقة، أسباب الخطايا إنّما هي التربية والعادات، أو أهواء النفس ورغبات الجسد. ولكن، سواء كان السبب هذه أو تلك، لا يكون الله هنا علّةً مسؤولةً قطّ. وإن كان الأفضل للإنسان أن يكون عادلاً من أن يكون ظالماً، فلِمَ لا يكون كذلك دفعةً واحدةً منذ مجيئه إلى العالم؟ وإن أعطي بعدئذٍ التعاليمَ والشرائع التي تعقّله لجعله أفضل حالاً، فهو قادر على التعقّل لأنّه حرّ، لا لأنه منحرف بطبيعته. وإن كان الأشرار أشراراً بحسب الولادة، بمقتضى أوامر العناية، فهم ليسوا ملومين ولا يقاضَوا بالعقوبة المنصوص عليها في الشرائع، بما أنّهم يعيشون وفقاً لطبيعتهم الخاصّة ولا يمكن إصلاحهم! أمرٌ آخر: إن كان الأخيار الذين يعيشون وفقاً لطبيعتهم الخاصّة يستحقّون المديح، أو إن كانت حتميّة ولادةٍ هي سبب الخير لدى الأخيار، فعندها الأردياء أيضاً، حين يعيشون وفقاً لطبيعتهم الخاصّة، إنّما ينبغي إفلاتهم من كلّ تهمةٍ أمام قاضٍ عادل. وعليه، فلا يكون مخطئاً البتة ذاك الذي يعيش وفقاً للطبيعة التي مُنحت له، إن كان لا بدّ من التكلّم بوضوح. إذ ليس هو من يصنع نفسه هكذا، بل القدر؛ وحياته إنّما تحرّك وتُقاد بفعل الإكراهات المحتّمة لهذا الأخير. على هذا الحساب، لا وجود لأيّ شرّير. والحال أنّه يوجد أشرار، وأنّ الشرّ ذميمٌ ومكروهٌ عند الله ــ كما ثبّت الكتاب ــ في حين أنّه يحبّ الفضيلة ويمجّدها. أولم يسنّ الله شريعةً لمجازاة الأشرار؟ إذاً، مصير الإنسان ليس مدوَّناً في ولادته.

ولكن، ما الفائدة من التركيز كثيراً على التفنيدات، ومن الاسترسال في إسهاب خطابي؟ أولم أبسُط لكلّ العيون، باختصار، تلك التناقضات الداخليّة للمعتقد المركّب من أولئك القوم؟ بحيث بات أمراً ظاهراً ومحسوساً بوضوحٍ من الآن فصاعداً، حتى لِولَد، أنّ إتمام الخير أو الشرّ متوقّف علينا نحن، لا على النجوم؛ سيّما وأنّ ثمّة

تحرّكين فينا، رغبة جسدنا الطبيعية ورغبة نفسنا [الطبيعيّة]. إنّهما مختلفان، ومن هنا التسميتان اللتان تشيران إليهما، الفضيلة من جهة، والفساد من الجهة الأخرى. أمّا نحن، فعلينا اتّباع الطريق التي تُظهرها لنا الفضيلة كلّيةَ الحُسن وكلّية التذهُّب، وإيثار ما هو الأفضل عمّا هو دنيء.. وأمّا أولئك الأشخاص، فهم لا يعرفون أن يقرأوا في النجوم إلاّ ليقدّموا لنا هذيانهم المشؤوم، والذين يُضيعون زمن حياتهم في الحَدْس، وفي عدم الانشغال إلاّ بحكاياتٍ خرافيّة[115]. (القدّيس مثوديوس الأولمبي)

الثلاثاء من الأسبوع الأوّل

القراءات: إشع ١٩:١- ٣:٢ / تك ١٤:١-٢٣ / أم ٢٠:١-٣٣

الإنجيل متى ١:٦-١٣

"ومتى صلّيت فلا تكن كالمرائين" (متى٦:٥)

✠ الصلاة حارسة العفّة، وختْم البتوليّة، ومربّية الرغبة، وقامعة الغباوة، وراحضة الحقد، وقاهرة الحسد، وثباتُ السلام[116]. (القدّيس غريغوريوس النيصيّ)

✠ الصلاة خيرٌ عظيم، متى صارت شكورةً بالفكر. لأنْ عندما يصدر الابتهال من شفتين نقيّتين ومن قلبٍ لا رئاء فيه، إنّما يسبق مرتفِعاً إلى أذن السيّد التي لا تُخدع[117]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✠ الصلاة ميناء الذين في العواصف، وهي المرساة الراسخة للّذين تتقاذفهم الأمواج، والدعامة للمتقلقلين، والتعزية للحزانى، وجواز المرور للأغنياء، والشفاء للمرضى، والحماية للأصحّاء؛ ولا شيء أقدر من الصلاة[118]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

✠ تُقبل الصلاة حين تُقترن بالأعمال الصالحة، وتُستجاب الصلاة حين تتضمّن المغفرة، ويُرضى عن الصلاة حين تكون بريئةً من كلّ غشّ، وتكون الصلاة مقتدرةً حين تكون مفعمةً من الفضيلة الإلهيّة. إنّ ما كتبته إليك، يا عزيزي، يعني أنّ عمل الإنسان بمشيئة الله هو الذي يكوِّن الصلاة، وأخال أنّ هذا الأمر صحيحٌ جداً. فلا تُهمِل الصلاة على الرغم ممّا قلته لك، بل على العكس من ذلك، كن حريصاً على الصلاة، ولا تَدَعِ الضجر يحطّ من عزيمتك[119]. (أفرهات)

✠ على الجميع، كهنةً وعلمانيين ورهباناً، أن يفكّروا في المسيح أوّلاً حالما ينهضون من النوم، وأن يتذكّروا المسيح أوّلاً. عليهم أن يقرّبوا الصلاة إلى المسيح بمثابة بواكير وذبيحةٍ من كلّ فكر. عليهم قبل كلّ تفكير أن يتذكّروا المسيح الذي خلّصنا وأحبّنا للغاية. فنحن مسيحيّون ونحمل اسم المسيح. لقد لبسناه بالمعموديّة

الإلهيّة (غلا ٣:٣٧)، وتلقّينا منه الختْم بالميرون. لقد اشتركنا ونشترك في جسده المقدّس ودمه. فنحن أعضاؤه (١ كور١٢:٢٧)، نحن هيكله (٢ كور٦:١٦)، إذْ قد لبسناه، وهو يسكن فينا. ولذلك يتوجّب علينا أن نحبّه وأن نتذكّره على الدوام. فلْيفرض إذاً كلٌّ منّا على نفسه أن يتكرّس للصلاة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً[120]. (القدّيس سمعان التسالونيكي)

✠ تبصّرن، يا أخواتي، كيف أنّ الخاضعين لأسيادٍ قابلين للفساد وأرضيّين ينتصبون أمامهم بكلّ خوفٍ ويقظة. أمّا نحن، اللواتي ينتصبن أمام الملك المرهوب والسماويّ، فبأيّ خوفٍ وأيّة مهابةٍ علينا أن نؤدّي خدمتنا! فكّرن أنْ لا الملائكة ولا الخليقة الروحيّة السماويّة بأسرها قادرةٌ على تمجيد الربّ بلياقةٍ، هو غير المحتاج إلى أي شيءٍ والذي يفوق كلّ مجد. وإن كانت القوّات العادمة الأجساد ـــ التي تسمو على طبيعتنا كثيراً ـــ هي نفسُها أعجز من أن تعظّم بلياقةٍ إله الكلّ، كما قلنا، فكم بالأحرى علينا نحن إساءه البطّالات (لو ١٧:١٠) أن نصلّي المزامير بكلّ خوفٍ ومهابة، خشية ألاّ نفوز بإدانةٍ ـــ بدلاً من المكافأة والربح ـــ على التهاون الحاصل في تمجيد سيّدنا[121]. (القدّيسة ميلاني)

✠ من يسبّح بقلبه إنّما يُسبّح بصوت الإنسان الداخليّ. ومن ثمّ فالصوت الذي يمضي نحو البشر هو النغم، في حين أنّ الصوت الذي يمضي نحو الله هو الشعور[122]. (المغبوط أغسطينوس)

✠ لا تمضِ البتّة إلى الصلاة من دون الصدقة[123]. (القدّيس يوحنا الذهبيّ الفم)

✠ لا يملك الشياطين أيّة وسيلةٍ للسيطرة على جسد أو روح إنسانٍ، ولا أيّة سلطةٍ لاقتحام أبواب نفسه، ما لم يجرّدوه أوّلاً من كلّ فكرةٍ مقدّسةٍ ويُفرغوه ويحرموه من التأمّل الروحيّ[124]. (القدّيس يوحنّا كاسيانوس)

✠ متى كان الربّ حاضراً في الصلاة اختفى كلُّ ما هو غريبٌ عنه[125]. (القدّيس غريغوريوس بالاماس)

✠ صلِّ لأجل من أساء إليك وسوف تنجو[126]. (القدّيس مكسيموس المعترف)

✠ لست بحاجةٍ إلى شيءٍ لتصلّي إلى الله، فهو يسمعك حيثما تكون، وحيثما تبتهل إليه. في الواقع، ما من شغلٍ، ولا وسيطٍ، ولا خادمٍ يأتي ليتدخّل بيننا. قُل "ارحمني"، فيكون الله ثمّة في الحال. وهو لا ينظر خاتمة صلاتك، بل تنال العطيّة حتى قبل أن تُنهي صلاتك[127]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✠ أولئك الذين أُهّلوا أن يصيروا أبناء الله وأن يولدوا من فوق، من الروح القدس، إنّما يحدث لهم أن ينوحوا ويتألّموا لأجل الجنس البشريّ برمّته، متضرّعين إلى الله لأجل ذريّة آدم بأسرها. وإن كانوا في حالة الحداد والبكاء هكذا، فلأنّهم مضطرمون بحبٍّ روحيٍّ للبشريّة جمعاء. ثمّ من جديد، يُثير فيهم الروحُ بهجةً وتوقاً للبرّ حتى لَيودّون، لو كان ذلك ممكناً، أن يُغلقوا على جميع البشر في قلوبهم دونما تمييزٍ بين الأشرار والأخيار[128]. (القدّيس مكاريوس الكبير)

✠ إن كان لا يناسبك أن تصلّي كلّ ساعةٍ بطريقةٍ محدّدة، صلِّ متى أعطاك الله الوقت والفرصة لذلك، بتواضع، بلا غضبٍ ودونما سخطٍ على الآخرين.. فتقول إنّك متى شرعت في الاستعداد وفي إرغام جسدك الهزيل على ذلك، يحدث لك أن تلازم الفِراش؛ ولكنّ الاستعداد إنّما يحصل في النفس لا في الجسد. على سبيل المثال، تعترف أنت نفسك بوجوب المقاومة غالباً ضدّ غرورٍ فكريٍّ [لديك]؛ فاسهر على ذلك إذاً، واطرح عنك أفكار الكبرياء وكلّ تلك الأفكار التي لا تُرضي الله.. أمّا غَصْب جسدك الضعيف على ما يفوق قواه فلن تجني منه سوى المزيد من التشويش. وإن كنت عاجزاً عن القيام بالسجدات، إركعْ، وإلاّ فصلِّ سواء كنت واقفاً أم جالساً أم مستلقياً[129]. (القدّيس أمبروسيوس أوبتينو)

✠ يا ربّ، عاملني كما تشاء، سواء راق لي ذلك أم لا[130]. (القدّيس نيقوذيمس الآثوسي)

✠ أيّها الربّ يسوع المسيح إلهي، أعطني زماناً صالحاً [أقضيه] بلا خطيئةٍ ولا شائبة. يا ربّ، لا تتخلَّ عنّي. يا ربّ، لا تبتعد عنّي. يا ربّ، امدد لي يد معونة. يا ربّ، ثبّتني في خوفك. يا ربّ، اغرس خوفك ومحبّتك في قلبي. يا ربّ، علّمني أن أعمل مشيئتك. يا ربّ، هَبْني نوحاً مستمرّاً وندامةً وذِكراً للموت. يا ربّ، أعتقني من كلّ تجربة، نفسيةً كانت أم جسديّة. يا ربّ، اطرد عنّي كلّ فكرٍ دنسٍ وكلّ منطقٍ مُعيبٍ متمرّد. يا ربّ، امحُ منّي التهاون، والرخاوة، والغمّ، والنسيان، وفقدان الحسّ، والتصلّب، وسَبْيَ ذهني. يا ربّ، كما ترى أنت وكما تشاء، ارحمني واغفر لي كلّ آثامي. وارتضِ أن تَخرج نفسي المثيرة للشفقة من جسدي الشقيّ بهدوء، بتوبةٍ صالحة، واعترافٍ مقرونٍ بعدم الشكّ، وبإيمانٍ طاهرٍ بريءٍ من العيب[131]. (القدّيس پاييسيوس الكبير)

الأربعاء من الأسبوع الأول

القراءات إشع ٢:٣-١١ / تك ١:٢٤-٢:٣ / أم ٢:١-٢٢

الإنجيل مر ١١:٢٢-٢٥ ومتى٧:٧-٨

"ليكن لكم إيمان بالله" (مر ١١:٢٢)

✟ لقد تلقّنا من الرب نفسه أن التلميذ هو كل إنسان يدنو من الرب من أجل اتّباعه، أي ليسمع أقواله، ويؤمن به، ويطيعه كسيّد، كملك، كطبيب، كمعلّم حقّ في رجاء الحياة الأبدية، والذي يبقى ثابتاً في هذه الاستعدادات علاوةً على ذلك[132]. (القديس باسيليوس الكبير)

✟ إنّ عطف هذا العالم يتوقّف على من يساعدهم، وأمّا الصلاح المسيحي فيعبر حتى خالقه؛ ويُعلَن من ثمّ أننا صالحون تجاه ذاك الذي يعمل فينا ـــ كما نؤمن ـــ حسب قول الرب التالي: "هكذا فليضئ نوركم قدام الناس (متى ٥:١٦)" [133]. (القدّيس لاون الكبير)

✟ لا يكون وحيداً أبداً، ذاك الذي يرافقه المسيح في هروبه؛ لا يكون وحيداً أبداً، ذاك الذي لا يكون أبداً بدون الله إذ يحرس هيكلَ الله حيثما كان[134]. (القدّيس كبريانوس)

✟ فليحملوا السلاح، أولئك الذين ظلّوا أمناء، لئلاّ يفقدوا مكسب أمانتهم وقد لبثوا واقفين! ليحملوا السلاح أيضاً، أولئك الذين سقطوا، لكي يستردّ الجاحد ما كان قد كَفر به! فليكن الشرف ما يحثّ الأولّين على النضال، والوجع ما يحثّ الأخيرين[135]! (القدّيس كبريانوس)

✟ لقد عمل ربّنا وإلهنا بكلّ ما علّم، لئلاّ يُعذَر التلميذ الذي يتعلّم ما يجب عمله ولا يعمل بما تعلّم[135]. (القدّيس كبريانوس)

✞ إن كان أحدٌ يحمل اسم المسيح ولا يترجم في حياته ما يمثّل هذا الاسم، فهو يجعل هذا الاسم كاذباً. إذ لا يمكن ألاّ يكون المسيح برّاً ونقاوةً وحقّاً ونقيضاً لكل شرّ، كما ولا يمكن أن يكون المرء مسيحيّاً، مسيحيّاً حقّاً، ما لم يُظهر في ذاته الأمور المشتركة مع هذه الأسماء.. وعليه، فإن المسيحيّة هي اقتداءٌ بالطبيعة الإلهيّة [137]. (القدّيس غريغوريوس النيصيّ)

✞ المسيحيّة هي طعامٌ وشراب، وكلّما تمّ تذوّقها أثارت عذوبتها شهيّة الذهن، بحيث لا يستطيع هذا من بعد أن يتوقّف ولا أن يكتفي؛ بل إنه يطلب ويأكل دون أن يتمكّن من الشبع.. وهذه ليست مجرّد كلمات، بل هو فعل الروح القدس الذي يعمل سرّاً في النفس[138]. (القدّيس مكاريوس الكبير)

✞ لو كنّا مسيحيين حقّاً لوافى عبّاد الأوثان إلى المسيح [139]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✞ إن اسم الكنيسة ليس اسم انفصال، بل هو اسم وحدة ووئام [140]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✞ عندما نأتيكِ ننسى بلايا الهرطقات المُحزنة كافة ونستريح، بقربك، من العواصف التي تثير الأمواج، أيّتها الكنيسة الأمّ المقدسة، ونتشجّع في معتقدك المقدّس، في الإيمان الأوحد وحقيقة اللّه [141]. (القدّيس إبيفانيوس القبرصيّ)

✞ لا تحدّ الكنيسة بكثرة الشعب، بل بالإيمان؛ وحيثما يجد المرء الإيمان الحقّ فهناك تكون الكنيسة [142]. (القدّيس يرونيمس)

✞ أسألكم، أيّها الإخوة الأعزّاء، وأنبّهكم برفقٍ أبويّ، ألاّ تغادروا الكنيسة قبل نهاية الذبيحة الإلهية.. والأكثر من ذلك أن بعضاً ينشغلون أثناء القراءة في تبادل كلماتٍ لا نفع فيها، بحيث لا يسمعون هم ولا يدعون الآخرين يسمعون. وفي رأينا أن أبناء الرعيّة هؤلاء يكونون أقلّ ذنباً لو لم يأتوا أبداً إلى الكنيسة، لأنّهم يشاهَدون وهم يهينون اللّه أكثر داخل موضعٍ كانوا ليَستطيعون فيه نيل غفران خطاياهم [143]. (القدّيس كيساريوس)

✟ إنْ دخل امرؤٌ دكان العطار وتوقّف فيه قليلاً فاح بالعطر ونشر من حوله رائحةً زكية، فلَكم بالأحرى سيفوح بهذه النفحة الطيّبة إن تردّد على الكنيسة [144]! (القدّيس يوحنا الذهبيّ الفم)

✟ استمرار الأعياد التي يعقب أحدها الآخر إنما يحول دون وهن قوة فرحنا وفتور حميّة إيماننا [145]. (القدّيس لاون الكبير)

✟ قبل العيد بأيام عدّة، تحتفل الكنيسة المقدسة بهذا السر العجيب في الأناشيد الروحيّة ضمنَ خِدَمها اليوميّة.. ولكن، يجب علينا ألاّ نسوّغ لأنفسنا الاحتفال بأي عيد مسيحيّ ما لم نأخذه جِديّاً بعين الاعتبار: ما هو معناه، وما هو مرماه، وما هي مسؤوليتنا نحوه؟.. عندها يصير العيد نافعاً لخلاص نفوسنا، وإلاّ فعدوّ خلاصنا سيختطفنا ويحوّل عيد اللّه إلى عيدٍ للجسد[146]. (القدّيس يوحنا كرونشتات)

✟ تلك هي الأعاجيب التي يجترحها الاشتراك في البركة الإلهية: فهو يجعل من تحدث فيه الأعاجيب أكثر اتّساعاً وتقبّلاً؛ ثم من مدى استيعابه ينال للمتلقّي ازدياداً فعلياً في الضخامة أيضاً، فلا يتوقّف البتّة عن النمو [147]. (القدّيس غريغوريوس النيصيّ)

✟ تبديل المكان لا يُحدث أيّ تقدّم نحو الله، بل سوف يأتيك اللّه أينما كنت، إن وُجدتْ حُجُرات نفسك بحيث يمكنه السكنى فيك. ولكن، إن أبقيت على إنسانك الداخلي مفعماً من الأفكار السيّئة، فحتى ولو كنت على الجلجثة، على جبل الزيتون، على صخرة القيامة التذكارية، فلسوف تكون مبعداً عن استقبال المسيح فيك بقدر ما يمكن حدوث ذلك حينما لا يكون المرء قد شرع حتى في الاعتراف به [148]. (القدّيس غريغوريوس النيصيّ)

الخميس من الأسبوع الأول

القراءات إشع ٢:١١-٢٢ / تك ٢:٤-١٩ / أم ٣:١-١٨ الإنجيل متى ٧:٧-١١

"فكم بالحري أبوكم الذي في السماوات يمنح الصالحات لمن يسأله" (متى ٧:١١)

✠ لو كان الله محروماً من أحد الاثنين، سواء من الابن أو من الروح، لما كان آباً، بل ولما كان حياً لانفصاله عن الروح الذي يهب الحياة والكينونة للجميع [149]. (القدّيس سمعان اللاهوتي الجديد)

✠ تسمية الثالوث إنما هي تسمية الإله الوحيد[150]. (القدّيس يرونيمس)

✠ إن لم يكن في وسع أحد أن يفسر من هو الله، فلا يتجاسرنّ أحدٌ من ثمّ على الجزم بما ليس هو.. ذلك أن عدم الكلام كما ينبغي بشأن الطبيعة غير الموصوفة يُعذَر أكثر من التعريف فيها عمّا هو معاكِسٌ لها [151]. (القدّيس لاون الكبير)

✠ الله هو شمس العدل، وهو يشرق أشعة صلاحه على الجميع ببساطة وبالطريقة نفسها. وكما يجفّ الطين تحت الشمس، فيما يطرى الشمع طبعاً، هكذا كل نفسٍ محبّةٍ للعالم وللمادة، حين تتلقى من الله توبيخاً فتقاومه كالطين بإرادتها، تُظلِم.. في حين أن كل نفس مُحبّة لله تطرى كالشمع، فتتلقّى من ثم البصمات والسّمات التي للإلهيات صائرةً مسكناً للّه في الروح[152]. (القدّيس مكسيموس المعترف)

✠ إن الله موزّعُ العديد من الأحداث غير المؤمَّلة، وغالباً ما ينجز العديد من الأمور خلافاً لكل رجاء؛ وبالمقابل، لا يتحقّق المنتظَر[153]. (القدّيس غريغوريوس اللاهوتي)

✠ كما أنّه من المتعذّر إغلاق نبع فيّاض بحفنة غبار، كذلك يتعذّر على خبث الخلائق أن يغلب رأفة الخالق [154]. (القدّيس إسحق السوريّ)

✞ ليس الله هو العدائي، بل نحن، فاللّه ليس عدائيّاً على الإطلاق [155]. (القدّيس يوحنا لذهبي الفم)

✞ إن الله لا يخلّص أحداً بالإكراه وعدم الرضى[156]. (القدّيس غريغوريوس اللاهوتي)

✞ إيجاد الله يقتضي البحث عنه بلا انقطاع.. وهنا حقّاً يشاهَد الله، حين لا يُشبَع البتّة من اشتهائه [157]. (القدّيس غريغوريوس النيصيّ)

✞ بمحبّة المسيح للبشر، زهد الفائق الجوهر بسرّه، وظهر لنا متّخذاً الناسوت. لكن، وعلى الرغم من هذا الظهور، أو بالأحرى في قلب هذا الظهور بالذات ــ إن شئنا التفوّه بتعبيرٍ لاهوتيّ أعمق ــ لم يقلّل من الحفاظ على سرّه كلّه. ذلك أن سرّ يسوع قد بقي مكتوماً، بحيث لا يدركه أيّ عقلٍ ولا أيّ ذهن. فهو يبقى غير مفهوم أيّاً كانت طريقة احتوائه.. تمرّسْ إذاً على التأمّلات الروحانية بلا انقطاع، واعدل عن الأحاسيس، وتخلَّ عن العمليات العقلانية، وصُدَّ كل ما يتعلّق بالمحسوس والمعقول، وتجرَّد تماماً عن عدم الوجود وعن الوجود، ثم ارتفع ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، حتى تتّحد في الجهل مع ذاك الذي يفوق كلّ جوهر وكلّ علم. ففي خروجك من كل شيء ومن ذاتك، بشكلٍ كاملٍ لا يقاوَم، سوف ترتفع في اختطافٍ طاهر نحو الشعاع المظلم الذي للجوهر الإلهي الفائق الجوهر، بعد أن تترك كل شيء وتتجرّد عن كل شيء.. فالتألّه إذاً هو أن تلد الله فيك [158]. (ذيونيسيوس الأريوباغي المنتحِل)

الجمعة من الأسبوع الأول

القراءات إشع ٣:١-١٤ / تك ٢:٢٠ - ٣:٢٠/ أم ٣:١٩-٣٤

الإنجيل يو ١٥:١-٧

" من يثبت فيَّ وأنا فيه فهو يأتي بثمرٍ كثير" (يو ١٥:٥)

✞ إذ قد حكمنا بأننا دون جميع الناس شأناً، فنحن سنتحمّل بصبر كبير كافة معاملات البشر لنا، مهما كانت ظالمةً ومحزنةً ومُضنيةً، مقدّرين أنها تأتينا من بشر يفوقوننا شأناً. ولن نتحمّل هذه الآلام بلا صعوبة فحسب، بل وستبدو لنا بسيطةً ليست بذات شأنٍ إنْ حافظنا في الفكر دوماً عل ذكر آلام ربّنا وعذابات القدّيسين كافّة، معتبرين أن ما يُصنع بنا هو أقل إهانة لنا ممّا لو كنا أكثر بعداً عن استحقاقهم وعن طريقة حياتهم، ومفكرين أننا سنترك هذا الدهر وشيكاً، وأننا لسرعة انتهاء هذه الحياة سنشاطرهم مصيرهم قريباً[159]. (القدّيس يوحنّا كاسيانوس)

✞ إن الإصلاح غير الموصوف الذي لخلاصنا لا يترك لنا مجالاً للكبرياء ولا للكسل. فمن جهة، "ليس لنا شيء لم ننلْه (اكور ٤:٧)"؛ ومن جهةٍ أخرى، نحن منبَّهون باستمرار إلى عدم إهمال مواهب نعمة الله (اتيم ٤:١٤). فالذي يتداركنا بعونه إنما يستحثنا بحقّ عن طريق وصاياه، ويدفعنا بصلاحٍ إلى طاعةٍ تقود إلى المجد؛ ولذلك استطاع الرب نفسه أن يصبح طريقنا (يو ١٤:٦)، إذْ لا يُمضى إلى المسيح إلا بالمسيح. هو يسير معه وبه، ذاك الذي يتقدم في درب صبره وتواضعه؛ وفي سفرٍ كهذا، لا غياب طبعاً لشمس الكدّ المحرقة، ولا لغيوم الكآبة، ولا لعواصف الخوف. بل وتصادَف فيها مكائد الأشرار، واضطهادات الكفرة، وتهديدات المتسلطين، وإهانات المتعجرفين. إن رب الجنود وملك المجد (مز٢٣:١٠) قد جاز كل ذلك في حالة ضعفنا وفي جسدٍ مماثلٍ لجسد الخطيئة (رو٨:٣)، لكيما إذا كنا في وسط مخاطر الحياة الحاضرة، نؤثر بالأحرى تذليلها بالصبر على تجنّبها بالهروب[160]. (القدّيس لاون الكبير)

✟ لا شيء يضاهي احتمال الأذى بصبر.. ولكن، هكذا إنسانٌ لا يؤذي البتة؛ فالإنسان الذي يصبر على الأذى هو من السموّ حتى إنه لا يُجرح بسهام العدوّ[161]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

المديح الأول

"افرحي يا عروساً لا عروس لها"

✟ إنني مندهش من أن بعضاً يشكّون بإفراطٍ في ما إذا كانت العذراء القديسة تُدعى والدة الإله أمْ لا. ولكن، إذا ما كان ربنا يسوع المسيح هو الله، إذاً لوجبت أن تكون أمّاً لله بلا ريب تلك العذراء القديسة التي ولدته [162]. (القدّيس كيرلس الإسكندري)

✟ عظيمةً كانت نعمة مريم والدة الإله، بحيث لم تكن تحفظ نعمة البتولية بعنايةٍ كبيرةٍ في داخلها فحسب، بل وكانت تهب مَزِيَّة العفّة أيضاً لكل المقتربين منها [163]. (القدّيس أمبروسيوس)

✟ إن والدة الإله الكلية القداسة هي عطف الله تجاه المائتين، وجسارة المائتين المقدسة تجاه الله. إنها باب الجنّة المفتوح[164]. (القدّيس يوحنا كرونشتات)

✟ إن والدة الإله لم تخطئ البتة ولو بفكرةٍ واحدة، كما أنها لم تفقد النعمة طُرّاً، ومع ذلك كانت أحزانها جسيمةً. فحينما وقفت عند الصليب، كان أساها كالمحيط لا ينتهي، وعرفت نفسُها الألم على نحوٍ أشدّ عمقاً بما لا يُقاس ممّا كابده آدم حين طُرِد من الفردوس، وذلك لأن حدّ حبّها كان أعظم للغاية من الحب الذي كان آدم يكنّه عندما كان في الفردوس. أمّا أنها لم تمت حينها فذلك فقط لأنّ قدرة الله كانت تحافظ عليها، ولأنه شاء أن ترى قيامته وأن تبقى حيّةً بعد صعوده لتكون التعزيةَ والفرح للرسل والمسيحيين الجدد [165]. (القدّيس سلوان الآثوسي)

✟ بحسب الجسد، ثمّة أمّ واحدة للمسيح؛ وأمّا بحسب الإيمان، فالمسيح هو ثمرتنا كلنا [166]. (القدّيس أمبروسيوس)

✟ بتولٌ قد حبلت به خلوّاً من شهوة، بتولٌ قد ولدته ولبثت بتولاً [167]. (المغبوط أغسطينوس)

✞ لقد حفظتُ جسدي بريئاً من كل عيب إلى اليوم؛ فلا أعرف اللذة ولا أحتمل سماعها بالكلام أو رؤيتها بالرسم، بل ولا أُبدي أية مبادرةٍ لرؤيتها لأن نفسي طاهرة. لديّ شاهدٌ ذاك الذي يعرف كل شيء، أنّي ما رغبت فيها قطّ ولا تصوّرتها في فكري.. لقد لبثت عذراء بعيدة عن الرجال، وكل الفضائل الموافقة للمرأة قد مارستها حبّاً بالله الذي يزنُ ويوزّع إحساناته دوماً بغير حساب. أوّلاً، سواء نال منها اللوم أم لا، فإن المرأة تجلب على نفسها سوء الصيت مهما حدث إن لم تمكث في بيتها. ولذا كنت أمكث في بيتي، داخل شقّتي، متحاشيةً الخروج، وكنت أحفظ نفسي من أحاديث النساء العديمة الفائدة. كان كافياً لي الخضوع للعقل، الذي كان دليلاً مفيداً بالنسبة إليّ. كنت على علم بأن الحكمة في كل الأمور إنّما هي خيرٌ يجرّ حظوة الشهرة في كل مكان، ومن ثم كنت أبدي للجميع لساناً صامتاً ونظراً صافياً. كنت أعرف متى ينبغي الانتصار على رفيقاتي ومتى ينبغي ترك الانتصار لهنّ. كنت بلا وصمةٍ حين اتخذني رجلٌ من يدي الله، وكنت لا أزال سليمةً عندما تركني. هذه ليست بكلمات، بل إن الأحداث نفسها تشهد لصالحي. وفي هذه الحالة صرت عروس الله، وأنجبت، كيف أقولها؟ ابناً ليس في وسع أيّ امرأةٍ قطّ أن تدّعي ولادته[168]. (القدّيس غريغوريوس اللاهوتيّ)

✞ تعلّموا أن تتجنّبوا الحرية في الكلام، فمريم خشيت حتى سلام الملاك. ولقد علمتم بعفة مريم، فتلقّنوا أيضاً تواضعها. إذْ كانت نسيبةً، أقبلت إلى نسيبةٍ أوفر كرامة، هي الأكثر شباباً إلى تلك الأكبر سنّاً. ولم تأتِ إليها فحسب، بل سلّمت عليها هي أوّلاً. في الواقع، يليق بالعذراء أن تكون متواضعةً زيادةً على عفّتها.. كما وينبغي التبصُّر في أن الأكثر سموّاً هي التي زارت الأقل سموّاً بغية تقديم المساعدة لها. لقد أقبلت مريم نحو أليصابات، كما أقبل المسيح نحو يوحنا [169]. (القدّيس أمبروسيوس)

✞ "مرتا، مرتا، إنّك مهتمةٌ ومضطربةٌ في أمورٍ كثيرةٍ وإنّما الحاجة إلى واحد. فاختارت مريم النصيب الصالح الذي لا يُنزع منها (لو١٠:٤١-٤٢)". إنه لم يقل

ذلك ليَحطّ من شأن أعمال الخدمة، بل لكي يميِّز بوضوح ما هو أسمى عمّا هو أدنى. إذْ كيف كان باستطاعته ألاّ يَمنح موافقته على الخدمة وقد أنجز هو نفسه خدمةً كهذه عندما غسل أرجل تلاميذه، وكان أبعد من أن يرفض الموافقة عليها إلى حد أنه أمر تلاميذه بالسلوك على المنوال نفسه وأحدهم تجاه الآخر (يو١٣: ٤-١٦)؟ فضلاً عن ذلك، وعندما كان الرسل أنفسهم متقّلين بخدمة الموائد، تفرَّغوا هم أيضاً للصلاة والفهم بوَصْفهما أسمى أشكال العمل (أع ٦: ٢-٤)، مُقرّين بأن كلا الأمرين ينبتان من الجذر المبارك نفسه[170]. (القدّيس مكاريوس الكبير)

✞ مغبوطةٌ هي، إذْ قبلت "الروح" الذي جعلها نقيّةً بريئةً من الدنس، فصارت الهيكل الذي سكنه ابنُ الأعالي السماوية. مغبوطةٌ هي، فلقد حفظت إكليل بتوليّتها العجيب، ومجدها إنمّا يسطع دائماً.. مغبوطةٌ هي، إذْ بها أُصلحت ذرية آدم، وأُعيد الذين كانوا قد هجروا بيت الآب. مغبوطةٌ هي، فلقد استطاعت دونما علمٍ منها بالعلائق البشرية، ودونما اضطراب، أن تتأمّل في ابنها كسائر الأمهات. مغبوطةٌ هي، إذْ قد لبث جسدها بلا وصمة، فمُجّد بثمر بتوليتها الناضج. مغبوطةٌ هي، فإن حدود حشاها قد وسعت تلك العظمة اللاّمحدودة التي تملأ السماوات العاجزة عن حملها. مغبوطةٌ هي، إذْ قد ولدت "الجدّ الأول" العامّ الذي أوجد آدم، وجَدّدت من ثمّ الخلائق المُتْلَفة كافة. مغبوطةٌ هي، فلقد أرضعت ذاك الذي يثير أمواج البحر. مغبوطةٌ هي، إذْ قد حملت الجبّار القدير الذي يحمل الكون ببأسٍ خفيّ، وعانقته وأوسعته مُلاطفاتٍ برقّة. مغبوطةٌ هي، فلقد أبرزت للسجناء محرّراً، ذاك الذي كبّل السجّان وأعاد السلام إلى الأرض. مغبوطةٌ هي، فشفتاها إنّما لامستا ذاك الذي نارُ جَمره تدفع السيرافيم المضطرمين إلى الوراء. مغبوطةٌ هي، إذْ قد استطاعت أن تغذّي بلبنها ذاك الذي أعطى الحياة لكل العالَمين. مغبوطةٌ هي، لأن القديسين أجمعين يدينون بغبطتهم لابنها. مباركٌ قدوسُ الله الذي نبت من نقاوتك[171]! (يعقوب السروجيّ)

✞ مريم هي المجد غير الموصوف للأب الأول الذي جُرّد، والتعزية والإصلاح لحواء التي سقطت حزينة، والمجدّدة للجنس البشري الذي وقع تحت اللعنة.. وهي الابنة الخالية من الخطيئة لأمّنا الأولى الخاطئة..

وسط قلقٍ هذا مقداره، أتوسّل إليك أيتها القديسة والدة الإله، الملاك بين البشر والشيروبيم المنظورُ في الجسد، ملكةُ السماء النقية كالهواء، العفيفة كالنور، البريئة من العيب على غرار كوكب الصبح في أعالي السماء!.. فلأجل طهارتك التي لا وصمة فيها وصلاحِك الذي لا دنس فيه، لأجل قداستك التي لا تتغير، تشفّعي برأفة وتقبّلي صلوات من لديه الثقة بطلباتك (172). (غريغوريوس الناريكي)

✞ نحيّيك يا مريم والدة الإله، يا كنزاً موقّراً للمسكونة بأسرها، ونوراً لن ينطفئ، وإكليلاً للعذارى، وصولجان الحق اليقين، وهيكلاً لا ينهدم، ومسكناً لذاك الذي لا سقف له، وأمّاً وبتولاً.. نحيّيك، فإنك أويت "اللاّمحدود" في حشاك البتوليّ!.. من تُراه جديراً بأن ينشد المدائح لمريم كما يليق؟ فهي، ويا للعجب، أمٌّ وبتولٌ معاً!.. إن هذه المعجزة تفعمني دهشة. فهل سُمع قطّ أن المهندس الذي شيّد هيكله الخاص محظورٌ عليه أن يتجاوز عتبته؟ وأي ضير في أن يرفع أمته إلى منزلة الأمّ! لذلك العالم بأسره يهتزّ حبوراً (173). (القدّيس كيرلس الإسكندري)

✞ يا والدة الإله العذراء الملكة، لا تحتقرينا، نحن خدامك الذين في خطر عاصف الحياة والمطروحين للوحش الذي لا يستكين البتّة. يا من هي أرفع قدراً من القوات العلويّة، الحمامة التي ذهّبها الروح القدس، مجد الرسل والأنبياء والشهداء وفخرهم، معونة البشر أجمعين، البرج الثمين المتوّج كلّه بالذهب، المدينة ذات الاثني عشر باباً، الفردوس، القارورة الزكيّة لعطور الروح، السور المنيع والعضد الإلهي، متراس المعابد الأمينة ونصيرة النفوس الورعة وحماية الأجساد العفيفة، نكرّمك أيتها السيدة البريئة من كل عيب، ونسبّح ابنك وربك، المسيح المحب البشر وحده، حتى نجد نعمة ورحمة في يوم الدينونة، أيتها السيدة (174). (القدّيس رومانوس المرنّم)

السبت من الأسبوع الأول

(المعظّم في الشهداء ثيوذورس التيرونيّ)

الرسالة عب ١:١-١٢ / ٢ تيمو ٢:١-١٠ الإنجيل مر ٢:٢٣-٣:٥

"إحتمل المشقّات كجنديّ صالحٍ ليسوع المسيح" (٢تيم ٢:٣)

✞ لقد كانت الظلمات منتشرةً من حول الشهداء، فيما كان النور ساطعاً في قلبهم. ما كانوا يرون بعيونهم في ظلمات سجنهم، بل كانوا يرون الله بفضل الحب الذي كانوا يكنّونه لإخوتهم. فمن يكره أخاه إنما يسير ويخرج ويعود ويرحل، دون أن يكون مكبّلاً بالقيود ودون أن يكون محتجزاً في سجن، ومع ذلك فهو مكبّلٌ بجريمته. ولا تظنّنّ أنه ليس مسجوناً، فقلبه هو سجنه (175). (المغبوط أغسطينوس)

✞ إن المسيح لا يدع مخلّفات الشهداء حال موتهم، بل هو متّحدٌ ونفوسَهم بحيث يكون حاضراً بل مختلطاً بذاك الغبار غير المحسوس. وإن كان ممكناً إيجاد المخلّص وإحرازه في شيء ما من المنظورات، ففي هذه العظام يمكن ذلك (176). (القدّيس نيقولا كاباسيلاس)

✞ ذاك الذي يلمس رفات الشهداء إنما ينال اشتراكاً في قداستهم، من جرّاء النعمة المقيمة في أجسادهم (177). (القدّيس باسيليوس الكبير)

✞ عبر الخدّام إنما نمجّد السيد أوّلاً (178). (القدّيس باسيليوس الكبير)

✞ لست أهتم بشيء على الإطلاق ما خلا قول الحقيقة، وإني لسوف أقولها دونما خشية من أحد، حتى ولو كان عليكم أن تقطّعوني لذلك إرباً في الحال (179). (القدّيس يوستينوس)

✞ إن طالبني الامبراطور بما يعود لي، بأراضيّ ومالي، فلن أواجهه بأي رفض، مع أن كل خيراتي للفقراء. وأمّا الأمور الإلهية فليست تابعةً قطّ للإمبراطور (180)! (القدّيس أمبروسيوس)

✞ إن مجد الاستشهاد ليس أقل شأناً حين لا يموت المرء قدام جمهورٍ غفير، بما أن الدافع إلى الموت يبقى في قضيّة المسيح. كما وأن شهادة الاستشهاد كافية، حين تَرِد ممّن يختبر الشهداء ويكلّلهم (181). (القدّيس كبريانوس)

✞ هوذا ما عليه ترتكز شجاعة الإيمان وقوته: أن يُعتقد ويُعرف بأن الله قادرٌ على إنقاذنا من الموت الحاضر، ومع ذلك أن لا يُخشى الموت، وأن لا يُستسلم لهذا الخوف، بغية تقديم دليلٍ على الإيمان أرفع قدراً (182). (القدّيس كبريانوس)

✞ أيّها الإخوة الأحبّاء، لا يرتضينَّ أحدٌ بينكم أن ينال منه خوف الاضطهاد الآتي ومجيءُ المسيح الدجّال الوشيك، إلى درجة عدم إيجاد أسلحةٍ ضد كافة المخاطر في إرشادات الإنجيل، في وصايا السماء وإنذاراتها. فالمسيح الدجال يأتي، ولكن المسيح يأتي بعده. العدو يهاجم ويَعيث فساداً، ولكن الرب سرعان ما يبرز عقب ذلك فينتقم لآلامنا وجراحنا. الخصم يغتاظ ويهدّد، ولكن ثمة هنا من ينقذنا من يديه. إذاً، من يجب خوفه هو ذاك الذي لا يستطيع أحد أن ينجو عند غضبه.. كما وأن الله يرانا، وملائكته يروننا، والمسيح يرانا، فيما نصارع نحن ونَغلب في نضال إيماننا. يا لها من كرامة، يا لها من بهجةٍ في المجد، أن يناضَل أمام الله كرئيس وأن يُحرَز الإكليلُ بالمسيح كحكَم (183)! (القدّيس كبريانوس)

✞ فلنثابر يا إخوتي على استشهاد الضمير المتواصل فينا، عبر الدموع، والتيقّظ، والتضرّع، والندامة، وسائر إماتات الجسد (184). (القدّيس ثيوذورس الستوديتيّ)

أحد استقامة الرأي

الرسالة عب ١١:٢٤-٢٦، ٣٢-٤٠. الإنجيل يو ١:٤٣-٥١

"إنكم من الآن ترون السماء مفتوحةً وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن البشر" (يو ١:٥١)

✞ نحن المؤمنين نوقّر الإيقونات، ولكن لا كآلهة، بل نُظهر لها فحسب استعداد المحبة الموجَّهة إلى الشخص المصوَّر على الإيقونة. ولذلك، غالباً ما نحرقها كخشبٍ غير نافعٍ متى امّحت عنها الوجوه [185]. (القدّيس أثناسيوس الكبير)

✞ إن وجه المسيح عند الرومانيين يختلف عن وجهه عند اليونانيين، أو عند الهنود، أو عند الأحباش، لأن كلاً من هذه الشعوب يؤكد أن الرب قد ظهر له بالهيئة التي هي خاصةٌ به [186]. (القدّيس فوتيوس)

✞ لقد زعم هراطقةٌ أنه لم يكن إنساناً سوى في الظاهر، أمّا هو، ولكي يُظهر لنا أنّه كان مثيلَنا حقّاً، فقد شاء أن يولد، وأن يكون طفلاً، ويترعرع، مروراً بمراحل عمره [البشريّ] كافّة. وكما لو كان ذلك غير كافٍ، فقد شاء [أيضاً] أن يكابد كلّ ما تكابده الطبيعة البشريّة، من الجوع والعطش والتعب؛ ثمّ في آلامه أخيراً، أن يعرف الحزن، والعرق المماثل للدم، ووهناً أثار شفقة الملائكة. آه! وعندما يشاهَد قلقاً ومضطرباً قدّام الموت، فلا يعود في الإمكان الشكّ أنه لم يكن إنساناً حقّاً مثيلاً لنا[187]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✞ إن لم يكن في حشا مريم العذراء إلاّ مجرد إنسانٍ وليس ابن الله، فكيف كان من الممكن إذاً أن تُشفى، في زمن المسيح كما في أيّامنا، أمراضٌ جسدية وروحيّة متنوّعة إلى هذا الحدّ؟. وعليه، فلا نكُنِ البتّة على ضلالٍ وزيغان، نحن الذين ما عادوا يعرفون تردّداً ولا اضطراباً بعد قدوم الربّ اليوم، بل والذين هم في الطريق، أي في يسوع الذي قال: "أنا هو الطريق (يو ١٤:٦)" [188]. (أوريجانيس)

✞ كما أنّكم، عندما تزيّفون السِّمة نوعاً ما في النقود الملكيّة تكونون قد زوّرتم القطعة بكاملها، كذلك الذي يعرّض إيمانه للإصابة في أقلّ جزء منه إنّما يزعزعه

بالكامل، ما سيجعله يمضي قُدُماً في الانحراف. أين هم الذين يتّهموننا بحبّ النزاعات من جرّاء مجادلاتنا مع الهراطقة؟ أين هم الذين لا يقبلون بأيّ اختلافٍ حقيقيّ في ما بينهم وبيننا ويدّعون أنّ الأمر كلّه مسألةُ طموحٍ شخصيّ؟ فليسمعوا بولس إذاً وهو يعلن أنّ الإنجيل يُقلب ببدعةٍ ولو صغيرة (غلا ١:٧) [189]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✞ لن نكون عرضةً لانتقادات الكفرة بلا سبب، كما وأنّ عيوبنا الخاصّة هي التي تُسلّح ألسنة الملحدين ضدّ الديانة[190]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ إنّ التدبير الإلهيّ يُتيح للعقائد أن يوضَّح كلٌّ منها في حينه، إذْ من عادة حكمة الله الخفيّة أن تستخدم أفضل استخدامٍ حماقة الهراطقة الفاسدة[191]. (القدّيس مرقس الأفسسيّ)

✞ لا تنسوا، أيّها الإخوة، أنّ الأهواء الرديئة والعقائد الكافرة تسعى الواحدة تلو الأخرى، وتشاطر شقّ طريقها، كونها تجد موضعاً تلِج منه بيتَ الخاطئ، بداعي تخلّي الله العادل. فإنّ عيشةً في اللّذات لا تجعل صاحبها عرضةً للخطيئة فحسب، بل وللجحود حتى بالنسبة إلى الإيمان. وعليه، فإنّ الإمساك والاعتدال لا يؤدّيان إلى الفضلية فحسب، بل وإلى صحّة إيماننا بالله أيضاً[192]. (القدّيس غريغوريوس بالاماس)

✞ ثمّة في الكنيسة تفتيشٌ عمّا هو مكشوف، وليس من تفتيشٍ فيها البتّة عمّا هو مستور. إذاً، من يؤمن لا يفتّش قطّ، ومن يفتّش لا يكون قطّ مؤمناً[193]. (القدّيس إفرام السوريّ)

✞ لا بدّ من التفتيش والتدقيق في ما يقوله المعلّمون. فما يوافق الكتب المقدّسة اقبلْه، وأمّا الباقي فارفضه وانصرف بعيداً جداً عمّن يلتزمون بمثل تلك المعتقدات[194]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

✞ إنّه لبرهانٌ عن تقوًى عظيمةٍ أن تُكشف خُلوات الكفرة وأن يحارَب فيهم الشيطانُ الذي يخدمونه. ومن ثمّ ينبغي على الأرض بأسرها، وعلى الكنيسة كلّها المنتشرة في كلّ مكان أن تُمسك بأسلحة الإيمان ضدّهم. ينبغي تحاشيهم لئلاّ يتمكّنوا

من إيذاء أحد. ينبغي تسليمهم لئلاّ يتمكّنوا من البقاء في أيّ مكانٍ من مدينتنا[195]. (القدّيس لاون الكبير)

✠ يدرك هؤلاء الأعداء المبتغون إهلاكنا إدراكاً جيّداً أن كلّ ما نحاول القيام به لأجل خلاصنا إنّما يُقام به ضدّهم؛ بل ولمجرّد رغبتنا في خيرٍ ما، نتحدّى خصمنا. ثمّة بينهم وبيننا تعارضٌ متأصّل أثاره الحسد الشيطاني، بحيث أنّ تبريرنا يعذّبهم وقد سقطوا هم من تلك الخيرات التي إليها ترفعنا نعمةُ الله. إذاً هم ينهارون عندما ننهض نحن، ويفقدون قواهم عندما نستعيد قوانا. أدويتنا ضرباتٌ لهم، لأنّ شفاء جراحنا يجرحهم[196]. (القدّيس لاون الكبير)

✠ بالنظر إلى الأسفار المقدّسة والقوانين والتقاليد القديمة العهد، تصوّر كم من القرون مرّت على وجودها، كم من الأجيال التي عاشت على مرّ القرون العديدة قد بقيت بعدها، وكم كانت تُراعى في كلّ قرن. لذلك، خف من النظر إليها بعيون قوم اليوم، الذين، وفي سبيل "تقدّمهم" غير الخاضع لعقل، قد نبذوا باستخفافٍ الكثير من المقدّسات القديمة العهد المختصّة بالكتاب المقدّس والتقاليد[197]. (القدّيس يوحنّا كرونشتات)

✠ كلّ ما ضمّته وتبنّته الكنيسة المقدّسة، مهما كان، يجب أن يكون عزيزاً على القلب المسيحيّ. وكلّ ما تبنّته الكنيسة المقدّسة في المجامع المسكونيّة السبعة، عليك أن تُتمّه أيضاً، والويل لمن يزيد أو يُسقط كلمة واحدة[198]. (القدّيس سيرافيم ساروفسكي)

✠ من أراد أن يكون ابناً حقيقيّاً للكنيسة المستقيمة الرأي، فليُخضع صعوبة مراس عقله لقوانين الكنيسة، وليُطع أمه الكنيسة في أيّ حدث[199]. (القدّيس يوحنا الذهبيّ الفم)

✠ إنّها لميزةُ التقوى المسيحيّة أن تُحفظ بورعٍ صادقٍ تلك الأسسُ التي أطلعنا عليها تقليدُ الرسل[200]. (القدّيس لاون الكبير)

✠ الآن ونحن نقتفي بكلّ احترامٍ اعتقادات الآباء القدّيسين، ولا سيّما اعتقادات أبينا أثناسيوس المبارك والذائع الصيت، رافضين تجاوزها ولو بأدنى حدّ، فليقتنع قدسُكم (يوحنّا الأنطاكيّ) إذاً ولا يشعرنّ أحدٌ آخر بأيّة ريبة.. وإنّنا لا نكابد الإيمان ليزعزعنا

من ثمّ أيُّ أحدٍ بأيّ شكل من الأشكال، الإيمان الذي حدّده ــ أعني دستور الإيمان ــ آباؤنا القدّيسون الملتئمون في نيقية إبّان عصرهم. كما ولا نسمح، سواء لأنفسنا أم لآخرين، بتبديل كلمةٍ ممّا هو محفوظٌ عنهم، ولا بالتعدّي على مقطعٍ لفظيّ واحدٍ فقط، ذاكرين ذاك الذي قال: "لا تزح الحدود القديمة التي وضعها آباؤك (أم٢٢:٢٨)"، لأنّهم ما كانوا هم المتكلّمين بل روحُ الله[201]. (القدّيس كيرلس الإسكندريّ)

✞ لا ريب في أنّ اللغات مختلفةٌ على سطح البسيطة، ولكنّ قوّة التقليد واحدة موحّدة. وكما أنّ الشمس، خليقة الله هذه، هي واحدة موحّدة في الكون بأسره، هكذا كرازة الحقّ تسطع في كلّ مكان وتضيء كلّ الناس الراغبين في التوصّل إلى معرفة الحقّ، بحيث أنّ أشدّ رؤساء الكنائس اقتداراً في الكلام لن يعلّم عقيدةً أخرى – إذْ لا أحد فوق "المعلّم" – وأنّ الأضعف في الكلام لن يُنقِص هذا التقليد. ذلك أن الإيمان، كونه واحداً موحّداً، لا يغتني بمن يستطيع الكلام كثيراً، ولا يفتقر بمن لا يستطيع الكلام إلاّ بمشقّة[202]. (القدّيس إيريناوس)

✞ لقد تفحّصت المعتقدات كافّة على التوالي وانتهيت إلى الالتزام بالمعتقد الحقّ الذي هو معتقد المسيحيّين[203]. (القدّيس يوستينوس)

✞ لقد تركنا المسيحُ في الدنيا لننشر النور، لنكون الخميرة، لنكون راشدين وسْط الأولاد، وروحيين وسْط الجسديّين، وبذاراً تُنتج الثمر الكثير. هكذا تقوم الأفعال بنفْعٍ مقامَ الأقوال، ولن يوجد الوثنيّون من بعدُ إن سلكنا كمسيحيّين حقيقيّين[204]. (القدّيس يوحنّا الذهبي الفم)

✞ نحن تلاميذ الصيّادين، والعشّارين، وصانعي الخيام، وذاك الذي كان يترعرع في بيت نجّار[205]. (القدّيس يوحنا الذهبيّ الفم)

✞ أصلّي إلى الله ــ نظير سليمان ــ أن لا أفكّر ولا أتفوّه بأيّ شيءٍ عنه قد يكون خاصّتي[206]. (القدّيس غريغوريوس اللاهوتيّ)

✟ كلّ ما تسمعونه في قانون الإيمان إنّما تحويه صفحات الكتاب المقدّس[207]. (المغبوط أغسطينوس)

✟ الخارجون عن الكنيسة يصيرون عِلّة موتهم الخاص[208]. (القدّيس إيلاريوس)

✟ إن كان صحيحاً بأنّ الأعمال تجد سببَها في الإيمان، فإنّ الإيمان يُظهر قوّته من خلال الأعمال (أنظر يع ٢:١٧؛ غلا ٣:١٠ – ١١) [209]. (القدّيس لاون الكبير)

✟ على الحرب التي تُشن في سبيل إرضاء الله ألاّ تكون خاليةً من كل خبثٍ فحسب، بل وأن تكون أيضاً بلا عيبٍ ولا لومٍ بالنسبة إلى كلّ كلمةٍ من الله [210]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

✟ أن لا يعرف المرء شيئاً، حتى ولا قضيّةً واحدةً من كلّ ما صُنع، وأن يؤمن بالله ويواظب على المحبّة، أفضل له من أن ينتفخ بعِلمٍ ما فيَزيغ عن المحبّة التي تحيي الإنسان. وأن لا يتوخّى أيّ علمٍ آخر خارج يسوع المسيح، ابن الله، المصلوب من أجلنا، أفضلُ له من السقوط في الثرثرة والكفر، منجذِباً بدقّة الأسئلة[211]. (القدّيس إيريناوس)

✟ كلّ نسكٍ وكلّ فضيلةٍ إنّما تكون باطلةً بدون المحبّة الروحيّة. ففي وسع الشيطان أن يقلّد كافّة الأعمال الصالحة التي نقوم بها علانية، بيد أنّه ينهزم حقّ الهزيمة فيما يتعلّق بالمحبّة والتواضع. وهوذا ما أعنيه: نحن نصوم، أمّا هو فلا يأكل شيئاً على الإطلاق، نحن نسهر، أمّا هو فلا ينام البتّة. فلنمقت إذاً الكبرياء، لأنْ بها سقط هو من السماوات، وبها يودّ جرّنا معه. ولْنهرب أيضاً من المجد الباطل الخاصّ بهذا الدهر، الذي هو كزهر العشب الزائل (أشع ٤٠:٦). وقبل كل شيء، فلنحفظ الإيمان المقدّس القويم بإصرار، إذْ هو القاعدة والأساس فعلاً لكلّ حياتنا في الربّ. ولنحبّ قداسة النفس والجسد لدينا، لأنْ بدونها لا يعاين الربّ أحد (عب ١٢:١٤) [212]. (القدّيسة ميلاني)

✞ أيّتها النفس المسيحيّة، أنت المتجنّبة الكذبَ لتتّخذي لك مكاناً في مدرسة الحقّ، انتفعي إذاً بإيمانٍ من الحكاية الإنجيليّة. تبصّري أعمال الرب المنظورة بعقلٍ روحيٍّ تارّةً، وبنظرٍ جسديٍّ طوراً، تماماً كما لو كنت بصحبة الرسل. أنسبي للناسوت حقيقة أنّ الربّ قد وُلد طفلاً من امرأة، وللاهوت حقيقة أنّ بكارة أمّه لم يفضّها لا الحبلُ به ولا مولده. سلّمي بالعبودية الملفوفة بالقُمُط المُضجعة في مذود (لو ٢:٧؛ في ٢:٧)، ولكن اعترفي بالربوبيّة التي بشّر بها الملائكة (لو ٢: ٩-١٤)، ونادت بها العناصر وسجد لها المجوس (متى٢: ١-١١). أدركي أنّ عدم رفض وجبة العرس (يو٢: ٢) إنّما يتعلّق بالإنسان، واقبلي أنّ تحويل الماء خمراً فيها يتعلّق بالله. أقرّي بمشاعرنا فيه عند ذرْفه العبرات على صديقٍ متوفّى (يو١١:٣٥)، وتحقّقي من القدرة الإلهية عند إحيائه الصديق نفسه، المنتن بعد أربعة أيامٍ في القبر، لمجرّد أمر صوته. لصُنع الطين في التراب والريق (يو٩:٦)، كان الجسد هو الفاعل؛ أمّا أن تستنير حدقتا الأعمى وقد طُليتا بهذا الطين، فلا ريب في أنّ ذلك متعلّق بتلك القدرة التي كانت قد احتفظت لإظهار مجدها بما لم تمنحه لمبادئ الطبيعة. التخفيف من تعب الجسد براحة النوم إنّما يختصّ بإنسانٍ حقيقيّ (متى٨:٢٤)، أمّا تسكين شدّة العواصف الهائجة بأمرٍ ناهٍ فهذا ما يختصّ بإلهٍ حقيقيّ. إطعام الجياع (مر٨:٢) هو فعل الطيبة البشريّة وقلبٍ يهتمّ بالآخر، أمّا إشباع خمسة آلاف رجلٍ، ما عدا النساء والأولاد، من خمسة أرغفةٍ وسمكتين (متى١٤: ١٩-٢١)، فمن سيجرؤ على الإنكار بأنّه فعلُ الألوهيّة؟ ومن ثم ففي استعانتها بخدمات جسدٍ حقيقيّ معها، أظهرت هذه [الألوهية] أنّها كانت في الناسوت وأنّ الناسوت كان فيها. أيّها الأحباء، في حفظكم بقلبٍ لا يتزعزع هذا الإيمان بتجسّد الربّ، والذي يجعل من الكنيسة بأسرها جسد المسيح (كو١:٢٤)، صوموا عن كافّة أكاذيب الهراطقة.. انبذوا حُجج حكمة العالم.. احفظوا في النفس برسوخٍ ما تقولونه في قانون الإيمان.. كونوا سماويين (في٢:٢٠)، لا بالرجاء فحسب، بل بالسلوك أيضاً[213]. (القدّيس لاون الكبير)

الاثنين من الأسبوع الثاني

القراءات إشع ٤: ٢-٦؛ ٥: ١-٧ / تك٣: ٢١ - ٤: ٧ / أم٣: ٣٤ - ٤: ٢٢

"لأنّ الربّ يغسل وسخ بني صهيون وبناتها"(إشع ٤: ٤)

✞ حين يكون النظر شرِهاً تتأجّج الرغبات تدريجيّاً، والعيون المعتادة على النظر بقِحةٍ متزايدةٍ تُضرم من ثمّ شهوةَ الشغف إذْ يُعطى لها بذلك كلُّ الوقت الكافي. إذاً فلتُمنع المشاهد والاستماعات الملأى بالأضاحيك والكلام الفارغ. ذلك أنّ هذا الحماس إزاء التفاهات وهذه الطموحاتِ المخالفة للصواب وأيضاً هذه التبذيراتِ الباطلة للموارد ليست قطّ [من قبيل] التسليات[214]. (اكليمنضوس الإسكندريّ)

✞ تُثار طاقة الشهوة في النفس عبر الأفكار المتّقدة تجاه النساء. وهكذا أفكارٌ يسبّبها عدم الاعتدال في الطعام والشراب، وكذلك التخاطب المتواتر الفاقد الوعي مع النساء المعيّنات. ومن ثمّ فهي تُقطع بالجوع، والعطش، والأسهار، والانسحاب من المجالس. أمّا طاقة السخط فتضطرب عبْر الأفكار المتّقدة تجاه من أهانونا. وهذا يسبّبه إطلاق العنان للأهواء، والغرور، وحبّ الماديّات. وبسبب رذائل كهذه يشعر الشخص الذي تسوده الأهواء بالغيظ، كونه أصيب بالإحباط أو أخفق أقلّه في الوصول إلى ما يريد. بيد أنّ هذه الأفكار تُقطع عندما تُنبذ وتُبطل الرذائل التي تستفزّها، بواسطة حبّ الله[215]. (القدّيس مكسيموس المعترف)

✞ ثمّة حربٌ [هنا]: حرب الرغبة في المال، حرب الحسد، حرب الأهواء. وإذْ يصف بولس هذه الحرب يقول: "نحن لا نصارع ضدّ اللحم والدم (أف٦: ١٢)". وبما أنّ هذه الحرب وشيكةٌ دوماً، فهو يريدنا أن نبقى مسلّحين في كلّ حين[216]. (القدّيس يوحنا الذهبيّ الفم)

✞ في الحرب الجسديّة، كلّما كان الخصم خسيساً وضعيفاً كان الخزي أكبر إن تُرك له المجال لينتصر. وكذلك الأمر في النضال الروحيّ؛ ذلك أنّ المتهاون إزاء الصغائر سيعاين تمام كلمة الكتاب (يع٢: ١٠)[217]. (القدّيس كيساريوس)

✞ إذاً، على المرء أن يحفظ نفسه نقيّاً من كلّ شيء في آنٍ معاً: من الشهوات، من الشيطان، من هيجان العالم، وأيضاً من التقاليد البشريّة والمشيئات الخاصة، حتى ولو بدت حسنة بالحريّ ووجدت لها سنداً في الناموس، ما دامت تسبّب تأخيراً، ولو طفيفاً، للمبادرة الجزيلة الحميّة التي ينبغي إظهارها تجاه مشيئات الله [218]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

✞ بكلمة، ذاك الذي لا يكون يقظاً في نفسه ولا يحرس فكره، لا يمكنه أن يصبح نقيّ القلب ولا يمكنه من ثمّ أن يعاين الله. ومن لا يكون يقظاً في نفسه لا يمكنه أن يكون مسكيناً بالروح، ولا يمكنه أن يبكي وأن يكون نادماً، ولا أن يكون لطيفاً ووديعاً، ولا أن يكون جائعاً وعطشان إلى البرّ، ولا أن يكون رحيماً، ولا أن يكون صانع سلام، ولا أن يكابد الاضطهاد من أجل البرّ[219]. (القدّيس سمعان اللاهوتي الجديد)

✞ عندما يتسكّع الذهن تُثبّته القراءة والسهر والصلاة، وعندما تتوقّد الشهوة يُخمدها الجوع والتعب والتوحّد، وعندما يثور القسم الغضبيّ تُهدّئه تلاوة المزامير والصبرُ والرحمة، وعلى أن يتم ذلك في الأوان ووفقاً للقياس المناسبين، لأن كل ما هو متطرفٌ وغير مناسبٍ يدوم قليلاً، وما يدوم قليلاً يكون مؤذياً أكثر مما يكون نافعاً[220]. (إفاغريوس البنطيّ)

✞ ينبغي ألاّ يكون المرء عبداً لجسده، ما لم يكن ذلك لضرورةٍ قصوى. وأمّا النفس، فالأفضل لها ينبغي تزويدها به، بغية تحريرها بحبّ الحكمة كما من سجن، من العلاقة التي تربطها بأهواء الجسد، وفي الوقت عينه منح الجسد الوسائل لقهر هذه الأهواء. وعليه، فإنّ تكريس الاهتمامات حصريّاً لتزويد الجسد بالراحة يعني عدم معرفة الذات، وعدم فهم ذلك المبدأ الحكيم القائل بأنْ ليس ما يُرى هو الذي يؤلّف الإنسان، بل أنّ ثمة حاجةً لحكمةٍ عُليا سيعرف كلٌّ منّا من هو بفضلها. بيد أنّ هذا ـــ في حال عدم تطهّر الذهن ـــ يكون مستحيلاً أكثر ممّا يستحيل على العيون التي أصابها الرَّمصُ أن تعاين الشمس. ولكنّ تطهير النفس، بكلمة، يعني أن

تُعامل لذّاتُ الحواس باحتقار، فلا تُغذّى العين بعُروض المشعوذين الشاذّة أو بمشهد البدن التي تغرز فينا شوكة اللّذة، ولا يُسمح للأذنين بسَكب نغمٍ ماجنٍ في النفس، إذْ لا ريب في أنّ أهواءً وليدةَ البذاءة والدناءة تنبت فيها تلقائيّاً تحت تأثير هذا النوع من الموسيقى. وأمّا تلك الأبخرة الجزيلة الأصناف التي تحمل الشهوة إلى الشمّ عبر امتزاجها بالهواء، أو تلك العطور التي يُصطبغ بها، فإنّي أخجل حتى من منْعها عليكم. وماذا أقول عن لزوم عدم السعي وراء مُتَع اللّمس والذوق، سوى أنّها تُرغِم المتفرّغين لملاحقتها على العيش كالماشية، مُنحنين نحو البطن وما أسفل. إذاً هذا الاهتمام المفرط بالجسد إنّما هو ضررٌ للجسد نفسه وعائقٌ للنفس في آنٍ معاً، ما يجعلها تتذلّل أمامه صائرةً أمةً له، وهذا ما سيكون من الحماقة بوضوح. فحين يتجاوز المرء الحدود الضروريّة، يُضحي شبيهاً بمن يُجَرّون على منحدر، حيث لا مستقرّ لأقدامهم وحيث لا مرتكز لإيقاف الحركة إلى الأمام(..) وذلك بغية إشباع هواه. فلنباشر إذاً العمل الأفضل، إذْ من المُخزي إهمالُ الوقت الحاضر والتأسّف على الماضي لاحقاً، حين سنبدّد جهدنا في التأسّف[221]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

✠ أذكّر وأنصح محبّتكم بأن لا تنصتوا البتّة إلى "السيّئ النيّة"، وأن لا تدعوا أنفسكم لتؤخذوا ثانية بتلك العادة الرديئة، عادة الشراهة التي لا تشبع، وأن لا تعودوا أدراجكم نحو إشباع الرغبات السيئة القديم. بل فلنكرم هذا الأسبوع الثاني من الصوم كما [الأسبوع الأول]، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الأسابيع الأخرى.. لا نقبلنّ الآن أن نخسر ما قد ادّخرناه منذ قليل، بل فلنجتهد بالحريّ لنزيد عليه ونكثّره، وما حظينا ببنائه سالفاً لا نُشْقينّ أنفسنا الآن بهدمه (غلا٢:١٨). فليتذكر كلٌّ منكم المنفعة الموجودة في الصوم، وأيّة عطايا كافأه بها الله في هذه الأيام القليلة، وليصر من ثمّ أوفر حميّة في المستقبل.. فالصوم، هذا الطبيب لنفوسنا، إنّما يبدّد الظلام بهدوء ـــ بالمعنى المجازيّ ـــ والبرقع الذي تبسطه الخطيئة على النفس، طارداً إيّاه كما تفعل الشمس بالضباب. الصوم يجعلنا نرى بالعقل ذاك الجو الروحيّ

الذي فيه ترتفع، بل تسطع على الدوام الشمسُ التي لا تغرب، المسيح إلهنا. الصوم، إذ يستدعي السهر إلى معونته، إنما يخترق ويليّن كلّ ما كان قاسياً في القلب، وحيث كان السكر يسود قبلاً يفجّر ينابيع الندم. أيّها الإخوة، أناشدكم أنْ فليجتهد كلٌّ منا لتحقيق ذلك كله في نفسه. إذ حالما يتحقق ذلك، نمخر مع الله بسهولةٍ بحرَ الأهواء إلى خاتمته، فنعبر أمواجَ التجارب [الموجّهة إلينا] من طاغيتنا القاسي، ونبلغ مرفأ اللاّهوى. ولكن، لا يمكن القيام بذلك كلّه يا إخوتي في يومٍ واحد، ولا في أسبوع، بل بكثرة الوقت والجهد والتعب، وبالقدر الذي تهيّأ له وقرّره كلٌّ واحد، وأيضاً بنسبة إيمانه والاحتقار الذي لديه تجاه مواضيع البصر والعقل. فضلاً عن هذا أيضاً، وحسب حميّة توبته المتواصلة والنشاط عينه الذي يزاول دائماً في حُجرة نفسه الخفيّة (متى٦:٦)، يتحقّق ذلك بأوفر سرعة أو بطء، بهبة الله ونعمته، فيما بدون الصوم لم يكن في الإمكان أبداً لدى أحدٍ أن يتحقق أيٌّ من ذلك كله ولا أيٌّ من الفضائل الأخرى. في الواقع، الصوم هو المنطلق والأساس لكلّ نشاطٍ روحيّ. إذاً، كلّ ما ستبنيه على هذا الأساس لا يمكن سقوطُه ولا انهياره من بعد، نظير ما يشيَّد على الصخر الراسخ. ولكن، أتنتزع هذا الأساس لتستبدله ببطنٍ ملآنٍ جداً ورغباتٍ فاسقة؟ كلّ هذا، إنما يُسقط صرح الفضائل تماماً وقد جُرّ كالرمل بالأفكار الرديئة وسيل الأهواء (متى٧: ٢٦-٢٧؛ لو٦:٤٩). ولئلاّ يحدث لنا أمرٌ مماثل، فلنستقم إذاً بفرحٍ عظيمٍ على أساس الصوم الراسخ، ولنقاوم يا إخوتي، لنقاوم من صميم القلب[222]. (القدّيس سمعان اللاهوتي الجديد)

الثلاثاء من الأسبوع الثاني

القراءات إشع ٥: ٧-١٦ / تك ٤: ٨-١٥ / أم ٥: ١-١٥

"أحارسٌ أنا لأخي"؟ (تك ٤: ٩)

✠ من الواضح أنّ أيّام سِفر التكوين تبدأ عند نور الفجر، وبعد الليل ينتهي كلٌّ منها في الصباح. ولكن، بعد أن مال الإنسان الذي خلَقه نورُ البرّ إلى ظلمات الخطيئة، والذي حرّرته نعمةُ المسيح، صرنا نَحسب الأيّام انطلاقاً من الليالي، لأنّنا نجتهد في التوجّه لا من النور إلى الظلمات بل من الظلمات إلى النور، ونأمل أن يكون الأمر كذلك بمعونة الربّ[223]. (المغبوط أغسطينوس)

✠ إنّ الشيطان يطوف حول كلٍّ منّا، ومثلَ العدوّ الذي يحاصر موقعاً مُنيعاً، يتعرّف على الأرض محاولاً إيجاد جزءٍ في التحصينات يكون أقلّ متانةً وأقلّ مدعاةً للثقة، ليلج من خلال هذا المنفذ إلى الداخل. فهو يَعرض للعيون أشكالاً مغرية ولذّات سهلة المنال، بغية أن تُلحق هذه الرؤيةُ الضرر بالعفاف. ويجرّب الآذان بالموسيقى المطربة، بغية إضعاف وتليين صرامة المسيحيّ عبر سماع أصواتٍ حلوةٍ جداً. ويرشقه بالإهانات ليُثير لسانه، ويناوشه بالشتائم ليحرّض ذراعه على جنون القتل. وليجعلَ المرء عادم الاستقامة، يقترح عليه أرباحاً جائرة. وليجعل النفس أسيرة المال يَعرض عليها مكاسب مؤذية. وهو يعد بأمجادٍ على الأرض، لأجل خسارة أمجاد السماء، ويُغوي بخيراتٍ زائفةٍ للتّورية على الخيرات الحقيقيّة. وعندما يكون عاجزاً عن الخداع في الظلّ يهدّد جهاراً وعلانية، ملوّحاً برعب اضطهادٍ ثائر، متلهّفاً دوماً إلى قهر خدّام الله وميّالاً دوماً إلى الأذيّة، منافقاً في السلام وشرساً في الاضطهاد. وعليه، فإزاء فخاخ إبليس الغادرة كافّة، كما وإزاء كلّ تهديداته الواضحة، لا بدّ أيّها الإخوة الأحبّاء أن يكون ذهننا راسخاً جاهزاً تماماً ومسلّحاً، مستعدّاً دوماً أيضاً لصدّ الهجوم الذي يكون العدوّ مستعدّاً دوماً لشنّه. ولأنّ

المألوف أكثر هو أن تتسرّب هجوماته في الظلّ، وأنّ سهامه المرميّة خفيةً والمستترة تتغرز في جراحنا، مسبّبة خراباً أكثر جسامةً وأوفر أهميّةً كلّما رأيناه نحن أقلّ، فلنكن إذاً صاحين لنتعرّف على هذه أيضاً ونصدّها. وفي عداد هذه شرُّ الحسد.. وهو جذر أنواع الشرور كافة،(..) وأصل الكوارث، ومشتل التقصيرات، وغِذاء الزلاّت. فهو يلد الكراهية، ويشرّع الباب للغضب. الحسد يؤجّج الطمع، حين لا يكتفي المرء بما لديه في رؤيته آخر أكثر غنًى منه. وهو يثيرُ الطموح، عندما يلاحظ أحداً آخر أكثر تقدّماً منه في الأمجاد. ومتى أعمى الحسدُ شعورنا واستحوذ على خفايا أفكارنا، يُطرح من ثمّ خوفُ الله، ويُهمَل تعليم المسيح، ولا يُحسب حسابٌ ليوم الدينونة. هكذا الكبرياء تنتفخ، والقساوة تستشيط، والغدر يخون، ونفاد الصبر يبعث الاضطراب، والشقاق يصير حامياً، والغضب يغلي، ولا يُستطاع ضبطُ النفس من بَعد... عندئذٍ ينحلّ رباط سلام الربّ، وتتثلم المحبّة الأخويّة، وتتشوّه الحقيقة، وتنقطع الوحدة، ما يدفع إلى الهرطقات والانشقاقات، (..) حين يتذمّر المرء بداعي عدم تفضيله هو، وحين يرفض احتمال أحدٍ آخر يرأس.. عندئذٍ يتمرّد، ويثور، متكبّراً حسداً، مضلَّلاً بروح الخصام، عِدائيّاً في هيجانٍ وغَيرة... أمّا بالنسبة إلى تلميذ المسيح، فالحسد غير مسموحٍ به.. فلمَ ترمي نفسك في ظلمات الحسد؟ لمَ تتورّط في غيوم الحقد؟ لمَ يطفئ عمى الغيرة فيك نورَ السلام والمحبّة كلّه؟ لمَ تعود أدراجك إلى الشيطان الذي رفضته؟ لمَ تظهر نفسك مثيلاً لقايين؟ لا سيّما وأنّ حسد المرء وكرهه لأخيه يجعله مذنباً بجرم القتل، كما يصرّح يوحنّا في رسالته (١يو٣:١٥)[224]. (القدّيس كبريانوس)

الأربعاء من الأسبوع الثاني

القراءات إشع ٥: ١٦-٢٦ / تك ٤: ١٦-٢٦ / أم ٥: ١٥-٦:٣

"وأمّا مِن لامك فيُنتقم سبعين دفعةً في سبعة" (تك٤: ٢٤)

✞ اليوم اضطراب الحياة قد بلغ إلى حدّ أنّ الإثم يتفشّى والفجور يغمر المدن بكافّة أشكاله صائراً فيها الشريعة.. الشهوانيّة قد خرّبت كل شيء، والتطرّف إلى سيرةٍ مخنّثةٍ قد حطّ من شأن الكيان الإنساني. فثمّة تفتيشٌ عن كلّ شيء، ومحاولة [للقيام] بكلّ شيء، واغتصابٌ لكلّ شيء، وتشويشٌ للطبيعة، إذ يقوم الرجال غير مُبالين بدور النسوة وتتصرّف النسوة كالرجال.. [بل] ويُنادى بأنّه من الممكن الاستقرار في سيرةٍ مُحبةٍ للذّة. يا للمنظر الذي يُرثى له ويا للتقاليد التي لا تسمّى[225]! (اكليمنضوس الإسكندريّ)

✞ لا يجب البتّة ابتياعُ نسيان الهموم بالانشغالات التافهة.. ولكن، قد يعترضني أحدهم قائلاً أنْ لسنا جميعاً هواةً للحكمة. أيكون إذاً أنّا لا نسعى جميعنا إلى الحياة؟ ما الذي تريد قوله؟ كيف أتيت إذاً إلى الإيمان؟ وكيف تحبّ الله بعدُ وقريبك إن لم تكن تابعاً لحكمته؟ بل وكيف تحبّ نفسك إن لم تكن تحبّ الحياة؟.. ليس محظّراً إذاً أن تُدار شؤون هذا العالم كما يليق بحسب الله[226]. (اكليمنضوس الإسكندريّ)

✞ نحن في حالةٍ أسوأ ممّن يعملون في المناجم مكابدين الأتعاب والآلام... والأسوأ من كلّ شيء حقّاً هو أننا لا نُبالي إن حاول أيُّ شخصٍ تحريرنا من هذا الأسْر المرّ، بل نغتاظ ونستاء منه أيضاً. هكذا لا نكون أفضل من المجانين، أو نكون بالأحرى أسوأ منهم، إذْ لا نرغب حتى في التخلّص من جنوننا[227]. (القدّيس يوحنا الذهبيّ الفم)

✞ عندما نقوم نحن المؤمنين بتصرّفات الكفّار أو حين نكون بالأحرى ذوي استعداداتٍ أسوأ [منهم] ــ إذ ثمّة كثيرون بينهم هم أنفسهم ذوو سيرةٍ تتلألأ بالفضيلة ــ

فأيّة تعزيةٍ يُحصل عليها من ثمّ وأيٌّ نوعٍ من الغفران[228]؟ (القدّيس يوحنّا الذهبي الفم)

✠ أولئك الذين بإرادتهم يبتعدون عن الله، إنّما يجعلهم الله خاضعين للعُزلة التي اختاروها هم أنفسهم[229]. (القدّيس إيريناوس)

✠ علينا تقديم العناية أولويّاً لمن عُهد بهم إلينا فقط، أمّا الاشتراك في الشرّ وفي الأعمال العقيمة فمحرّمٌ في الحالات كافّة[230]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

✠ يسمّى الأشرار عالماً، يسمّى الكفّار عالماً، فلقد اتخذوا اسمهم من موضوع حبّهم.. إذاً، في حبّ الله نصير آلهة، وفي حبّ العالم نُدعى عالماً[231]. (المغبوط أغسطينوس)

✠ حبّذا لو أنّ الناس يبذلون من الحميّة لأجل الخير ما لديهم منها لأجل الشرّ، وأن يحوّلوا إلى رغبةٍ في التقوى تلك المسارَعة التي لديهم لأجل المسارح، والأعياد العديمة الجدوى، والهيام بالثروات، والمجد الباطل والظلم. فنحن لن ننكر كم أنّ الله يقدّرنا وأيّةَ قوةٍ لدينا إزاء الشيطان. وحيث الله، مَن سَينوي نصْب الفخاخ ومن ستكون لديه القدرة على الإيذاء [232]؟ (يوحنّا موسخوس)

✠ لقد تفجّع الرسول علينا هو أيضاً نبويّاً وقال: "ليس من يعمل صلاحاً، حتى ولا واحد (رو٣:١٢).."واعلموا هذا أيضاً، أنّها ستأتي في الأيّام الأخيرة أزمنةٌ عسيرة. فإنّ الناس سيكونون محبّين لذواتهم، جشعين، متعجرفين، متكبّرين، مجدّفين، عاقّين للوالدين، ناكري الجميل، فجّاراً، لا ودّ لهم ولا عهد، مُفترين، داعرين، شرسين، أعداءً للصلاح..(٢تيم٣: ١-٣)". ومن ثمّ، فالويل لنا، إذْ بلْغنا حدّ الشرّ الأقصى. قلْ لي، من منّا لا يشارك في الشرور الآنفة الذكر؟ أوَلم تتحقّق النبوءة فينا؟ أوَلسنا كلّنا شرهين؟ أوَلسنا كلّنا محبّين للذّة؟ أوَلسنا كلّنا مفتونين بالماديّات وعاشقين لها؟ أوَلسنا كلّنا شرسين؟ أوَلسنا كلّنا حاضنين للغيظ؟ أوَلسنا كلّنا حمّالين للخبث؟ أوَلسنا كلّنا خونةً لكلّ فضيلة؟ أوَلسنا كلّنا شتّامين؟ أوَلسنا كلّنا

مولعين بالسخرية؟ أوَلسنا كلّنا متهوّرين وطائشين؟ أوَلسنا كلّنا مُبغضين لإخوتنا؟ أوَلسنا كلّنا منتفخين؟ أوَلسنا كلّنا متعجرفين؟ أوَلسنا كلّنا متكبّرين؟ أوَلسنا كلّنا مفعَمين بالغرور؟ أوَلسنا كلّنا مرائين؟ أوَلسنا كلّنا مُخادعين؟ أوَلسنا كلّنا حسودين؟ أوَلسنا كلّنا عنيدين؟ أوَلسنا كلّنا متوانين؟ أوَلسنا كلّنا متقلّبين؟ أوَلسنا كلّنا كسالى؟ أوَلسنا كلّنا مهملين لوصايا المخلّص؟ أوَلسنا كلّنا ممتلئين شرّاً؟ أوَلم نصبح هيكلاً للأوثان بدلاً من أن نكون هيكلاً لله؟ أوَلسنا منازل للأرواح النجسة بدلاً من أن نكون مَساكن للروح القدس؟ أوَليست مُناشدتُنا لله الآب ادّعاء؟ أوَلم نصر أبناء الجحيم بدلاً من أن نكون أبناء الله؟ ونحن، الحاملين اسم المسيح العظيم، أوَلم نصبح أسوأ من اليهود؟ ولا يغتظْ أحدٌ عند سماعه الحقيقة. لأنّ متجاوزي الشريعة ــ كما هم في الواقع ــ كانوا يقولون: "لنا أبٌ واحدٌ هو الله (يو٨: ٤١)"، بيد أنّهم سمعوا من المخلّص: "إنّ أباكم أنتم هو إبليس، ورغبات أبيكم تبتغون أن تُحقّقوا (يو٨: ٤٤)"[233]. (القدّيس مكسيموس المعترف)

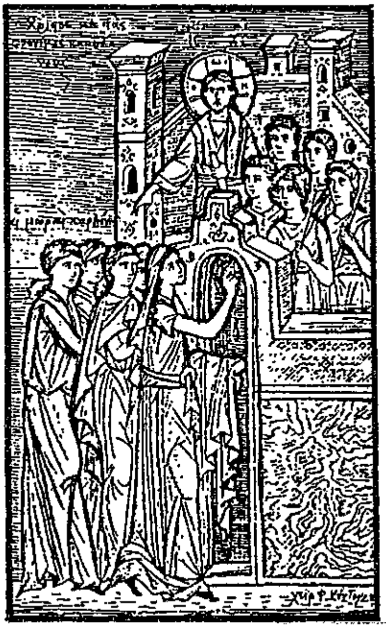

الخميس من الأسبوع الثاني

القراءات إشع ٦: ١-١٢ / تك ٥: ١-٢٤ / أم ٦: ٣-٢٠

"القلب الملتوي يخترع الشرور" (أم ٦: ١٤)

✞ من قلبٍ محبٍّ للّذة تنشأ الأفكار والأقوال العليلة.. وحين تلبث فكرةٌ ما داخل الإنسان، فهذا إنّما يُشير إلى تعلّقه بها.. ومن كان عقله يعجّ بالأفكار يفتقر إلى ضبط النفس.. والإنسان الذي تجرفه أفكاره يُعمى بها، وفيما يستطيع رؤية عمل الخطيئة الفعليّ لا يستطيع رؤية أسبابها[234]. (القدّيس مرقس الناسك)

✞ ذاك الذي يتعهّد النباتات الجيّدة الخالدة بالعناية في قلبه إنّما يكون مُحيّاه بهيجاً مُشرقاً، كما أنّ لسانه يُنشد الترانيم والصلوات ويكون لطيفاً جدّاً في التخاطب[235]. (نيكيتا ستيثاتوس)

✞ إنّ نقاوة القلب أو اليقظة وحِفظ الذهن، والتي صورتها العهد الجديد، لن تجتثّ كافّة الأهواء والشرور من قلوبنا فحسب، بل وستُدخل [إليه] الفرح، والأمل، والندم، والأسف، والدموع، وفهْماً لأنفسنا ولخطايانا، وتنبُّهاً للموت، وتواضعاً حقيقيّاً، وحبّاً لله والبشر لا يُحدّ، وتوقاً إلى الإلهيّات شديداً مخْلصاً[236]. (القدّيس إيسيخيوس الأورشليمي)

✞ لا تُطع قلبك ما لم تستأصل الشر [منه].. أمّا القلب فينسحق ندامةً بضبطٍ ثلاثيٍّ للنفس: في النوم، وفي الأكل، وفي الراحة الجسديّة[237]. (القدّيس مرقس الناسك)

✞ إنّ اللذة العابرة التي تلطّخ الفكر لا تعود تُقلق حتّى، ذاك الذي تأصّل مع المسيح بمماثلته في الموت، والذي بكرهه واستفظاعه لكلّ خبث، بل لمجرّد التخيّل الأهوائيّ، إنما يُبدي نقاوة قلبه[238]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

✞ لا أثر للبرّ يدوم في قلبٍ سكنه البخل. فهذا السمّ هو الذي أسكر يهوذا الغدّار، في عطشه للربح، وأوصله إلى الحبل المُميت[239]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ كن بوّاب قلبك كيلا يدخله أيٌّ غريبٍ وكي تقول: "أمعنا أنت أم مع أعدائنا (يشو٥ :١٣)"[240]. (يوحنّا موسخوس)

✞ عندما يعتبر المرء أنّ جميع الناس صالحون وعندما يبدو له أن ما من إنسانٍ نجسٍ أو دنس، فعندئذٍ يكون نقيّاً في قلبه[241]. (القدّيس إسحق السوريّ)

✞ لماذا يُقال لنا: "لنجعل قلبنا فوق"، إلاّ لِكيلا تكونَ الأفكار الأرضيّة على مستوى قلبنا، ما دمنا سنجعله فوق[242] ؟ (المغبوط أغسطينوس)

✞ إنّ مذبح الله هو قلبنا، المذبحُ الذي منه ينبغي أن ترتفع على الدوام شعلةُ حبّنا لله[243] . (القدّيس غريغوريوس الكبير)

✞ عندما تسمع يوحنّا صارخاً في البريّة "أعدوا طريق الربّ، اجعلوا سبله مستقيمة (مر ١:٣)"، افهم بهذه الكلمات وصايا للقلب كما للأفعال، إذ من المُحال بحقٍّ أن تُتّبع الوصايا وأن يُتصرّف بشكلٍ مستقيمٍ ما لم يكن القلب مستقيماً هو أيضاً[244]. (القدّيس غريغوريوس السينائيّ)

✞ عُد إلى قلبك وانظر ما الذي تختبره هناك، وأنّك صورة الله [245]. (المغبوط أغسطينوس)

✞ لنحفظ قلبنا يقظاً تماماً بمعونة الله، حتى إذا كنّا عاجزين عن تجنّب الخطايا الطفيفة وعن الإفلات منها كليّاً، نكون على الأقلّ أبطأ عرضةً لمُباغتتها إيّانا. ولنسرع، كلّما انهزمنا، إلى التكفير عنها بتنهّداتنا وتأوّهاتنا، وإلاّ خاطرنا بأن نغرق في المرفأ (الدير) نفسه. فلنرفض إذاً كل يوم، لا الخطايا البالغة فحسب، بل والهفواتِ البسيطة أيضاً كسُمومٍ من الشيطان[246]. (القدّيس كيساريوس)

الجمعة من الأسبوع الثاني

القراءات إشع ٧: ١-١٤ / تك ٥: ٣٢-٦:٨ / أم ٦: ٢٠-٧:١

"أمّا الزاني فلأجل نقص تمييزه يسبّب هلاكه" (أم٦:٣٢)

✠ بمخافة الله التي يحثّني عليها الإيمان، وبالمحبّة التي أدين بها لإخوتي، أعتبر نفسي ملزَماً بتنبيه لا العذارى فحسب، بل والنسوة المتزوّجات أيضاً ــ إذاً كلّ النسوة عموماً ــ بأنّ خليقةً صُنعَ الله الذي شكّلها يجب ألا تُغيّر أو تُفسد بأيّة وسيلةٍ ما كان طبيعيّاً، لا بمراهم التشقير، ولا بالتكحيل والتحمير، ولا بحيلةٍ أخرى أيّا كانت. فلقد قال الله: "لنصنع الإنسان على صورتنا ومثالنا (تك:١:٢٦)". إذاً، أفَيجرؤ أحدٌ على تبديل وتشويه عمل الله؟ ذلك أنّ الادّعاء بتعديل صُنعته وتبديلها إنّما هو اقتراف تعدٍّ ضدّ الله، وهو الجهل بأنّ كلّ من يولد يكون عمل الله وأنّ كلّ تغييرٍ يلحق به يكون من الشيطان. فلو أن رسّاماً بارعاً كان قد رسم بحسب الطبيعة خطوطَ شخصٍ ما وحُسنه وقامته الملائمة، ثمّ، حالما تمّت الصورة وكمُلت، جاء آخر يظنّ نفسه أكثر براعةً فلمس الصورة المرسومة بغية تصحيحها، فلسوف تبدو الإهانة اللاحقة بالفنّان الأوّل [عندئذٍ] خطيرة، وسوف يُعتبر سخطه عادلاً جداً. وأنت، أفتعتقدين بأنّك تُفرطين في تهوّرٍ وقحٍ كهذا وتُسيئين إلى المبدع الإلهيّ دونما عقاب؟ بل حتى ولو لم تكوني فاجرة قدّام الرجال، ولا ملوّثة بتلك التجميلات التي تُثير الشبق، فما دُمت قد أفسدت ونقضت عمل الله فأنت إنّما تكونين أردأ من الزانية. ذلك أن ما ترينه أنت زينة وما تعتقدينه أنت أناقةً إنما هو عكسٌ لعمل الله وتدنيسٌ للحقيقة.. هل توجد الصراحة والحقيقة حين يلوّث ما كان صريحاً، وحين يختفي تحت ألوانٍ مزيّفةٍ وتحت خُضاب الكذب ما كان حقيقيّاً؟ هذا ويصرّح ربُّك قائلاً: "لا تقدرُ أن تجعل شعرةً بيضاء أو سوداء (متى ٥:٣٦)". وأما أنت، أفتزعمين أنّك أشدُّ قدرةً من كلمة إلهك؟ فإنّك تصبغين شعرك بجهدٍ متهوّرٍ وازدراءٍ

منتهك، وتلوّنينه بلون اللهب، نذيراً مشؤوماً عمّا سيحدث لك يوماً! بل وتُخطئين، ويا للعار، برأسك، أي بأنبل جزءٍ من جسدك. وفيما قيل عن الربّ أن "رأسه وشعره كانا أبيضان كالصوف أو كالثلج (رؤ١٤:١)، تلعنين أنت الشعر الأبيض وتكرهين البياض الذي يجعل الهامة شبيهةً بتلك التي للربّ! وأسألك، أنت السالكة على هذا النحو: ألا تخشين قطّ أن يرفض الخالق التعرّف عليك متى حان يوم القيامة، وأن يصدّك وينبذك فيما تمثلين للتمتّع بمكافآته ومواعيده؟ ألا تخافين البتّة أن يقول لك بصرامة المُراقب والقاضي: "كلاّ، هذا ليس عملي، وهذه الصورة ليست صورتنا. فلقد غيّرت شعرك بصبغة مزيّفة، وشوّه الكذبُ وجهك مُفسداً قسماته، فهذا الوجه ليس وجهك! ومن ثمّ لا يمكنك رؤية الله، إذ لم تعُد لديك العينان اللتان صنعهما الله، بل العينان اللتان أفسدهما الشيطان. هذا [الأخير] هو الذي تبعته، فنسختِ لك عيني الحيّة الحمراوين المطليّين، وتزيّنت بألوان عدوّك، ولذلك سوف تحترقين معه"؟ وهذه الأمور – أسألك – أفلا يجب أن تكون محطّ تفكير إماء الله، وأن يرتجفن لهذا التفكير ليل نهار؟ فعلى النسوة المتزوّجات أن يرين ما إذا كنّ لا ينخدعن قطّ بحجّة أنهنّ ملزَماتٌ بإرضاء أزواجهن، وعليهنّ عند احتمائهنّ بهؤلاء كعُذرٍ أن يتفحّصن ما إذا كنّ لا يجعلنهم شركاء في زلّتهن بالموافقة المذنبة التي يُعطونها لهنّ. وأمّا العذارى، فأخال أنّ من يستخدمن مثل تلك الحيل منهنّ يجب ألا يُحسبن عذارى من بعد(247). (القديس كبريانوس القرطاجيّ)

السبت من الأسبوع الثاني

الرسالة عب ٣: ١٢-١٦ الإنجيل مر ١: ٣٥-٤٤

"لئلاّ يقسو أحدكم بغرور الخطيئة" (عب ٣:١٣)

✞ عندما يقول موسى: "قالت الحيّة للمرأة" و"قالت المرأة للحيّة" (تك ٣: ١-٤) و"قال الله للحيّة" (تك ٣:١٤)، إنّما في ذلك ألغاز. إذ ليس صحيحاً أن لم تكن ثمّة حيّة، بل بخلاف ذلك كانت ثمّة حيّةٌ فعلاً، لكنّ الشيطان هو الذي كان يتصرّف بواسطة الحيّة. وعليه، فإنّ الكتاب يقول "الحيّة" لأنّها هي التي كانت منظورة، لكنّه يشير إلى الشيطان بكنايةٍ ولغز. في الواقع، لو كان ذلك مجازاً (رمزاً) لوجب عدمُ وجود الحيّة هناك إلاّ بالاسم، كما قيل. والحال أنْ كان ثمّة واقعٌ ولغز، لكنْ واقعٌ أولاً وهو الحيّة. وبما أن الحيّة حيوان غير عاقلٍ بالطبع، وأنّها كانت تتكلّم فضلاً عن ذلك، فمن الواضح إذاً أن بتأثير الشيطان كانت تتكلم. ثم إنّ ذاك الذي له السلطان أن يكشف الأسرار والألغاز قد بيّن ذلك جليّاً في الأناجيل، عندما قال بشأن الشيطان: "إنّه من البدء قتّال الناس ولم يثبت على الحقّ، لأنّه كذّاب وأبو الكذب (يو٨:٤٤)". دقيقةٌ جداً هي هذه العلامة: "أبو الكذب"، لأنّه هو الذي كذب أوّلاً، وهو الذي ولد الكذب أيضاً. لذلك أردف الربّ قائلاً: "وأبو الكذب"، بدلاً من قوله "وهو الكذب بالذات". كان للربّ إذاً أن يجلو الألغاز، وأمّا الأنبياء والرسل فأن يبيّنوا الحقائق. لذلك قال موسى: "الحيّة"، وقال بولس الرسول: "الحيّة". فالرسول إنّما يوضح فكرته بهذه العبارات: "بيد أني أخاف من أنْ، على مثال حواء التي أغوتها الحيّة بمكرها، تُفسد هكذا أفكاركم (٢ كور١١:٣)". هنا، يدل هو أيضاً على الشيطان بالحيّة، لا لأن الحية كانت بالنسبة إليه حيواناً عاقلاً، بل لأنّه كان يُشير باللغز كذلك إلى الشيطان الذي كان يتصرّف [في الحية]؛ سيّما وأن كيد الخطط ليس فعل حيوانٍ غير عاقلٍ بل فعلُ كائنٍ عاقل(248). (ذيوذورس الطرسوسيّ)

✞ إنّا على علمٍ بجميع الأعمال السيئة حتى قبل ارتكابها، ولكنّا نتلقّن بوضوحٍ أكبر أنّها سيّئة بعد ارتكابها، وبوضوح أكبر بكثيرٍ عندما نعاقَب [عليها]. على هذا النحو، كان آدم عالِماً أيضاً بأنّ الطاعة هي الخير وأنّ العصيان هو الشرّ؛ إلاّ أنّه تلقّن ذلك بوضوحٍ أكبر لاحقاً، عندما نُفي من الفردوس وسقط من تلك الغبطة العظيمة لتذوّقه ثمر الشجرة. ولهذا دُعيت الشجرة "شجرة معرفة الخير والشر" (تك ٩:٢).. ذلك أنّ للكتاب العادة التالية: عندما يجري حدثٌ ما سواء في الأمكنة أو في الأزمنة، يدعو الأمكنة أو الأزمنة باسم الأحداث. إذاً، دُعيت الشجرة [هكذا] لا لحيازتها هي المعرفة، بل لأنّ برهان معرفة الخير والشرّ قد حصل بشأنها.. وكذلك اختبار العصيان أو الطاعة[249]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✞ لقد خطئ البشر الأوّلون وبعصيانهم الخاصّ أشاعوا العبوديّة، ولكنّ الآتين بعد تلك الأحداث قد وافقوا بخطاياهم الخاصّة على العبوديّة الشائعة. في الواقع، لو كان في إمكانهم الظهور أبرياء تماماً من الخطايا، لاستطاع البشر الآتون بعدهم أن يستحسنوا الاعتراض[250]. (القدّيس يوحنا الذهبي الفم)

✞ ما من أحدٍ يعطي ناموساً لمن لا يعرف بأنّ التعدّي شرّ، والحال أنّ الله أعطى ناموساً وعاقب من تعدّاه. بيد أنّه ما كان ليفعل هذا ولا ذاك لو لم يكن قد خلق الإنسان قادراً منذ البدء على التمييز ما بين الفضيلة والرذيلة[251]. (القدّيس يوحنّا الذهبي الفم)

✞ لم يُعطِ الله الناموس لإذلال طبيعتنا بل لإكرامها. إذاً، كيف زلّ الإنسان؟ ذلك بسبب طيشه[252]. (القدّيس يوحنا الذهبي الفم)

✞ كما أنّ الأمراض تبرّر وجود الأدوية، كذلك الخطايا تبرّر وجود العقوبات. لأنّ من كانت فضيلته ملازمةً لحياته، هو الذي لا يحتاج إلى مراقبةٍ من السلطة.. وكما أنّ الحاجة إلى الأدوية تولد من الجراح وأنّ اللجوء إلى الأدوية رهنُ حكمة الأطباء مع هذا، كذلك الحاجة إلى العبوديّة تولد من الخطيئة مع أنّ إحكامها على نحوٍ موافقٍ هو رهنُ حكمة الله[253]. (القدّيس يوحنا الذهبي الفم)

✟ أن يخطأ المرء فهذا بشريٌّ دونما شك، وأمّا المثابرة على الخطيئة فليست [أمراً] بشرياً بالمقابل، بل أمرٌ شيطانيٌّ تماماً[254]. (القدّيس يوحنّا الذهبي الفم)

✟ الكبرى في الرذائل البشريّة جميعها إنّما هي الوقاحة[255]. (القدّيس غريغوريوس اللاهوتيّ)

✟ الآثام والخطايا كلّها تعود إلينا سريعاً، إن لم ننتصر عليها كلّ يومٍ بأعمالٍ صالحة[256]. (القدّيس كيساريوس)

✟ يستحيل على الخطيئة أن تدخل القلب إن لم تطرق بابه أولاً تحت شكل نزوةٍ أثارها الشرّير[257]. (القدّيس إيسيخيوس)

✟ بقدر ما لديكم من رذائل، هكذا لديكم من خصوم[258]. (القدّيس كيساريوس)

✟ في حين أنّ ولادة الطفل تشير إلى خاتمة مخاض أمّه، تأتي ولادة الخطيئة بالضدّ لتسبّب تمزّقاتٍ مؤلمة في القلب الذي ولدها[259]. (القدّيس يوحنا الذهبي الفم)

✟ إنْ قاومنا شوكة الرذائل بنشاط، غالباً ما نحوّل الرذائل نفسها لجعلها في خدمة الفضيلة. فالبعض يستحوذ عليهم الغضب؛ ولكن، إن أخضعوه للعقل جعلوه في خدمة حميّةٍ مقدّسة. والبعض ينتصبون في الكبرياء؛ ولكن، إن حنوا نفوسهم في مخافة الله جعلوا من الكبرياء صوتَ الحرّية للدفاع عن العدل. وبعضٌ يميلون إلى الشرّ بداعي قوّة الجسد لديهم، ولكن حين يجعلون هذا الجسد ـــ الذي حثّهم على الشرّ ـــ مفيداً لمزاولة أعمال المحبّة يجتنون بذلك ثمار قداسة[260]. (القدّيس غريغوريوس الكبير)

الأحد الثاني

(أبونا الجليل في القدّيسين غريغوريوس بالاماس)

الرسالة عب١٠:١ - ٣:٢ الإنجيل مر٢: ١-١٢

"يجب علينا أن نُصغي إلى ما سمعناه إصغاءً أشدّ لئلاّ يسرب من أذهاننا" (عب ٢: ١)

✟ لقد سلّمنا إليكم بمحبّةٍ ما قد اتّخذناه من الآباء، سيّما وأن لا جديد لدينا لنزيده على ما قد تسلّمناه، وأنّنا لم نُعدّله بأي شكلٍ من الأشكال، بل كنّا نحفظ كلّ الأمور، مثلما [نحفظ] دستور الإيمان، وعلى الحالة التي أُعطيت فيها. وهكذا نقوم بالخدم تماماً كما فعل المسيح نفسه والرسل وآباء الكنيسة[261]. (القدّيس سمعان التسالونيكيّ)

✟ إنّ سلطة الآباء لا تزال حيّة في ما بيننا، وتعليمهم مستمرٌّ في طاعتنا[262]. (القدّيس لاون الكبير)

✟ ورُبّ قائل: "أليست العقيدة المسيحيّة قابلةً إذاً لأي تطورٍ في كنيسة المسيح؟ أكيداً، ينبغي أن يكون ثمّة تطورٌ فيها، بل تطورٌ مهمّ! فمن تراهُ يكون عدوّاً للبشريّة ومُعارضاً لله كفايةً حتى يحاول مقاومة هذا الأمر؟ ولكنْ مع هذا التحفّظ، أن يشكّل هذا التطوّر بالنسبة إلى الإيمان تطوّراً حقّاً لا تشويهاً. فخاصّةُ التطوّر هي النموّ دونما تغيير (أي أن تبقى الأمور تماماً على طبيعتها الخاصّة، أي ضمن العقيدة ذاتها والمعنى ذاته والفكر ذاته)، بينما خاصةُ التشويه هي تحوّل الشي إلى شيءٍ آخر.. وليكن الأمر في ديانة النفوس كما في نموّ الأجساد. فهذه الأخيرة تتّسع وتبسط أبعادها بتوالي السنين، بيد أنّها تبقى هي هي دوماً.. فإذا اتّخذ الشكل البشريُّ في ما بعدُ شكلاً غريباً تماماً عن جنسه، إذا بُتر أو أُضيف إليه عضوٌ ما، فلسوف يهلك الجسد كلّه حتماً أو يصير مشوّه الخلقة أو، في كلّ الأحوال، يكون ذا وهنٍ بالغ. وقوانين التطوّر هذه ينبغي تطبيقُها بالمثل على العقيدة المسيحية. فالسنوات تُوطّدها، والزمن يُنميها، والعمر يجعلها أكثر وقاراً. ولكن، فلتَبقَ بلا تحريفٍ ودون

أن تُمس، ولتكن كاملةً خاليةً من العيب في أبعاد أجزائها كافّة. ذلك أن كلّ ما زرعه إيمانُ آبائنا، في الكنيسة التي هي حقل الله، ينبغي علينا نحن أن ندرسه بحميّة، ونحرسه ونجعله يُزهر وينضج لكي ينمو ويصل إلى مِلئه. فمن العدل أن تفصّل العقائد القديمة المتعلّقة بالفلسفة السماويّة، وأن تتفتّح وتتجلي مع مرور الأزمنة، وأمّا الجرمُ ففي تشويهها واجتزائها والحذف منها. نعم، يمكنها تلقّي المزيد من الوضوح، المزيد من الإضاءة ومن الدقّة، لكنْ من الضروريّ أن تحافظ على مِلئها وكمالها ومعناها الحقيقيّ. لأنّك إن تنازلت عن العقيدة جزءاً فجزءاً سينتهي بك المطاف إلى طرْحها بجملتها. من جهةٍ أخرى، إنْ شُرِع في خلط الجديد بالقديم، والأفكار الغريبة بما هو أصيل، والدنيويّ بالمقدّس، فلسوف تشيع هذه العادةُ حتماً إلى درجةِ اجتياحها لكلّ شيء.. أمّا كنيسة المسيح، الحارسة اليقظة الحصيفة للعقائد التي سُلّمت إليها كوديعة، فلا تُغيّر فيها شيئاً البتّة.. وفي أمانتها الحكيمة للعقائد القديمة، تُركّز كلّ حميّتها على هذه النقطة الوحيدة: أن تُتقِن وتنقّح ما استوفى شكلَه الأوّل ورسْمه الأوّلي منذ القديم، وأن توطّد وترسّخ الآن ما هو جليٌّ وواضحٌ لديها، وأن تحافظ على ما قد ثُبّت وحُدّد آنفاً[263]. (القدّيس منصور [فانسان] الليرينيّ)

✠ أليس الهراطقة أنفسُهم يستخدمون شواهد من الكتاب المقدّس؟ بلى يستخدمون، وبحماسةٍ بالغة، إذْ يمكن رؤيتهم مُهَرولين بين مجلّدات الشريعة المقدّسة.. ولذلك صرخ الربّ قائلاً: "احذروا من الأنبياء الكذبة، الذين يأتونكم بثياب الحملان وهم في الباطن ذئابٌ خاطفة (متى٧:١٥). وماذا تعني "ثياب الحملان" إلاّ الأقوال التي الرسلُ والأنبياء، في صِدقهم كالحملان، قد نسجوها بمثابة جزّةٍ لذاك "الحمل الذي لا عيب فيه (١بط١:١٩)"، "الرافع خطايا العالم (يو١:٢٩)"؟ ومن هم الذئاب الخاطفة إلاّ عقائد الهراطقة الثائرين الحنِقين الذين لا يكفّون عن غزو صير الكنيسة، كلّما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، بغية تمزيق قطيع المسيح؟ ولكي يدنوا بأوفر مكرٍ من الحملان غير المحترِسة، يجرّدون الذئب من ظاهره مع احتفاظهم

بالشراسة، ويتدثّرون بحكم الشريعة الإلهيّة كما بجزّة، حتى إذا ما شعر أحدٌ بنعومة الصوف أوّلاً لا يخشى من ثمّ حدّ أسنانهم. ولكن، ماذا يقول المخلّص؟ "من ثمارهم تعرفونهم (متى٧:١٦)". واستناداً إلى تعليم بولس الرسول (٢كور١١:١٤)، كلّ مرةٍ يذكر فيها الأنبياء الكذبة أو المعلّمون الكذبة مقاطعَ من الشريعة الإلهيّة، محاولين دعم ضلالاتهم بتفاسير خاطئة، إنّما يكونون مقتفين ولا ريب طريقة معلّمهم الخادعة. ولم يكن الشيطان ليخترعها قطّ، حتماً، لو لم يكن يعلم جيّداً أنْ لا وسيلة للخداع أكثر ضماناً من دسّ سمّ الضلال عن طريق حجّة الكلام الإلهيّ وكما لو على يده! أمّا نحن، وفي تقيّدنا بحدّ الإيمان بمؤازرة الله، وبإخلاصٍ وفطنةٍ وحميّة، فلسوف نواجه في حينها وبلا أي حرجٍ كلّ ضلالات الهراطقة المؤذية التي تظهر.. وهنا، من هم الآباء الذين نُضاهي إثباتاتهم؟ إنّهم أولئك الذين عاشوا عيشةً مثاليّة، في الإيمان والشركة الجامعة، الذين علّموا الإيمان دوماً ولبثوا فيه، الذين ماتوا وهم أوفياء للمسيح بل أهلٌ للموت من أجله. فما أورثوه لنا، بعد أن تسلّموه من التقليد وحافظوا عليه هم أنفسهم، هو الذي ينبغي اعتباره أكيداً وثابتاً وصحيحاً.. إذاً، كلّ الراغبين في تقديم البرهان على أنّهم أولادٌ شرعيّون لأمّهم الكنيسة، فليتمسّكوا بإيمان الآباء القدّيسين المقدّس، وليتقيّدوا به بدقّةٍ وليموتوا عليه. أمّا [التعاليم] المستحدثة الدنيويّة فليبغضوها، ويستفظعوها، ويكافحوها، ويطاردوها[264]. (القدّيس منصور الليرينيّ)

الاثنين من الأسبوع الثالث

القراءات إشع ١٣:٨ – ٧:٩ / تك ٦: ٩–٢٢ / أم ٨: ١–٢١

"وما ينبغي أن تلتقوا كحجر عثرة" (إشع ١٤:٨)

✞ إن كان ما نقوم به أو نقوله صالحاً في حدّ ذاته مبدئيّاً، وعمد أحدهم بداعي المرض إلى استخدام هذا الفعل أو هذا القول لمضرّته، فلا يطالُنا حُكمُ المعثرة في هذه الحالة، كوننا قلنا أو عملنا الخير في سبيل بنيان الإيمان (أف ٢٩:٤).. لقد كُتب في شأن الربّ: "ها إنّه قد جُعل لسقوط ونهوض كثيرين (لو٣٤:٢)"؛ ولا يعني ذلك أنّ الربّ يحمل في ذاته المتناقضات، بل أنّ مستعملي كلامه هم أصحاب المشيئات المتعارضة.. ولكن، إن كان الفعل أو القول سيئاً بطبعه، فذاك الذي قام بهذا الفعل أو قال هذا القول إنما يستوجب الدينونة سواء على خطيئته الخاصة أم على المعثرة، حتى ولو لم يتعثّر هو مع أنه سبب المعثرة (متى٢٣:١٦). أخيراً، الحالة التي يكون الفعل فيها متعلّقاً مبدئياً بما هو مُباح؛ وإنّ تضرّرت النفوس الضعيفة في الإيمان أو في العلم بسببه ووجدت فيه ذريعةً للتعثّر، فذاك الذي قام به لا يفلت من حُكم المعثرة (١كور ١٢:٨؛ رو٢١:١٤).. وعليه، إن كان هكذا القضاء بصدد المباح، فماذا يُقال في المحرّم[265]؟ (القدّيس باسيليوس الكبير)

✞ لا نستسلمنّ للسكر والولائم في الفنادق وأماكن العهر، على طريق العودة من الكنيسة. لا نحولّنّ النهار إلى ليلٍ من فرط السكر، وإدمان الخمرة، والأغاني، والبغايا. إن شئت التمتّع بالشرب افعل ذلك في بيتك، لئلاّ تقع عن يدك المعثرة، لكنْ عد إلى بيتك بحكمة، بحُسن ترتيب، وفي الاعتدال واليقظة [البثْ] [266]. (القدّيس يوحنا الذهبي الفم)

✠ ليس القصد أنّا نودّ حسْم كلّ علاقةٍ اجتماعيّة، بل أنّا نحترس من مخاطر المجتمع كما من لقاءٍ سيئٍ[267]. (اكليمنضوس الإسكندريّ)

✠ ينبغي أن يُقصى كلُّ ما هو منحطٌّ للنظر أو للسمع على الإطلاق، وبكلمة، كلُّ ما هو عكرٌ ويترك لدى الحواسّ انطباعاً سيئاً[268]. (اكليمنضوس الإسكندريّ)

✠ إن تجنّب أحدُكم كلّ رفاهية على الإطلاق، متغذّياً بالبساطة، فلسوف يعتاد بسهولةٍ على تحمّل الصعوبات غير الإراديّة. وفي إلزام نفسه دوماً بتلك التجارب الإراديّة بغية التمرّس على الاضطهاد، لا يؤخذ من ثمّ بغتةً في المقاومة كلّ مرةٍ يقع فيها تحت وطأة الصعوبات والمخاوف أو الغموم المفروضة [عليه] [269]. (اكليمنضوس الإسكندريّ)

✠ اقبلْ برباطة جأشٍ تمازج الخير والشرّ، وعندها سيحلّ الله [مسألة] كلّ تباين[270]. (القدّيس مرقس الناسك)

✠ إن كان ملعوناً من عَمِل عَمَل الله باسترخاء (إرم٤٨:١٠)، فماذا يستحقّ إذاً ذاك الذي لم يعمله[271]؟ (القدّيس باسيليوس الكبير)

✠ لا تُقيَّم الشجرة انطلاقاً من أوراقها، بل ممّا تحمله من ثمر[272]. (القدّيس يوحنا الذهبي الفم)

الثلاثاء من الأسبوع الثالث

القراءات إشع ٩:٩ - ١٠ : ٤ / تك ٧: ١-٥ / أم ٨: ٣٢ - ٩ :١١

"معرفة الشريعة هي لفكرٍ صالح" (أم ٩ :١٠)

✞ حسب عبارة الربّ هذه: "وأنا متى رُفعت عن الأرض اجتذبت إلي الجميع (يو١٢ :٣٢)"، لم يبق شيء من التشريعات الناموسية، ولا شيء من الرموز النبوية، إلا وعبر تماماً إلى أسرار المسيح. فعندنا نحن رسم الختان (تك١٧ :١١؛ رو٤ :١١)، تقديس الميرون، سيامة الكهنة؛ عندنا نحن طهارة الذبيحة، حقيقة المعمودية، شرف الهيكل. إذاً، صار ممكناً للإنباءات التوقف بعد أن أتى الذي كانت تتبئ به، والاحترام الواجب للوعود ليس بلا غرضٍ طالما أن ملء النعم قد ظهر[273]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ المسيح هو غاية الناموس (رو١٠ :٤)، لا أنه يفرغ الرموز من معناها بل أنه يتمّمها. ومع كونه هو منشئ النظام القديم كما الجديد، إلا أنه بدّل الأسرار التي كانت تشتمل عليها الوعود الرمزية إذ قد أنجز ما قد وُعد به، ووضع حدّاً للتنبؤات لأنه هو الذي أنبئ به وقد أتى. ومع ذلك، فبين المبادئ الأخلاقية لم يُنبذ أيٌّ من مراسيم العهد القديم، بل وُطّد الكثير منها بالتعليم الإنجيلي[274]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ قبل مجيئه المنظور في الجسد، اعتاد كلمة الله المجيء روحياً إلى الآباء والأنبياء دالاًّ مسبقاً على سرّ قدومه... فلقد كانت نعمة العهد الجديد محجوبة سرياً في حرف العهد القديم، ولذلك يقول الرسول "إنّ الناموس روحيّ (رو٧ :١٤)".. بيد أن الإنجيل يبيّن لنا من خلال الحرف تلك الحقيقة نفسها التي وافت إلينا بعدما ألمع إليها الناموس ودلّ عليها مسبقاً في الأنبياء[275]. (القدّيس مكسيموس المعترف)

✟ إن المسيحي اليقظ يعترف بسهولة أن منطلقات العهد القديم كانت في خدمة مبادئ الإنجيل، وأن الميثاق الثاني قد أسسه الروح نفسه الذي أنشأ الأول[276]. (القدّيس لاون الكبير)

✟ إن الكتب الإلهية لا تحوي أيّ كذب، ومع ذلك فقد وُعد بالعلم التام للإيمان الصادق (أنظر يو٢٠:٢٩). إذاً، فلننتصب في نشاط أذهاننا المستنيرة لنستأهل بأن يعلّمنا الروح القدس. ولا نكتفينَّ بالاطّلاع على سياق الأحداث دون أن نحصر انتباهنا في سبب الحب المزاول لأجلنا؛ ففي معرفة الطبيعة البشرية بمقدار حبّ خالقها لها، إنّما ستزداد مُذ ذاك حباً له [277]. (القدّيس لاون الكبير)

✟ لم يُدوَّن الكتاب الإلهي بأسلوب عديم المهارة وغير متقن كما يرى البعض، بل بطريقةٍ توافق التعليم الإلهي وتنطبق على الحقائق والمعاني الروحية أكثر ممّا على السرد التاريخي[278]. (أوريجانيس)

✟ غالباً ما كنا ننبِّه في مطالعة الأسفار الإلهية إلى ضرورة بذل حميّة قادرة على التمييز، بفحص معمّق وحُكم مُعلَّل، متى ينبغي فهم روايات الأحداث التاريخية في بساطتها، ومتى ينبغي فهمها بالمعنى النموذجي، وذلك خشية ألاّ نجعل هذا وذاك بلا فائدة للسامعين عند استخدام هذا أو ذاك بلا قاعدة أو علم، إذا ما شُوّهت معرفة الأحداث البسيطة بادعاء وجود صور مسبقة فيها دونما دليل، أو خلافاً لذلك، إذا ما بقيت قوة الرموز المسبقة مجهولة بحجة الاعتقاد أن لا صلة للأمر سوى بمجرّد أحداث. وهذا يعني مع التحفّظ أنّ الكتاب الإلهيّ يُشرح بحيث كما أنه لا وجود فيه لأي شيء بدون معنى أو لا يستجيب لاحتياج ما، كذلك لم يُسرد فيه أي شيء لا يَلزمنا التنقيبُ عن معناه الروحي عبر التأمل[279]. (القدّيس إيلاريوس)

✟ باطلةً كانت كرازة الأنبياء لو لم يبرهن الرب، من خلال آلامه، أنّهم نطقوا بالصدق (أنظر متى٢٦:٥٦) [280]. (القدّيس يرونيمس)

✠ إن كرازة الإنجيل هي الأكثر ضآلة بين جميع المعتقدات، بخاصّةٍ لأن لا وجود لأيّ احتمال في هذا التعليم الذي يبشّر بإله متأنّس، ومسيحٍ ميْت، وبعِثرة الصليب. قارن معتقداً كهذا مع نظريات الفلاسفة، وكتبهم، وأبّهة بلاغتهم، وأسلوبهم المتناغم، فترى كم أن حبّة زارع الإنجيل هي أصغر من سواها. بيد أن الأخرى لا تبدي حين تنبت أيّة قوة، أيّة حياة، أيّة حيوية. بل الكل واهن ذابلٌ عاجزٌ لا يُنتج سوى بقول وأعشابٍ تيبس عاجلاً فتنتشر على الأرض، في حين أن كرازتنا الضعيفة ظاهرياً في بداياتها لا تُنبت أعشاباً بقْليَّة، بل تنمو لتصير شجرةً (متى١٣:٣١-٣٢) حالما تُزرع في نفس المؤمن أو في العالم أجمع[281]. (القدّيس يرونيمس)

✠ كل ما عُثر عليه ورُمز إليه من الخير لدى الفلاسفة والمشرِّعين إنّما بُحث عنه وحُصل عليه استناداً إلى مساهمتهم في "الكلمة"[282]. (القدّيس يوستينوس)

✠ فيما الكتب الدنيوية كثيرة، ليست الكتب المقدسة جميعها معاً سوى كتاب واحد[283]. (أوريجانيس)

✠ إن المبادئ التي نتقيد بها ليست مبادئ بشرية، بل قد قيلت وعُلّمت من قِبل الله[284]. (أثيناغوراس)

✠ لا يوجد تناقض البتة بين الأناجيل[285]. (القدّيس يرونيموس)

✠ إن الذي يؤمن بالأسفار الإلهية عن رأي راسخ ينال من كلام الله الذي أعطى الأسفار برهاناً لا يرقى إليه الشك، بيد أن الإيمان لا يصبح أشد رسوخاً بواسطة البرهان. ولهذا السبب، مغبوطون هم الذين لم يروا وآمنوا... لأن المعرفة حالة عقلية تنجم عن البرهنة، فيما الإيمان هبة تقود ممّا لا يبرهَن إلى ما هو كليٌّ وبسيط، لا مقترِنٌ بالمادة، ولا المادة نفسُها، ولا خاضع للمادة[286]. (اكليمنضوس الإسكندريّ)

✠ إن شئنا قراءة الكتاب المقدس بعناية وليس بشكل سطحيّ تمكنّا من اكتساب الخلاص، وإن ثابرنا على دراسته تعلّمنا العقيدة الصحيحة وطريقة حُسن العيش[287]. (القدّيس يوحنا الذهبي الفم)

✝ علينا أن ندرّب أنفسنا بحيث يسبح فكرنا ــ إذا جاز التعبير ــ في ناموس الله، الذي بإرشاده هو ينبغي أن تُساس حياتنا. وإنه لمن النافع جداً الانشغال بدراسة كلام الله في العزلة وقراءة الكتاب المقدّس كله بفهم... ومتى زوّد الإنسان نفسه هكذا بكلام الله، فحينئذٍ يمتلئ فهماً لما هو خير ولما هو شر[288]. (القدّيس سيرافيم ساروفسكي)

✝ لمَ تقلن فيّ حسناً هكذا؟ فإني مجرّد خاطئة، ولا أرى أني قُمت بأيّ شيء أو قلت أيّ شيء من الصلاح. وإن شئتنّ التعلّم، فلدينا جميعنا معلّم واحد هو الرب، ما يجعلنا قادرات على استقاء المياه الروحية من الينابيع عينها والاغتذاء باللبن من الأثداء عينها، التي هي أسفار العهدين القديم والجديد[289]. (القدّيسة سنكليتيكي)

✝ لا ريب أنك ستجد في الكتاب الإلهي الكثير من الإسعافات المضادة لشرّك، والكثير من الأدوية لاقتيادك من الهلاك إلى الخلاص. فثمّة الأسرار المُحيطة بالموت والقيامة، والأقوال بشأن الدينونة الرهيبة والعقاب الأبدي، والتعاليم بشأن التوبة وغفران الخطايا... وعليه، فلنستخدم هذه الأمثلة كإسعافٍ مضادٍّ لشرّنا، ولنداوِ بها أنفسنا[290]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

الأربعاء من الأسبوع الثالث

القراءات إشع ١٠:١٢-٢٠ / تك٧:٦-٩ / أم٩:١٢-١٨

"ودخل نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه إلى التابوت" (تك٧:٧)

✠ منذ زمن آبائنا، كان ثمّة حافزان للمساكنة بين النساء والرجال. الأول هو حافز الزواج، القديم والشرعيُّ والمؤسَّس بصواب، إذْ إنّ الله مُشرّعُه. والثاني هو حافز العهر، اللاحق وغيرُ الشرعيّ والمحرّم، ليكون ابتداعاً أدخله الشياطين الأشرار. ولكن، ثمّة في أيّامنا من ابتكر سلوكاً ثالثاً جديداً وطارئاً للغاية، وهو مصدر حيرةٍ لمن يرغب في اكتشاف أصله..ذلك أنه لا يهدف إلى الإنجاب، كما أنّه لا يحدث بقصد الزنى، إذْ يدّعي أصحابه في الواقع مراعاة بتوليّتهم.. فما هو إذاً هذا الحافز؟ في رأيي أنّ الحياة المشتركة مع امرأةٍ لا تخلو قطّ من الشهوة، سواء تحت ناموس الزواج أم خارج الزواج والمعاشرة الجسديّة.. وكذلك أنتم، فإن شئتم أدليتم برأيٍ أكثر سموّاً أيضاً حول هذه المتعة غير المناسبة، مهما كان قليلاً ابتعادُكم عن هذه العادة السيّئة.. ذلك أنّ تغذية حبٍّ أثيمٍ في النفس، والنظر إلى امرأةٍ بغية اشتهائها، والتمعّن في جمالٍ غريب، وإذلالَ الذات، وإلحاقَ الأذى بمن هم أكثر ضعفاً، وتشكيكَ الأقرباء والغرباء، وإطلاقَ جمٍّ من التجاديف على مجد الله، والقبولَ بتأدية عملٍ حقير، والتدافع لدخول غوغاء الشؤون الأرضيّة، وشربَ كأس الشيطان بالحريّة التي أُعطيناها ومقايضتها بأشنع طغيان – ما يجعل المرء أضحوكةً للأصدقاء وشماتةً للأعداء – وفرضَ صيتٍ مُحزنٍ على جماعة الكنيسة، وتدنيسَ شرف البتوليّة الصارم، وتقديم جمٍّ من الذرائع لمن يريد الفجور، ودسَّ دناءاتٍ أخرى عديدةٍ أيضاً.. هوذا ما يُحفّز على الأفعال المحرّمة تحريماً قاطعاً ويسبّب قصاصاً لا يُطاق.. فلْنتخلّص إذاً من هذا الداء المُضني الخطير بلا مزيدٍ من التأخير، فنكسب أنفسنا، ونكسب أولئك البائسات، ونكسب ضحايا الفضيحة، ونجعل ذواتنا بين الشهداء.. إذْ من أصعب الأعمال الباهرة فعلاً أن يُقصي

المرء التعاطف والودّ المتأصّلين فيه، وأن يتحرّر من التأثيرات البارعة، ويتّخذ جناحين ليَثِب نحو قبّة السماء(..)، بعد قَهر أهواء جسده وبمجرّد خنْق رغبته المستبِدّة[291]. (القدّيس يوحنا الذهبي الفم)

✝ إنّ الزنى جريمةٌ بشعة.. وحالة الزاني إنّما هي أشد خطورةً بكثيرٍ من حالة "هاتِك سمعة الآخرين"، وتشتمل على خبثٍ أكبر بكثيرٍ من حالة هذا الأخير. ذلك أنّ الأوّل يخطأ لأنّه يريد ذلك، فيما يكون الثاني ضحيّة الأزمة التي يوجد فيها. فهاتِكُ سمعة الآخرين يستسلم للتضليل بداعي الطيش، ظنّاً منه أنّه لا يخسر شيئاً وحسبُه، بينما يجعل الزاني من نفسه غازياً لزواج الآخر، أو، إنْ باشر علاقة فجورٍ واستسلم للجولان في ماخور الرّعاع النجس، فإنّه يدنّس بقذارةٍ فظيعةٍ جسداً مقدّساً وهيكل الله..إذْ بما أنّ أجسادنا هي أعضاء المسيح، وأنّ كلاًّ منّا هو هيكل الله، فذاك الذي بالزنى يغتصب هيكلَ الله إنّما يحقّر المسيح[292]. (القدّيس كبريانوس)

✝ ثمّة خالقٌ واحدٌ للرجل وللمرأة، وكلاهما مجبولٌ من الطين نفسه. هل خطئت المرأة؟ كذلك فعل آدم، فهما اثنان في جسدٍ واحد. إذاً، فليُعامَل هذا الجسد الوحيد بمُراعاةٍ نديّةٍ [في القوانين].. ذلك أنّ القانون يُبيح الطلاق لأيّ سبب، فيما المسيح لا يوافق إلاّ على الانفصال عن الزانية. أمّا في الحالات الأخرى، فهو يأمر بالتصرّف تماشياً والحكمة؛ وأمّا الزانية فتُفسد الأسرة. ومن ثمّ اصبروا وأحبّوا الحكمة، يا من ارتضَوا بنير الزواج[293]. (القدّيس غريغوريوس اللاهوتيّ)

✝ يريد الربّ أن تتكاثر البشريّة، ولكنّه لا يقول اسلكوا كالفاسقين. وهو لا يودّ أن نستسلم للملذّات الحسيّة كما لو كنّا قد وُلدنا لأجل التزاوج، (..) لا سيّما وأنّ ثمة أواناً للإخصاب محدّداً لدى الحيوانات التي لا عقل لها هي نفسها[294]. (اكليمنضوس الإسكندريّ)

✝ إذْ كانت عفيفةً بلا أيّ تباهٍ، جمعت (غورغونيا) بين منافع العزوبيّة ومنافع الحياة الزوجيّة، مبرهنةً بذلك أنّ أيّاً من هذين الوضعين بحدّ ذاته لا يشدّنا ولا

ينفّرنا أكيداً سواء بالنسبة إلى الله أم إلى الناس.. ففي ارتباطها بالجسد، لم تنفصل غورغونيا عن الروح، والخضوع الذي كان لديها تجاه زوجها لم يجعلها تنسى سيّدها الحقيقيّ. حاشا! لذلك، في قليلٍ من الوقت وفي الحدود التي يتطلّبها قانون الجسد، بل لنقلْ مُشرّع الجسد، كرّست ذاتها أخيراً لله بكلّيّتها بعد موتها. بالإضافة إلى ذلك، كانت قد نجحت في كسب زوجها نفسِه إلى قرارها، فضمّت إلى خدمة الله أيضاً ذاك الذي كان من الممكن ألا يكون بالنسبة إليها سوى سيّدٍ مزعج! وإنّي لأرى في ذلك ذروةً من الجمال الأخلاقيّ. بل وقد قامت بما هو أفضل من ذلك. فبدلاً من تقديس نفسٍ واحدةٍ عبر التقرّب من الله، قادت إلى الله أسرةً بكاملها، سلالةً بكاملها، مولّدة إلى حياة الروح الأولادَ وأولادَ الأولاد الذين كانت قد ولدتهم بحسب الجسد، إذْ كانت تعطي أولادها قدوةً في الفضائل كافّة طيلة حياتها[295]. (القدّيس غريغوريوس اللاهوتيّ، متحدثاً عن أخته القديسة)

✠ من الممكن حتى للعائشين في السيرة الزوجيّة أن يتّبعوا نقاوة القلب، ولكنْ بعُسرٍ بالغٍ جداً[296]. (القدّيس غريغوريوس بالاماس)

✠ حياةٌ زوجيّةٌ متواضعةٌ هي أفضل بكثيرٍ من بتوليّةٍ متكبّرة[297]. (القدّيس كيساريوس)

✠ إنك لا تستطيع إصلاح الكنيسة، ولكنّك قادرٌ على تنبيه زوجتك. لست قادراً على وعْظ الجمهور، ولكنْ في وسعك أن تستعيد ابنك، فهذه الحلقة الصغيرة لا تتجاوز قواك[298]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

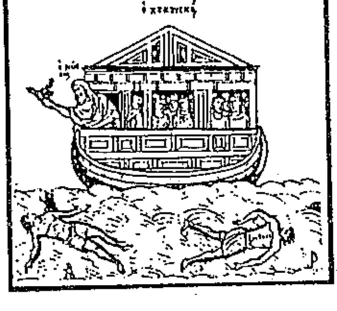

الخميس من الأسبوع الثالث

القراءات إشع١١: ١٠-١٢: ٢ / تك٧: ١١-٨: ٣ / أم١٠: ١-٢٢

"من كثرة الكلام لا تنفلتُ من خطيئة" (أم١٠: ١٩)

✞ الإنسان المولَع بالجدل إنّما يشبه ذاك الذي يستسلم لأعدائه وهو في وعيه.. [إنْ] جُرح إنسانٌ عميقاً في قلبه بداعي الاستفزاز والظلم، وراح يجادل من ثمّ بمرارةٍ أو يتكلّم بغطرسة، فلَسوف يمنح الحيّة المزيد من القوّة لتدفُق السمّ داخل قلبه وتفترس أحشاءه بلا رحمة. وإذْ تكتسب قوّة بهذه الطريقة كلّ يوم، ينتهي المطاف بالحيّة إلى التهام طاقة النفس العاجزة لأنّه فَعل ذلك. بعدئذٍ، سيحيا [هذا] الإنسان للخطيئة ويصبح ميتاً للحقّ بالكلّية [299]. (القدّيس سمعان اللاهوتيّ الجديد)

✞ لا شيء أكثر تخريباً من الثرثرة وأكثر إيذاءً من اللسان غير المنضبط، ولا شيء أكثر تهديماً وإفساداً لثروة النفس [منهما]. ذلك أنّ كلّ ما ننجح في بنائه داخل ذواتنا يوميّاً يُهدم بالكلام الكثير، وما نجمعه بجهدٍ كبيرٍ كهذا تُشتّته نفوسُنا ثانية من خلال علّة اللسان هذه.. فمن تراه يستطيع التعبير عن كلّ الأذى الناشئ من لسانٍ غير منضبط[300]؟ (القدّيس فيلوثاوس السينائيّ)

✞ إنّ الصمت الحسّي يُفضي إلى الصمت الروحيّ، والصمت الروحيّ يرتقي بالإنسان ليحيا في الله. ولكن، إن كفّ الإنسان عن العيش برفقة الصمت، فلن تكون لديه محادثةٌ مع الله. فالصمت عند من اختبر المسيح نفسه هو أغلى من كلّ شيء.. ولكن، أيكفي لأحدهم أن يلبث في ذهولٍ يسوده السلام وأن يكون منفرداً في صومعته ليوصله ذلك إلى إدراك التأمّل [الروحيّ]؟ برأيي، لا! بل فليحفظ الوصايا.. من هنا يكتسب اللاّهوى في النفس، والذي منه تولد المحبّة التي هي إشارةٌ منبّهةٌ إلى التأمّل. والحال أنّ الوصايا هي: غسل أرجل الضيوف (يو١٣: ١٤)، ومن سخّرك لميلٍ واحدٍ فامضِ معه ميلين (متى٥: ٤١)، ومن لطمك

على خدّك فقدّم له الآخر (متى٥:٣٩)، ومن أراد أن يأخذ ثوبك فخلِّ له الرداء أيضاً (متى٥:٤٠)، وباركوا مضطهِديكم (رو١٢:١٤)، وأحسنوا إلى من يبغضكم، صلّوا لأجل الذين يظلمونكم ويضطهدونكم (لو٦: ٢٧-٢٨).. ففي الواقع، ثمّة دَينٌ لديك قد اقترضته[301]. (فيلوكسينوس المنبجيّ)

✞ يستحيل احتمال خِلْقِين السكينة المغليّ بدون ممارسة البكاء الدائم[302]. (القدّيس غريغوريوس السينائيّ)

✞ ما من شيءٍ يملك مقدرةً كبرى على تشويش حالة السكينة وعلى تجريدها من معونة الله أكثر من الأهواء التالية: الاعتداد بالذات، الشراهة، الثرثرة والاهتمامات العقيمة، الغطرسة، والغرور الذي هو خليلة الأهواء كافة[303]. (القدّيس غريغوريوس السينائيّ)

✞ لا بدّ من السكون ليُحرز المرء محادثةً صافيةً مع الله ويستردّ ذهنه تدريجيّاً من تيهانه.. لا بدّ من حِفظ الصمت بغية التوصّل إلى صلةٍ بالله طاهرة، والى التخفيف الأقصى من وطأة أيّ انحرافٍ لدى النفس[304]. (القدّيس غريغوريوس اللاهوتي)

✞ يا إخوتي وأولادي، فلْننتبه إلى أنفسنا ولنضبط ألسنتنا، إذْ إنّ السقوط من مكانٍ مرتفع خيرٌ من اقتراف الخطيئة باللسان. ولنترقّب التجربة دوماً، لأن بواسطة التجربة والبلايا ندخل ملكوت السماوات. ولا تحنقوا بأيّ شكلٍ من الأشكال لأجل ما قد يحدث لكم من المشقّة، بل فكّروا أنّ كلّ شيءٍ سيكون جزيل المنفعة لكم، سيّما وأنّ الأمور المنظورة يتصوّرها البشر بعكس ما يدبّره الله من خلالها[305]. (القدّيس أثناسيوس الآثوسيّ)

الجمعة من الأسبوع الثالث

القراءات إشع١٣: ٢-١٣ / تك٨: ٤-٢١ / أم١٠: ٣١-١١: ١٢

"وأرسل الحمامة فلم تعُد ترجع إليه أيضاً" (تك٨: ١٢)

✠ تقول البتوليّة: إنّي أترك للآخرين ما هو ثمن هذه الحياة، وأمّا بالنسبة إليّ فليس لديّ سوى ناموسٍ واحدٍ وفكرٍ واحد، ألا وهو أن أمتلئ من الحبّ الإلهيّ فأنطلق من ههنا نحو الله المالك في السماء ومبدع النور.. فإنّي مرتبطةٌ به هو وحده في المحبّة[306]. (القدّيس غريغوريوس اللاهوتي)

✠ البتوليّة إنّما تفترض نضالاً يوميّاً لا تتساهلُ فيه بأيّة مهادنة[307]. (القدّيس يوحنّا الذهبي الفم)

✠ حتّى ولو لم أعرف امرأة، إلا أنّي لست بذلك بتولاً[308]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

✠ العين غير المحتشمة إنّما هي رسول قلبٍ لا حشمة لديه[309]. (القدّيس كيساريوس)

✠ إنّ طهارة الجسد لا تُحفظ طويلاً عندما تُفسَد النفس بانتفاخ الكبرياء[310]. (القدّيس كيساريوس)

✠ قاسيةٌ هي الحروب في العفّة، ولكنّ المكافآت أعظم[311]. (القدّيس كيساريوس)

✠ من الأفضل ألا تؤدّى النذور [أبداً] على عدم الوفاء بما وُعد به بعد تأديتها[312]. (القدّيس كيساريوس)

✠ على طريق الكمال، ما من أحدٍ لا يتوجّب عليه أن يصير أفضلَ على الدوام[313]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ أخبرْني كيف دخل يسوع عبر الأبواب المغلقة، فأفسر لك كيف يمكن لمريم القدّيسة أن تكون أمّاً وبتولاً معاً؛ أمّاً قبل زواجها، وقد لبثت بتولاً بعد أن أنجبت ابنها. لذلك، وكما بدأت الكلام، فإنّ المسيح البتول ومريم البتول قد أهديا في نفسيهما مبادئ البتوليّة لكِلا الجنسين. كذلك كان الرسل أطهاراً، أو لبثوا أعفّاء بعد زيجاتهم[314]. (القدّيس يرونيمس)

عيد البشارة

الرسالة عب٢: ١١–١٨ الإنجيل لو١: ٢٤–٣٨

"فالقدّوس المولود منك يدعى ابن الله" (لو١: ٣٥)

وقال الملاك: "السلام عليك أيتها المنعم عليها، الربّ معك (لو١:٢٨)". هو لم يقل "الربّ فيكِ، بل الربّ معك".. وليس معك فحسبُ الربُّ الابنُ الذي وشّحته بجسدك، بل أيضاً الربُّ الروحُ القدسُ الذي منه تحبلين، والربُّ الآبُ الذي ولد ذاك الذي تحبلين به. أجل، الآب معك، فهو الذي يجعل ابنه يصير ابنك. والابن معك، ليُبدع فيك سرّاً باهراً، إذْ يفضّ لذاته سرّ حشاك بشكلٍ عجيبٍ مع حِفظه ختم بكارتك. والروح القدس معك، فهو، مع الآب والابن، يقدّس حشاك. أجل، الله معك.

"مباركةٌ أنت في النساء" ـــ أودّ هنا أن أُضيف ما قد أضافته أليصابات لاحقاً ـــ و"مبارك ثمر بطنك" (لو١:٤٢). مبارك ثمر بطنك، لا لأنّك أنت مباركة، بل على العكس من ذلك، فإنّك مباركة لأنّه هو من "أدركك ببركات النعمة (مز٢٠:٤). أجل، مباركٌ حقّاً ثمر بطنك، هو الذي "به تتبارك كلّ الأمم (تك١٢:٥، غلا٣:٨)". فمن امتلائه أخذتِ (يو١:١٦) أنت أيضاً مع الجميع، ولكن بشكلٍ مختلفٍ عن الجميع. ولهذا السبب أنت مباركة، ولكن "في النساء"، أما هو فليس مباركاً في الرجال ولا في الملائكة، بل هو "الإله المبارك فوق الكلّ إلى الدهور (رو٩:٥)".

أجل، "مباركةٌ أنت في النساء"، أنت الناجية من اللعنة الواقعةِ على النساء كافّة: "بالأوجاع تلدين البنين (تك٣:١٦)"، كما من اللعنة الحاصلة لاحقاً: "ملعونةٌ هي المرأة العاقر في إسرائيل (خر٢٣:٢٦). إذاً، لقد أحرزت أنت هذه البركة الوحيدة، أن لا تلبثي عاقراً وأن لا تلدي في الوجع في آنٍ معاً.. أيّتها البتول، ماذا ستفعلين، أنت السامعة والقارئة لهذه الأمور؟ فأن تلدي يعني القلق، وأن تلبثي عاقراً يعني اللعنة. ماذا ستختارين، أيّتها البتول الحصيفة؟ فتجيب: "إنّه القلق من كلّ جهة

(دا ١٣: ٢٢-٢٣)"، ولكن خيرٌ لي أن أتحمّل اللعنة وأنا عفيفة من أن أحبل عن شهوةٍ ثمّ أستحق الولادة مع الوجع. فمن جهة، أرى اللعنة ولكن بلا خطيئة، ومن الجهة الأخرى الخطيئة والوجع معاً.. والمرأة العاقر لا تدعى ملعونةً إلاّ لكونها محطّ عارٍ واحتقار، كعديمة النفع وبلا ثمر، وهذا فقط في إسرائيل. أمّا أنا، فأقلّ شيءٍ عندي (١كور٤:٣) أن أكون كريهةً عند الرجال، شريطة أن أستطيع "تقديم ذاتي للمسيح كعذراء عفيفة (٢كور١١:٢)". فيا أيّتها البتول الفطنة، أيّتها البتول المنذورة، من الذي لقّنك أنّ البتوليّة مرْضية عند الله؟.. فلقد نذرت نفسك لتكوني عذراء مُهداةً للمسيح وأنت لا تعلمين أنّ ذاك الذي تقرّبين له ذاتك لا بدّ من أن تكوني أمّه أيضاً. لقد اخترت أن تكوني محتقَرةً في إسرائيل، إرضاءً لمن لأجله تجنّدت (٢تيم٢:٤)، وأن تستحقّي لعنة العقم. ولكن، ها هي اللعنة تتحوّل إلى بركة، والعقم يحلّ محلّه الخصب..

هيّئي حشاك إذاً أيتها البتول، فها إنّ القدير مزمعٌ على صنع العظائم بك (لو١:٤٩).. لا تخشي الخصب، (..) فأنت ستحبلين ولكن بلا خطيئة، وستكونين حبلى ولكن بلا إرهاق، وستلدين ولكن بلا وجع، ولن تعرفي الرجل (لو١:٣٤)، لكنّك ستلدين ابناً. وأيّ ابن؟ فأنت ستلدين ذاك الذي أبوه هو الله، وسوف يكون ابنُ محبّة الآب إكليلَ عفّتك.. قولي كلمتك إذاً واحبلي بكلمة الله.. فقالت: "ها أنا أمةٌ للربّ، فليكن لي بحسب قولك (لو١:٣٨)".. جوابٌ متواضعٌ للغاية، بغية أن يتهيأ عرش النعمة.. بفعل الروح القدس (لو١:٣٥).

أعرف أن عملي هذا سيُكسبني عدم الرضى من أناسٍ كثيرين، وأنّه سيُتّهم بعدم النفع وبالاعتداد. لأنّي، بعد أن فسّر الآباء هذا المقطع على الوجه الأكمل، تجرّأت أنا على الشروع ثانية في تفسيرٍ جديدٍ له. ولكن، إن كنتُ، بعد الآباء، لم أقل شيئاً يعارض الآباء، فلا أعتقد أنّ ذلك يزعج الآباء أو أحداً آخر أيّاً كان[315]. (برنار كليرفو)

السبت من الأسبوع الثالث

الرسالة عب ١٠: ٣٢-٣٨ الإنجيل مر ٢: ١٤-١٧

"فلا تنبذوا إذاً ثقتكم التي لها جزاءٌ عظيم" (عب ١٠: ٣٥)

✞ لا يمكننا الاقتناع بأن أجسادنا ستقوم وتغذيتُها كما لو لم يكن عليها ذلك في آن معاً، أو الاعتقاد بأن الأرض ستعيد أمواتها وعدم الاعتقاد بأن من ابتُلعوا فيها سيطالِبون بأجسادهم. بل ويُحتمل على العكس من ذلك، ألاّ يَمتنع عن أي تهوّر، أولئك الذين يظنون أنْ لن يكون لديهم حساب لتأديته عن سيرتهم الأرضية، سواء كانت حسنة أم سيئة، وأن لا وجود للقيامة، والذين يدّعون بأن النفس تهلك والجسد في آن معاً وأنها تنقرض معه إذا جاز القول. في المقابل، ليس من المنطق أن يرتكب ولو أقلّ زلّة، أولئك المقتنعون بأن الله لن يفوّت شيئاً في عنايته، وأن الجسد الذي خدم شهوات النفس ورغباتها الجامحة سيعاقَب هو أيضاً[316]. (أثيناغوراس)

✞ بقدر ما يعنى المرء بالطعام تتغير حاجاته بحسب السنّ والعمل والحالة الجسدية. ولكن، بغية إشباع الحاجة، ينبغي أن يكون الهدف مشتركاً لدى الجميع بطريقة مماثلة.. إذاً، يلزم أن يكون القصد تقديم المدد للحياة ليس إلاّ، كما ويجب ألاّ تكون اللذة هي الغاية في تناول الطعام. وبما أنّ جسدنا الجائع الراشح على الدوام يحتاج إلى إطعام (ولهذا السبب يكون اشتهاؤنا الطعام أمراً طبيعياً)، فإن المنطق السليم يشير علينا بأننا محتاجون إلى التزود ثانية بما قد استُهلك وحسب.. إضافة إلى ذلك، علينا أن نفضّل دوماً ذاك القوت الذي يمكن إيجاده بسهولة، لا أن نهتم بالطعام الفاخر والأغذية الباهظة الثمن والصلصات الغالية. أو بالأحرى، علينا أن نختار ما يسهل الحصول عليه وما هو زهيد الثمن[317]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

✞ من المحال إشباع الجسد بالطعام حتى التخمة وإحرازُ التنعّم الروحي بالبركات العقلية والإلهية في آنٍ معاً. إذ بقدر ما ينقاد الإنسان إلى بطنه، كذلك

يحرم نفسه من البركات الروحية. والعكس بالعكس، فبقدر ما يدع جسده نحيلاً، كذلك سيُشبَع من الطعام الروحي والتعزية[318]. (القدّيس سمعان اللاهوتي الجديد)

✠ إشباع المعدة حتى التخمة وإرهاقُها بالأطعمة إنما هو فعل يستوجب غضب الله، على ما يقول: "ويلٌ لكم أيها المشبعون الآن (لو ٦:٢٥)".. فأن يصبح المرء عبداً لملذات المائدة يعني أنه ألّه معدته[319]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

✠ حيثما تكون التخمة فهناك تَحتجز الشرورُ فِرَقها بلا ريب[320]. (القدّيس يوحنا الذهبي الفم)

✠ كما تنمو سنبلة العفة من بزرة عرق الصوم، كذلك تُنتج التخمة اضطرام الشهوة.. أمّا إن كانت المعدة معتدلة وجائعة، فلا تستطيع الأفكار المخزية ولوج النفس[321]. (القدّيس إسحق السوري)

✠ لا نسمّننّ الجسد.. فالذي يقذف بالطعام إلى بطنه يماثل تماماً من يطرحه تحت المزراب، بل وأسوأ من ذلك. لأن من يطرحه تحت المزراب إنما يفعل هذا دون أن يؤذي نفسه، بينما الذي يقحمه في معدته يولّد علاّتٍ لا تحصى[322]. (القدّيس يوحنا ذهبي الفم)

✠ وأخذوا يقولون: "هذا هو في الحقيقة النبيّ.. (يو ٦:١٤)". يا له من إسراف في الشراهة! فلقد قام بما لا يحصى من الأعمال الأكثر روعة من ذاك (تكثير الأرغفة)، ولكنهم ما أدلوا بهذا الاعتراف في أي مكان إلاّ عندما شبعوا.. يا للعجب! فكم هو شديد استبداد الشراهة، وكم هو كبير تقلّب أمزجة البشر[323]. (القدّيس يوحنا الذهبي الفم)

✠ كما أن المياه التي تسقي العديد من الأخاديد تخصب تلك الأخاديد، كذلك رذيلة الشراهة، إذ تنبع من قلبك تسقي مشاعرك كافة، فتنعش فيك دغَلاً كاملاً من الشرور، وتجعل نفسك من ثمّ عريناً للبهائم البرّية[324]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

✟ إن شئتم أيها الإخوة إحراز الظفر على شيطان الشراهة، أحبّوا التقييد، أي تنظيم مأكلكم ومشربكم وفقاً لمقدار محدّد، معتدل، ولتكن نصب أعين قلوبكم مخافة الله، فتقهروا تجربة هذا الشيطان الشره[325]. (القدّيس نيلس سورسكي)

✟ حارب رغبتك، وها هي ذي العلامة التي أعطيها لك: كلّ ما يقدَّم على المائدة حيث تأكل وما تراه عينك، إنْ رغبته بشهوة فلا تفكر فيه، بل قل لبطنك بهدوء: بما أنك رغبته فلن تذوقه[326]. (فيلوكسينوس)

✟ ينبغي على المرء ألاّ يأكل بنهم وحشي، بل علينا صون الاعتدال والهدوء وضبط النفس في كل الأمور التي لها علاقة بالمتعة. ولا يجوز إهمال التفكير في الله عندما نأكل، بل علينا التذكر كم أن الأصناف الكثيرة من المأكل الصالحةَ لحاجات أجسادنا هي نتيجة تدابير قَهْرَمان الكون العظيم[327]. (القديس باسيليوس الكبير)

الأحد الثالث

(السجود للصليب الكريم المحيي)

الرسالة عب ٤: ١٤-٥: ٦. الإنجيل مر ٨: ٣٤- ٩: ١

"من أراد أن يتبعني فليكفر بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني" (مر ٨: ٣٤)

✠ "من أراد أن يتبعني، فليكفر بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني"... صليبه، إنما هي الشجون والآلام في حياتنا الأرضية، والتي هي شخصية لكل منا. صليبه، إنما هي الأصوام، والأسهار، وسواها من الجهادات النسكية التي بها يذلّل الجسد ويَخضع للروح. ولكن، يجب أن توافق هذه الجهادات قدرات كل شخص، التي هي خاصة لكل إنسان. صليبه، إنما هي الأسقام المعزوّة إلى الخطيئة أو إلى الأهواء، والتي هي شخصية لكل منا! فبعض منها يرافقنا عند مجيئنا إلى العالم، فيما تباغتنا أخرى على درب حياتنا الأرضية. إن صليب المسيح هو تعليم المسيح. وعليه، فباطلاً وعقيماً يبقى الصليب الخاص، مهما كان ثقيلاً، إن لم يتحول في اتّباع المسيح إلى صليب المسيح. فبالنسبة إلى تلميذ المسيح، يصبح صليبه صليب المسيح لأن تلميذ المسيح الحقيقي يراقبه بلا هدنة، عالماً بأن الشجون التي يسمح بها المسيح هي الشروط الضرورية المحتومة للمسيحية، وأن أي ألم لن يصيبه بلا سماح من المسيح، وأن المسيحي بآلامه يماثل المسيح، فيصير شريكاً له في مصيره على الأرض، وبعدئذٍ في السماء. بالنسبة إلى تلميذ المسيح، يصبح صليبه صليب المسيح، لأن تلميذ المسيح الحقيقي يعتبر إتمام وصايا المسيح بمثابة الهدف الأوحد لحياته، إذْ تمسي هذه الوصايا الجزيلة القداسة له صليباً عليه يواصل صلب إنسانه العتيق "مع أهوائه وشهواته (غلا ٥: ٢٤)".. من الواضح إذاً أن قبل حمل الصليب لا بد من الكفر بالنفس إلى درجة "إضاعة النفس (متى ١٦: ٢٥)". فلقد ماثلت الخطيئة طبيعتنا الساقطة حتى أن كلمة الله لا يتردّد في تسمية الخطيئة "نفْس"

الإنسان الساقط. وبغية حمل الصليب، لا بد أولاً من أن تمنع عن الجسد الشهوات الجسدية الخاطئة، وأن لا يزوَّد إلا بالضروري لمعيشته؛ كما ينبغي الاعتراف أن بِرّنا الخاص يصير ظلماً بالغاً قدام الله، وذكاءنا جهالةً تامة. أخيراً، وبعد الاستسلام لله بكل قوة الإيمان، والانكباب على دراسة الإنجيل المتواصلة، ينبغي الكفر بالمشيئة الخاصة؛ ومن بلغ نكراناً للذات كهذا هو الذي يصبح قادراً على حمل صليبه. ففي خضوعه لله، وفي التماس عونه لمعالجة ضعفه، إنما يبصر المحنة تقترب بلا خوف [منها] ولا اضطراب، بل يتأهّب لتحمّلها بشجاعة وبسالة، مؤمّلاً أن يصير بفضلها شريكاً لآلام المسيح، وأن يبلغ من ثم إلى الاعتراف بالمسيح، لا في ذهنه وقلبه فحسب، بل وفي أعماله وسيرته نفسها أيضاً. وعليه، فإن صليبنا يبقى ثقيلاً ما دام صليبَنا الخاص؛ ولكن، ما إن يتحول إلى صليب المسيح حتى يكتسب خفّة عجيبة: "نيري ليّن وحملي خفيف" (متى ١١:٣٠)" قال الرب. ثم إن تلميذ الرب يأخذ صليبه عندما يعتبر نفسه أهلاً لكافة الشجون التي ترسلها إليه عناية الله. تلميذ المسيح يحمل صليبه على نحو صحيح عندما يقر بأن تلك الشجون دون سواها هي ضرورية بالنسبة إليه ليماثل المسيح ويخلص. أما حمله الصليب بصبر، فيعني امتلاك الرؤية الحقيقية والوعيِ لخطيئته. وفي هذا الوعي، لا وجود لأيّ ضلال. بالمقابل، ذاك الذي مع الاعتراف بوضعه كخاطئ يتذمر ويثور من أعلى صليبه، إنما يُظهر بذلك أن وعيه لخطيئته سطحيّ وأنه لا يفعل شيئاً سوى التيهان وخداع نفسه. هذا وحمل الصليب بصبرٍ هو امتلاك توبةٍ حقيقية. فأنت إذاً، أنت المصلوب على الصليب، اعترف بالرب لأجل سداد مقاصده، وفي إدانتك لنفسك برّرْ دينونة الله فتنال مغفرة خطاياك. أنت المصلوب على الصليب، اعترف بالمسيح فتُفتح لك أبواب الفردوس. من أعلى صليبك، مجّدِ الربّ طارحاً كلّ فكر شكوى وتذمّر، بل طارحاً إيّاهما وكأنّهما جرمٌ وتجديف. من أعلى صليبك، اشكر الربّ على هذه الهبة التي لا تقدّر بثمن، على صليبك، على هذه الهبة النفيسة، هبة

التمكّن من الاقتداء بالمسيح عبر آلامك. من أعلى صليبك، صِر لاهوتيّاً، لأنّ الصليب هو المدرسة الحقيقيّة الوحيدة، وكنز اللاهوت الحقيقيّ وعرشُه. فخارجاً عن الصليب، ليس من معرفةٍ صحيحةٍ للمسيح. ولا تلتمس الكمال المسيحيّ في الفضائل البشريّة، فهو ليس فيها، بل مستترٌ في صليب المسيح.. إلى ذلك، صليب المسيح ليس سبيلاً أليماً إلاّ في الظاهر، لعيونٍ جسديّة، وأمّا لتلميذ المسيح، لذاك الذي يتبعه، فهو سبيل الملاذّ العجيبة. بل إنّ للملاذّ هنا من التأثير ما يجعل الألم يسكّن تماماً، فلا يشعر تلميذ المسيح في العذابات الأشدّ قساوةً إلاّ بهذه الملاذّ.. كما أنّ الصليب هو بأس القدّيسين ومجدهم في كلّ زمان. الصليب هو شفاء الأهواء وموت الشياطين. الصليب لا يقتاد إلى الموت سوى أولئك الذين لم يحوّلوه إلى صليب المسيح، الذين يتذمّرون ضدّ العناية الإلهيّة من على صليبهم، ويجدّفون عليها، ويستسلمون للقنوط واليأس.. أمّا صليب المسيح، فيرفع من الأرض إلى السماء تلميذ المسيح المصلوب عليه. وإذْ يكون تلميذ المسيح مصلوباً على صليبه، تكون أفكاره في العلويّات وحسْب، فيلبث في السماء بذهنه وقلبه، وهناك يتأمّل أسرار الروح في المسيح يسوع ربّنا[328]. (القدّيس إغناطيوس بريانشنينوف)

✠ ما كان الشيطان منتصراً به هو ما انتصر به المسيح. فإذْ سلَبه المسيح سلاحَه انتصر بهذا السلاح عليه، وهوذا كيف. لقد كانت العذراء والعود والموت علاماتِ سقوطنا، فالعذراء كانت حواء، بما أنّها لم تكن بعد قد عرفت الرجل، والعود كان شجرة الفردوس، والموت بات عقاب آدم. ولكن انظر، فها هي ذي أيضاً العذراء والعود والموت، وعلامات سقوطنا تلك قد صارت علامات انتصارنا. فعوض حواء مَريم، وعوض شجرة معرفة الخير والشرّ، شجرة الصليب، وعوض موت آدم، موتُ المسيح. وعليه، فما كان الشيطان قد انتصر به هو ما هُزم به الآن. بالعود، كان الشيطان قد سبّب سقوط آدم؛ وبالصليب، انتصر المسيح على الشيطان. كان ذلك العود يقود آنذاك إلى الجحيم، وأمّا هذا العود فقد أخرج من

الجحيم أولئك الذين رحلوا إلى هناك. وبالموت، صرنا نحن عادمي الموت. تلك هي مآثر الصليب، وهكذا تمّ كلُّ شيءٍ لأجلنا بيُسر. فنحن لم نبلّل سلاحنا بالدم، ولم نتجنّد في فوج المقاتلين، ولم نتلقَّ الجراح، ولم نشهد الصراع، بيد أنّا فُزنا بالغلبة. العمل الباهر إنّما يخصّ الربّ، والانتصار لأجلنا... هوذا ما عمله الصليب لأجلنا. الصليب هو علامة الظفر على الشياطين، وهو سلاحنا ضدّ الخطيئة، وهو السيف الذي به طعن المسيح الحيّة. صليب المسيح هو سيفٌ وعود، ولمّا ذُبح عليه المسيح بواسطة اليهود قتلة الإله، نقض أعمال الشيطان في تسميره خطايانا على العود. ولذلك يُستعمل الصليب عند التبريك، كسلاحٍ قد خلّص الكون، وأبطل الضلالة، وأعاد الحريّة، وحوّل الأرض إلى سماء، وأوضح البشر كملائكة، وبفضله لم يعد الشياطين مرعبين بل محتقَرين، ولم يعُد الموت موتاً بل هو الرقاد والعشيّة[329]. (القدّيس يوحنا الذهبي الفم)

✞ إنْ أتاك من يقول لك بأنّ الصليب وهم، ابتعد عنه، وانفر ممن يقولون بأنّ المسيح لم يُصلب إلا في الخيال. لأنّه إن لم يُصلب إلاّ في الخيال بينما يأتي الخلاص من الصليب، إذاً لما كان الخلاص هو أيضاً إلا خيالاً. وإن كان الصليب وهماً، فالقيامة وهمٌ أيضاً. وإن كان المسيح لم يقُم، فنحن بعدُ في خطايانا (١كور١٥:١٧). وإن كان الصليب مجرّد خيال، فخيالٌ أيضاً هو الصعود. وإن كان الصعود خيالاً، فخيالٌ أيضاً هو المجيء الثاني؛ وهكذا يفقد كلُّ شيءٍ أساسَه الراسخ. أمّا بالنسبة إليك، فليكن الصليب الأساسَ الأوّل الذي لا يتزعزع، وعليه هو شيّد كلّ ما تبقّى من الإيمان[330]. (القدّيس كيرلس الأورشليميّ)

✞ إنّ الملحدين يسخرون منّا بصخب، متى أظهرنا صليب المسيح. ولكن، هم الذين ينبغي الرثاء لعدم حسّهم، لأنّهم يلعنون الصليب دون أن يلحظوا بأن قوّة الصليب تملأ الكون بأسره. فهم لا يرون أن مآثر معرفة الله قد كُشفت به للجميع. ذلك أنهم لو كانوا يتبيّنون بفكرهم حقّاً لاهوتَ المسيح، إذاً لما كانوا يسترسلون في

السخرية، بل على العكس من ذلك، كانوا ليعترفون بمخلّص العالم، وكانوا ليعرفون أنّ صليبه لم يصر قطّ هلاك الخليقة، بل شفاءها. فإن كانت عبادة الأوثان تبطل بظهور الصليب، وإن كان كلّ وهمٍ شيطانيّ يتبدّد بعلامة الصليب، وإن كان المسيح هو من يُعبد وحده ومن خلاله يُعرف الآب، وإن كان أعداؤه يخزون، وإن كان المسيح قادراً على اجتذاب نفوس أعدائه إليه مع مرور الزمن، فعندئذٍ يكون لدينا الحقّ في مخاطبة الملحدين قائلين: كيف يمكنكم اعتبار هذا العمل عملاً بشرياً، ولمَ لا تريدون الاعتراف بالحريّ أنّ ذاك الذي ارتفع على الصليب هو فعلاً كلمة الله ومخلّص العالم[331]. (القدّيس أثناسيوس الكبير)

✠ لا نخجلنّ من الاعتراف بالمصلوب، ولنجعل الصليب ختمنا يرتسم بجرأةٍ بأصابعنا فوق جبيننا، وفي المناسبات كافّة: فوق الخبز الذي نأكله، وفوق الكؤوس التي نشربها، في إيابنا وذهابنا، قبل النوم وعند استلقائنا ونهوضنا، عندما نكون على الطريق [سائرين] وعندما نكون بلا حراك. فهو حرزٌ مقتدر، وبلا كلفةٍ لأجل الفقير، وبلا عناءٍ لأجل المريض. بل هو نعمةٌ من الله، وسمةٌ للمؤمن، ورعبٌ للأبالسة، لأنّه يشهّرهم علانية، ويسوقهم في موكب الظفر بقوّته (كو٢:١٥). ذلك أنهم، متى رأوا الصليب، يذكّرون بالمصلوب، فيخشونه هو الذي حطّم رؤوس التنانين (مز٧٣:١٣). وعليه، فلا تحتقر الختم احتقارك لعطيّةٍ مجّانية، بل ازدَدْ إكراماً لربّك بالأحرى لأجل هذا السبب[332]. (القدّيس كيرلس الأورشليمي)

✠ استخدام اليد اليمنى في علامة الصليب إنّما يُشير إلى سلطة الربّ اللاّمتناهية وإلى حقيقة جلوسه عن يمين الآب. أما بدء الإشارة بحركةٍ منحدرةٍ من فوق فتدلّ على نزوله إلينا من السماء. كما أنّ تحرّك اليد من اليمين إلى اليسار يُقصي أعداءنا، ويعلن أن بقوته التي لا تُقهر هزم الربُّ الشرّير، الذي على الجهة اليسرى وهو مظلمٌ مفتقرٌ إلى القوّة[333]. (القدّيس بطرس الدمشقيّ)

✠ عندما ترسم شارة الصليب، فكّر في القصد من الصليب واحسم أيّ غضبٍ مع الأهواء الأخرى كافة. تبصّر في الثمن الذي دُفع لأجلك[334]. (القدّيس يوحنا الذهبي الفم)

✠ بواسطة علامة الصليب يوضع حدٌّ لكلّ شعوذة، ويشوّش كلُّ سحر، وتُهجر كلّ الأصنام وتُخذل، وتزول كلّ لذّةٍ خرقاء، كما تبجّل عينُ الإيمان السماواتِ من الأرض[335]. (القدّيس أثناسيوس الكبير)

✠ إنّ المسيح الذي يَشهد له كلٌّ هؤلاء، هو الذي يمنح الغلبة لكلّ أحد، جاعلاً الموت عاجزاً تماماً لدى المؤمنين به الحاملين علامة الصليب[336]. (القدّيس كيرلس الإسكندريّ)

✠ أسألكم أيُّها الإخوة الأعزاء أن تتأمّلوا في هاتين المسألتين: لمَ نحن مسيحيّون؟ ولمَ نحمل صليب المسيح على جباهنا؟ هنا، يجب أن نعلم بأنّ تلقّي اسم المسيحيّ لا يكفينا، بل من الضروريّ أيضاً أن نتصرّف كمسيحيّين، على ما يقول الربّ في الإنجيل: "لم تدعونني يا ربّ يا ربّ، ولا تعملون بما أقول (لو٦:٤٦)". فلو سمّيت نفسك مسيحيّاً ألف مرةٍ ورسمت شارة الصليب بلا انقطاع، دون أن تتصدّق بما في وسعك، ودون رغبة منك في أن تكون خيّراً وعادلاً وعفيفاً، فإنّ اسم المسيحيّ لا يمكنه إفادتك في شيء. ثمّ إن شارة المسيح وصليبَ المسيح غنًى عظيم، إذْ بهذا الختم الثمين ينبغي رسم الأمور العظيمة والثمينة. فما النفع من خاتمٍ ذهبيّ للختم يُخفى لاحقاً في التبن المتعفّن؟ ما النفع من وضع شارة المسيح على الجبين وفي الفم ثمّ إعادة الإثم والخطيئة إلى النفس؟ وعليه، فالذي يسيء التفكير ويسيء الكلام ويسيء التصرّف، رافضاً إصلاح نفسه، إنّما يفاقم خطيئته ولا يختزلها عند رسْمه شارة الصليب[337]. (القدّيس كيساريوس)

✠ إنّ مصلوباً لا ينزل عن الصليب ما لم تُنزع المسامير التي بها سُمّر على الخشبة. وكذلك أنتم، فلا تنتزعوا من قلوبكم الاستعدادات التي تُثبّتكم كالمسامير.

هكذا لا تتزلون عن صليبكم وتواصلون احتماله، وهذا ما سيفضي بكم إلى الكمال ويُدخلكم توّاً إلى ملكوت محبّة الله.. أمّا المسامير الأربعة فهي: امتلاك حميّةٍ لخلاص النفس لا تشبع، ونبذُ كلّ ما كان دنيويّاً، والكفر بالمشيئة الذاتية، والموت عن كلّ شيء بغية الحياة لأجل الله وحده! فاثقبوا يدي قلبكم ورجليه، وعندئذٍ تكونون مصلوبين ويمكنكم القول مع الرسول، لا أنّ العالم صُلب لكم فحسبُ بل أنّكم أنتم صُلبتم للعالم (غلا٦:١٤)[338]. (القدّيس ثيوفانس الحبيس)

✞ أما الجزء السفليّ من الصليب، المغروزُ في الأرض، فيوافق الصليبَ الداخليّ الذي لنكران الذات، والذي يخترق أرض القلب ليغرز فيها الصليب. ونكران الذات إنّما يعني معاملة الذات كما يعامَل الملعون.. وأمّا الجزء العلويّ من الصليب الداخليّ، أي المنتصب المرتفِع إلى فوق، فهو الصبر. إنّه العزم على متابعة الالتزام، بحيث لا يثنيه أيُّ عائقٍ أو أيّة خيبةٍ أو أيّ جهد، سيّما وأنْ ما من أحدٍ يستطيع الثبات في الخير بدون الصبر.. وأمّا الجزء الأفقيّ من الصليب، فهو الطاعة.. والطائع لا يثق بأفكاره ولا برغائبه، بل ولا يتصرّف إلاّ بإرشادٍ أو بأمر، ولذلك هو مفتوحٌ تماماً.. وفيما يتقوّى الصبر في الرجاء بأن الجهد المبذول ليس باطلاً، تُنشَّط الطاعة من جهتها بالمحبّة. كما أنّ الطاعة هي نكران الاستقلاليّة والتمييزِ الشخصيّ، في حين أنّهما هما اللذان نتعلّق بهما بالأكثر! وحدها المحبّة قادرةٌ كفايةً على تزويد الطاعة بمرونةٍ ملائمة. ذلك أنّ المحبّة تكون مستعدةً لكافّة التضحيات، ولا تحسب حساباً للجهود ولا لهدر الوقت والطاقات والموارد. فإن وُجدت المحبّة حصل كلُّ شيءٍ بحميّة، بيُسرٍ وبسرعة! ووحدها الطاعة بمحبّةٍ تجعل الجهودَ التي تلتزم بها جذّابة. أخيراً، الموت عن الذات وعن العالم يُنعشه الإيمان، الذي يؤكّد وجوبَ أن يكون الأمر على هذا النحو ولا يمكن أن يكون على نحوٍ آخر.. وعليه، فإنّ الإيمان الذي يواكبه نكرانُ الذات أو الإماتةُ في كلّ شيءٍ إنما يشكل قاعدة الصليب الداخليّ، والصبر المعزّز بالرجاء جزءه العاموديّ، والطاعة التي تُنعشها المحبّة جزءه الأفقيّ[339]. (القدّيس ثيوفانس الحبيس)

✞ إن قُورن الصليب بشجرة، تكون جذوره الإيمان، الذي منه ينشأ بالدرجة الأولى نكرانُ الذات والعزمُ على ترك كلّ شيءٍ بغية العمل لأجل خلاص النفس بعيداً عن العالم. ونكران الذات يلد المحبّة، المستعدّة لكلّ طاعة. وبالتزامن تُنمي الطاعة الصبر، والصبر المتوّج بالرجاء يرتفع نحو السماء فيلج الهيكل الداخليّ إلى ما وراء الحجاب، كما يقول الرسول (عب٦:١٩). وعندما تتّحد هذه الاستعدادات كافّة، لا تنتصب شجرة الصليب عاريةً بل تعرض العديد من فروع شتّى الفضائل، وتتّشح بأوراق السلوك الظاهر الحسن، وتفيض بثمار الأعمال الصالحة.. وإن تبيّن لك أن صليبك ينحني، أو في الحالة الأسوأ أنّه وقع، وإن تغطّى ثانية فضلاً عن ذلك بغبار "الأفكار" والرغبات السيّئة وقذارتها، فاجتهد في تحريره وتنقيته بالتوبة، وفي إعادة نصْبه وإعادة غرْزه بالعزم الثابت حتى الموت على امتلاك الحميّة لأجل خلاص نفسك! صدّقني أن بدون هذا الصليب لا وجود لحياةٍ روحيّة، ولا لخلاص، بل ولا لأيّ فرحٍ في الحياة. بدون هذا الصليب، لم يخلُص أحدٌ قطّ ولا يمكنه ذلك. فلقد دخل الربّ في المجد بعدما تحمّل الصليب، وكذلك سيتمجّد تابعوه معه عبر صليبيهم الخاصّ. أترغبون في دخول هذا المجد؟ إذن ارتفعوا أوّلاً على الصليب، ومن على الصليب ستدخلون السماء [340]! (القدّيس ثيوفانس الحبيس)

✞ إنّها شجرة الخلاص ــ الصليبُ ــ في الواقع ما قد أباد الحقائق الفظيعة التي أدخلتها الشجرةُ الأخرى (تك٣)؛ أو بالأحرى، ليست الشجرة الأخرى ما قد أدخل الحقائق الفظيعة، بل هو الإنسان من أدخل كلّ ما أباده المسيح لاحقاً مُدخلاً بسعةٍ خيراتٍ أكبر منها بكثير.. وهذا يعني أنّ الله لم يُنعم نسبةً إلى ما خطئ به الإنسان، وأنّ الربح لم يكن نسبيّاً مع الخسارة، وأنّ الخيرات قد تجاوزت الشرور؛ وهذا مبرَّر. لأنّ الشرور إنما هو عبدٌ من أدخلها، وكانت أقل، أما الخيرات فهو السيّد من منحها، وكانت بفعل ذلك أكثر وفرة.. ثمّة خطيئةٌ واحدةٌ أدخلت شرّاً كبيراً إلى هذا الحدّ، ولكنّ عطية النعمة قد خلّصتنا لا من هذه الخطيئة الوحيدة فحسب، بل ومن خطايا كثيرة سواها.. لذلك صرخ يوحنّا: "هوذا حمل الله"، لا "الرافع

خطيئة آدم"، بل "الرافع خطيئة العالم" (يو ١: ٢٩). أرأيت كيف أنّ عطيّة النعمة ليست متناسبة مع الزلّة، وكيف أن هذه الشجرة التي نتحدّث بشأنها قد أدخلت خيراتٍ تتجاوز الشرور التي حدثت في البدء[341]؟ (القدّيس يوحنا الذهبي الفم)

✠ بغية شفاء المرضى، وفتح أعين العميان، وإقامة الموتى، هل كانت ثمّة وسيلةٌ أكثر تلاؤماً من استعمال أدوية التواضع على الجراح الحاصلة بداعي الكبرياء؟ ففي مخالفة وصايا الله، استحقّ آدم الحُكم المعزوّ للخطيئة؛ وأمّا يسوع، ففي خضوعه للشريعة أعاد الحرية المرتبطة بالبرّ. الواحد في طاعته للشيطان إلى حدّ الإخلال بواجبه قد سبّب الموت لكلّ ذرّيته، والآخر في طاعته للآب حتى الصليب جعل الكلّ يستعيدون الحياة فيه. الأوّل لحسده من المراتب الملائكية خسر كرامة طبيعته، والثاني لقبوله بحالة عجزنا وضع في السماء أولئك الذين نزل هو لأجلهم إلى الجحيم. أخيراً، للأوّل الذي أسقطته الكبرياء قيل: "أنت تراب والى التراب تعود (تك٣: ١٩)"، فيما للثاني الذي عظّمه التواضع قيل: "اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك (مز ١٠٩: ١)"[342]. (القدّيس لاون الكبير)

✠ لقد كانت هذه الميتة هي الوحيدة التي توافقه.. والقدّيس بولس هو الذي سيقول لنا أسباب هذا الخيار، حين يدعونا إلى الإدراك مع القدّيسين لأبعاد كلّ ما يوجد في الله وحين يستخدم لأجل ذلك أبعاد صليب يسوع المسيح (أف ٣: ١٨).. أيضاً يداه المبسوطتان من الشرق إلى الغرب تُظهران لنا فكره وقدرته يَعمّان كل مكان [343]. (القدّيس غريغوريوس النيصيّ)

✠ على الصليب وحسبُ يموت المرء باسطاً يديه. كذلك كان من اللائق أن يكابد الربّ هذه الميتة ويبسط ذراعيه؛ إذ بيدٍ كان يجتذب اليهود الشعب القديم، وبالأخرى باقي البشريّة موحّداً إيّاهما كليهما في ذاته[344]. (القدّيس أثناسيوس الكبير)

✠ إنّ كلّ فعلٍ للمسيح هو مجدٌ للكنيسة الجامعة، إلاّ أن مجد الأمجاد هو الصليب [345]. (القدّيس كيرلس الأورشليميّ)

✞ إن سألني أحدٌ عمّا استطاع المسيح فعله من الأمور غير العاديّة، فيجب عليّ عندئذٍ أن أدَعَ السماء جانباً، والأرض، والبحر، وقيامة الكثير من الأموات، وجمّاً من العجائب الأخرى التي اجترحها، لكيلا أُظهر من بعد سوى الصليب فحسب، والذي هو أرفع مجداً من كلّ ما تبقّى[346] . (القدّيس يوحنا الذهبي الفم)

✞ يمثّل الصليب تلك الشجرة التي كشفت لآدم عُريته، وثمر الشجرة هذه هو المسيح نفسه[347]. (القدّيس إفرام السوريّ)

✞ بالصليب يعلّق الذهن، وإذ تسمّر النفس بمسامير المخلّص وتثبّت بمخافة الله لا تعود تسمح للشهوات الرديئة بالاستيلاء عليها[348]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ إنّ الوسيلة الوحيدة للوقاية ضدّ الشياطين تكمن في الذّكر المتواصل لله. ويجب أن ينطبع هذا الذكر في القلب بقدرة الصليب، ما يجعل الذهن راسخاً لا يتزعزع. هوذا الهدف الذي لأجله ينبغي أن توجّه كلّ جهودنا في الحياة الروحيّة[349]. (القدّيس سمعان اللاهوتي الجديد)

✞ حمل الصليب إنّما هو إبادة الشهوة، وإماتة الرذائل، وتجنّب الباطل، والعدول عن كلّ إثم[350]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ إن انتصار المسيح مُعين لنا في كل مكان.. فلنصارع إذاً، سواء ضد طموح هذا الدهر، أم ضد رغبات الجسد، أم ضد سهام الهراطقة، متسلّحين دوماً بصليب الرب[351]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ كيف يمكن ألاّ تملك الخطيئة في جسدنا؟ إن قمنا بما يقوله الرسول: "أميتوا إذاً أعضاءكم، أعضاء الإنسان الأرضي (كو٣:٥)"، وإن "حملنا في جسدنا، كل حين، موت يسوع (٢ كور٤:١٠)". من المؤكّد، في الواقع، أن حيث يُحمل موت المسيح فهناك لا يمكن للخطيئة أن تملك. إذ تلكَ هي قدرة صليب المسيح، أنْ إذا وُضع نصب الأعين، إذا حُفظ في الفكر بأمانة، بحيث تكون نظرة فكرنا اليقظة مستقرة على موت المسيح، فلا يمكن من ثمّ لأية شهوة، أو أية لذة، أو أي غضب،

أو أية رغبة، أن تغلبه؛ بل من قدام هذا الحضور ينهزم جيش الجسد والخطيئةِ كلّه. كما ولا يمكن للخطيئة نفسها أن تدوم، لأن الأفعال والأعمال هي التي تشكّل موضوعها[352]. (أوريجانيس)

✠ ليس نكران الذات سوى راية الصليب والموت. فاعلموا أنكم اليوم قد متّم للعالم، ولأعماله ورغباته. ولقد صُلبتم للعالم وصُلب العالم لكم، بحسب قول الرسول (غلا٦:١٤). أمعنوا النظر في الصليب، الذي سيحيط سرّه بحياتكم الأرضية كلّها من الآن فصاعداً، لأنكم ما عدتم أنتم من يحيون (غلا٢:٢٠)، بل [يحيا] فيكم ذاك الذي صُلب لأجلكم. وكما كان هو على الخشبة حيث عُلّق لأجل خلاصنا، هكذا ينبغي أن نكون نحن في هذه الدنيا. ففي تسمير أجسادنا بخوف الرب كما يقول داود (مز١١٨:١٢٠)، علينا ضبط مشيئاتنا ورغباتنا مسمَّرة على موت يسوع، بدلاً من إخضاعها لشهوتنا. هكذا نتمم الوصية التي أعطاها لنا بقوله: "من لا يحمل صليبه ويتبعني فلا يستحقني (متى١٠:٣٨)". فتقولون لي: "وكيف يُحمل الصليب بلا انقطاع؟ كيف يمكن لإنسان حي أن يصلب"؟ أصغوا إلي إذاً بضع لحظات. إن صليبنا هو خوف الرب، والذي التصق بالصليب لا تعود لديه الحرية للتحرك أو الدوران حسب مشيئته. كما وينبغي علينا ألاّ نطابق مشيئاتنا ورغباتنا مع ما نستسيغه نحن وما يفرحنا حالياً، بل حيث يشدّنا ناموس الرب.. أمّا المصلوب على صليبه، فيكفّ عن تفحّص الأمور الحاضرة ولا يفكر في أهوائه من بعد، ولا يشغله البتة الاهتمام للغد، ولا تحركه الرغبة في القنية، ولا تثيره أية كبرياء أو أية منازعة أو أية منافسة حسودة، ولا يغتمّ البتة للإهانات الحاضرة، كما أنه لا يتذكر تلك التي لحقت به في الماضي؛ وعلى الرغم من أنه لا يزال حياً، يعتبر نفسه مع ذلك ميتاً للطبيعة، ويتقدمه نظر قلبه إلى حيث يكون أكيداً من الزوال بعد لحظة. فلا بدّ لخوف الرب من أن يصلبنا للدنيويات كافة، فنكون أمواتاً لرذائل الجسد، بل وللطبيعة نفسها، وتكون ألحاظ نفوسنا مسمّرة إلى حيث ينبغي توقّع الزوال بين لحظة وأخرى. هكذا يمكننا إماتة كل الشهوات والأهواء الجسدية[353]. (القدّيس يوحنا كاسيانوس)

✠ صليبه رايتنا، وبواسطته نعود بمجد الغلبة عل أعدائنا. فحرفتنا في الواقع ليست سوى نكران لحياتنا وتأمل متواصل في الموت. وكما أن الأموات لا يسلكون بعد بحسب الجسد، هكذا ينبغي علينا ألا نسلك نحن أيضاً. بل فلنسلك بحسب الروح، ولنُظهر بممارسة الفضائل أننا نحيا بحسب الروح.. لقد شرعنا في الخير، فلا نتركنّه أياً كان العائق الذي يعترضنا به الشيطان. ولنكن كالبحّارة، الذين بعد مغادرتهم الميناء والريح مؤاتية، إذا ما هبّت العاصفة يعملون دونما اضطراب ولا انذهال إزاء الخطر، بل وبعيداً جداً عن الانقياد لرغبة الرياح، فيواصلون طريقهم بأفضل ما لديهم من إمكانية. هكذا عندما ينفخ الشيطان ريح التجربة، لا نفقدنّ الشجاعة، بل فلنتابع مسيرتنا ناشرين شراعنا العظيم الذي هو راية الصليب(354). (القدّيسة سنكليتيكي)

✠ ما من أحد قط دنا إلى الله بدون قوة الصليب.. ففيما يسعى ملوك الأرض أن يكون مُواكبوهم رجالاً مستعدّين للموت من أجلهم، أسلم الرب نفسه هو للموت من أجلنا، وأوصانا أن نكون مستعدّين للموت لا من أجله بل من أجل أنفسنا.. ذلك أن من أهلك نفسه من أجل المسيح ومن أجل الإنجيل يخلّصها حقاً، إذ ينميها في إغداقه عليها الحياة السماوية الأبدية، ويقودها إلى القيامة، حيث يصير هو نفسه معها ــ أعني في جسده أيضاً ــ سماوياً وأبدياً. وأما من أحب حياته الخاصة ولم يجعلها مستعدة للهلاك، بداعي حبه لهذا الدهر الحاضر وكل ما فيه، فإنه يهلك نفسه إذ يحرمها من الحياة الحقيقية ــ وسيهلك هو أيضاً واحسرتاه! ــ ويسلمها إلى العذاب الأبدي.. إذاً، صلب الجسد مع أهوائه وشهواته يعني أن يصير المرء عاجزاً عن القيام بأي أمر لا يرضي الله، بل حتى ولو انقلب علينا جسدنا وغصَبنا، فليصارع كل منا بغية حَمْله إلى قمة الصليب.. ولكن الكفر بالجسد الخاص وحملَه إلى الصليب ــ كما تأمر الوصية ــ وحدهم رجال الله يستطيعون إنجازه، أولئك الذين يعيشون بحسب الله. فإذ لا يكابدون التعلق المفرط بأجسادهم، يستخدمونها كعنصر مساعد للقيام بواجبهم، بل ويكونون مستعدين لتسليمها إذا اقتضت الحال..

إن معنى الصليب سرّ عظيم، إلهيّ حقاً. ولِم؟ لأن، بحسب الظاهر، ذاك الذي يقلّل من شأن نفسه ويتّضع في كل شيء يسبب لنفسه الخزيَ كما يبدو، والذي يبتعد عن اللّذات الجسدية المشقةَ والألم، والذي يبذل أمواله سببَ افتقاره، في حين أن الفقر نفسه والألم والخزي قادرة بالله على توليد مجد أبدي ولذة لا توصف وغنى لا ينفد، في العالم الحاضر وفي العالم الآتي معاً.. وفي الواقع، يكشف صليب المسيح تماماً تدبير حضوره في الجسد، كما يشتمل على سر هذا التدبير كاملاً.. فبماذا صولحنا مع الله وبُشّرنا بعودة السلام معه؟ أوليس على الصليب وبالصليب؟.. أفلا نكرّم ونستعمل إذاً شعار الغلبة الإلهي هذا الذي حرر الجنس البشري قاطبةً، شعار الغلبة الذي مجرد ظهوره يطرد الحية أمير الشر، ظافراً عليه ومُخزياً إياه ومعلناً هزيمته وتحطّمه، كما يمجّد المسيح ويعظّمه كاشفاً للعالم انتصاره؟ وصدقاً، لو كان من الضروري احتقار الصليب، بحجة أن المسيح قد كابد عليه الموت، إذاً لما كان موته جليلاً ولا خلاصياً هو أيضاً. بل وكيف نكون شركاء قيامته، إن لم نكن متأصلين في مشابهة موته؟ وحيث أن لاسم يسوع تنحني كل ركبة في السماء وعلى الأرض وتحت الأرض (في ٢: ١٠)، وأن الصليب يحمل عليه هذا الاسم المسجود له، فبأية غباوة لا تُحنى الركب أمام صليب المسيح؟ ونحن أيضاً، إذ نحني القلب والركب، هلموا نسجد مع داود النبي صاحب المزامير في الموضع الذي قامت فيه قدماه (مز ١٣١: ٧)، حيث انبسطت يداه احتضاناً للجميع، وحيث شُبِح لأجلنا الجسد المحيي. وإذ نسجد بإيمان، فلنلتصق بالتقديس الوافر الذي يسيل منه، ولنغترفه، ولنحافظ عليه[355]. (القدّيس غريغوريوس پالاماس)

✠ يا رسم الصليب المشتهى، والمستحقّ التعجّب فوق كل شيء! من الذي قدّسك وأجاز تزيينك هكذا؟ من الذي جعلك مقدساً وفائق الحسن ومحيياً؟ هو الإله المتجسد نفسه، عندما تمدّد عليك! فمنذئذٍ صورتك عجيبة، مقدّسة، خلاصيّة، محيية، مشتهاة. وماذا كان الصليب قبلاً؟ كان خشبة حقيرة لميتة مخزية، بل للميتة الأشدّ

إيلاماً. فالمجد لصليبك يا الله، المجد للقوة التي منحتها إياه بانتصارك عل أعداء خلاصنا[356] . (القدّيس يوحنا كرونشتات)

✟ أيها الحب الجزيل اللذة، مغبوط من أحبك، لأنه لن يعود فيشغف قط بأي جمال أرضيّ. مغبوط من ارتبط بك برباط الرغبة الإلهيّة، لأنه سيكفر بهذا الدهر ولن يستطيع أن يتدنس من بعد. مغبوط ذاك الذي إذ انغوى بإشراقاتك تمتّع بها كلياً، وكان لمثل هذا أن يتقدس في نفسه بالدم الكلي القداسة وبالماء المحيي اللذين خرجا منك.. ولكن، الأكثر غبطة من الجميع هو أيضاً ذاك الذي أنت تحبه، أنت تتقفه، أنت تسكنه، والذي سيغتذي بالطعام الذي لا يزول (يو٦:٢٧)، أي ربّنا يسوع المسيح.. أيها الحب الإلهي، (..) افتح لنا الباب، لكي نستطيع أن نتبيّن ذاك الذي تألم لأجلنا، لأننا بمجرد لمْحه لن يكون في وسعنا قط أن نموت. وتشفّع فينا، لكي يسمح لنا بالوقوع على قدميه، عل قدميه الكلّيتي الطهر، ولكي يغفر لنا إساءة خطايانا، ويتنازل فيعتني بشقائنا، ويغذّينا أبدياً[357]. (القدّيس سمعان اللاهوتيّ الجديد)

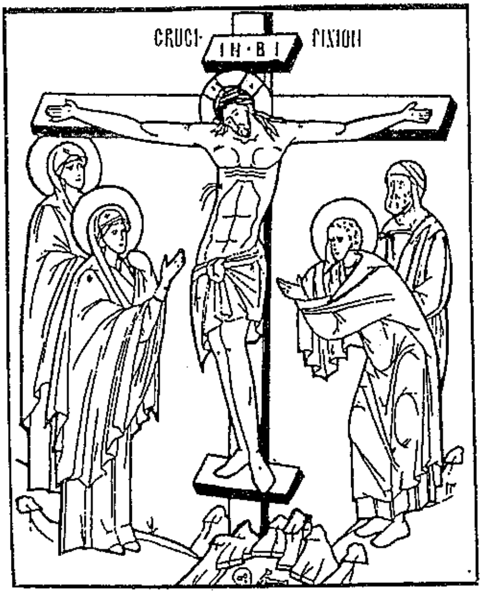

الاثنين من الأسبوع الرابع

القراءات إشع١٤: ٢٤-٣٢ / تك٨:٢١-٩:٧ / أم١١:١٩-١٢:٦

"لأن فكر الإنسان يجنح إلى الشرور منذ حداثته" (تك٨:٢١)

✠ عندما ينصرف الذهن ــ الذي يسمّيه الربّ "قلباً" ــ عن الله ويتعلّق بالأمور الماديّة، يطلق العنان لأهوائه أيضاً كحيوانٍ داجن، أو كبهيمةٍ بريّةٍ يقاتل البشرَ لأجل تلك الأمور.. ولكن، عندما ترى أنّ ذهنك يعكس صُوَرَه الفكريّة عن العالم بمهابةٍ واستقامة، يمكنك إذْ ذاك التأكّد من أنّ جسدك أيضاً لا يزال نقيّاً وبلا خطيئة[358]. (القدّيس مكسيموس المعترف)

✠ كما يتألّف عالم الجسد من الأشياء، كذلك عالم الذهن يتألّف من الصور ذات العلاقة بالمفاهيم. وكما يفجر الجسد مع جسد امرأة، كذلك الذهن إذْ يكوِّن صورةً لجسمه يفجر مع صورةٍ فكريّةٍ لامرأة[359]. (القدّيس مكسيموس)

✠ الهدف التامّ من وصايا المخلّص إنّما هو تحرير الذهن من التشتّت والضغينة[360]. (القدّيس مكسيموس)

✠ عندما يسود حبُّ الله على الذهن يحرّره من قيوده، مقنِعاً إيّاه بأن يرتفع لا فوق الأمور الحسيّة فحسب، بل وفوق هذه الحياة السريعة الزوال أيضاً[361]. (القدّيس مكسيموس)

✠ حين لا يكون الذهن مرتبطاً بالشؤون الخارجيّة ولا منتشراً عبر الحواس فوق العالم بأسره، فإنّه ينكفئ إلى داخل ذاته. ثمّ يرتقي تلقائيّاً نحو التفكير في الله؛ وإذْ يستنير بذلك البهاء يصير ناسياً حتى لطبيعته الخاصّة. بعدئذٍ، لا يعود يجرّ النفس إلى الأسفل، نحو الاهتمام بالتغذية أو التعلّق بوقاية الجسد، بل يحوّل كلّ حميّتها نحو اكتساب الخيرات الأبديّة وقد بات يتمتّع بالخلوّ من الاهتمامات الأرضيّة[362]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

✞ يرى الذهن النقيّ الأمور بشكلٍ صحيح، والعقلُ المدرّب يضعها في نصابها.. هذا ويعمل الذهن وفقاً للطبيعة حين يُبقي الأهواء تحت السيطرة، متأمّلاً في الجواهر الباطنيّة للمخلوقات ولابثاً مع الله.. أمّا الذهن الذي لم يبلغ اللاّهوى بعد، والذي يحلّق [مع ذلك] نحو المعرفة السماويّة، فهذا تكبحه الأهواء ويُدفع به إلى الأرض(363). (القدّيس مكسيموس المعترف)

✞ على من يقاوم أهواءه أن يجاهد لئلاّ يدع ذِكرها ينتهي إلى الهوى، تماماً كما أنّ الذي يقهر أهواءه الآن يقصي عنه حتّى ولو أوّل تلميح من الهوى. فكما لا ينشأ السحاب من دون نسمة الريح، كذلك لا يمكن للهوى أن يولد من دون تحرّك الأفكار(364). (القدّيس مرقس الناسك)

✞ يجب أن ينصبّ اهتمام حياتنا كلّه على الحؤول دون تذليل قمّة نفْسنا بتمرّد اللذّات، و[الحؤول] دون انجرار ذهننا إلى السقوط في أهواء اللحم والدم بدلاً من ارتقائه وتطلّعه إلى فوق(365). (القدّيس غريغوريوس النيصيّ)

✞ إكبح قوّة التملّق في نفسك بالمحبّة، إقمع شهوتها بضبط الذات، أعطِ جناحين لعقلها بالصلاة، وهكذا لن يظلِم قطّ نور ذهنك(366). (القدّيس مكسيموس المعترف)

✞ احفظوا أذهانكم باليقظة القصوى، وحالما تلاحظون فكراً [معادياً] قاوموه بلا تأخير، مسرعين في الوقت نفسه إلى استدعاء المسيح ربّنا ليباشر انتقامه. وفور فراغكم من استدعائه، يقول يسوع الحلو لكم: "ها أنذا بقربكم لنجدتكم". وحينما تقهر صلاتُكم أعداءكم، انتبهوا لأذهانكم من جديد. فثمّة أمواجٌ ستصل عندئذٍ وتنقضّ عليكم، واحدتُها أشدُّ بأساً من الأخرى، ما يجعل نفوسكم المرتجّة مهدّدةً بالغرق. بيد أنّ يسوع هو الله، وعند نداء تلاميذه سيقمع رياح الشرّ(367). (القدّيس فيلوثاوس السينائيّ)

✞ لا تستسلم لفكر الغضب محارِباً في ذاتك ذاك الذي أحزنك، ولا لفكر الفسق متخيّلاً اللذّة باستمرار. إذْ تُظلِم النفس من جهة، وتكون مدعوّةً إلى تركْ هواها يلتهب من الجهة الأخرى، وفي الحالتين يتدنّس ذهنك. وكونك تتصوّر إبّان الصلاة صوراً كهذه، ومن ثمّ لا تقرِّبُ صلاتك نقيّةً إلى الله، ففي الحال تصطدم بشيطان الضجر، الذي يثِبُ بالضبط إزاء استعداداتٍ كهذه فيمزّق النفسَ كما يفعل الكلب بظبيةٍ صغيرة(368). (إفاغريوس)

✞ إنّ من صار محبّاً للّه ويريد الاشتراك ــ ولو بشكلٍ ناقص ــ في لاهوى الله، في قداسةٍ روحيّة، في سكينة، في هدوءٍ وحِلم، وأن يتذوّق الفرح والبهجة المولودين منها، هذا عليه أن يجاهد لاقتياد أفكاره بعيداً إلى الغاية عن كلّ هوًى قد يعكّر النفس، وأن يتأمّل في الإلهيّات بعينٍ صافيةٍ خاليةٍ من الغشاوة، مستمتعاً من ثمّ بالنور الإلهيّ دونما شبع.. وعليه، فالإنسان الذي رَسّخ هذا الوضع في نفسه إنّما يصير مماثلاً لله، بقدر ما يمكن لأمرٍ كهذا أن يحدث، ويكونُ محبوباً منه ومرحَّباً به لديه كونه تعهّد بشجاعةٍ هذا العمل العظيم العسير؛ ويصير من ثمّ مؤهّلاً، على الرغم من واقع ارتباط طبيعته بالمادّة، للتحدّث مع الله، بأن يرسلَ إليه أفكاراً نقيّةً مجرّدةً من الأهواء الجسديّة(369). (القدّيس باسيليوس الكبير)

الثلاثاء من الأسبوع الرابع

القراءات إشع٢٥: ١-٩ / تك٩: ٨-١٧ / أم١٢: ٨-٢٢

"الجاهل يُذيع غيظه سريعاً" (أم١٢: ١٦)

✞ تخيّل إن شئت أنّ غيظك نظيرُ وحشٍ بريّ. فبقدْر ما يحاذر الآخرون حول الأسود، كذلك ينبغي عليك أن تحاذر لأجل نفسك.. إذْ حينما يغذي الإنسان الديدان في أمعائه لا يعود قادراً حتى على فعل مجرّد التنفّس، طالما أنّ باطنه يدّخر كلّ ما يخرِّب. وعليه، فكيف يمكننا إنتاجُ أيّ شيءٍ رفيع الشأن إن كانت حيّة الغضب الضخمة تلتهمنا من الداخل(370)؟ (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✞ الغضب يحتضن الشكوى، وإذْ تتلهّف النفس إلى الثأر تحضّنا باستمرارٍ على مجازاة الذين أهانونا. في الواقع، ما إن يطرد الغضبُ الرشدَ بنجاحٍ حتى يتسلّط على النفس، ويجعل الإنسان من ثمّ بهيميّاً تماماً. بل ولا يُجيز له أن يكون إنساناً حقّاً على الإطلاق، إذ يخلُص عاجلاً إلى تلقّي مساعدة عقله. وهكذا يكون المستعبَدون لهوى الغضب هذا مماثلين للحيوانات السامّة؛ فيصبحون كالكلاب المسعورة، ويندفعون كالعقارب، ويلدغون كالأفاعي.. وبسبب الغضب، تصبح الألسنة طليقة العنان والكلام غير حذر؛ كما وأنّ العنف الجسدي يولد من الغضب [أيضاً]. إذاً، الغضب ضربٌ من الجنون الخاطف عند ضحاياه، وهو لا يهدأ إلى أن يوجِّهوا إساءةً ما أو أن يؤذَوا هم أنفسهم(371). (القدّيس باسيليوس الكبير)

✞ من الأهميّة بمكانٍ ألاّ تقضي لنفسك بأنّك مستحقٌّ لأيّة مكافآتٍ عظيمة وألاّ تظنّ بأنّ كلّ إنسانٍ هو دونك في المستوى. أمّا لو تخلّصت من هذين العيبين، فلسوف يستحيل على الغضب أن يستيقظ فيك، حتى ولو كنت تكابد الإهانات.. إذاً، عليك أن تهدّئ قلبك عندما ينفجر غيظاً. اغصِب أهواءك على تشريف وصول

عقلك، تماماً كما يحترم الشابّ الرديء السلوك حضور شيخٍ تقيّ.. وعلينا إبقاء الغضب مكبوحاً [فينا] ـــ كما لو كنّا أردنا بالقول حصاناً ـــ وذلك في الإبقاء عليه ملجوماً بواسطة عقلنا، الذي سيقتاده من ثمّ إلى حيث يشاء.. ولكن، الغضب هو مصدر قوّةٍ للنفس حين تتحالف مع العقل ضدّ الخطيئة. وما لم يستيقظ غضبك ضدّ الشرير، فمن المحال عليك أن تكرهه بالضراوة التي يستحقّها، إذ ينبغي أن يكون بغضنا للخطيئة قويّاً بمقدار حبّنا للفضيلة. إذاً، الغضب نافعٌ جدّاً للتسبّب في ذلك، شريطة أن يتبع توجيه العقل بدقّة، فيكون من ثمّ هادئاً، طيّعاً، مطيعاً نداء العقل بيُسر؛ وها هي ذي حسَنةُ الغضب إن عرف المرء كيف يضبطه [372]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

✞ الغضب شيء والحقد شيء آخر. مثلاً: غالباً ما يحدث أنّ أباً يغضب على ابنه، إلاّ أنّه لا يحقد على ابنه، وإنّما يغضب لإصلاحه. وإن كان يغضب لإصلاحه، فهذا يعني أنّه يغضب وهو يحبّه. مقارنةً بالحقد، ليس الغضب سوى قشّة (متى٧:٣)؛ ولكن، إن أنميت هذه القشّة فلسوف تصبح خشبةً كبيرة [373]. (المغبوط أغسطينوس)

✞ إنّ الغضب ليس مداناً دوماً، إذْ من المُباح للمرء أن يثور ضدّ الشياطين، ولكن ليس مباحاً له أن يثور ضدّ البشر، حتى ولو بلغوا شأواً بعيداً في الخطيئة.. والأسوأ من الغضب هو حفظ الحقد وذكرُ الإهانات. فالاحتداد المفاجئ يُفقد الصواب في الحال، ثمّ يهدأ بعد وقتٍ قليل، كما يُرى الدخان وهو يتلاشى؛ وأمّا ذكر الإهانات، فإذ يرتسم في الفكر يجعل النفس قاسيةً كحيوانٍ كاسر. الكلاب الأكثر توازناً إنّما تهدأ متى قُدّم لها شيءٌ ما، والحيوانات الأخرى تتدجّن مع البشر، وأمّا حقد الإهانات فلا يُصغِ إلى العقل ولا إلى أيّ تحذير، بل إنّ الزمن نفسه، الذي يداوي الأسواء كافّة، لا يسعه أن يشفيه. هنا ذروة الشرّ الذي به يُعصى يسوعُ

المسيحُ بشكلٍ قاطع، إذْ قال لنا: "امضِ أوّلاً وصالِح أخاك، وعندئذٍ ائتِ وقدّم قربانك (متى٥:٢٤)". أولَم يقل لنا القدّيس بولس الرسول أيضاً: "لا تغربِ الشمس على حنقكم (أف٤:٢٦)"؟ من التمنّي بمكانٍ ألاّ يغضب المرء البتّة؛ ولكن، فلنتّبع مشورة الرسول على الأقلّ إن حدث لنا هذا السوء.. ولنقل بالحري كما نبّهنا يسوع المسيح قائلاً: "يكفي كلّ يوم شرُّه (متى ٦:٣٤)". هل نكره ذاك الذي أهاننا؟ بل فلنكره الشيطان الذي هو بالأحرى من أهاننا لا ذاك. هذا وإنّ الحقد تتبعه دوماً أسواءٌ جسيمة، كالحسد والغمّ والاغتياب، ولا نعتبرنّها أموراً ليست بذات أهميّة. فهي تبدو سهاماً هزيلةً من العدو، مقارنةً بالأسلحة الأخرى التي يستخدمها ضدّنا مجرّباً إيّانا حول بعض الآثام. ولكن، بقدرْ ما تبدو هذه الأخيرة أشدّ قتاماً ـــ وإذْ نكون مذعورين بعد ارتكابها ـــ بقدر ما نلجأ أيضاً إلى التوبة كبلسم خلاصيّ[374]. (القدّيسة سنكليتيكي)

✠ الغضب مرصودٌ بطبعه لشنّ الحرب على الشياطين وللكفاح ضدّ أنواع الخطايا كافة[375]. (إفاغريوس)

✠ إقمع الحركات الشديدة الانفعال والاهتياج في نفسك عبْر التأمّل في مثال الأتقياء من البشر[376]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

✠ لا يروِّض الغضب ولا يتحوّل إلى دماثةٍ إلاّ بالشجاعة والرحمة[377]. (القدّيس غريغوريوس السينائيّ)

✠ علينا أن نأخذ خطايانا في الاعتبار باستمرار، أن نندب ونبكي عليها. أن نندب، لأن حيث يكون الندب فهناك يستحيل وجود الغضب، إذ حينما يعاقَب العقل بالحزن لا تعود لديه الفرصة ليُثار[378]. (القدّيس يوحنا الذهبيّ الفم)

✠ تذكّروا مقدار عظم السوء الذي فعله اليهود بيسوع المسيح ربّنا، إلاّ أنه وهو الله المحبّ البشر لم يثُر عليهم، بل كان يصلّي إلى أبيه قائلاً: "يا أبتاه، اغفر

لهم، فإنّهم لا يدرون ما يعملون (لو٢٣:٣٤)". إذاً، افعلوا أنتم كذلك، فتقهروا الغضب[379]. (القدّيس نيلس سورسكي)

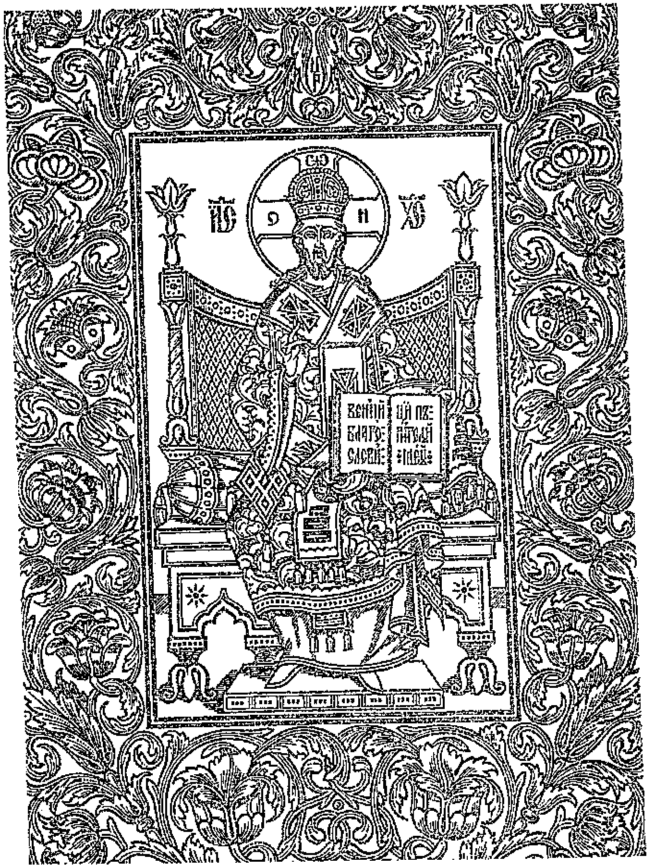

الأربعاء من الأسبوع الرابع

القراءات إشع٢٦: ٢١-٢٧: ٩ / تك٩: ١٨-١٠: ١ / أم١٢: ٢٣-١٣: ٩

"والصدّيقون يترأفون ويرحمون (أم١٣: ١٠)

✟ ليكن لدينا اليقين بأننا قادرون على فعل الخير حيثما كنّا، في المدن أم في القرى، أم في الأديار، أم في القفار. لأنّ الله، في صلاحه وبحسب وعده، يفتح أبواب ملكوته لكلّ من لا يكفّ عن القرع (متى٧: ٨)، ويمنح نعمة الروح القدس لكلّ من يطلبها (لو١١: ١٣). إذ لا يمكن ألا يجد غنى مواهب الله ذاك الذي يطلب من كلّ نفسه[380]. (القدّيس سمعان اللاهوتي الجديد)

✟ كن أشدّ تعلّقاً بالله.. إذْ يمكنك مجادلة كلّ كلمةٍ باستخدامك كلمة أخرى؛ ولكن، ما الذي يمكنك استخدامه لمجادلة الحياة [ولا حياة أخرى لديك]؟.. إذاً ما دام ثمّة وقت، فلنزُر المسيح، ولنخدم المسيح، ولنُطعم المسيح، ولنكسُ المسيح، ولنستضف المسيح، ولنكرّم المسيح[381]. (القدّيس سمعان اللاهوتي الجديد)

✟ تصبح أملاكنا ملْكاً لنا بخاصّةٍ عندما نملكها باستمرار لا لأنفسنا بل للفقراء.. إن كنتَ قد أقرضتَ إنساناً المال للاستفادة، فقد حصلت على جزءٍ من مئة، وأمّا إن أقرضت الله عبر الفقير، فلن تحصل على جزءٍ من مئةٍ بل على مئة ضعف. إذاً، ماذا سيكون دفاعنا؟ أن نعتصم بالفقر على الأقلّ! ولكن، لسنا أكثر فقراً من تلك الأرملة التي مضت حتى إلى التجرد عن فلسيها الوحيدين اللذين كانا بحوزتها (لو٢١: ١-٤) [382]. (القدّيس يوحنا الذهبيّ الفم)

✟ إنكم تدفعون الكثير لكي تتوشّحوا بالذهب، فيما أعضاء المسيح لا خبز لديهم.. إنّ ثمة مخلوقاً مصنوعاً على الصورة الإلهية، يتألّم ويصير مهمّشاً، فيما تغطّون رؤوس بَغلاتكم بالحُلى البرّاقة [383]. (القدّيس يوحنا الذهبي الفم)

✞ كيف يمكنك حيازة أسرّةٍ من الفضّة، (..) وموائد وكراسٍ من العاج، فيما بهو بيتك مكتنفٌ بالعديد من الفقراء؟ فواحدةٌ من خزانات ملابسك تحتوي على ما يُدفئ جمعاً يرتجف من البرد[384]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

✞ الصدقة ربحٌ لا خسارة، والخبز المُعطى يحصّل بالمقابل الحياة الأبديّة، ومجرّد كساءٍ [معطى] يتحوّل إلى ثوب خلود[385]. (القدّيس يوحنا الذهبي الفم)

✞ كلّ امرئٍ إنما يعطي نفسه ما قد منحه هو نفسه للفقراء[386]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ فليرحموا الفقراء، أولئك الذين يودّون لأنفسهم غفران المسيح. فليسارعوا إلى إطعام المساكين، أولئك الراغبون في بلوغ جماعة المغبوطين.. لقد شاء آباؤنا أن تنتصب العبادة المؤدّاة [لله] من خلال التقدمة الجزيلة القداسة التي لصدقاتنا في وجه أضاحي الملحدين النجسة، وإذ بانت هذه الممارسة من أكثر الممارسات نفعاً لنموّ الكنيسة، بدا حسناً أن يُجعل منها أساساً [بين الأسس] [387]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ كلّ زلّةٍ مرتكبةٍ على هذا المقرّ الأرضيّ إنّما تُمحى بالصدقات. فالصدقات هي أعمال محبّة، ونحن نعلم أنّ "المحبّة تستر جمّاً من الخطايا" (١بط٤:٨)"[388]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ إنّ الله الذي لا يحتاج عوناً لمزاولة رحمته، قد نظّم مزاولة قدرته الكليّة بحيث تُغيث هذه البشرَ في مشقّاتهم بواسطة البشر. ولذلك يُشكر الله على إعانات الإحسان بحقّ، إذ إنّها أعماله هو التي تظهر في خدّامه[389]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ لا نخشينّ تبديد مواردنا عبر نفقات الرحمة هذه، لأنّ الصلاح نفسه ثروةٌ عظيمةٌ ولأنّ الكرم لا يمكن أن تنقصه الوسائلُ حيث يكون المسيح المغذّي والمغذّى، إذ في هذا العمل كلّه تتدخّل تلك اليد التي تزيد الخبز في كسره وتكثّره في توزيعه (يو٦:١-١٣). وعليه، فليكن المتصدّق مطمئنّاً وفرحاً (٢كور٩:٧)[390]. (القدّيس لاون الكبير)

✟ عبر توزيع الصدقات والاهتمام بالفقراء، فليَسْمن المسيحيّون وهم صائمون[391]. (القدّيس لاون الكبير)

✟ الإنسان إنّما يكون صورةَ الله متى كان محسناً، وهو نفسه يتلقّى إحساناً لأنّ الربّان ينقِذ وينقَذ في آنٍ معاً.. ومن ثمّ ينبغي العطاء مجّاناً، بسخاءٍ وإخلاص، لأن الله هو خالق المجّانية[392]. (اكليمنضوس الإسكندريّ)

✟ إن كان زادك قد قلّ إلى خبزةٍ واحدة، وكان أحد الفقراء ببابك، فأخرج من نمليّتك هذه الخبزة الوحيدة وخذها في يديك، ثمّ ارفعها نحو السماء وقلْ: "يارب، إن الخبزة التي تراها هي فحسبُ ما تبقّى لي والخطرُ بادٍ. إلاّ أنّي أقدّم وصيّتك على مصلحتي، ومن هذا القليل أعطي أخي الجائع. فأنت أيضاً، أعطِ عبدك الذي في خطر شيئاً ما. فإني أعرف صلاحك وأثق بقدرتك، وأعلم أنك لا ترجئ إحساناتك زماناً طويلاً بل تُغدِقها متى شئت[393]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

✟ إنّ أقوال يسوع في الواقع لهي أكثر جدارةً بالتصديق من عيوننا. إذاً، متى رأيت فقيراً، تذكّر أقواله التي تؤكّد لك أنه هو من يُعطى الطعام[394]. (القدّيس يوحنا الذهبي الفم)

✟ إنكم تكسون عري المسيح عندما تكسون عري الفقير[395]. (القدّيس يوحنا الذهبي الفم)

✟ ما الفائدة من تبديد الثروة ومن الافتقار في التوزيع على الفقراء، إن انتفخت النفس الشقيّة بكبرياء شيطانيّة[396]؟ (القدّيس كيساريوس)

✟ إنّ أعمال الصلاح واسعةٌ للغاية، وتنوّعها نفسه للمسيحيّين الحقيقيّين حيازةُ حصّتهم كلّها في توزيع الصدقات، سواء كانوا أثرياء وفي الرخاء أم فقراء على العكس وفي قلّة هناء، بحيث أنّ غير المتساوين في ملَكات الإحسان يتشابهون على الأقلّ بشعور القلب.. ومع ذلك، إن بلغ الفقر المدقع بأحدهم حدّ عجزه حتى عن إعطاء فلسين لمعوز، فلسوف يجد في إرشادات الربّ السبيل إلى تأدية واجب الرفق (لو ٢١: ١–٤). لأنّ من أعطى فقيراً عطشان كأس ماءٍ باردٍ سينال مكافأة بادرته (متى١٠:٤٢)..

أيّة صورةٍ مصغّرةٍ لم يُعدّها الربّ لخدّامه حتى يفوزوا بملكوته، إن كانت هبة الماء نفسها ــ الشيء الذي استعماله مجانيٌّ وشائع ــ يجب ألاّ تفوّت المكافأة! وكيلا تتمكّن أيّة صعوبةٍ من أن تحول دون ذلك، كان الماء البارد هو المعروض كمثلٍ للرحمة، خشية ألاّ يظنّ من أعوزه الحطب لتسخينه أنه سيحرم من المكافأة. بيد أنّ الربّ ينبّه، وليس بدون سبب، أنّ من اللازم إعطاء كأس الماء هذه باسمه، لأنّ الإيمان هو الذي يعطي القيمة لهذه الأمور البخسة في حدّ ذاتها، ولأنّ عطايا الكفرة خالية مع ذلك من كلّ برٍّ حتى ولو قُدّمت بإنفاقٍ مفرط.. إذ إنّ المحبة هي قوّة الإيمان، والإيمان قوّة المحبّة، وكلاهما لا يستحقّان اسمهما الحقيقيّ وثمرهما الحقيقيّ إلاّ متى بقي اتّحادهما متعذّر الانفصال.. ذلك كالطيران الجزيل القوّة بجناحين، الذي يرفع النفس النقيّة إلى أن يستحقّ لها معاينة الله، ولكيلا يجرّها من ثمّ ثقلُ الاهتمامات الجسديّة إلى أسفل (عب١١:٦؛ ١كور١٣:٢)[397]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ بعد الطعام، يُدخل الأثرياء عازفي القيثار والمزمار. هؤلاء القوم يجعلون من منزلهم مسرحاً، أمّا أنت فاجعل من منزلك السماء. والحال أنّك ستقوم بذلك، دونما تغييرٍ للجدران ودونما قلبٍ للأسس، بل في دعوتك إلى المائدة سيّد السماوات شخصيّاً؛ فالله لا يخجل من وجباتٍ كهذه. في هذا الموضع، يوجد التعليم الروحيّ فعلاً، والزهد، والوقار، والاعتدال. في هذا الموضع، ثمّة رجلٌ وامرأةٌ وأولاد، وئامٌ وودّ، مشدودون برُبط الفضيلة، والمسيح في الوسط. إذ إنه لا يطلب سقفاً من ذهب، ولا أعمدةً لمّاعة كالبرق، ولا جمالاتٍ من المرمر، بل لمعان النفس، وإشراق الضمير، ومائدةً حافلةً بالبرّ الحامل ثمار الإحسان. فإنه، حالما يرى مائدةً كهذه، يشترك في الاجتماع ويحضره[398]. (القدّيس يوحنا الذهبي الفم)

✞ هكذا هم الأغنياء: الخيرات المشتركة التي احتكروها إنّما يعلنون أنفسهم أسياداً عليها، لأنّهم أوّل من وضعوا الأيدي عليها. في الواقع، إن كان كلّ واحدٍ لا يحتفظ إلاّ بالمطلوب لاحتياجاته المألوفة، فيما يترك الفائضَ للمعوزين، إذاً لزال الغنى والفقر. أولَم تخرج عرياناً من بطن أمّك؟ أولَن تعود عرياناً إلى التراب؟

وهذه الخيرات الحاليّة، من أين أتتك؟ فإن أجبتني: "من باب الصدفة، كنت فاقد الإيمان، لأنّك لم تعترف بجميل خالقك، ولأنّك مملوءٌ عقوقاً تجاه ذاك الذي أعطاك. أمّا لو صرّحت بأنها عطايا الله، فبيّن لنا إذاً سبب ثروتك. أأنت مدينٌ بها "لظلم" ذاك الإله الذي وزّع خيرات الدنيا بشكل غير متساوٍ؟ ولم أنت غنيّ فيما ذاك فقير؟ أوليس ذاك فقط ليلقى صلاحك وإدارتك المترفّعة مكافأتهما، بينما يكافأ الفقير بالجوائز الرائعة التي وُعد بها صبره؟ وأنت الذي يطوّق كلّ خيراته في طيّات بخلٍ لا يشبع، أتخال أنّك لا تعاكس أحداً في حرمانك جمّاً من البائسين؟ ومن هو البخيل؟ هو ذاك الذي لا يكتفي بالضروريّ. من هو السارق؟ هو الذي ينتزع من كلّ امرئٍ ماله. وأنت، أفلست بخيلاً، أولست سارقاً؟ سيّما وأنّ الخيرات التي عُهدت إليك إدارتُها قد احتكرتها. ذاك الذي يجرّد إنساناً من ملابسه إنّما يسمّى نهّاباً؛ والذي لا يكسو عُري الفقير فيما يستطيع ذلك هل يستحقّ اسماً آخر؟ إنّ الخبز الذي تحتفظ به يخصّ الجائع، والمعطف الذي تُخفيه خزناتك يخصّ العريان، والحذاء الذي يتلف عندك يخصّ المتشرّد، والمال الذي تكنزه يخصّ المعدم. هكذا تضطهد أناساً كان في وسعك أن تساعدهم.. وليس جشعك ما يُستنكر هنا، بل رفضك المشاركة.. تحوّل إذاً إلى الفريق الأفضل، ولتصر ثرواتك ثمن خلاصك ولتقُدك إلى الخيرات السماويّة التي ستُهيّأ لك[399]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

الخميس من الأسبوع الرابع

القراءات إشع١٤:٢٨ – ٢٢ / تك ٣٢:١٠ – ٩:١١ / أم ٢٠:١٣ – ٦:١٤.

"النسوة الحكيمات يبنين بيوتهنّ والتي تكون جاهلة تحتفرها وتنقضها بيديها" (أم١:١٤)

✞ أجل، إن رغبت العذارى في التزيّن بأوفر أناقة، وإن أبحن لأنفسهن مجالاً واسعاً من الحرية، فلا يعدن عذارى. وإذ يتدنّسن بمخازٍ خفيّةٍ ينتهي بهنّ المآل لا إلى خيانة زوج بل المسيح.. أصغين إلي إذاً أيتها العذارى، أتوسّل إليكنّ، أصغين إلي كأب يعطيكنّ تعاليمه ونصائحه. أصغين إلي كمن يسهر على مصالحكنّ بأمانة. فعلى نحو ما خلقكنّ الله هكذا كنّ، وابقين كما شكّلتكنّ يد الآب. فلتبق وجوهكنّ نزيهة، وأعناقكنّ بلا زينة، وجمالكن صادقاً. لا تثقبن البتة آذانكنّ، ولا تكبّلن أيديكنّ وأعناقكنّ بالأساور ولا بالعقود الثمينة. لا تضعن أقدامكنّ في قيود من ذهب، ولا تصبغن شعركنّ. ولتكن أعينكنّ أهلاً لرؤية الله. ولذلك اجتنبن مجالس الأعراس المؤذية، والولائم الخليعة حيث التردّد عليها مفعَمٌ بالخطر... إظهرن مترفّعات عن التبرّج، واعرفن أن تقاومن بريق الذهب.. فالطريق المؤدّية إلى المجد صعبة ووعرة.. أهربن إذاً من الدروب الواسعة الرحبة، فهي مملوءة بالطُّعوم المميتة واللذات القاتلة. هناك يداهن الشيطان ليخدع، ويلاطف ليُهلك، ويُغوي ليقتل... عسى أن تبقى عذريتكنّ وطيدة سليمة فحسب، وأن لا تفتش البتة عن زينة الحلى وثراء الملابس، بل عن كرامة الأخلاق، وأن لا تخفض طرْفها إلى شهوات الجسد والعالم، وأن لا يستقر بصرها على السفليات من بعد (400). (القدّيس كبريانوس)

✞ إن الزينة الحقيقية للمسيحيين، لكلا الجنسين، ليست خضاباً خدّاعاً، ولا الذهب والحلل الثمينة، بل طهارةُ الأخلاق(401). (المغبوط أغسطينوس)

✞ ليس مسموحاً للنساء، وبأية طريقة، أن يكشفن أو يُظهرن أيّاً كان من [أعضاء] أجسادهن، وذلك خشية أن يقع في الشرّ كلٌّ من الطرفين: الرجال كونهم

حُرّضوا [بذلك] على النظر، والنساء لابتغائهن اجتذاب أنظار الرجال إليهن[402]. (اكليمنضوس الإسكندري)

✠ إذا ما كان الله قد أقصى الاهتمام باللباس والطعام (لو ١٢:٢٨ – ٢٩) والأمور الزائدة بلا قيد أو شرط كما لو لم يكن ضرورياً، فأي تفكير يتوجّب علينا إزاء ما سيقوله بخصوص حب التجميل، وصباغة النسائج، وبذخ الألوان، وتكلّف الحجارة المنقوشة والذهب المصنوع، وأيضاً الشعر المصفّف فنياً، سواء كان مجعّداً أو مُلَولباً، فضلاً عن تجميل العيون، ونتف الشعر، واستعمال المساحيق (..)، وصباغة الشعر، وكل الحيل التي تساعد على هذه الخدع[403]. (اكليمنضوس الإسكندري)

✠ هذه المادة النادرة الشفّافة إنما تدلّ على فكر ضعيف، إذ إنها تدفع خزي الجسد إلى العهر تحت برقع واهٍ. فليس من الحماية بمكان أن يكون اللباس بهذا المقدار من الرقة، حتى إنه لا يستطيع ستر القدّ العاري. ذلك أن لباساً كهذا يأخذ شكل الجسد بكثير من الطواعية حالما يُلقى عليه، متكيفاً مع كافة خطوط الجسد لالتصاقه به؛ فهو يطابق قياس تضاريس المرأة بحيث تبدو للعيان كل تركيبة جسدها دون أن تُرى مباشرة.. كما أن إغراء الألوان يرهق الفضوليين إذ يثيرهم على النظر أكثر ممّا يُعقل.. وألبسة كهذه ليست ألبسة للحماية بل للنظر[404]. (اكليمنضوس الإسكندري)

✠ إني لأخجل حقاً من معاينتي الأموال الجمة تبذَّر لمجرد ستر الأعضاء (الجنسية)[405]. (اكليمنضوس الاسكندري)

✠ لا يوافق المشيئة الإلهية أن يكون جمال الجسد فخاً لأسر الرجال، كما وأنه ليس منطقياً أن تتغطّى المرأة بحجاب كبير من الأرجوان لتجتذب [إليها] كل الأنظار[406]. (اكليمنضوس الاسكندري)

✞ التهافت على بريق الحجارة الصغيرة وعلى ألوانها الخصوصية وعلى الخرز المبرقش لا يمكن أن يكون سوى تصرّف بشر حمقى يشدّهم كل ما لديه مظهر مؤثّر. هكذا يسارع الأطفال إلى النار حالما يرونها، منجرّين بلمعانها، ولكن دونما اعتبار للخطر في لمسها من جراء جهلهم. كذلك نعاين تأثيراً مماثلاً لدى غباوة النساء، والذي ينتج عن تلك الحجارة الثمينة المثبتة على سلاسل العنق، وعن الجَمَشْت في العقود، وعن جواهر اليشب أو الياقوت... فهؤلاء النساء الشقيات لا يخجلن من تكريس كافة انتباههن إلى هذه الصدَفة الصغيرة، في حين أن في استطاعتهن التزين بحجر مقدّس هو كلمة الله، يسوع الذي يدعو الكتاب لؤلؤة (متى ١٣:٤٥ – ٤٦).. هؤلاء النسوة اللواتي لا يفهمن شيئاً من رمزية الكتب [المقدسة] يعتريهن الإعجاب بكلّيتهن أمام الأحجار الكريمة، فيقدّمن هذا التبرير المدهش [قائلات]: ما وضعه الله أمام أعيننا، لمَ لا نستعمله؟ إنه تحت تصرّفي، فلم لا أتمتّع به؟ ولمن خُلقت هذه الأشياء إن لم تكن لنا؟ في الواقع، يجب أن يكون المرء على جهل مطبق لمشيئة الله حتى يتكلم هكذا... إن ما ليس هو ضروري قد خبأه الله في الأرض وفي المياه، (..) وأما أنتن ففضوليات لكل ما لا ينبغي. ها هي ذي السماء منبسطة بأسرها وأنتن لا تفتّشن عن الله فيها(407). (اكليمنضوس الاسكندري)

✞ لا تتّخذنّ هؤلاء النسوة شيئاً لهن من هذه التجميلات مما هو [بالحري] للزواني، ولا تزاولنّ عبادة الأوثان تحت ستار الأناقة.. إن كانت هؤلاء النسوة حسناوات فيكفيهنّ ما هو من الطبيعة؛ ولا يسْعَ الفن من ثم إلى منافسة الطبيعة، أي لا يتجادلِ الوهم مع الحقيقة. وبالعكس إن كنّ بشعات فهنّ يُشرن بما يُضفن [من المبتكَرات] إلى ما لا يوجد لديهن.. إذاً، فلتجد أيديكن زينة مقدّسة في أعمالها. ولتُبدِ أرجلكنّ إسراعاً لا إبطاء فيه نحو الإحسان والسعي في إثر العدل. الحشمة والعفة هما القلائد الذهبية والعقود، فالله هو الصائغ لمثل هذه الحليّ. عيون تلقّت مسحة "الكلمة" وآذان ثُقبت لامتلاك المعنى الروحي، هذه تهيّئ لاستماع الحقائق الإلهية

ولاكتشاف الوقائع المقدّسة؛ ذلك أن الكلمة يكشف في تمام الحقيقة الجمال الأصيل، "هذا الذي لم تره عين ولم تسمع به أذن" (١كور ٢:٩)" في الأزمنة الغابرة[408]. (اكليمنضوس الإسكندري)

✞ أن يبتغى التجمّل في نتف الشعر فهذا دليل تخنّث إن كان يطبّق على رجل، ودليل فسق إن كان يطبّق على امرأة[409]. (اكليمنضوس الإسكندري)

✞ ليس منظر الإنسان الخارجي ما يجب تجميله بحليّ الاستقامة بل النفس.. أما الجسد فيزيَّن بالاعتدال[410]. (اكليمنضوس الاسكندري)

✞ هؤلاء النسوة المغطّات بالذهب، اللواتي يرتّبن بعناية تجاعيد شعرهن، وتخضّبات خدودهن، وخطوط عيونهن، واللواتي يزاولن صباغة الشعر ويستعملن كافة الصناعات الرديئة الأخرى التي للرخاوة، إنما ينشغلن بتزيين غلاف جسدهن ليجتذبن إليهن العشاق العابدي الأوثان.. وهي الحية الماكرة التي تفترس كيان المرأة الروحي مستثمرةً فيه بطلانها فتجعل من نفسها مأوىً [لها]؛ وإذ تشيع سمومها المهلكة في كل مكان وتنفث سمّ ضلالها الخاص، تحوّل هذه الحية الغاوية النساء إلى بنات هوًى. ذلك أن ليست المرأة من تحب الظهور جميلة بل الغانية.. والشقيات [هؤلاء] لا يلاحظن أنهن يمحين جمالهن الطبيعي بإضافتهن جمالاً غريباً.. بل ويحتقرن من ثمّ خالق البشر كما لو أنه لم يمنحهن الجمال الذي كن يستحققنه. والحال أن هوذا الانحطاط إلى حد أن هذا الشغف بالتفاهات لم يَعُد بعدُ مرضَ الجنس النسويّ فحسب، بل صار الرجال هم أيضاً يسعون إلى هذا المرض[411]. (اكليمنضوس الإسكندري)

✞ إن دليل المحبة ليست في القبلة، بل في المشاعر العطوفة.. أما الحب الذي يدعى شغفاً (ÉROS)، والذي يولد من النار، فيقود بالخطيئة إلى النار التي لا تُطفأ[412]. (اكليمنضوس الاسكندري)

✞ هكذا شرّف سيّدنا جنسنا في محبته للبشرية: فالخيرات السفلية التي تهمّنا بشكل ضعيف والتي لا يبالي بلقائها العرَضي إنما أعادها إلى تحفّظ الحتمية الطبيعية، في حين أنه جعلنا صانعين للخيرات الحقيقية. ذلك أنه لو جعلنا أسياداً للجمال الطبيعي، لكنا وفرنا له (الجمال) عناية مفرطة ورحنا نهدر طيلة وقتنا في التفاهات، دون أن نهتم كثيراً لنفسنا. اليوم، وعلى الرغم من أن كل سلطان قد أُنكر علينا في هذا المجال، إلا أننا نرهق نفوسنا وننهكها دونما إكراه فلنتجمل بالأخاديع، لعجزنا بلا أدنى شك، ونكتسب من ثم تلك الجمالات المتطورة نتيجة المساحيق والأصباغ والتجعيدات والتباهي بالمعاطف وتقلّبات الأعين والكثير من الترّهات الأخرى. أيّ أوقات فراغ نخصّصها لنفسنا وللأمور الجِدّية إن كان في متناولنا تبديل ذلك بشيئ أصيل؟ قد لا تكون لدينا ربما مهمة أخرى إن كنا مدفوعين إليها من نفوسنا. بيد أنّا غالباً ما نقضي الكثير من وقتنا في الإسراف على الأمة (الجسد) بالزينة تاركين سيّدتها (النفس) تأسن، أسوأ من الأمة، في البشاعة والإهمال. لذلك حررنا الله من هذه الانشغالات الباطلة ووضع فينا معرفة التقدّم الأخلاقي. وعليه، لا يمكننا القيام بشيء لنمنح حُسن المظهر لجسد منفِّر، ولكن يمكننا أن نقتاد نفسنا إلى ذروات الجمال ـــ حتى ولو كانت قد سقطت في أسوأ البشاعات ـــ وأن نجعلها أكثر أهلية للحب والرغبة فيها، بحيث أن مَلك الكون اللهَ نفسه أيضاً لا الخيّرين من الناس فقط يكنّون لها الشغف الشديد، على ما قال صاحب المزامير متحدثاً عن هذا الجمال بقوله: "فيشتهي الملك حُسنك"[413]. (القدّيس يوحنا الذهبي الفم)

✞ وماذا أقول بشأن اللواتي يرتدن المسابح العامة؟ اللواتي يحقّرن، أمام أنظار متلهفة إلى الفجور، أجساداً مكرّسة للحشمة والعفة؟ وإذ يختلطن بالرجال يَنظرن بخزي ويعرضن ذواتهن بشكل معيب. أوَلا يزوّدن الرذائل عندئذٍ بسِحر فتّان؟ ألا يُثرن ويؤجّجن لعارهن تلك الغرائز السفلى عند من يشاهدونهن؟ تقولين: "على كل امرئ أن يتبيّن القصد من مجيئه، وأمّا أنا فلا أفكر سوى في تسلية جسدي الضعيف

وتنقيته"! بيد أن هذا الدفاع السيئ لا يبرّئك، ولا يعذرك قط على جريرة عدم الحياء والوقاحة. ثم إن اغتسالاً كهذا لا يرحض بل يلطّخ، ولا ينقّي أعضاء الجسم بل يلوّثها.. ألا أحد ترمقينه بنظراتٍ عادمة الحياء؟ ولكن ثمة من ينظرون هم إليك هكذا! أوّلا تلوّثين عينيك بلذّة دنيئة؟ ولكنك تدنّسين نفسك في إمداد الآخرين بهذه اللذة! ومن ثم تصنعين من المسبح فرجة، وينتهي بك المطاف إلى أمور أسوأ من تلك التي تشاهد على المسرح، بحيث يقصى كل خجل، ومع الملابس تُخلع كل كرامة وكل حياء.. وبعد ارتداء ملابسك من جديد، أنت التي أنمت جسارةُ الخلع لديها الوقاحة، أفترين أنك تحافظين على الاحتراس نفسه وسْط الرجال؟.. هكذا تفقد العفة شرفها، وترى الحشمة كل كرامتها وكل مجدها يتدنّس. هكذا يندسّ العدوّ المفسد بالحيلة، وهكذا يتسلّل الشيطان خفية عبر المكائد الخدّاعة[414]. (القدّيس كبريانوس)

✠ إنك امرأة، فاحترسي إذاً من إهانة كبرياء الرجل[415]. (القدّيس غريغوريوس اللاهوتي)

✠ لم تكن والدتي سوى امرأة، وأمّا بطبعها فكانت تفوق الرجال.. هكذا قد يحدث أنْ يتوجّب على المرأة تثقيفُ زوجها[416]. (القدّيس غريغوريوس اللاهوتي)

الجمعة من الأسبوع الرابع

القراءات إشع٢٩: ١٣-٢٣ / تك١٢: ١-٧ / أم١٤: ١٥-٢٦

"في خوف الربّ رجاءُ القوّة" (أم١٤: ٢٦)

✠ يمكن القول أنّ للغذاء في الحياة الجسديّة وظيفةً مزدوجة، كونه يخدم نموَّ المغتذين ووقايتهم. في الواقع، نحن نغتذي بهدف النموّ ما دمنا لم نبلغ بعدُ النضوج الجسديّ؛ ولكن، عندما يتوقّف الجسد عن النموّ لا يعود يغتذي في سبيل نموّه، بل بهدف المحافظة عليه فحسب. وغذاء النفس أيضاً لديه مبرِّر وجودٍ مزدوج. فما دامت النفس تنمو، يكون غذاؤها الفضائل والتأمّلات إلى أن تبلغ قامة ملء المسيح، وذلك بعد تجاوزها الحقائق المخلوقة كافة. وإذْ تبلغ هذه القامة بتلك الوسائل، تتلقّى منذئذٍ وبطريقة مباشرة غذاءً غير قابلٍ للفساد يفوق كلّ عقل؛ وربّما لأجل هذا السبب تكون أبعد من كلّ نموّ. فهي تتلقّى هذا الغذاء عندئذٍ، فقط لأجل المحافظة على الكمال الذي مُنح لها، ولأجل إظهار العظمة اللاّمتناهية التي لهذا الغذاء. ثمّ إذْ تتلقّى بهذا الأخير الغبطة الأبديّة، تصير إلهاً بالنعمة الإلهيّة[417]. (القدّيس مكسيموس المعترف)

✠ يتلقّن الأولاد أوّلاً التعرّف على الحروف، ثمّ يتمرّنون على تصنيف الحروف التي تشكَّل خصوصاً عن تلك التي لا تشكَّل. بَعدها يشرعون على نحوٍ منهجيٍّ في استخدام هذه الحروف عبر القراءة. هكذا تماماً فلنفعل نحن أيضاً. لندرِّج الفضيلة، ولنتعلّم أوّلاً ألاّ نحلف وألاّ نتكلّم بالسوء. بعدها، وإذ نتابع حتى المستوى التالي، فلنتعلّم ألاّ نحسد، ألاّ نكون شهوانيين، ألاّ نكون شرهين، ألاّ نكون سكّيرين، ولا ذوي عنف، ولا كسالى، لكي نستطيع من هنا التخطّي ثانيةً نحو شؤون الروح وممارسة العفّة، وإهمال البطن، ونحو الاعتدال والاستقامة. وإذْ يمكننا بذلك التسامي في التألّق، واللطف وندامة الذهن، فلنجمع هذه [الخصال] أحدها مع الآخر،

ولنَخطّها من ثمّ على نفوسنا. أيضاً فلنزاول هذه كلّها في المنزل، مع أصدقائنا، مع نسائنا، مع أولادنا. أمّا الآن، فلنبدأ بأوّل الأمور وأسهلها، بعدم الحَلف مثلاً. لنتمرّس على هذا الحرف باستمرارٍ في المنزل، سيّما وأنّ ثمّة العديد في المنزل ممّن يعوقون ممارستنا هذه في الواقع، فحيناً زوجة مزعجة، وطوراً ولدٌ صعب المراس متمرّد، ممّا يحفّزنا على الحَلف.. ولْنَقُم بهذا الأمر عينه في ما يتعلّق بالأهواء الأخرى أيضاً، فندرّب أنفسنا ضدّها في المنزل.. ليدعُ كلّ منّا زوجته، عند عودته إلى المنزل، ولْيُفسّر هذه الأمور طالباً المساعدة.. وعلى الرغم من إخفاقك مرّة، مرّتين، أو مراراً في تدرّبك، لا تيأس، بل قم مجدّداً وصارع. لا تستسلم إلى أن تحيط رأسك بإكليل الغلبة المجيد، [الغلبة] على الشرير، بعد أن تكون قد ادّخرت ثروة الفضيلة فوقُ في خزنةٍ منيعةٍ للحياة الآتية(418). (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✞ إنّنا محتاجون للاعتدال في كلّ الأمور، لكيلا تنقلب إلى أذيّتنا تلك الأمور الجيّدة التي تبدو وكأنّها في حوزتنا.. ومن ثمّ يجب على الإنسان أن يكون حسن الاعتدال في كلّ شيء، فيقرن اللطف بالحزم، والحكمة بالتمييز، والقول بالفعل، واثقاً بالربّ في كلّ شيءٍ لا بنفسه. ذلك أنّ الفضيلة تُتبّل بالعديد من التوابل المختلفة، تماماً كما يتبّل الطعام غالباً بالفلفل وأيضاً بالعسل(419). (القدّيس مكاريوس)

✞ من أراد اكتساب فضيلةٍ ما، لا يمكنه بلوغها إن لم يَشرع في استفظاع الرذيلة المعاكسة لها. إذاً، إن أردت الحزن أبغِض الضحك. هل تريد التواضع؟ أبغض الكبرياء. هل تريد الزهد؟ أبغض الشراهة. هل تريد العفّة؟ أبغض الفسق. هل تريد الفقر؟ أبغض الماديّات. هل تريد أن تكون رحيماً؟ أبغض البخل. فمن أراد السكنى في القفر كرِه المدن، ومن أراد هدوء النسك كره جرأة الكلام، ومن أراد العيش في الخفاء كره الحاجة إلى الظهور، ومن أراد السيطرة على الغضب كره

معاشرة بشَر الدنيا، ومن أراد نسيان الشتائم كره الكلام اللاذع، ومن أراد تجنّب الأخطاء عاش وحده، ومن أراد ضبط لسانه أغلق أذنيه ليُعيقهما عن سماع الكثير، ومن أراد امتلاك خوف الله على الدوام كره راحة الجسد، وأحبّ الحزن والضيق؛ وهكذا يستطيع خدمة الله تماماً[420]. (يوحنّا موسخوس)

✝ تكون النفس ميْتةً متى كانت عليلة، حتى ولو استبقَت لديها مظهر الحياة الخارجيّ. مثلاً، حين لا تكون مهتمّة بالفضيلة، بل [حين] تكون جشعةً وتتعدّى الشريعة، من أين لي أن أخبرك بأنّ ثمّة نفساً لديك؟ ألأنّك تمشي؟ ولكنّ هذا يخص الكائنات غير العاقلة أيضاً. ألأنّك تأكل وتشرب؟ ولكنّ هذا أيضاً يخصّ البهائم البريّة. إذاً، ألأنّك تقف مستقيماً على قدمين؟ هذا ما يُقنعني في الحقيقة أنّك بهيمةٌ بهيئة إنسان[421]. (القدّيس غريغوريوس پالاماس)

✝ يسمَّون بشراً، أولئك الذين لا تزال الأهواء البشريّة تتسلّط عليهم. أمّا من ارتفع فوق الرغبات الجسديّة، ومن بداعي كمال ذهنه اقترب من حالة الملائكة، فهذا يتميَّز عن سواه من البشر بوضوحٍ لو تكلّمنا عن بشر. صادقٌ هو في الواقع من قال: "أنا قلت إنكم آلهة (مز ٨١:٦)"، وبخاصّة إن كانت تسميةٌ كهذه تُوافق آخرين أيضاً فضلاً عن داود. والحال أنّه يكون "ابنَ العليّ" أيضاً كلّ من لا يموت كإنسان، لأجل اتّحاده بالله في الصميم بواسطة الفضيلة، كونه اقتنى الله الحيَّ في داخله[422]. (ذيذيمس الأعمى)

✝ إنّ فصل الجسد عن النفس لا يختصّ إلاّ بذاك الذي جمعها، وأمّا فصل النفس عن الجسد فيختصّ أيضاً بمن يتوق إلى الفضيلة؛ ولذلك يسمّي آباؤنا التوحّد تدريباً على الموت وهروباً من الجسد[423]. (إفاغريوس)

✝ جوهر الفضيلة إنّما هو المسيح[424]. (القدّيس مكسيموس المعترف)

✝ إنّ اكتساب الفضيلة الكاملة والتألّهِ كليهما أمرٌ واحد[425]. (القدّيس غريغوريوس النيصيّ)

✠ إنّ الكمال الحقيقيّ لا يتحقّق أبداً، لكنّه في حركةٍ دائمةٍ نحو الأفضل؛ وذلك لأنّ الكمال لا يحتويه أيُّ مدى[426]. (القدّيس غريغوريوس النيصيّ)

✠ اعرفِ السيرة الفاضلة بالخبرة ولا تَخَف فيها كما لو كانت أمراً مستحيلاً. لا تتذهل من أنّك قادرٌ على أن تصير ملاكاً وأنت إنسان. ذلك أنّ مجداً مماثلاً لمجد الملائكة معروضٌ عليك، ويَعِدُ به المجاهدين ذاك الذي يُشرِف على النضال[427]. (يوحنّا موسخوس)

✠ يستطيع الإنسان القيام بكلّ شيء مستخدماً أدوات الفضيلة، بيد أنّ هذه لن تُخلي النفس من القذارة والفساد، بل وستكون غير فعّالةٍ وعديمة الجدوى بدون حضور نار الروح [القدس][428]. (القدّيس سمعان اللاهوتيّ الجديد)

السبت من الأسبوع الرابع

الرسالة عب٦:٩-١٢ الإنجيل مر٤:٣١-٣٧

"والمحبّة التي أبديتموها لأجل اسمه" (عب٦:١٠)

✠ لا البتوليّة ولا الأسهار، ولا الأصوام، بل ولا الصلاة ولا المطالعة، تقدر أن تكون ذات فائدةٍ لخدّام الله، إنْ لم تكن ثمّة طاعةٌ كاملةٌ فيهم وتواضعٌ حقيقيّ. ولكن، بما أنّ الطاعة والتواضع هما ثمرُ المحبّة بلا شكّ، فكيف يمكن أن يوجَدا خلوّاً من هذه وهما عاجزان قطعاً عن التولّد إلاّ منها[429]. (القدّيس كيساريوس)

✠ ضدّ حيل إبليس، لا شيء أكثر فعاليّةً من عطف الرحمة وسخاء المحبّة، فهما يجنّبانا كلّ خطيئةٍ أو يجعلاننا ننتصر على كلّ خطيئة؛ بيد أن أعالي هذه الفضيلة لا يُبلَغ إليها قبل الإطاحة بما هو معاكِسٌ لها. ولكن، ما الذي يعاكس الرحمة وأعمال المحبّة أكثر من البخل، الأصل الذي منه تنشأ وتنبت كلّ الشرور (١تيم٦:١٠)؟.. فلنتصدَّ إذاً أيّها الأحبّاء لهذا الشرّ المسموم، ولنحبّ المحبّة التي بدونها لا يمكن سطوع أيّة فضيلة (١كور١٣)؛ سيّما وأنّ طريق المحبّة هذه هي التي استخدمها المسيح لينزل إلينا، والتي سيمكننا الصعود إليه بدورنا من خلالها[430]. (القدّيس لاون الكبير)

✠ أيّة علاقة "لكلمة الله" [باستخدام] القوّة!.. بل خيرٌ للمرء أن يكون وسيطاً للاتّحاد والمحبّة من أن يكون محرِّضاً على المشاجرة والتخريب[431]. (القدّيس غريغوريوس اللاهوتيّ)

✠ بدون الصبر، تكون المحبّة محرومةً من الجذور والنُّسْغ، ما يجعلها تَبيد بشكلٍ يُرثى له[432]. (القدّيس كبريانوس)

✞ أترى جِدّة المحبّة التي أحبّنا بها المسيح؟ فلقد أمر الناموس بمحبّة الأخ كالنفس، في حين أنّ ربّنا يسوع المسيح أحبّنا أكثر من نفسه[433]. (القدّيس كيرلس الاسكندريّ)

✞ الأغراض ذات السعر المرتفع إنّما تُدعى غالية، وذلك ليس صدفة. لاحظوا جيّداً هذه العبارة "هذا أغلى من ذاك". ماذا تعني كلمة "أغلى"؟ أوَلا تعني أنّه ذو سعرٍ أكثر ارتفاعاً؟ وإن كان يدعى "أغلى" كلّ ذي سعرٍ أكثر ارتفاعاً، فما هو أكثر غلاوةً من المحبّة يا إخوتي؟ ولكن، ما هو ثمنها برأيكم؟ وكيف يسدَّد؟ فثمن الحنطة عملتك، وثمة الأرض فضّتك، وثمن الصخر ذهبك، فيما ثمن محبّتك هو أنت. إن شئت ابتياع حقلٍ، أو صخرٍ، أو بهيمةٍ تُركَب، فتّشت عن أرضٍ ما ونظرت مِن حولك، بغية تسديد ثمنها، وأمّا لو رغبت في اقتناء المحبّة فلا تفتّشْ إلاّ عن نفسك، ولا تلتمس إلاّ نفسك. ما الذي تخشاه في بذل نفسك؟ أأن تهلك؟ ولكنّك ــ بخلاف ذلك ــ لا تهلك في بذل نفسك. فالمحبّة نفسها تعبّر عن نفسها في الحكمة، وبكلمةٍ واحدةٍ تهدّئ البلبلة حيث رمتك هذه العبارة: "ابذل نفسك". إذْ لو أراد إنسانٌ أن يبيعك حقلاً لقال لك: "أعطني ذهبك"، أو بصدد شيءٍ آخر: "أعطني مالك، أعطني فضّتك". ولكن اسمع ما تقوله لك المحبّة بفم الحكمة: "يا بنيّ، أعطني قلبك (أم٢٣:٢٦)". تقول: "يا بنيّ، أعطني". ماذا؟ "قلبك". فلقد كان سيّئاً عندما كان فيك، عندما كان لك، وكنت فريسة الترّهات، والأهواء النجسة المشؤومة. انتزعه إذاً من هناك. ولكن، أين تحمله؟ أين تقدّمه؟ أعطني قلبك! فلْيكن من ثمّ لي، ولن تخسره. انظر هل شاءت تركَ شيءٍ فيك يمكن أن يجعلك بعدُ عزيزاً على نفسك؟ فهي تقول: "أحبب الربّ إلهك بكلّ قلبك، وكلّ نفسك، وكلّ ذهنك (متى٢٢:٣٧)". ما الذي بقي إذاً من قلبك، ليكون في وسعك أن تحبّ به نفسك؟ ما الذي بقي من نفسك؟ ومن ذهنك؟ إذْ تقول: "بكلّ". فذاك الذي خلقك إنّما يطالب بك كلّك؛ ولكن، لا تحزن كما لو أنّ كلّ فرحٍ قد مات فيك.. بيد أنّك ستجيب: "كيف يمكنني إذاً أن أطيع الوصيّة

الثانية التي تُلزمني بمحبّة قريبي كنفسي"؟ ولكن، من هنا عليك بالأكثر أيضاً أن تحبّ قريبك بكلّ قلبك، وكلّ نفسك، وكلّ ذهنك. كيف؟ أحبب قريبك كنفسك. الله بكلّ قلبي، وقريبي كنفسي. وكيف أحبّ نفسي؟ كيف أحبّك؟ أتودّ معرفة كيف تحبّ نفسك؟ هكذا تحبّ نفسك: متى أحببت الله بكلّ نفسك. ثمّ، أتظن أنّك تساعد الله متى أحببته؟ بِمَ تنفعه المحبّة التي تحملها له؟ وإن كنت لا تحبّه، فما الذي سيخسره؟ إنّما أنت من يكسب في محبته، وسوف تكون هناك حيث لا يمكن أن تموت. لكنّك ستقول أيضاً: متى أحجمتُ عن محبّة نفسي؟ لا، لا، إنّك لم تكن تحبّ نفسك حينما لم تكن تحبّ الله، الذي خلقك، بل كنت تكره نفسك، وكنت تظنّ أنّك تحبّ نفسك[434]! (المغبوط أغسطينوس)

الأحد الرابع

(أبونا البارّ يوحنّا كاتب سلّم الفضائل)

الرسالة عب ٦:١٣ – ٢٠ الإنجيل مر ٩:١٧–٣١

"إنّ هذا الجنس لا يمكن أن يخرج بشيء إلاّ بالصلاة والصوم" (مر٩:٢٩)

مختصر الدرجات الثلاثين إلى الله

(لأبينا في القدّيسين يوحنّا السلّمي)

١– **الزهد** في الدنيا لا خوفاً من عقاب ولا طمعاً في ثوابٍ بل حبّاً لله.

٢– **عدم التعلّق** بأيّ شيء حتى الغربة.

٣– **الغربة**، وهي كثرة الحبّ وجحودٌ للعُجب وتوغّل في الصمت وشغفٌ بالنوح الدائم على الخطايا، بغية بقاء الذهن غيرَ منفصلٍ عن الله.

٤– **الطاعة**، وهي موت المشيئة الذاتيّة وقيامةُ الاتّضاع ومصارِعةُ الأفكار.

٥– **التوبة**، وهي عهدٌ مع الله لبدء حياةٍ جديدةٍ في ابتياع التواضع والتخلّي عن التعزيات الجسدانيّة والحُكم على الذات، وهي ابنةٌ للرجاء وجحودٌ لليأس. التوبة مصالحةٌ مع الربّ بعمل الصالحات المضادّة للزلاّت السابقة. التوبة صبرٌ على كلّ المكدّرات ولكنّها تقاس عند الله بمدى اتّضاعها لا بكميّة أتعابها.

٦– **ذِكر الموت**، إذْ يتعذّر علينا أن نعبر يومنا ببِرٍّ وتقوى إن لم نحسبه اليوم الأخير من عمرنا.

٧– **النوح**، إذْ ليس للنفس الساقطة عضدٌ عند الوفاة سوى أتعاب أصوامها ودموعها.

٨– **عدم الغيظ أو اللاّغضب**، وهو اشتهاءٌ للهوان دونما شبع. إنّه الوداعة التي هي سكون النفس وتقبّلها للإهانات والكرامات بحالٍ واحدٍ على السواء، لا سيّما وأنّ التعيير غسلٌ لأهواء النفس.

٩- **عدم الحقد**، وهو دلالةٌ على التوبة الصادقة. إن حقدت إذاً فاحقد على الشياطين وإن عاديت فعادِ جسدك كلّ حين، فإنّ الجسد صديقٌ غاشٌ عنيدٌ بقدر ما تراعيه يؤذيك. واعلم أنّ ذكر آلام يسوع يشفي النفس الحاقدة، وذلك لشدّة خجلها من طول أناته.

١٠- **عدم النميمة**، إذْ إنّ الشياطين قاتلي البشر يدفعوننا إمّا إلى أن نخطئ وإمّا - إذا لم نُذعِن لهم - الى إدانة الذين يخطأون لكيما على كلّ حالٍ يدنّسونا. إذاً، من شاء أن يغلب روح النميمة فلا ينسب المذمّة إلى من يزلّ بل إلى الشيطان الذي يوحي والذي ليس ثمّة ما يوضح انهزامه لنا كالحرب القاسية التي يشنّها علينا.

١١- **عدم الثرثرة**، إذْ إنّ إكثار الكلام عرشٌ للعُجب ودليلٌ على عدم المعرفة وبابٌ للنميمة وخادمٌ للكذب واضمحلالٌ للخشوع والنّدم ومبيدٌ للصلاة.

١٢- **عدم الكذب**، لا سيّما وأنّ الكذب إذْ يتولّد من كثرة الكلام والمزاح يطفئ المحبّة، وأمّا من أسكره خشوع الندم فلا يمكنه أن يكذب.

١٣- **عدم الضجر**، إذْ إنّ الضجر موتٌ كاملٌ لكلّ الفضائل، وأمّا من ينوحُ على خطاياه فلا يعرف الضجر أصلاً. هذا يُصفع بالعمل اليدويّ وأمّا ما يميته فهو الصلاة المقترنة بالرجاء الثابت بالخيرات المنتظَرة.

١٤- **عدم الشراهة**، إذْ إنّ الشراهة رئيسٌ للأهواء وينبوعٌ لأنواع الفساد. أمّا ذكر الإنسان لهفواته فيحارب الشراهة، وهذيذه بالخروج من الدنيا يعادي الشراهة كليّاً، ومن اقتنى الرّوح المعزّي في داخله يتوسّل إليه فيبطل الروحُ فعل الشراهة فيه.

١٥- **الطهارة**، لأنّ من يحتقر هاجس الزنى احتقاراً كليّاً يكون قد قام من قبره وإن كان بعدُ في جسده. لا تثق بطين جسدك ما دمتَ حيّاً، بل قدّم للربّ ضعف طبيعتك معترفاً تماماً بكامل عجزك فتنالَ موهبة العفّة وأنت لا تشعر.

١٦- **عدم حبّ المال**، لأنّ من قهر حبّ المال فقد قطع عنه الهموم ومن ذاق العلويّات يتهاون بسهولةٍ بالسلفيات، وأمّا من لم يذقْها فيهلّل للمقتنيات غير مهتمٍّ بالحساب الأخير.

١٧- **إنعدام عدم الحسّ**، لأنّ عدم الحسّ موتٌ للنفس والروح قبلَ موت الجسد، وهو أبو الضحك وحاضنُ النوم وخليلُ النّهم ورفيق الورع الكاذب والذي لا يخجل عند التوبيخ. أمّا أنت فاثبت في سهرٍ كثيرٍ ذاكراً يوم الدينونة دونما انقطاع. صلّ كثيراً في المقابر وصوّرها في قلبك تصويراً لا يُمحى، فإنّك إن لم تطبعها في قلبك بالصوم لن تقهره الى الأبد.

١٨- **عدم الاستغراق في النوم**، وهذا يرجع الى العادة كالإفراط في الشرب مثلاً. لذا علينا أن نقاومهُ وبخاصةٍ في بدء زهدنا، لأنّ العادة المتأصّلة يصعب شفاؤها.

١٩- **السهر في الصلاة**، وهو قمعٌ للشهوة وتنقيةٌ للذهن بخلاف كثرة النوم التي تعمي النفس.

٢٠- **عدم الجبن**، لأنّ من أضحى عبداً للربّ يهاب الربّ وحده ومن لا يهاب ربّه بعدُ فكثيراً ما يخشى ظلّه. أمّا الجبن فهو ثمرة العُجب وابنُ عدم الإيمان، وإذا ما تقبّلنا بانسحاق قلبٍ كافّة الحوادث غير المتوقّعة التي قد تحصل لنا فنكون قد انعتقنا من الخوف حقاً.

٢١- **عدم العُجب**، أو عدم المجد الباطل إذْ إنّ العُجب تبديدٌ لأتعابنا واختلاسٌ لثروتنا، ابنٌ لعدم الإيمان وسابقٌ للكبرياء، انتفاء البساطة واعوجاج السيرة. فلا تصدّق العدوّ المبدّد الذي يوحي إليك بأن تُشهر فضائلك لمنفعة السامعين، إذْ ما من شيء يمكنه بنيان الناظرين كالخُلق المتّضع الصادق والكلام غير المتكلّف. ومتى ابتدأ مادحونا ــ أو بالأحرى مضلّونا ــ بامتداحنا، فلْنذكر سريعاً كثرة آثامنا، فنجد أنفسنا غير أهلٍ لما يُقال فينا أو يُعمل إكراماً لنا.

٢٢- **عدم الكبرياء**، إذْ إنّ المتكبّر لا يحتاج الى شيطانٍ لإسقاطه كونه قد صار شيطاناً وعدوّاً لذاته. من يرفض التوبيخ يُظهر تكبّره، ومن يرضخ لهُ يتحرّر من هذا الأسْر. العُجب والكبرياء منشأٌ للأهواء كلّها، أمّا الطاعة فتحاربهما بشدةٍ وما يفرز التواضع ينافيهما. وثمة أمرٌ واحدٌ لا يستطيعان التغلّب عليه، ألا وهو الذمّ الخالص المتواصل للذّات أمام الربّ.

٢٣- **عدم التجديف**، لا سيّما وأنّ التجديف ألدُّ محاربينا جميعاً، ولأنّ أفكار التجديف صادرةٌ عن روح التجديف الذي حالما يظهر يتلاشى. أمّا إن كفَفنا عن إدانة القريب فلن نخشى أفكار التجديف، ومن يزدري هذا العدوّ بعدم إخفاء الأفكار في قلبه وعدم تغذيتها وبالاعتراف بها فهذا ينعتق منه.

٢٤- **الوداعة**، وهي خُلقٌ لا يتغيّر في الإهانات والكرامات، دعامةٌ للصبر وبابٌ للمحبّة وأساسٌ للتمييز ومنجدةٌ للطاعة وتشبّه بالمسيح وعقالٌ للشيطان. النفس البسيطة لا تعارض وليَّها بل تتّبع سائقها إلى حيثُ يشاء ولا تعرف أن تقاوم ولو سيقت الى الذبح. إذاً، صارع في سبيل نبذ حكمتك، فإنّك إن فعلت هذا تجد خلاصاً وسلامةً بالمسيح يسوع ربّنا.

٢٥- **التواضع**، وهو نعمةٌ للنفس ليس لها اسمٌ يعبّر عنها إلاّ عند الذين تعلّموها بالخبرة. إنّها غنىً لا يوصف ودلالةٌ إلى الله لأنّه قال: " تعلّموا منّي"، أي من سكناي وإشراقي وفعلي فيكم. وإن كانت التوبة تُنهض والنّوح يقرع باب السماء، فالتواضع المقدّس يفتح. قد يدعو معظمنا ذواتهم خطأةً، ولعلّهم يعتقدون ذلك فعلاً، إلاّ أنّ الهوان هو الذي يمتحن القلب. إذاً، آثر بالحريّ أنْ تغمّ الناس ولا تحزن الله، لأنّه يفرح إذا ما رآنا ساعين وراء الهوان حتى نطرح غرورنا ونسحقه ونبيده، وإن تهيأت لتقاتل هوى من أهوائك فاقتنِ التواضع حليفاً لك.

٢٦- **التمييز**، فكما أنّ عيني الجسد نورٌ لسائر الأعضاء هكذا تمييز الفضائل نورٌ للذهن. إنّ التردّد في الحُكم على الأمور والاستمرار طويلاً في الشكّ والحيرة دلالةٌ على نفسٍ غير مستنيرة تطلب مجد الناس. أمّا من يطلبون معرفة مشيئة الربّ فعليهم أن يميتوا مشيئتهم أوّلاً، وبعد أن يصلّوا إلى الله بإيمانٍ وبساطةٍ خاليةٍ من الخبث أن يسألوا آباءهم أو إخوتهم بقلبٍ متواضعٍ وفكرٍ غير مرتاب – إذْ لا بدّ من فحص ذواتنا في جهاد الأهواء- وأن يقبلوا ما يشيرون به عليهم كأنّه من فم الله، حتى ولو كان منافياً لرغبتهم أو كان الذين سألوهم غير متقدّمين في الروحانيّات.

٢٧- **السكينة أو الهدوء**، وذلك لتدارك فرط اللسان، وتلافي الغضب، والهرب من التعلّق بالناس دون مقتٍ للناس، ووفاء دَين الزلاّت وابتغاء الجِدّ والغَيرة، واستمداد المزيد من نار المحبّة الإلهيّة؛ ثمّ إذا خرجتَ من عزلتك احفظْ ما جمعْت. وان اقتنيتَ عكّاز الصبر في الهدوء فلسوف تكفّ الكلاب (الشياطين) سريعاً عن وقاحتها لديك. ولكن، كيف يهدأ من لا يؤمن؟ ذلك أنّ الإيمان هو أمّ الهادئين.

٢٨- **الصلاة المقدّسة**، وذلك لأنّها جسرٌ لاجتياز التجارب، وسورٌ في وجه الأحزان، وقطعُ دابر القتالات، وغذاءُ النفس، واستنارة العقل، وفأسٌ يقطع اليأس، وهي للمصلّي الحقيقي محكمة الربّ ومنبره وحُكمه قبلَ الحكم المنتظَر. وفي عريضة توسّلاتنا ينبغي أن ندرج شكراً خالصاً قبل أيّ شيءٍ آخر، ثمّ اعترافاً بهفواتنا وتندّماً حارّاً عليها، وبعد ذلك نعرض سؤالنا لمَلك الكلّ ببساطةٍ خاليةٍ من التذويق وبتواضعٍ جزيل. وكن رحوماً جداً إن كنت مهتمّاً باستجابة صلاتك، وتهيّأ بصلاةٍ داخليّةٍ دائمةٍ للقيام بصلواتك فتتقدّم سريعاً. صلاتكَ تكشف لكَ حقيقة وضعك، ولكنْ، من يُمسك بعكاز الصلاة على الدوام لن يعثر. إسأل بدموع، أطلب بطاعة، إقرع بصبر، كن مقداماً كلّ الإقدام فيعلّمك الله الصلاة. وإن كنت تسأل

الملك بلا انقطاعٍ أن ينصرك على أعدائك فتشجّعْ متى أقبلوا إليك، لأنّهم سيهربون عندها من صلاتك التي تجلدهم كما بنار.

٢٩- **اللاّهوى؛** والنفس تبلغ اللاّهوى عندما تترسّخ في كلِّ الفضائل ترسُّخ الفاسقين في اللّذات. فمنتهى الإمساك أن يقهر الإنسان طبيعته ويمتنع عن الطعام وهو جائع، وذروة العفّة أنْ لا يحتاج لأيّ شخصٍ كان، ومنتهى الزهد في المقتنيات أن لا يشفق حتى على جسده، وتمام الصبر أن يكون في شدّةٍ ويحسبها راحة، ولجّة طول الأناة أن يكون ساكناً هادئاً في غياب ثالبه كما في حضوره، وأوْج الانعتاق من العُجب أن لا يُحسّ بأيّ فخرٍ في حضور من يمدحه، ودلالة التواضع أن يكون في فكره ذليلاً متواضعاً في وسط أعمالٍ ساميةٍ قد فُوّضَت إليه ومناقب عاليةٍ قد أحكمها. اللاّهوى المغبوط يُنهض العقل الفقير من الأرض الى السّماء ويُقيم المسكين من مزبلة الأهواء، وأمّا المحبّة فتُجلسُه مع الرؤساء (مز ١١٢:٧ – ٨).

٣٠- **المحبّة،** ذلك أن الله محبّة وأنّ المحبّة من ثمّ تشبّه بالله على قدْر ما يتيسّر ذلك للبشر، وهي نبع إيمانٍ ولجّة صبرٍ وبحر تواضع. من يحبّ الربّ فقد سبق وأحبّ أخاه لأنّ الحبّ الثاني علامة الأوّل، وقوّة هذه المحبّة إنّما تكمن في الرجاء، لأنّنا بالرجاء نتوقّع أجْر المحبّة. فمغبوطٌ إذاً من كان حبُّه لله كعشق المغروم الهائم بمعشوقِه، ومغبوطٌ من يخافُ الربّ، كما يخاف المُلاحقون القاضي. مغبوطٌ من صارت أمانته للسيِّد كأمانة العبد الأمين المتأهّب على الدوام لخدمة سيِّده. مغبوطٌ من أضحت غيرته في الفضيلة كغيرة الأزواج الغيورين على زوجاتهم. مغبوطٌ من يقف في الصلاة أمام الله وقوفَ الخدم أمام الملك. مغبوطٌ من يجتهد ليُرضي الله على الدوام كما يجتهد الآخرون ليرضوا الناس.

قالت لي المحبّة: "يا عاشقي، إنْ لم تنزع عنكَ كثافة الجسد لا تقدر أن تعرف يومي. فلتعلّمك تلك السلّم ترتيب الفضائل، وأنّي كائنةٌ في أعلاها حسبْما قال العالِم بأسراري (اكور١٣:١٣)(435).

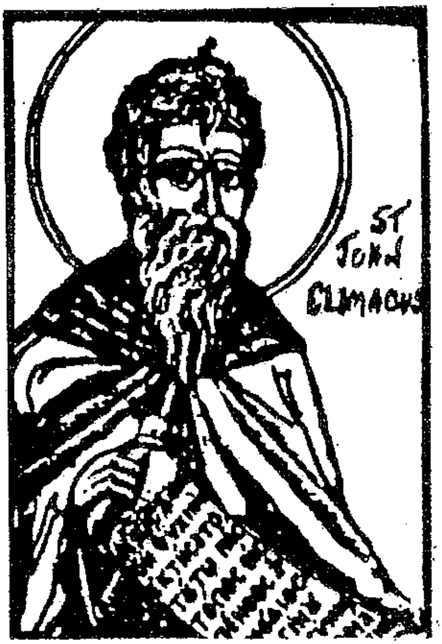

الاثنين من الأسبوع الخامس

القراءات إشع ٣٣:٣٧ – ٦:٣٨ / تك ١٢:١٣ – ١٨ / أم ٢٧:١٤ – ٤:١٥

"وأمّا أهل سدوم فكانوا أشراراً وخطأةً لدى الله جدّاً" (تك ١٣:١٣)

✞ يستحوذ الفسق سريعاً على من يستسلم للبطالة، وتستحوذ الشهوة سريعاً على من تجدهُ كسولاً. بيد أنّ الشهوة تخضع أمام الانشغالات والأعمال والاجتهاد والكدّ. في الواقع، غالباً ما يُقصي العمل لذّة الجسد، لأنّ الجسد المتعب بداعي العمل يكون أقلّ تحسّساً للّذة الرديئة. فاحترسوا إذاً من البطالة ولا تحبّوها، ولا تقضوا حياتكم فيها، بل أتعبوا أجسادكم بالأشغال وادأبوا على أيٍّ منها، ولكن فتّشوا عن عملٍ مفيدٍ يستقرّ فيه انتباه نفوسكم. ومع العمل اعكفوا على المطالعة، وعلى دراسة ناموس الله، وعلى التأمل في الأسفار المقدّسة، بل عاشروا الكتب الإلهيّة، وثابروا على قراءتها. إقرأوها غالباً وتأمّلوا كلَّ يومٍ في ناموس الله[436]. (القدّيس إيسيذورس الإشبيليّ)

✞ إن قُبل دم المسيح الكريمُ بثقةٍ تامّةٍ فلسوف تكون لديه القدرةُ للقضاء على كلِّ علّة وعلاوةً على ذلك، سوف يوطّدنا الإصغاءُ اليقظ للكتب المقدّسة وإعطاءُ الصدقات.. عندئذٍ، وعندئذٍ فقط، سنحيا. فلسنا الآن بالتأكيد في حالةٍ أفضل ممّن هم أموات، إذْ لا يمكننا أن نحيا، بل وسنهلك طالما أنّ الأهواء تحيا فينا. إذاً، وما لم نقتل الأهواء هنا، فلَسوف تقتلنا هي لا محالة في الحياة الآتية. أجل، كلٌّ من الأهواء قاسٍ، مستبدٌّ ولا يشبع، ولا يكفّ عن التهامنا كلّ يوم[437]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفمّ)

✞ إن كنت ترغب في قهر الهوى بمعونة المسيح عليك الفرار من الدّالة.. من الضروري أن نقاوم الرذائل الأخرى بكلّ قوانا، وأمّا الهوى (الجسدي صحبة الآخر) فلا فائدة في مصارعته، بل في الهروب [منه]. وعليه، فحينما يجرِّب أحدٌ ما

في داخل نفسه، فلْيقاوم نفسه بمعونة الله. ولكن، عندما يُجرِّب صحبة الآخر ولو برغبةٍ جسديّةٍ طفيفة، فليهرب منها بأسرع ما أمكنه كما لو كانت حيّةً سامّة[438]. (القدّيس كيساريوس)

✞ يترافق تقريع الذات والتواضعُ دوماً. تقريع الذات، مع الندْب الذي يميّزه، إنّما يسحق الأهواء أيضاً ويملأ القلب بالفرح الأكثر إسعاداً[439]. (القدّيس غريغوريوس بالاماس)

✞ من يكره الأهواء يتخلّص من أسبابها[440]. (القدّيس مرقس الناسك)

✞ الشهوة تخمد بالجوع[441]. (إفاغريوس)

✞ العفّة اجتنابٌ كاملٌ لكلّ ما يُفضي الى المتعة المؤذية.. بكلماتٍ أُخرى، يجب أن نتعوّد على تحرير حاجاتنا الأساسيّة من أقلّ شغبٍ ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً[442]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

✞ إنّ من لم يتحرّر بعدُ من أهوائه لا يعرف ما هو اللاّهوى، بل ولا يؤمن بإمكانيّة وجود أيّ إنسانٍ كهذا في العالم. ذلك أنّ الإنسان إنْ لم ينكر نفسه أوّلاً ويستنزف دمه لأجل هذه السيرة المباركة حقاً، فكيف يمكنه الاعتقاد بأنّ أحداً آخر قد استطاع القيام بذلك[443]؟ (القدّيس سمعان اللاّهوتيّ الجديد)

✞ النفوس التي لديها حبٌّ للربّ مضطرمٌ لا يشبع إنّما تُشبَع للحياة الأبديّة، هي التي مُنحَ لها انعتاقُ العقل من الأهواء، والتي تحصل من الآن فصاعداً وبشكلٍ كاملٍ على الاستنارة وعلى الاشتراك في الألفة السرّية غير الموصوفة التي للرّوح القدس، وعلى مِلء النعمة[444]. (القدّيس مكاريوس)

الثلاثاء من الأسبوع الخامس

القراءات إشع٤٠: ١٨-٣١ / تك١٥: ١-١٥ / أم١٥: ٧-١٩

"يُعطي الجياع قوّة" (إشع٤٠: ٢٩)

✠ في البداية صام الرب على غرار موسى وإيليّا، ثمّ شعر بالجوع لنفهم بأنّ ناسوته كان حقيقياً وأكيداً، سيّما وأنّ الجوع خاصّة الإنسان عند امتناعه عن الطعام، ولكي يكون لدى الخصم أيضاً ميدانٌ يستطيع فيه مهاجمته. إذْ كما أغوى إبليسُ الإنسان العادم الجوع بطعامٍ في البدء وجرّه من ثمّ الى تعدّي وصيّة الله، هكذا أخيراً، وفيما صار الناسوت جائعاً، لم يستطع ثنْيه عن ترقّب الطعام الآتي من الله.. وعلى عبارة "إن كنت ابن الله"، لم يردّ سوى بالصمت؛ غير أنّه أعمى إبليس باعتراف ناسوته وأحبط هجومَه بكلام الآب. وقد بيّن أيضاً أنّه لن يجرِّب الربَّ إلهه مطلقاً في ناسوته المنظور. هكذا الكبرياء التي وُجدت في الحيّة قد أُبيدت بالتواضع الذي وُجد في الناسوت.. وكذلك تعدّي وصيّة الله الذي اقترفه آدم، قد أُبيد بحِفظ وصيّة الشريعة الذي راعاه ابنُ البشر إذْ رفض تعدّي وصيّة الله[445]. (القدّيس إيريناوس)

✠ علاوةً على كلّ الخير الذي أظهره لنا سيّدنا، [نراه] يرجع إلى القفر بعد اعتماده ويصوم، ويبدأ صراعَ الفكر مع الشيطان، الذي يهاجمه كما لو كان إنساناً فحسب. وبطريقة انتصار الربّ عليه، يعلّمنا نحن خدّامه غير النافعين كيف ينبغي خوضُ المعركة ضدّ أرواح الشرّ، أي في التواضع والصوم والصلاة والاعتدال، مع أنّه غير محتاج إليها البتّة، كونه إلهاً وإله الآلهة[446]. (القدّيس إيسيخيوس)

✠ إنّ أوّل الثمر الزهر، وأوّل حفظ النفس الاعتدال في المأكل والمشرب، والتضحيةُ والزهد بكلّ أشكال التصوّرات، وسكينة القلب[447]. (القدّيس إيسيخيوس)

✠ لا يعتذرنّ أحدٌ إبّان أيّام الصوم المقدّس بخاصّة، إذْ في هذا الزمن، ليست المسألة بالنسبة إلينا في أن نداب على الكدّ بقدر ما هي أنّنا مدعوّون إلى عمل الله. هذه الأيام إنّما هي مقدّسةٌ بالنسبة إلينا، فمن لا يودّ فيكم أن يعمل خلال هذه الأيّام بأمانةٍ على شفاء نفسه لن يكون لديه أيّ عذر. ذلك أنّ الصوم هو عُشر السنة. لقد أتيت، فلِمَ أنت فاتر؟ عجّل، أسرع، فأنت مدعوٌّ إلى عملٍ حسن. تبوّأ مركزك، أوفِ خدمتك. فأنت خادم، ولا يُسمح لك بالخروج. لِمَ تتجنّب الربّ؟ وما الذي قاله لك؟ خذْ مكافأة خدمتك. سُرَّ [بالحريّ] في خدمة سيّدٍ كهذا، سيّدٍ لا يعرف الغضب. أصغِ لأوامره، فليست هي بعنيفةٍ ولا شاقّة؛ بل أنت خادم حتى ولو كانت شاقّة، فلِمَ تَحتقر؟ أسرع إذاً نحو الحرّية كي تلبث في طمأنينة، حرّاً، عندما يُحسِن إليك. الآن أنت محسوبٌ بين الأوائل، الآن تُدعى عظيماً، الآن تتهلّل فرحاً في بيت ربّك(448). (القدّيس كيساريوس)

✠ سيكون أمراً قليل الشأن لو أُضعفت قوّة الجسد بالصوم ولم تغذَّ قوّة النفس.. إذاً، فلْتراقِب كلُّ نفسٍ مسيحيّةٍ ذاتها من كلّ جهة، ولْتتقصَّ عمقَ قلبها بفحصٍ صارم، ولتسهر على أن لا يبقى فيها أيّ ظلّ نشاز، وأن لا يستقرّ فيها أيّ أثر شهوة. فلتطرد العفّة الفسق بعيداً جداً، وليبدّد نور الحقّ ظلمات الكذب. فلْيَفُشَّ [وَرَمُ] الكبرياء، ولْيُقبِل الغضب إلى التوبة، ولْتُقطع العلاقات التي تسبّب الضرر،وليُكبح تشهير اللسان. فلْيُكَفّ عن الثأر، ولْتُترك الإهانات للنسيان. باختصار "فلْتُقلع كلّ غرسةٍ لم يغرسها الآب السماويّ (متى١٥:١٣)"؛ إذْ عندما تُنتزع كافّة الجراثيم الغريبة من حقل قلبنا يمكن لبذار الفضائل أن تتغذّى فينا كفاية.. وأيضاً، في تذكّرنا ضعفنا الذي يُسقطنا بسهولةٍ في كافّة صنوف الزلاّت، فلنحترس من إهمال هذا العلاج الأساسيّ وهذه الوسيلة الجزيلة الفعاليّة في شفاء جراحنا: "أن نغفر ليُغفر لنا (لو٦:٣٧)". فلْنَمنح إذاً النعمة التي نطلبها نحن؛ ولا نسعينّ إلى الانتقام لأنفسنا، نحن المتضرّعين أن يُغفر لنا.. لنمنح الرحمة للمعوزين بعطفٍ لا إبطاء فيه، كي

نستحقّ نحن أن نجد رحمةً عند الدينونة.. ذاك الذي يتوق بمؤازرة نعمة الله وبكلّ قلبه إلى هذا الكمال، هو الذي سيؤدّي الصوم المقدّس على النحو الأكمل[449]. (القدّيس لاون الكبير)

✠ كلّما قضينا أيام الصوم هذه بأوفر قداسة أظهرنا على نحوٍ أفضل توقيرنا الورع لفصح الربّ.. إذاً، في هذه الأيّام المكرّسة للأصوام المقدّسة، لنزاولْ أعمال المحبّة بأوفر سخاء، والتي يجب أن تكون محطَّ حماسنا في كلّ حينٍ من جهةٍ أخرى.. فلْيُلغِ الحِلم القسوة وليَمحِ الغفران الثأر.. لنقطع بواعث الشقاق، وأشواك البغضاء. لتتوقّف الأحقاد، ولتَزُل الخلافات. ليَلتق كلُّ أعضاء المسيح في وحدة المحبّة. "طوبى لفاعلي السلام، فإنّهم أبناء الله يُدعون (متى٥:٩)"؛ وليسوا أبناء فقط، لكن ورثة، بل وأكثر ايضاً: "ورثة مع المسيح (رو٨:١٧)"[450]. (القدّيس لاون الكبير)

✠ إنّ ما يتوجّب على كلّ مسيحيٍّ أن يعمله في كلّ حين، ينبغي أن يتكرّس له الآن بأوفر إيمانٍ ومحبّة. هكذا سنقوم بهذا الالتزام الذي يرقى إلى الرسل، في أن نصوم أربعين يوماً، لا في تقليل طعامنا فحسب بل في امتناعنا عن الخطيئة بخاصّة. في الواقع، وبما أنّ هذا الإذلال يهدف إلى إزالة بؤر الرغبات الجسديّة، ليس من نوع إمساكٍ زيادةً لمزاولته سوى ذاك الذي من خلاله نصير معتدلين دوماً في مشيئاتنا الظالمة ونصوم عن الأعمال غير اللائقة. وإنّ تقوًى كهذه لا تُهمل المرضى ولا تُنحّي ذوي العاهات، إذْ من الممكن وجود نفسٍ سليمةٍ حتى في جسدٍ واهنٍ غير نافع، إن كانت أسس الفضيلة تتوطّد حيث (كانت) تستقرّ العلّة نفسها. فهذا المرض الذي في جسدٍ عاجز، المرض الذي غالباً ما يتجاوز حدَّ الألم المفروضِ طوعاً، إنّما يَدَع الذهن على الأقلّ لتأدية الدور العائد إليه، ويُتيح للمرء من ثمّ ألاّ يتعلّل بأيّ إثمٍ فيما لا يُستعان بأيّة وليمةٍ للجسد[451]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ الصوم أهلٌ للمديح وضروريّ في الأوان والمكان المناسبين. والأفضل في هذا الشأن أن يُراعى الاعتدال في استخدام الطعام والشراب، تحاشياً ــ في آنٍ معاً ــ للشبع الذي يتّضح بتخمةٍ وللتقليل المفرط الذي لا يوافق. فهذان الطرفان سيّئان ومؤذيان، فيما الاعتدال والوسط ما بين الطرفين يجعلان المرء أوفر استعداداً للقيام بالنشاط الروحيّ.. وإن كان الصوم لا يناسبك، فحاول بالحريّ أن تكون معتدلاً في استخدام الطعام لمجد الله؛ سيّما وأن النزق لا يُضبط بالصوم، بل بالتواضع، ولومِ الذات، والوعي بأنّنا مستحقّون للمضايق التي نقع فيها[452]. (القدّيس أمبروسيوس أوپتينو)

✞ الصوم النقيّ ثمينٌ عند الله ويُحفظ بمثابة كنزٍ في السّماء. هو سلاحٌ ضدّ الشرّير، وترسٌ يتلقّى سهام العدوّ. ولست أقول هذا من تمييزي الخاصّ، بل انطلاقاً من الكتب المقدّسة، التي سبقت فأظهرت لنا أنّ الصوم كان مفيداً دوماً لأولئك الذين كانوا يصومون بصدق.. وخلوّاً من نقاوة القلب، لا يكون الصوم مقبولاً. تذكّر إذاً وانظر، يا صديقي، أنّ تنقية القلب وحِفظ اللسان ومَنع اليدين عن فعل السوء إنّما هي شأنٌ في غاية السموّ. إذْ لا يوجد سوى بابٍ واحدٍ لبيتك، الذي هو هيكل الله، ولا يليق بهذا الباب الذي منه يدخل الملك أن يخرج منه الزبل والوحل. بعد الإمساك إذاً عن هذه الدناءات كافة، ليتقبّل الإنسان جسدَ المسيح ودمَه، ولْيراقب فمه الذي منه يدخل الملك.. إنّه مُحيينا، يسوع المسيح ربُّنا، الذي أتى وتوشّح ببشريّتنا، وتألّم، وجُرِّب في الجسد الذي اتّخذه منّا، وهو القادر تالياً على إغاثة المجرَّبين (عب٢:١٨؛ ٤:١٥). لقد صام لأجلنا في الواقع، وانتصر على خصمنا، وأمرنا بالصّوم والسهر في كلّ حين (متى٢٦:٤١)لكي نبلغ راحته بقوّة الصوم النقيّ[453]. (أفرهات)

✞ عظيمةٌ هي فضيلة الصوم. فالحرب التي يشنّها جميلةٌ الى درجة أنّ المسيح قد ارتضى بأن يصوم، ولها من القدرة ما يجعلها ترفع الإنسان الى السماء.. وما

هو الصوم في الواقع إن لم يكن شيئاً أو صورةً من السماء؟ فالصوم غذاء النفس هو، وقوت الروح. الصوم سيرة الملائكة. الصوم يوصِل إلى الله بأوفر رشاقة.. ذلك أنّ الصوم يلقِّن العفّة، ويعلّم الطهارة، ويذلّل الفكر، ويهذّب الجسد، ويروِّض على الاعتدال، وينظِّم الفضيلة، وينقّي النفس، ويُنتج الورع، ويدرّب على الوداعة، ويسبّب المحبّة، ويجمّل الشيخوخة، ويصون الشباب. كما أنّ الصوم تخفيفٌ للعجز وقوتُ خلاص. لا أحد كابد تخمةً في صيامه، ولا أحد اجتنى نزيفاً بداعي إمساكه؛ بل على العكس، حيث لا أحد لم يتجنّبه بذلك.. وبالصوم أيضاً هُيِّئت الوليمة السريّة، تلك الوليمة التي قال داود في شأنها: "هيّأت قدّامي مائدةً قبالة الذين يحزنوني (مز ٢٢:٥)". وهذه إنّما تُكتسب بالجوع، وتلك الكأس المُسكرة في اعتدالها تُقتنى بالعطش الى الأسرار السماويّة[454]. (القدّيس أمبروسيوس ميلانو)

✞ إنّ قوّة البشر ليست في طبيعتهم، لأنّها متقلّبة، بل في قصدهم مضموماً الى معونة الله. إذاً، فلْنَعتنِ بأنفسنا، يا أولادي، قَدْر ما نعتني بأجسادنا.. والربّ يعلّمنا أن نكون زاهدين، إلاّ أنّنا نحن الأشقياء نستسلم للجري وراء اللذّة بالحريّ متراخين[455]. (يوحنّا موسخوس).

✞ إن كنّا عاجزين عن دخول أرض الميعاد، فمن الأفضل لنا السقوط في الصحراء على العودة إلى مصر[456]. (يوحنّا موسخوس)

✞ القفر إنّما يودّ القومَ عراةً [457]. (القدّيس برونيمس)

✞ إن أعددتم جسدكم للإمساك في ترويضه على الاعتدال فلسوف تتطهّرون لا محالة من قسمٍ كبيرٍ من زلاّتكم[458]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✞ إن كنّا قد أُصبنا بأيّ دنسٍ بفعل التهاون أو الطيش، فلَسوف تعاقبه صرامة الصوم، أمّا التقوى المُحبّة الإحسان فستمحوه[459]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ حسنٌ لك أن تبقى صائماً، وأن تنام على الحضيض، وأن تأكل الرماد، وأن تبكي بلا انقطاع؛ ولكن، إن لم تكن نافعاً للآخرين فإنّك لا تقوم بشيء ذي شأن[460]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✞ الهدف الأسمى للإمساك إنّما هو الطموح لا إلى إرهاق الجسد، بل إلى تسهيل مهامّ النفس[461]. (القدّيس غريغوريوس النيصيّ)

✞ إنّ الذهن يصوم عن الظلم كما يصوم الجسد عن الطعام[462]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ عندما تشتهي النفس الأطعمة المختلفة، فلنجعلها تقتصر على الخبز والماء، حتى نجعلها من ثمّ شاكرةً ولو لأجل كِسرة خبزٍ رقيقة[463]. (إفاغريوس)

✞ للقوت ثلاثة أبعاد: الاعتدال والرضى والشبع. فالاعتدال هو الجوع بعد تناول الطعام، والرضى هو الأكل كفايةً بحيث لا يكون ثمّة جوعٌ ولا شبع، والشبع هو التثقيل قليلاً على المعدة من جرّاء كثرة الطعام. بيد أنّ مواصلة الأكل بعد الشبع تكون باباً للشراهة، التي معها يدخل العهر. فاخترْ إذاً الأفضل قدْر استطاعتك، ولا تتجاوز الحدّ، لا زيادةً ولا نقصاناً؛ إذْ من ميزة الكاملين أن يكون لديهم الشبع وهم جياعٌ وأن يكونوا أقوياء في كلّ شيءٍ ولا يتأذّوا[464]. (القدّيس غريغوريوس السينائيّ)

✞ إذْ قد عرفنا كافة الأقوال الموجَّهة إلينا في الكتب المقدّسة، فلْنَقضِ عمرنا في الإمساك. وفي نبْذ تنوّع المآكل أوّلاً، فلْنعوِّد جسدنا على نظامٍ ونهج حياةٍ فاضلين، مزوّدين إيّاه بالطعام وفقاً لمعيار. إذْ بهذه الطريقة وثباتُ الشبق، بل وبغية قول الحقيقة الكاملة بكلّ يقين، حركاتُ الغضب هي أيضاً تُردَع بيسرٍ وتُخضَع للعقل. كما أنّ الإمساك المتعدّد المنافع يجعل الامتناع عن الخطايا الأخرى كلّها أمراً أكثر يُسراً أيضاً، إذْ في رأي الذين يمارسون الفضائل بالفعل والذين تلقّنوا من

جرّاء الخبرة، أنّ هذه الفضيلة تساعد المرء على تحاشي كلّ شرّ[465]. (القدّيس فيلوثاوس السينائيّ)

✠ فلْنعانِق هذا الصوم الاحتفاليّ بورعٍ مسارعٍ وإيمانٍ نشيط، ولْنحتفِ به لا بحِميةٍ عقيمةٍ كالتي يُمليها غالباً ضعفُ الجسد ومرضُ البخل، بل بكرَمٍ سخيّ؛ وهكذا نكون حقّاً ممّن قال فيهم " الحقُّ" نفسُه: "طوبى للجياع والعطاش إلى البرّ فإنّهم سيُشبَعون (متى٥:٦)". فلْنتنعّم إذاً بأعمال التقوى، ولْنمتلئ من هذه الأطعمة المغذّية في سبيل الأبديّة.. إذْ كلّما كان العيد أسمى لزِم المحتفلَ به أن يكون مزيَّناً فيه على نحوٍ أفضل.. ولكن، ما الفائدة من تصنّعٍ خارجيٍّ يَعرض مظاهر الكرامة، إن كان داخلُ الإنسان ملطّخاً بدنس رذيلةٍ ما؟.. إذاً، على كلّ امرئٍ أن يتفحّص ضميره وأن يمثّل أمام نفسه لدينونةٍ شخصيّةٍ صارمة. ليتبصّر إن كان يجد في خفايا قلبه ذاك السلامَ الذي يعطيه المسيح (يو١٤:٢٧)، إن لم تكن الرغبةُ الروحيّة فيه مقاوِمةً من قِبَل أيّة شهوةٍ جسديّة (غلا٥:١٧)، إن لم يكن محتقِراً ما هو وضيعٌ راغباً في عظائم الأمور (رو١٢:١٦)، إن لم يكن فرِحاً بأيّ ربحٍ ظالم، إن لم يكن جاعلاً رضاه في نموّ ثرواته الفاحش، أخيراً إن لم يكن متحرّقاً غيرةً لسعادة آخر أو مهتزّاً فرَحاً لشقاء عدوّ. وإن لم يجد في نفسه ربّما أيّاً من هذه الميول الفاسدة، فلْيفتّش [عندئذٍ] بعناية، وفي امتحانٍ صادق، عن طبيعة أفكاره المعتادة. ألا يَقبل البتّة بتصوّرات الأباطيل؟ هل يعجّل في تجريد نفسه من تلك التي تداهِن بطريقةٍ خطرة؟ في الحقيقة، أن لا يهتزّ المرء لأيّ إغراءٍ وأن لا تداعبه أيّةُ رغبة، فهذا ممّا لا يختصّ بالحياة الحاضرة التي ليست في جملتها سوى تجربة (أيوب٧:١)، وتجربةٍ يُهزَم من خلالها حتماً كلُّ من لا يخشى الهزيمة. إذْ من الكبرياء أن يدّعي المرء تجنُّب الخطيئة بسهولةٍ ما دام هذا الادّعاء نفسه خطيئة، حسب قول المغبوط يوحنّا الرسول (١يو١:٨)[466]. (القدّيس لاون الكبير)

الأربعاء من الأسبوع الخامس

القراءات إشع ٤١: ٤-١٤ / تك ١٧: ١-٩ / أم ١٥: ٢٠-١٦: ٩

"ها جميع الذين يعاندونك يستخزون" (إشع ٤١: ١١)

✠ ينبغي الحذر دوماً من هجمات الشيطان. فكيف يمكننا أن نرجو منه تركَنا في اطمئنانٍ وهو الذي تجاسر على تجربة السيّد نفسه، يسوع المسيح ربّنا؟ لذلك يَلزمنا الصراخ دوماً إلى الله والتضرّعُ إليه بتواضع، كيلا تكون التجربة فوق طاقاتنا، ولكي ينجيّنا من الشرّير. إذْ عندما يترك الله الإنسانَ لنفسه، يكون الشيطان مستعدّاً لتحويله إلى غبارٍ كما تفعل الرحى بحبّة حنطة[467]. (القدّيس سيرافيم ساروفسكي)

✠ كان نِعْمَ الموافِق لتدبير خلاصنا أن يَقهر الربُّ مكْرَ أكثر الأعداء كبرياءً لا بقدرة لاهوته، بل بسرّ تواضعه. وفي النهاية، إذ انهزم الشيطان وخُدع المجرِّب في كل حيَله، كان الملائكة قد دنَوا من الربّ وراحوا يخدمونه.. فليَخزَ إذاً أبناء الشيطان وتلاميذُه، الذين وقد أُفعِموا من وحي الحيّة يَخدعون كلّ من كان بسيطاً، ناكرين أنّ هذه الطبيعة وتلك هما حقّاً في المسيح، ومجرِّدين إما اللاهوت عن الناسوت، وإما الناسوت عن اللاهوت؛ في حين أنّ إثباتاً مضاعفاً في وقتٍ واحدٍ يقوّض هذا الضلال المضاعَف، لأنّ الجوع الذي شعر به الجسد يؤكّد الناسوت الكامل، وخدمة الملائكة اللاهوتَ الكامل[468]. (القدّيس لاون الكبير)

✠ إن لم يَستبعد إبليس فخاخ أكاذيبه عن ربّنا ومخلّصنا نفسه، فلَكم سيجرؤ بالأكثر على مهاجمة ضعفنا، هو الذي يطاردنا بحقدٍ أشدّ عنفاً وحسدٍ أكثر شراسة، مُذ رفضناه بالمعموديّة وصرنا عبْر إعادة الولادة الإلهيّة خليقةً جديدةً (غلا ٦: ١٥) وقد خلعنا الخليقة الأولى التي كان يتسلّط هو عليها! إذاً، ما دمنا لابسين جسداً

مائتاً، لا يتوقّف العدوّ القديم عن نصب أشراك الخطيئة لنا في كلّ مكانٍ وعن الاستبسال ضدّ أعضاء المسيح (١كور ٦:١٥)، وبخاصّةٍ عندما يكون عليهم الاحتفالُ بأسرارٍ أكثر قدسيّة[469]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ إنّ الشياطين الجزيلة المكر لا تقترح الشراهة فحسب، بل تنصح أيضاً بممارسة التقشّفات القاسية والصوم بإفراط، وذلك لأجل هذين الهدفين: إمّا أن تُثير الكبرياءُ ذاك الذي خدعوه فيظنّ أنّه فاق بكثيرٍ الإخوةَ رفقاءه في النسك، وأنّ تعفّفه بات يجعله يحلّق فوق النسور، وإمّا أن تتلف صحّة الجسد، بحيث لا يعود الإنسان نافعاً لنفسه ولا للآخرين، وإذْ يشتدّ عليه المرض غالباً مع مرور الوقت، يسقط في الكفر، وفي اليأس والتجديف[470]. (القدّيس نيلس تلميذ الذهبيّ الفم)

✞ إنّ الشيطان لا يعرف أفكارنا، ولكنّه يلتقط مقاصد نفوسنا من خلال تحرّكات أجسادنا. فمثلاً، هل يَرى أحداً ينظر بفضولٍ محملِقاً إلى مخلوقاتٍ جميلة؟ إذن يستغلّ فرصة هذا الجشع فيحرّض في الحال على الزنى أو الفجور. هل يرى آخرَ حانقاً مستشيطاً؟ ففي الحال يَشحذ السيف ويدفع إلى القتل. هل يرى إنساناً طمّاعاً؟ فيجتذبه إلى السرقة والظلم. هل يرى آخرَ عبداً لبطنه؟ ففي الحال يوحي إليه بتلك الأهواء التي تنشأ في حقويه، ويزوّده بما يجعله يحقّق رغبته الحميمة. ولِمَ لا يحرّض الناسَ كافةً على الأهواء نفسها؟ ذلك لأنّ الواحد يريد شيئاً فيما الآخر يريد شيئاً آخر، هذا يَطيب له شيئٌ وذاك شيئٌ آخر. وعليه، فمن خلال تحرّكات الجسد يكتشف الشيطان ضعفات النفس، وبهذه الطريقة يدبّر مكائده[471]. (القدّيس إيسيذورس البيلوسيّ)

✞ تتسرّب التجربة إلينا كلّ مرّةٍ نجرَّب فيها، ولكنْ متى استسلمنا نحن للتجربة دخلنا فيها بملء. ومن يستسلم للتجربة يشبه الإنسان الذي ترك نفسه للغرق في المياه العميقة. هذا دخل في التجربة، ولكنْ ثمّة آخرون يجتازون مياه السيل

محمولين بها كالسبّاحين المِقدامين. وهؤلاء يمكنهم أن يقولوا لله: "لقد محّصتنا.. فجُزنا بالنار والماء، لكنّك أخرجتنا إلى منتجع راحة (مز ٦٥:١٠-١٢)"[472]. (القدّيس كيرلس الأورشليميّ)

✠ في التجارب الوافدة إلينا بفعل العدوّ، سوف ننتصر بفضل طاعتنا لله، وسوف نستطيع تمجيده على أنّ البلايا البالغة حدّ الموت، الواردة إلينا من العدوّ- ولْنكن على يقينٍ من ذلك-إنّما نتقبّلها بفرحٍ وقد أَفلحنا في احتواء مشاعر ذاك الذي كان يقول: "لقد وُهب لكم بالمسيح لا أن تؤمنوا به فحسب، بل أن تتألّموا أيضاً من أجله (في ١:٢٩)"[473]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

✠ متى باغتتك التجربة لا تعتبْ على من به وافت إليك، بل ابحث عن الهدف منها فتجد الطريقة للاستفادة منها. وسواء أتتك من هنا أو من هناك، فسيَلزمك شرب الكأس المرّة التي للقرارات الإلهيّة.. فهنا، الهدف من هجمات التجارب إنّما هو غفران الخطايا السالفة.. أمّا الإنسان الفطِن، فإذْ يرى الشفاء في القرارت الإلهيّة، يتقبّل بشكرٍ تلك التجارب التي تحملها [هذه القرارات] إليه، قائلاً في نفسه أنْ ما من سببٍ آخر لذلك سوى خطاياه الخاصّة. وأمّا الجاهل الذي لا يفقه شيئاً من عناية الله الحكيمة، فحينما يجرّب بداعي خطاياه، تراه يحمّل اللهَ أو قريبه مسؤولية الآلام التي يكابدها[474]. (القدّيس مكسيموس المعترف)

✠ نحن لا نطلب ألاّ نجرَّب، لأنّ ذلك مستحيل، بل أن لا تلتهمنا التجربة في قيامنا بما لا يُرضي الله، لأنّ هذا هو عدم الدخول في التجربة[475]. (يوحنّا موسخوس)

✠ أن تواجَه التجارب بصراعٍ مباشَر فهذا ما لا يَصلح إلاّ للأقوياء بحسب الله المماثلين لرئيس الملائكة ميخائيل، وأمّا نحن الضعفاء فلا يسعنا إلاّ اللجوء إلى اسم يسوع[476]. (القدّيس برصنوفيوس الكبير)

✞ إن كنتم طائشين فليس للشيخوخة أن تحفظكم من التجارب، تماماً كما أنّه لو كانت فضيلتكم راسخةً لما كان عليكم أن تخافوا سنّ الشباب[477]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✞ من يقول للمجرِّب "نعم" إنّما يدخل في التجربة. من المفيد في هذه الحياة أن يجرَّب المرء، ولكن ليس حسناً الدخولُ في التجربة. إذاً، أغلق الباب على التجربة واسحب المزلاج الذي هو حبّ الله؛ إذْ من يستطيع ذلك دون مؤازرةٍ ممّن نصلّي إليه[478]؟ (المغبوط أغسطينوس)

✞ عليكم إشاعة مكائد إبليس الماكرة، بحيث لا ينسمّم الجرح في القلب ولا ينمو شرُّ الشهوة في الضمير. وهذا افعلوه بمحبّةٍ للإخوة وبكرهٍ للرذيلة[479]. (القدّيس كيساريوس)

✞ من عادة العدوّ القديم أن يجرّ المستسلمين له إلى قعر الجحيم، حتى ولو كانوا فوق أعلى السماوات[480]. (القدّيس كيساريوس)

✞ الشيطان لم يصرِ إلى ما هو عليه إلاّ لأنّه يئس أوّلاً وغرق من ثمّ في الجنون[481]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✞ يكمن عمل الشياطين في رَمْينا إلى اليأس بعد إسقاط النفس في الخطيئة، وذلك بغية إهلاكنا تماماً[482]. (يوحنّا موسخوس)

✞ يحدث أنّ الشيطان يتباحث وإيّاك بقلبك [قائلاً]: "أنظر كم اقترفتَ من الشّر، أنظر كم من الأهواء الطائشة تملأ نفسك وكم يرهقك عبء خطاياك، ولأجل ذلك لا يمكنك أن تخلص". إلاّ أنّه يتصرّف على هذا النحو بغية جرّك إلى اليأس وإقناعك بأنّ توبتك لا يمكن أن تقبل (من الله). إذْ مُذْ دخل الخبثُ العالمَ بالتعدّي، راح يحادث النفس في كلّ حينٍ كما يحادث الإنسان إنساناً آخر. ولكن، ليس عليك سوى أن تجيب [هكذا]: "لديّ الدليل الخطّيّ من الربّ.. " إنّي لا أشاء موت الخاطئ، بل

أن يتوب، فيتحوّل عن طريق الشرّ ويحيا (حز٣٣:١١)". لأنّ المسيح قد أتى ليخلّص الخطأة (١تيم١:١٥)، ويقيم الموتى، ويردّ المتوفّين إلى الحياة، وينير الذين في الظلمات. إذْ بمجيئه قد دعانا حقّاً لنصير أبناء بالتبنّي، وندخل المدينة المقدسة حيث يسود السلام، وننعم بالحياة الخالدة والمجد الذي لا يعروه فساد. يَلزمنا فقط أن ننجز حسناً ما قد بدأناه، وأن نَثبت في القفر، في المنفى الطوعيّ، في المضايق، في التوسّلات إلى الربّ، وأن نقرع الباب دونما خجل مصطنع (لو١٣:٢٥). إن كان الجسد قريباً من النفس، فالربّ أقرب منه إليها، مستعدٌّ للمجيء، لفتح الأبواب المغلقة في قلوبنا ومَنْحنا الخيرات السماويّة. ذلك أنّه صالحٌ ومحبٌّ للبشر، وهو يفي دوماً بوعوده، إن ثابرنا فقط على طلبه حتى النهاية[483]. (القدّيس مكاريوس)

✞ لا شيء يُهين الله كالمواظبة على سيرةٍ رديئةٍ يأساً من سيرةٍ أفضل؛ بل وهذا اليأس هو علامة جحود، لأنّ اليائس من خلاصه لا يفكر أنّه سيُدان على ذلك. فلو كانت لديه الخشية لأعدّ نفسه بالأعمال الصالحة حتماً، بغية المثول أمام الدّيان.. في الواقع، إنّ جريمة اليأس هي الوحيدة التي لا يمكن تداركُها[484]. (القدّيس يرونيمس)

✞ إنّ من يتغذّى بالرجاءات الموافقة دون أن ييأس من نفسه، هذا لا يمكنه البتّة أن يستسلم للتهاون[485]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✞ لا تيأس، بل احترس من اليأس. سوف أكرّر ذلك ألف مرة: إن خطئت كلّ يوم، تبْ كلّ يوم. أجل، ولَسوف تخلص، لأن ثمّة عند الربّ صلاحٌ عظيمٌ تجاه البشر. ورجائي ليس مؤسَّساً على توبتك، إذْ لا يمكن لتوبتك أن تمحو آثامك، بل على رأفة الله التي تنضمّ إليها في الحال، التي لا حدّ لها والتي لا يمكن لقولٍ أن يصفها. إنّ خبثك هو خبث إنسان، وهو من ثمّ محدود، أمّا الرحمة التي تَغفر فهي رحمة الله، التي لا حدود لها ولا حصر. خبث الإنسان مقارنةً بصلاح الله هو كمِثل

شرارةٍ سقطت في المحيط مقارنةً بالمحيط. لا، بل أقلّ من ذلك أيضاً؛ لأنّ للمحيط ضفافاً، وأمّا صلاح الله فليس له أيُّ حدّ[486]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

الخميس من الأسبوع الخامس

(خميس التوبة)

القراءات إشع ٤٢:٥-١٦/ تك ١٨:٢٠-٣٣/ أم١٦:١٧-١٧:١٧

"سبّحوا الربّ سُبحاً جديداً" (إشع ٤٢:١٠)

✞ إن كان الإنسان لا يستطيع البقاء لا في هذا العالم ولا في العالم الآتي بدون النفس والجسد، فمن ثمّ لا يمكننا القول:"نحن لدينا التسبيح الداخليّ خلوّاً من إنشاد المزامير الحسيّ"٠٠ وحين تستهلّ مزموراً، لا تتوخَّ وفرةَ المزامير بتعجّل، بل الطَّعم الروحيّ المستتر فيها٠٠ فلقد قال آباؤنا القدّيسون: آيةٌ واحدةٌ بجوار الله أفضل من ألف آيةٍ عن بُعد[487]٠ (فيلوكسينوس المنبجيّ)

✞ "إنّ الكتاب كلّه موحى به من الله ومفيد (٢تيم ٣:١٦)"٠ فلقد ألّفه الروح القدس بغية أن نختار الدواء للداء الخاصّ بكلٍّ منّا، كما لو كان صيدليّةً للنفوس مفتوحةً للجميع٠ فالأنبياء يعلّمون شيئاً، والأسفار التاريخيّة شيئاً آخر، والناموس غيرَه، وغيرَه أيضاً النوعُ الإرشاديّ الذي في سفر الأمثال٠ وأمّا سفر المزامير، فهذا يجمع [في طيّاته] ما ينفع كلّ أحد٠ فهو يُنبئ بالمستقبل، ويذكّر بالتاريخ الماضي، ويحدّد شرائع الحياة، ويعلّم ما ينبغي فِعله٠ بكلمة، إنّه كبيت مؤنٍ مخصَّصٍ للجميع فيه رُتِّبت التعاليمُ الصالحة، نافعٍ لكلّ امرئٍ وفقاً لما يكتشفه منه اجتهاده٠ وهو يعالج الجراح القديمة في النفس كما يشفي الجراح الجديدة، ويُصلح ما كان عليلاً ويَسند ما كان سليماً٠ على العموم، هو يقوّض ما يمكن أن تعمله الأهواء التي تُهيمن على النفوس بأشكالٍ متنوّعة٠ زِدْ على أنّه يمتلك إغراءً ملائماً مفرِحاً يولّد أفكاراً حكيمة٠٠ فالمزمور إنّما هو الملجأ ضدّ الشياطين، والاحتماء بالملائكة، وسلاحٌ ضدّ مخاوف الليل، والراحةُ من أتعاب النهار٠ إنّه أمان الأولاد،

وحِلية الراشدين، وتعزية الشيوخ، وزينة النساء الأكثرُ لياقة. وهو يعمِّر القفار، ويضمن حكمة الشركات [الرهبانية]. فهو تنشئة المبتدئين، وداعم المتقدّمين، وسند الكاملين. إنّه صوت الكنيسة. فهو الذي يجعل الأعياد مفرِحة، وهو الذي ينشئ ذاك الحزن المَرْضيّ لدى الله، لأنّ المزمور سيستخرج دموعاً من قلبٍ صخريّ. والمزمور هو عمل الملائكة، ونهج حياةٍ سماويّة، وبخورٌ روحيّ. فيا لَقصد السيّد الحكيم، الذي ابتكر أن يجعلنا نرنّم وأن يعلّمنا ما ينفع في آنٍ معاً!.. فلِمَ لا تتعلّم منه شيئاً؟ أوَلا يقدّم هذا السِّفر عَرضاً رائعاً للشجاعة؟ أوَليس هو ملخَّصَ البرّ، وبهاءَ الفطنة، وكمال الحكمة؟ أوَلا يُشير إلى طريقة التوبة، وإلى حدّ الصبر؟ أوَلا يشتمل على الخيرات الممكنة كافة؟ فهنا اللاهوت الكامل، والكرازة بمجيء المسيح في الجسد، والإنذار بالدينونة، ورجاء القيامة، وخوف العقوبات، ومواعيد المجد، ووحي الأسرار. فكلّ شيءٍ مدَّخَرٌ في سفر المزامير، كما في بيت مؤن كبيرٍ مفتوح للجميع[488]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

✠ سفر المزامير هذا إنّما يعلّم بوداعةٍ وعدلٍ أولئك الراغبين في التعلّم. فهو يُقنع المعتدّين بحسْمٍ وبلا فظاظة، ويُصلح شتّى الهفوات التي يحدث لنا أن نسقط فيها لخزينا، قسْراً أم قصداً. مغبوطون فعلاً، أولئك القادرون على الاكتفاء بمزامير الشكر، بداعي الهناءة القصوى التي لسيرتهم؛ ولكن إذْ يستحيل علينا كبشرٍ ألاّ تكون لدينا تجارب قاسية، وألاّ نقع في الضيقات الناشئة ممّا هو خارجٌ عنّا أمْ منّا نحن أنفسنا، فهو علاجٌ جزيل النفع تتعلّم النفوس معرفته متى وجدت في المزامير أنْ قد أُعِدّ العرض المسبّق للأمور التي سيكون عليها التحادث مع الله في شأنها. ذلك أنّ الروح القدس نفسه تقدّم فباح بكافّة أوضاع الحياة البشرية، وبواسطة داود الكلّيّ الطوبى زَوّدنا بعباراتٍ ملائمةٍ لأوجاعنا وقادرةٍ على مداواة سقطاتنا. هكذا العبارات التي تغاضينا عنها بسرعةٍ قبلاً في تراتيلنا والتي لم نُلِمّ بها سوى سطحياً،

إنّما نفهمها ونتوقّف عندها حال وقوعنا في الضيق وفي التجربة. فالجرح نفسه الذي نحمله فينا يجتذب العلاج المناسب له كأنّما بشكلٍ طبيعيّ، والعلاج بدوره يُلفي نفسَه ملائماً ويحوي الشعور المطابق[489]. (ذيوذورس الطرسوسيّ)

✠ أمّا المزمور ١١٨، فقد نطق به القدّيسون كافّةً وهم في السبي، أو بعد عودتهم، معلّمين أنّ لمزاولة الفضيلة والتقوى قوّةً ومقدرةً خاصّةً تجعل طلباتنا مستجابةً من الله. ولذلك بدأه داود النبيّ هكذا:"طوبى للذين لا عيب في طريقهم (مز ١١٨:١)"[490]. (ذيوذورس الطرسوسيّ)

دعاء توبة

✠ مِن هذه القيود التي لا تنفكّ (قيود الخطيئة الثابتة)، أيّها الملك الكليّ الاقتدار، أنت الفادي بامتياز، أنقذني يا مخلّصي. واحسرتاه! ففي هذه القيود أُخذت من جرّاء ضعفي، إذْ قد طاردني عدوّنا الغاوي بحسده، عندما رأى أنّي تخلّصت من زلاّتي الماضية وقد وثقتُ بك هبةً من صلاحك الذي لا حدّ له. سلامٌ، يا ابناً لا مثيل له لآبٍ لا مثيل له، يا مَلكي الأعظم، فلقد سحقتَ الحيةَ التي كانت علّة مصائبنا، وهزمت الموت عدوّنا الأشدّ إرهاباً (١كور ١٥:٢٦). لا تسلّمني مجدّداً لأيديهما، أيّها الملك، الملك السرمديّ، فأنت الإله الكلّيّ الاقتدار والديّان العادل للغاية، الآتي ليدينني (مز ٩٥:١٣). كيف سأجرؤ على التحديق بك عندئذٍ، أيّها الكلمة؟ كيف ستقدر عيناي أن تتأمّل جلالك، أنا البادي في شقاوتي غيرَ مستحقٍّ للسماء ولا للأرض ولا لخليقتك؟ فلقد استحوذ عليّ الخبيث وقَذف بي إلى الهاوية، إلى اللجّة وإلى السّديم الهائل. ومن فرط المطارَدات، انتهى الغاوي إلى إدراكي ورماني بكليّتي في ظلمات الجحيم. فارحمني يا إلهي ومدّ لي يديك، أغثني ولا تسلمْني لهوى عدوّ الجنس البشريّ. إنّي خليقتك، فدرّبني أيّها الكلمة، وأصلحني أنت هنا على الأرض بصلاحك الذي لا يُستقصى، ولا تسمح بأن أُلقى في جهنم.

إنّا نتضرّع إليك أيّها الفادي: قد ارتكبنا المَظالم بشقاوةٍ في الجسد والنفس والذهن، وخطئنا إليك، وغالباً ما تجاوزنا نواميسك. قد فهمنا ذلك متأخّرين جدّاً، إذْ لمّا كان علينا فهمُه كنّا نجهله؛ ثمّ إنّا لم نقُم بعدُ بما هو مَرْضيٌّ لديك. ها إنّا نعترف بزلاّتنا، فاغفرها أنت لنا من جهتك؛ ونحن على عِلمٍ بأنّ غضبك لا يماثل غضب المائتين. ارحمني يا مخلّصي، ولا تسمح بموتي من جرى زلاّتي. فإني أنا ابنك (Παις) وابن أَمتك (مز١١٥:١٦)، ولقد كابدتَ الموت لأجلي أيّها الكلمة. لا تسلمني إذاً لهوى الخبيث، بل درّبني تحت [إشراف] وصيّتك، وبصلاحٍ لا حدّ له. ارتضِ أيّها الكلمة بأن يكون لنا شفعاء [لديك] أمّك ومَن تلقَّوا منك نعمة إعتاقنا من قيودنا.

أيّتها البتول الملكة، الملكة الكلّيّة الطوبى، إنّك تسكنين السماء في مقرّ المختارين، ولقد نفضتِ عنك كلّ الثقل البشريّ لتتوشّحي بزينة الخلود؛ فنعلم من ثمّ أنّك لا تزالين فتيّةً، نظير الله. تعطّفي واقبلي صلواتي من أعلى السماء. نعم، نعم أيّتها البتول الفائقة المجد، تقبّلي صلواتي. فبين المائتات، وُهب لكِ بلا منازعٍ أن تكوني أمَّ الكلمة، على نحوٍ يفوق الإدراك. ولذلك أضع فيك ثقتي، وأوجّه إليك بدوري صلواتي، مقدّماً لك أيّتها السيّدة إكليلاً مضفوراً من أزهار مرجٍ لا دنس فيه، بدلاً من النِّعَم التي أسبغتِها عليّ، فاحميني من كافّة صنوف الشدائد على الدوام، من الأعداء المنظورين وبالأكثر من الأعداء غير المنظورين أيضاً، علّني أعبر الشوط الأخير كما بدأت سيرتي، فأجدك لا تزالين محاميتي في كلّ حينٍ وشفيعتي الكلّية القدرة عند ابنك صحبة القدّيسين المَرْضيّين لديه! لا تسمحي بتسليمي للعذاب فأكون ألعوبة الخبيث مفسد النفوس؛ بل حامي عنّي، واحفظيني من النار والظلمات. فلْيبرّرني الإيمان والنعمة التي فيك، لعِلمنا بأنّ نعمة الله تأتينا على يديك. والآن، أوجّه إليك ترنيمة الشكران: افرحي، يا امرأةً هي كلّ فرح، يا أمّاً

عذراء أبهى حُسناً من جميع العذارى، يا ملكةً تترأس الطغمات السماويّة، يا سـيّدة، يا سـلطانة الكلّ، أنت فرح البشر، العطوف على الكلّ دوماً، الخلاص الأسمى حقّاً بالنسبة إليّ[491]. (القدّيس غريغوريوس اللاهوتيّ)

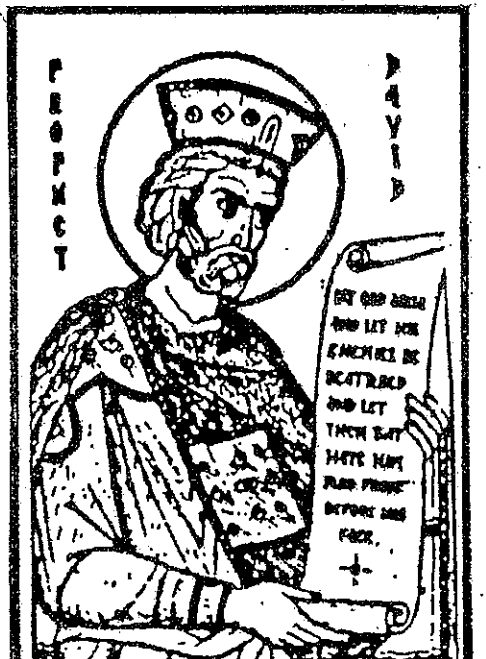

الجمعة من الأسبوع الخامس

القراءات إشع٤٥:١١-١٧/ تك٢٢:١-١٨/ أم١٧:١٧-١٨:٥

"وإذا رَفع بابَه يَطلب تهشّماً" (أم١٧:١٩)

✞ عندما نُمدح، لا [نعود] نملك أنفسنا، ولكنّا لا نحتمل كلمة لومٍ من جهةٍ أخرى. الواحد يهبنا المجد الباطل، والآخر يحزننا نحن الأشقياء المساكين. وحيث الحزن والمجد الباطل، فهناك انعدام كلّ صلاح[492]. (يوحنّا موسخوس)

✞ ارفع بصرك باستقامةٍ نحو الله فيُثني عليك. أمّا الإنسان الذي يستحسنه [الله] فيجب ألاّ يلتمس مجداً من الناس. لأنّ المجد الأرضيّ غالباً ما ينشأ عن الإطراء أو بغض الآخرين، ولا يحمل أيّة فائدة، فيما الله يجلب حسَنةً عظيمةً للإنسان الذي يُطري هو عليه. إذاً، فلْنطلبْ [بالحريّ] إطراءه[493]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✞ إنّ للمجد الباطل من القوة ما يكفي حتى لإعماء البشر عن الحقائق البيّنة.. ولهذا السبب تفوّه مخلّصنا بهذا التوبيخ:"كيف يمكنكم أن تؤمنوا، وأنتم تقبلون المجد بعضكم من بعض، ولا تبتغون المجد الذي من الله وحده (يو٥:٤٤)"؟ فهذا الهوى إنّما هو نوعٌ من التسمّم الخفيّ الذي يعسر الشفاء منه. إذْ إنّه يَفصل النفوس عمّا سَبَتْه من السماء، ويرسلها إلى الأرض، ولا يُجيز لها من ثمّ أن ترفع أبصارها نحو النور الحقيقيّ. إنّه يقنعها دوماً بأن تتمرّغ في الحمأة. ولذا فالإنسانُ المصاب بهذه العلّة يقوم بكلّ ما يظنّه مقبولاً عند أسياده، ويفعل ذلك طوعاً وبلا دعوة. فبسببهم يرتدي الملابس الفخمة ويجمّل وجهه، باذلاً تلك الجهود البالغة لا لأجل نفسه، بل لأجل الآخرين.. فهل يمكن لأيّة حالة عقليّةٍ أن تكون أشدّ بؤساً من هذه؟.. ذلك أنّ الأهواء الآخرى، حتى ولو كانت مؤذيةً جداً، إلاّ أنّها تجلب معها شيئاً من متعة

سريعة الزوال على الأقلّ. فهولاء الذين يعشقون المال، أو الخمرة، أو النساء، يُحرِزون متعةً ما في مُوازاة الضرر؛ وأمّا المأسورون لهوى المجد الباطل فيعيشون بمرارةٍ مجرَّدين من المتعة، كونهم لا يحصلون على ما يطلبونه جِدّياً، ألا وهو المجد. فهم يظنّون أنّهم يَنعمون بالمجد، ولكنّهم لا ينعمون به حقّاً، لأنّ ما يطمحون إليه ليس مجداً على الإطلاق في الواقع.. حالتهم العقليّة فارغةٌ من المجد، ولذلك دعاها القدماء مجداً باطلاً عن صواب. فهي فارغةٌ تماماً، ولا تشتمل على شيءٍ ضمنها، لا شيء ممّا هو زاهٍ أو مجيد. وهكذا يزخرف تصفيقُ الجمهور من الخارج هذا الهوى، هذا الخصمَ الخطر، هذا السيّد القاسي.. أمّا ذاك الذي يقوم بالأعمال بغية إرضاء البشر غير المستحقّين، مفضّلاً ذلك على إكرام الفضيلة، فكيف يمكن أن يكون مستحقّاً لأيّ شيءٍ[494]؟ (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✞ يا لَكَم هو مبطَّنٌ وقَصِيٌّ عن الإدراك هوى إرضاء البشر، فهو يستحوذ حتّى على الحكيم منهم! وبالرغم من أنّ تأثيرات الأهواء الأخرى تلاحظ بسهولة، يستتر جهد إرضاء البشر في الكلمات ومظاهر التقوى، بحيث أنّ من خُدعوا به يجدون صعوبةً في اكتشاف أوجُهه المتنوّعة. وما هي أوجه إرضاء البشر؟ الأوّل بينها، أو أُمّها، إنّما هو فقدان الإيمان. أمّا ذريّتها فهي: الحسد، الضغينة، التملّق، الغيرة، الشجار، النفاق، التحيّز، تأدية الخدمة بغية الظهور وحسْب، الافتراء، الأكاذيب، سيماء الورع الزائف، فضلاً عن أهواءٍ خفيّةٍ أخرى مماثلةٍ يعسر اكتشافها[495]. (القدّيس مرقس الناسك)

السبت من الأسبوع الخامس

(المديح الكبير)

الرسالة عب٩: ٢٤-٢٨ و عب٩: ١-٧ الإنجيل مر٨: ٢٧-٣١

"وكان وراء الحجاب الثاني المسكنُ الذي يُقال له قدس الأقداس" (عب٩: ٣)

دعاء إلى والدة الإله

(للقديس غريغوريوس پالاماس الذي كان يصلّيه إليها إبّان حياته)

✠ أيّتها البتول السيّدة والدة الإله، يا من ولدت بالجسد الإله الكلمة، أنت تعرفين حق المعرفة أنّني لست محتشماً ومن ثمّ لست مستحقّاً أنا الكلّي البذخ أن أنظر بعينين وسختين إيقونتك الطاهرة، أيّتها النقيّة الدائمة البتوليّة، إيقونة جسدك ونفسك الطاهرين البريئين من العيب، وأن أتضرّع إليك مقبّلاً إيّاها بشفتين قذرتين دنستين. إذْ من العدل أن أرتعد وأرهب أنا الشاطر تحت طهارتك، أقلّه مُذْ صار الله بولادته منك إنساناً حقّاً، لكي يدعو الخطأة إلى التوبة، ولذلك أتقدّم إليك واثقاً وسائلاً بدموع.

هبيني أن أعترف بحالة زلاّتي الكثيرة البشعة، وقوديني إلى ابنك الوحيد والإله الوحيد، مولّدةً فيّ التوسّل، لكي يكون متعطّفاً على شقائي وعلى نفسي البائسة، لأنّي بوفرة تعدّياتي للناموس أحُول دون التحديق إليه وطلبِ الغفران؛ ولذلك أنطرح أمامك أنت الشفيعة والوسيطة. فثمة عطايا عديدةٌ عظيمةٌ قد نَعِمتُ بها من قِبل الله الجابل، بيد أنّي نسيت جميع الإشراقات أنا الشقيّ والكنود، فبِتُّ أماثل البهائم التي لا عقل لها وأشابهها بحقّ (مز٤٨: ١٢)، فقيراً بالفضائل، غنيّاً بالأهواء، مفعَماً خزياً، محروماً من الدالّة الإلهيّة، مُداناً عند الله، مُناحاً عليّ من الملائكة، مضحوكاً عليّ من الشياطين، مكروهاً من جهة البشر، محتقَراً عند ضميري، مدنَّساً من أفعالي

الرديئة، حاصلاً ميتاً قبل الموت، فأقضي بنفسي على نفسي قبل الدينونة ولا ريب، معاقِباً نفسي بنفسي قبل العقاب الأبديّ وقد أصابني اليأس. ولكنّي ألتجئ، من الآن فصاعداً، إلى معونتك الوحيدة، أيّتها السيّدة والدة الإله، أنا المَدين بعشرة آلاف وزنة (متى١٨:٢٤)، والمبدِّد الغنى الأبويَّ في الشطارة مع الزواني (لو١٥:٣٠)، والعائش في الزنى أكثر من الزانية، والمخالف الناموس أكثر من منسّى (٢مل٢١)، والصائر عديمَ الإشفاق أكثر من الغنيّ (لو١٦:١٩-٢١)، أنا العبد الشرِه، وإناء الأفكار الفاسقة، وخازن الأقوال الكريهة الدنسة، والغريب عن كلّ عملٍ صالح.

فارحمي حقارتي، وارأفي بضعفي، إذْ لك الدالّة العظيمة عند الذي وُلد منك، ولا أحد يستطيع ذلك نظيرك، بما أنّك أمُّ الإله. لأنّك قادرةٌ على كلّ شيء، كونك تَسْمين على كلّ الخلائق ولست عاجزةً عن أيّ شيء، إن شئتِ وحسْب. فلا تتغافلي عن دموعي، ولا تأنفي من أنيني، ولا تردّي وجعي الصادر من القلب، ولا تُخزي انتظاري لك، بل بابتهالاتك الوالديّة اغصبي رأفة ابنك وإلهك الصالح التي لا تُغصَب، وأهّليني، أنا عبدك الشقيّ غير المستحقّ، أن أَنعم بجمالي الأوّل القديم، وأن أخلع بشاعة أهوائي، وأن أتحرّر لأجل البِرّ من الخطيئة التي تستعبدني، وأن أتجرّد من دنس اللذّة الجسديّة وألبس قداسة الطهْر النفسيّ، وأن أموت للعالم وأحيا للفضيلة.

واكبيني في سَيري بَرّاً، رافقيني في سفري بحراً، قوّيني على السهر، سكّني اضطرابي، حرّضي جُبني، امنحيني شفاءً لسقمي، احفظيني سالماً من الافتراء الظالم، خلّصيني واقيةً إيّاي في مجابهة خطر الموت الوشيك، أظهريني مخيفاً لكلٍّ من الأعداء غير المنظورين، فأعرفَ جميع من اضطهدوني بلا سبب، أنا الذي لا زال عبداً لهم. نعم، أيّتها السيّدة الفائقة الصلاح والدة الإله، أصغي إلى ابتهالي

النحيبيّ ولا تُخزيني مُبعِدةً إيّاي عن أملي، يا من هي بعد الله رجاءُ جميع أقاصي الأرض. واقمعي ثوّران جسدي، وهدّئي الاضطراب الأعنف الذي في نفسي، مسكّنةً الغضب الحادّ، ومُزيلةً من ذهني خُيَلاء الادّعاء الباطل وتبجّحَه، ومُزيلةً خيالات الأرواح الشريرة ووثبات الأفكار النجسة اليوميّة من قلبي، ومهذّبةً لساني لينطق بما يوافق، ومعلّمةً عينيّ أن تنظرا باستقامةٍ صوابَ الفضيلة، ومُسيِّرةً رِجْليّ لتسلكا طريقَ وصايا الله المغبوطةَ، ومجهّزةً يديّ للتقديس، حتى أؤخَذ بهما عن جدارةٍ إلى جوار الله. وطهّري فمي، حتى أستدعي الآب بدالّة، الإلهَ الرهيب الكليّ القداسة. افتحي أذنيّ، حتى أسمع حسيّاً وذهنيّاً، أقوال الكتب المقدّسة الأكثر حلاوةً من العسل والشهد، وأعيشَ بموجبها تحت إشرافك.

أعطيني زماناً للتوبة، ولهداية الأفكار. أنقذيني من الموت الفجائيّ، وأعتقيني من حُكم ضميري عليّ. وسانديني، عند انفصال نفسي عن جسدي الشقيّ في النهاية، مسهِّلةً لي تلك الحياة التي لا تُطاق، ومسكّنةً الألم الذي لا يوصف، ومخفّفةً الضيق الذي لا تعزية فيه منجيّةً إيّاي من هيئة الشياطين القاتمة، ومنتزعةً إيّاي من المحاسبة القاسية التي لعشّاري الهواء ورؤساء الظلمة، وممزّقةً صكوك خطاياي الكثيرة، ومؤالِفةً إيّاي مع الله، ومؤهّلةً إيّاي للوقوف المغبوط عن ميامنه في الدينونة الرهيبة، وجاعلةً إيّاي وارثاً للخيرات الأبديّة الكاملة.

لكِ أقرّب هذا الاعتراف يا والدة الإله سيّدتي، يا نور عينيّ المظلمتين، ومعزّية نفسي، ورجائي بعد الله وشفيعتي، فتقبّليه بعطفٍ ونقّيني من كلّ نجاسة جسدٍ وروح. وأهّليني في الدهر الحاضر أن أشترك بلا دينونةٍ في جسد ابنك وإلهك ودمه الطاهر الكلّيّ القداسة، وفي الدهر الآتي، أن أشترك في الوليمة السماويّة وفي راحة الفردوس، حيث تكمن جميع المحاسن. وإذْ أبلغ تلك الصالحات أنا غير المستحقّ، أمجّد إلى دهر الداهرين اسمَ ابنك وإلهك الكلّيّ الإكرام والعظيم الجلال،

هو القابل جميع التائبين إليه من كلّ نفوسهم، بِعبْرك أنت الصائرة وسيطةً وكفيلةً لجميع الخطأة، لأنْ بوساطتك، أيّتها السيّدة الكلّية التسبيح والفائقة الصلاح، تَخلُص كلّ طبيعة البشر، فتسبّح الآب والابن والروح القدس، الثالوث الكلّيّ القداسة المتساوي الجوهر، كلّ حين، الآن وكل آنٍ وإلى دهر الداهرين، آمين(496).

الأحد الخامس

(أمّنا البارّة مريم المصريّة)

الرسالة عب٩: ١١-١٤ الإنجيل مر١٠: ٣٢-٤٥

"فكم بالأحرى دم المسيح الذي بالروح الأزليّ قرّب نفسه لله بلا عيبٍ يطهّر ضمائركم من الأعمال الميتة لتعبدوا الله الحيّ" (عب٩: ١٤)

✠ مغبوطٌ هو ذاك الذي عرف كيف يستعيد نفسه بعد سقطته، لأنّ القيامة بعد الموت إنّما هي أيضاً امتياز المغبوطين. من جهة نظرٍ أخرى، يمكننا أن نفهم أيضاً كيف يمكن للخطيئة أن تكون نافعةً وكيف أَمكن لآثامٍ ما أن تتسرّب إلى القدّيسين، بعناية الربّ. فلقد كانوا معروضين في الواقع لأجل اقتدائنا بهم، ولذلك كان الاعتناءُ بأن يسقطوا هم أنفسُهم أحياناً. إذْ لو كانوا قد أتمّوا شوطهم عبْر كافّة مزالق هذا العالم دون مصادفة الخطيئة لأُعطيت لنا، نحن الأكثر ضعفاً، حجّةٌ للاعتقاد بأنّهم قد خُصُّوا بطبيعةٍ خاصّةٍ ساميةٍ وإلهيّةٍ تجعلهم عاجزين عن قبول الخطيئة فيهم وعن اشتراكهم في الإثم. وهذا التفكير يصرفنا من ثمّ لا محالة عن اقتداءٍ مستحيل، وذلك بداعي اعتقادنا أنّا محرومون من جوهرٍ كهذا. إذاً، نعمة الله قد تخلّت عنهم وقتاً قصيراً، حتى تُضْحي حياتُهم بالنسبة إلينا حثّاً على الاقتداء بهم وحتى نستخلص من أفعالهم درساً في البراءة كما في التوبة. وعليه، فعندما أقرأ رواية سقطاتهم أتعلّم أنّهم مشترِكون هم أيضاً في عاهتي، وإذْ أعتقدهم كذلك، أستنتج من ثمّ ضرورة الاقتداء بهم.

بولس الرسول هو أيضاً ينبّهنا إلى أنّ الربّ إلهنا قد اهتمّ بأنْ لا سموُّ الإيحاءات ولا الفوزُ الموفّق الثابت للأفعال يُثير لدى القدّيسين أنفسِهم مشاعرَ الكبرياء ويحملهم على أن ينسبوا إلى أنفسهم أو أن يسندوا إلى قوّتهم تلك الهبات

التي أُغدِقت عليهم بالفعل الإلهيّ٠ بل لتفادي التهوّر برأيٍ كهذا، وخشية السقوط من ثمّ في شرك الخيانة، سمح الربّ بأن يتسرّب الإثم إليهم٠ وعليه، فهم سيَعُون أنّهم محتاجون هم أيضاً لمعونات الله وسيفهمون ضرورة التفتيش عن مرشدٍ لخلاصهم٠٠ كان بولس عارفاً أنّ الإفراط في الثقة بالفضيلة الشخصيّة قد أَسقط على نحوٍ لا شفاء منه العديدَ الكثير من الناس الذين كانوا مع ذلك قدّيسين٠٠ أوَليس جليّاً أنّ قدّيساً كداود نفسه، الذائعِ الصيت بإيمانه والبارز في وداعته وصاحب يد المعونة، قد حرص الله على تجربته، ليرى كيف سيتصرّف إزاء ستْر جريمته وإصلاح سقطته، وذلك بغية تعليمنا نحن كيف يمكننا ستْر الخطيئة عندما نرتكبها[497]؟ (القدّيس أمبروسيوس)

ليس باستطاعة أيّ جهدٍ أرضيٍّ أن ينتزع من الخطيئة النفسَ التي غرقت فيها والتي لا يسَعها من بعدُ أن ترى بوضوح، بل وحده ظهور المسيح يمكن أن يطهّر النفس والجسد٠ وعليه، فلْنتخلَّ عن كلّ اهتمامٍ يتعلّق بهذه الحياة، ولْننشغل بالربّ ملتمسين إيّاه ليلاً ونهاراً٠ ذلك أنّ هذا العالم المنظور والراحة التي يحويها إنّما يُثيران أهواء النفس ويفاقمان شرَّها كلّما أمدّا الجسد برفاهيةٍ ظاهريّة٠ ثمّة إنسانٌ نبيهٌ إذْ أراد الاعتناء بنفسه، بذل الجهد لاختبار كلّ ما في هذا العالم، ليرى ما إذا كان سيجني منه فائدة٠ فمضى قاصداً الملوك، والسلاطين، وأولياء الشأن؛ ولكنْ دون الحصول على ما يشفي نفسه ويخلّصها٠ تردّد عليهم زماناً طويلاً، بلا فائدة٠ فذهب عندئذٍ إلى حكماء هذا العالم وإلى الخطباء، وبالطريقة نفسها تركهم جميعاً دون الحصول على أيّ ربح٠ فتوجّه آنذاك نحو الرسّامين، نحو المنقّبين عن الذهب والفضة، نحو الحِرفيّين كافّة، دون أن يجد لديهم أكثر [من سواهم] شفاءَ جراحه الخاصّة٠ أخيراً، تركهم والتفت نحو الله، الذي يشفي آلام النفس وأمراضها٠ وعندما رجع إلى نفسه وتأمّل في ذلك كلّه، تبيّن أنّ ذهنه كان لا يزال شارداً وسْط

تلك الأشياء التي تركها هو خارجاً، بعد أن شرع يكرهها.. في الواقع، لا توجد قرابةٌ أكثر نفعاً من تلك التي تجمع النفس مع الله والله مع النفس.. أمّا أنت، فبدلاً من رجوعك إلى قرابتك السماويّة، التي ليست سوى الربّ، تستسلم بأفكارك لأفكار الخبث وتوافق عليها، فتصير من ثمّ نصيراً للخطيئة، وبمعونتها تحارب نفسَك بنفسك. هكذا تجعل من نفسك فريسةً للعدوّ، الذي سيلتهمك كما يلتهم النسر عصفوراً، والذئب خروفاً، أو كالطفل الذي يمدّ يده بجهله نحو أفعى فيموت من نَهْشتها.. والحال أنْ لا الحكماء مع كلّ حكمتهم، ولا العقلاء مع كلّ فطنتهم، استطاعوا أن يدركوا دقّة النفس، ولا أن يقولوا ما هي. وحدهم استطاعوا القيام بذلك أولئك الذين ألهمهم الروح القدس الفهم، والذين أُعطيت لهم من ثمّ معرفةُ النفس بإحكام.. إذاً، لا نكن متهاونين يا أولادي، ولا نُبطئنّ في الاندفاع نحو الحياة الأبديّة وفي الاستسلام تماماً لمبتغى الربّ.. وهكذا ننتقل تدريجيّاً من الطفولة إلى الكمال في المسيح، بفضل معونة الروح القدس الإلهي"[498]؟ (القدّيس مكاريوس)

✞ بما أنّ كلّ المؤمنين معاً وكلاً منهم على حدةٍ هم هيكل الله الواحدُ نفسُه (١كور٣:١٦)، فينبغي من ثمّ أن يكون هذا [الهيكل] كاملاً في كلٍّ منهم كما ينبغي أن يكون كاملاً في الكلّ. إذْ حتّى ولو لم تكن الجمالات متساويةً عند جميع الأعضاء، ولا المزايا متشابهةً في تنوّعٍ واسعٍ من الأجزاء إلى هذا الحدّ، إلاّ أنّ مُلتقى المحبّة يُحرِز الاتّحاد في الصلاح. فمن كان يجمعهم حبٌّ مقدّس، إنّما يتشاطرون الفرح بخيراتهم مع أنّهم لا يتشاطرون هبات النعمة نفسَها؛ وما يحبّونه لا يمكن أن يكون غريباً بالنسبة إليهم، لأنّ إيجاد المرء فرحَه في تقدّم الآخرين هو زيادةٌ لغناه الخاصّ.. إذاً، كلّ ما يمكن للغرور أن يتفاخر به، أو للغضب أن يثور به، أو للفسق أن يلهو به، كلّ ذلك لا يتعلّق بتحالف المسيح، بل بحزب إبليس، ويُطرح به من ثمّ خارج مساكن التقوى. أمّا خصم النقاوة وعدوّ السلام فيستشيط

غيظاً، بل ويتألّم لرؤيته الإنسان وقد جدّدته رحمةُ الله وأُدخِل إلى تلك الخيرات التي خسرها هو. هذا وليس أمراً مدهشاً أن يعذِّب فاطر الخطيئة بإخلاص المستقيمين وأن ينكِّل به ثباتُ الذين لم يستطع هو إسقاطَهم، إن كان ثمّة بين البشر أنفسِهم من يقلِّد أعمال هذا الخبث.. إلاّ أنّ خدّام الله وتلاميذ الحقّ يحبّون حتى أولئك المختلفين عنهم، وهم يعلنون الحرب على الرذائل بالأحرى لا على البشر،"فلا يكافئون أحداً على شرٍّ بشرّ (رو١٢:١٧)"، بل يرومون دوماً إصلاح الخطأة.. وإن قال الربّ:"لم آتِ لأدعو الصدّيقين بل الخطأة (متى٩:١٣)"، فهو لم يسمح لأي مسيحيٍّ من ثمّ أن يكره أحداً أيّاً كان، سيّما وأنْ ما من أحدٍ يجد الخلاص إلاّ بغفران الخطايا؛ أمّا أولئك الذين جعلتهم الحكمة الجسديّة جديرين بالاحتقار، فلا نعلم إلى أيّ حدٍّ يمكن لنعمة الروح [القدس] أن تجعلهم أصحاب شأن.. إذاً، فلْيكن شعب الله مقدّساً، فلْيكن صالحاً؛ مقدّساً لتجنّب المحرَّم، صالحاً لتطبيق ما أوصي به.. إنّه لأمرٌ عظيمٌ ولا ريب، أن يملك المرء إيماناً صحيحاً ومعتقداً سليماً.. إلاّ أنّ الفضائل كلّها تكون شبه عاريةٍ إن خلَت من المحبّة. وفي سيرةٍ مهما كانت فاضلة، لا يمكن القول عمّا لم تلده المحبّة إنّه مثمر.. فلْيتفحّص المؤمنون نفوسَهم إذاً، ولْيُخضِعوا لامتحانٍ صادقٍ أحاسيسَ قلوبهم الداخليّة. وإن وجدوا في المكان السليم من ضميرهم شيئاً ما متعلّقاً بثمار المحبّة، فلا يشكّوا أنّ الله فيهم، بل ولْيَظهروا أكثر سخاءً أيضاً في أعمال رحمةٍ مثابِرة، حتّى يزدادوا أهليّةً لاستقبال ضيفٍ كهذا. في الواقع، إن كان "الله محبّة (١يو٤:٨،١٦)"، فلا يمكن للمحبّة من ثمّ أن تُحَدّ، طالما أنّه لا يمكن لأيّ أحدٍ أن يُحيط بالألوهيّة[499]. (القدّيس لاون الكبير)

الاثنين من الأسبوع السادس

القراءات إشع٤٨:١٧–٤:٤٩ / تك٢٧:١–٤١ / أم١٩:١٦–٢٥.

"وحنق عيسو على يعقوب من أجل البركة التي باركه بها أبوه" (تك٢٧:٤١)

✟ نحن الذين أُمرنا بحبّ أعدائنا وبالإحسان إليهم، كيف سنجرؤ على كُره إخوتنا [500]؟ (القدّيس كيساريوس)

✟ إنّها لحقيقةٌ عظيمةٌ وعجيبةٌ أن يوجد في الإنسان حبٌّ لنفسه يُهلكها وبغضٌ يخلّصها! فإن كان حبّكم لها مشوَّشاً كان بغضاً، وإن كان بغضكم لها حكيماً كان حبّاً. طوبى لمن يُبغضون نفوسهم حافظين إيّاها، لئلاّ يخاطروا البتّة فيُهلكوها في حبّهم لها[501]. (المغبوط أغسطينوس)

✟ "إن كان أحدٌ يأتي إليّ ولا يبغض أباه.. (لو١٤:٢٦)"، بغضاً يجعلنا نفكّر لا في تدبير المكائد بل في البراعة في التقوى، عبْر امتناعنا عن سماع الأصوات التي تُحوّلنا عنه.. فنحن لا نزهد في الدنيا ورغباتها فحسب، بل وفي الواجبات الاجتماعيّة العادلة أيضاً وفي حياتنا الخاصّة نفسها عندما يحوّلنا أحدُ هذه الاهتمامات عن الطاعة الوطيدة العاجلة المتوجّبة علينا تجاه الله[502]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

✟ أيّ أمرٍ أشدّ ظلماً من أن يكره المرء شيئاً يجهله، حتّى ولو كان مستحقّاً للكراهية؟ في الواقع، إن لم يكن ثمّة أيّ دافعٍ شرعيٍّ للكراهية، فالأفضل من ثمّ هو رفض كراهيةٍ ظالمة. بالمقابل، إنْ حيز اليقينُ بأنّ الكراهية مبرَّرة، فالكراهية لا تخفّ [آنئذٍ] بل تشتدّ، ما يشكّل سبباً إضافيّاً للمواظبة عليها مع الرضى، إذْ يعتقد صاحبها أنّها من حقّه[503]. (ترتليانوس)

✞ من لم يكن صالحاً للآخرين إنّما يكون شرّيراً لنفسه أوّلاً، وهو يؤذي نفسَه الخاصّة في عدم مساعدته نفْسَ الآخر قدْر إمكانه (أنظر طوبيا ١٢:١٠)[504]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ ما من قوّةٍ تدفعنا قسْراً سواء إلى الخير أم إلى الشر. بل إنّ مَن نعمل لأجله طوعاً باختيارنا، أكان الله أم الشرير، هو الذي يحثّنا على القيام بتلك الأمور التي منه[505]. (القدّيس مرقس الناسك)

✞ تنافسوا فيما بينكم. من سيهزم الآخر بالتواضع والمحبّة؟ من سيكون أكثر وداعة؟ من سيكون أوفر يقظةً في عمل الله؟ من سيحتاز صبراً أكبر؟ من سيكون أكثر هدوءاً، وداعةً، لطفاً، توبة؟ لكي يُسَرّ الله وملائكته بسيرتكم المقدّسة، ولكي يخزى الشيطان العدوّ القديم، الذي لا يزال يدفع بهذه الإنسانيّة المسكينة إلى مقاومة مشيئة الله، بغية تحويلها عن الموضع الذي رُمي منه هو نفسُه بداعي عُجْبه الخاص[506]. (القدّيس كيساريوس)

✞ لاحِظْن أنّ الأشرار الأكثر شرّاً لديهم دوماً مع ذلك شيءٌ من الصلاح، وكذلك أنّ الصالحين ليسوا خالين تماماً من العيوب. هكذا توجد في الشخص عينه أمورٌ متعارضةٌ تتصارع؛ فتشاهِدن أنّ إنساناً مُكِبّاً على الرذائل الضارّة وعلى عدم الاعتدال يكون مع ذلك رؤوفاً ومُحسِناً تجاه القريب، وأنّ آخر عفيفاً صوّاماً مذلِّلاً جسده بممارسة التوبة قد يكون مع كلّ هذه الفضائل بخيلاً ومغتاباً. وعليه، فيجب ألاّ يُتهاونَ في أمر العيوب الصغرى، كما لو أنّها لا تؤذي نفوسنا. أوَلسنا نرى بأنّ الماء المتساقط قطرةً قطرةً على صخرةٍ إنّما يحفرها مع مرور الزمن؟ فكيف نتجاسر إذاً ونؤمّل صدَّ التجارب الكبرى عندما نستسلم للتجارب الصغرى[507]؟ (القدّيسة سنكليتيكي)

✞ (المسيح الربّ لأمّه): إنّ الدموع تحصل منّي على الكثير من النِّعَم وتمحو كلّ آثار الخطيئة؛ فأتوسّل إليكِ إذاً أنْ لا تكرهي أحداً، حتى أولئك الذين صلبوني عن ظلم[508]. (القدّيس غريغوريوس اللاهوتيّ)

الثلاثاء من الأسبوع السادس

القراءات إشع٩ ٤:٦-١٠ / تك١ ٣:٣-١٦ / أم٢١ ٣:٣-٢١

"طريق العدل والرحمة تُصادِف حياةً وشرفاً" (أم٢١ :٢١)

✠ لا تحتقر أو تدِن أو تمقت أيّ إنسانٍ قطّ، ولا تصنّف الناس حسب فئاتهم. وإن رأيت إنساناً ذا عينٍ واحدةٍ فلا تُصدر أيّ حُكمٍ [عليه] في قلبك، بل انظر إليه ككلّ. وإن كان ثمّة إنسانٌ مبتورُ اليد، فلا تنظر إليه وكأنه أجدع. وانظر إلى الأعرج كأنّه مستقيم، وإلى المشلول كأنّه معافى[509]. (القدّيس مكاريوس)

✠ حاول بكلّ وسيلةٍ أن تحفظ سلام نفسك وأن لا تشوّش بإهانات الآخرين؛ أيضاً تجنّبْ إدانة الآخرين، فبعدم الإدانة وبالهدوء يُحفظ سلام النفس. ومتى كان الإنسان في مثل هذه الحالة النفسيّة، فحينئذٍ يتلقّى الإلهامات الإلهيّة[510]. (القدّيس سيرافيم ساروفسكي)

✠ عندما تحرّضنا أفكارٌ على إدانة الآخر، حتى ولو بدا لنا هذا مبرَّراً حسَب الظاهر، علينا مع ذلك أن نتمالك أنفسنا بالرجوع قبل كلّ شيءٍ إلى الإنجيل، الذي يخبرنا بما قاله ديّان الأحياء والأموات، حين كان عائشاً على الأرض: "أنا لا أدين أحداً (يو٨:١٥)"، ومن الواضح أنّ الربّ قد نطق بهذا القول ليحذّرنا من تلك الجسارة التي تدفعنا إلى الإدانة سريعاً وبخاصّةٍ في أمورٍ لا أهميّة لها[511]. (القدّيس أمبروسيوس أوبتينو)

✠ "ملكوت الله في داخلكم" (لو١٧:٢١). إن استقرّ ابن الله فيكم، فملكوت الله يكون فيكم هو أيضاً. في داخلكم توجد ثروات السماء، إن رغبتم فيها. ملكوت الله فيكم، أنتم الخطأة، إن أردتموه. عودوا إذاً إلى دواخلكم، ونقّبوا بحماسةٍ أكبر،

فتجدوه بلا كثير عناء. أمّا في الخارج، فهنالك الموت، وباب الموت هو الخطيئة. تعمّقوا في ذواتكم واستقرّوا في قلوبكم، لأنّ الله فيها[512]. (القدّيس إفرام السوريّ)

✞ علينا، بدرجات أعمالنا الطالعة، أن ننصب تلك السلّم التي بدت ليعقوب في الحُلم، والتي بواسطتها كان يرى ملائكةً ينزلون ويصعدون. أمّا هذا النزول وهذا الصعود فلا يَعنيان بالنسبة إلينا — بلا أدنى شكّ — سوى أنّ بالرفعة النزولَ وبالتواضع الرفعة. وأمّا هذه السلّم المنتصبة فهي سيرتنا في هذا العالم، والتي يرفعها الربّ حتّى السماء إذا ما اتّضع قلبنا. وفي رأينا أنّ جانبَي هذه السلّم هما جسدنا ونفْسنا، وعلى هاتين الركيزتين أُدرجت الدعوةُ الإلهيّة مراقي شتّى من التواضع والنموّ الروحيّ ينبغي علينا تسلّقُها[513]. (القدّيس بنديكتوس)

الأربعاء من الأسبوع السادس

القراءات إشع٥٨:١-١١ / تك٤٣:٢٦-٣١ و٤٥:١-١٦ / أم٢١:٢٣-٤:٢٢

"إنّكم تصومون لحكوماتٍ وخصومات" (إشع٥٨:٤)

✠ لا يمكن العثور على ابن الله إلاّ في جماعة المؤمنين فحسب، وذلك لأنّه لا يحيا إلاّ في وسط المتّحدين[514]. (أوريجانيس)

✠ لا تظنّن أنّ قبلة السلام هي كتلك التي يتبادلها الأصدقاء عادةً في الساحة العامّة. لا، فليس المقصود قبلةً كهذه، بل هي تلك التي تصنع اتّحاد النفوس وتؤكّد بلوغ النسيان التّام للإهانات. هذه القبلة إنّما هي العلامة على أنّ النفوس ما عادت تشكّل إلاّ نفساً واحدةً، وأنّها تنبذ كلّ حقد. لذلك قال المسيح:"إن قدّمت قربانك على المذبح، وتذكّرت هناك أنّ لأخيك عليك شيئاً، فدَعْ قربانك أمام المذبح وامضِ أوّلاً فصالح أخاك، ثمّ عُدْ وقدّم قربانك (متى٥:٢٣-٢٤)". وعليه، فإنّ القبلة مصالَحةٌ هي، ومن هنا تكون مقدّسةً حسبما أعلنها القدّيس بولس قائلاً:"سلّموا بعضكم على بعضٍ بقبلة مقدّسة (١كور١٦:٢٠)".. إحفظوا إذاً هذه التقاليد سالمةً وحافظوا على أنفسكم أبرياء من كل إساءة، ولا تنفصلوا عن المناولة لئلاّ تحرموا أنفسكم بدنس الخطيئة من تلك الأسرار الروحيّة المقدّسة[515]. (القدّيس كيرلس الأورشليميّ)

✠ لنعلمْ جيداً بأنّا لا نستطيع التغلّب على خصومنا إلاّ بعد التغلّب على أنفسنا.. ذلك أنّه ما من سلامٍ حقيقيّ وحريّةٍ حقيقيّةٍ للإنسان إلاّ عند خضوع جسده للنفْس كما لقاضيه، وعند انقياد النفس لله كما لرئيسها[516]. (القدّيس لاون الكبير)

✠ فلْيَحمل كلٌّ منكم إلى الله الثمرَ الذي في إمكانه، في كلّ حين، وفي شتّى أنماط الحياة والظروف، وضمن حدود كفاءاته الراهنة، ووفقاً للموهبة التي مُنحت له.. ليُحضِر أحدُكم خيراته، والآخرُ واقعَ عدم قِنيته؛ الواحد إحسانَه، والآخر قبولَه

بهذا الإحسان؛ هذا سلوكَه الفاضل، وذاك تأمّلاً عميقاً؛ هذا قولاً مناسباً، وذاك صمتاً ممدوحاً؛ الواحد تعليماً سليماً، والآخر انقياداً ساذجاً؛ هذا بتوليّةً بلا عيبٍ تقطعه كلّياً عن العالم، وذاك زواجاً مفعماً بالشرف لا يفصله تماماً عن الله؛ الواحد صوماً بلا كبرياء، والآخر نظامَ غذاءٍ خالياً من الشراهة؛ هذا غيابَ التشتّت في الصلاة وفي الأناشيد الروحيّة، وذاك العنايةَ بالفقراء؛ ولكن، فلْيُحضِر الجميع الدموع، والجميعُ التنقية، والجميع التقدّمَ والجهدَ الممتدّ نحو الأفضل[517]. (القدّيس غريغوريوس اللاهوتيّ)

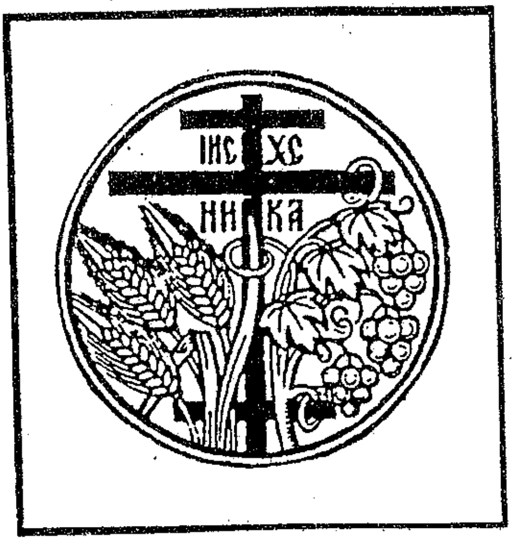

الخميس من الأسبوع السادس

القراءات إشع٦٥: ٨-١٦ / تك٤٦: ١-٧ / أم٢٣: ١٥-٢٤: ٥

"وأستخرج نسلاً من يعقوب ومن يهوذا" (إشع٦٥: ٩)

✠ وفق الأفكار البشريّة، سوف يكون أكثرَ صعوبةً بكثيرٍ الاعتقادُ بإمكانيّة اتّحاد روحٍ بالجسد من إمكانيّة اتّحاد الله بإنسان، ومع ذلك ما من إنسانٍ يكون إنساناً إن لم تتّحد روحٌ بشريّةٌ بجسدٍ بشريّ. إذاً، عندما يشكّل جسدٌ وروحٌ مزيجاً أكثر صعوبةً وأكثر إدهاشاً من مزيج روحٍ وروح، ومن ثمّ ـــ مع أنّ الروح البشريّة ليست جسداً وأنّ الجسد البشريّ ليس روحاً ـــ إنِ اتّحدا كِلاهما مع ذلك ليكوّنا إنساناً، فلَكَم بالأكثر، ولكي يكون ثمّة مسيحٌ واحدٌ من هذا وذاك، قد استطاع الله الذي هو روح (يو٤: ٢٤) أن يتّحد اتّحاداً روحيّاً لا بجسدٍ دون روح، بل بالإنسان الذي لديه روح[518]! (المغبوط أغسطينوس)

✠ أمّا من يفكّرون بأنّه كان من غير اللائق ومن غير المعقول أن يتوشّح الإله بجسدٍ مائت، وأن يخضع لبشر، ويكابد الإهانات، بل وأن يتحمّل التعذيب والموت، فهؤلاء سأقول لهم ما أعتقده، مقتضياً ـــ كما لو كان في وسعي ـــ موضوعاً جسيماً. فبرأيي أنّ من يعلّم شيئاً عليه أن يقوم بما يعلّمه هو نفسُه، لكي يُرغم الناس على طاعته. لأنّه إن لم يقُم به، فلَسوف يوقِف كلَّ تأثيرٍ لوصاياه. وعليه، فالأمثلة ضروريةٌ كي تكون لوصاياه قوّتُها، حتى إذا ما تقدّم أحدُ العُصاة قائلاً إنّ ذلك مستحيل، يمكن للمعلّم إقناعُه بمواجهة الفعل التامّ. إذاً، لا يمكن إنجاز معتقَدٍ ما إن كان يبلَّغ في الكلام وحسب، بل ولا يكون كاملاً إلاّ متى طُبِّق في الأفعال. ولذلك، إذْ أُرسل المسيح إلى البشر ليعلّمهم الفضيلة، وأكيداً بغية أن يطبِّق معتقَدَه، كان لا بدّ له من أن يعلّمه ويمارسه في آنٍ معاً. ولكن، لو لم يكن قد لبس جسداً بشريّاً لما

استطاع القيام بما كان يعلّمه، أي عدم الغضب، وعدم الوقوع ضحيةً للجشع (متى٤:٨-١٠)، وعدم الانغلاب لسعير الشهوة (متى٤:٢-٤)، وعدم الخشية من الألم، واحتقار الموت. من البديهيّ أنّ هذه الأفعال تتعلّق بالفضيلة، ولكنْ لا يمكنها أن تكون ناجزةً بدون الجسد. لهذه الغاية إذاً اتّخذ جسداً: بما أنّه كان يعلّم وجوبَ قهْر رغبات الجسد، وهو نفسُه سيكون أولّ من يقوم بذلك، لكَيلا يتحجّج أحدٌ بهشاشة الجسد.. كما أنّه كابد المِيتة التي يُحكَم بها عادةً على الوُضَعاء، لكي تكون للجميع إمكانيّةُ الاقتداء به.. وهكذا، ليس من أملٍ آخر معروضٍ للإنسان سوى التشبّث بالديانة الحقيقيّة والحكمة الحقيقيّة، التي في المسيح؛ أمّا من يجهلها فهو دوماً غريبٌ عن الحقيقة وعن الله[519]. (لكْتانسيوس)

✠ من هو كلمة الله؟ ما لا يستطيع الكلام البشريّ أن يعبّر عنه، هوذا كلمة الله. أتسألني من هو كلمة الله؟ لو أردتُ أن أقول لك ما هو الكلام البشريّ لما استطعتُ التوضيح، بل ولكنت نضبت منه، وارتبكت، واستسلمت، دون أن أتمكّن من تفسير قدرة الكلام البشريّ؛ فلَكَم هذا صحيحٌ بالأكثر في ما يختصّ بكلمة الله! قبل أن أقول لكم ما أريد قوله لكم، الكلامُ الآن في قلبي. إنّي لم أتلفّظ به بعد، ومع ذلك فهو فيّ. إنّي أنطق به، وهو يبلغك دون أن يتركني.. وعليه، فمن المؤكّد أنّ كلّ ما يمكن وجوده من الكلام البشريّ لا يكفي شرحاً في التعبير عن "الكلمة" الوحيد. إذاً، هذا "الكلمة" الذي لا يمكن شرحه قد صار جسداً وسكن في ما بيننا (يو١:١٤). لقد اتّخذ الإنسانَ بكلّيته، أعني كاملاً: نفساً وجسداً بشريّين. فذاك الذي خلق الكلّ قد افتدى الكلّ، إذِ اضطلع الكلمةُ بالكلّ وحرّر الكلّ. ثمّة هنا ذهنٌ وعقلٌ بشريّان، ثمّة هنا نفسٌ تبثّ الحياة في الجسد، ثمّة هنا جسدٌ حقيقيٌّ كامل؛ ووحدها الخطيئة ليست ههنا[520]. (المغبوط أغسطينوس)

✞ كان ابنَ الله وصار ابنَ البشر، أمّا أنتم فكنتم أبناء البشر وصرتم أبناء الله. شاركنا مصائبنا ليهبنا نعيمه؛ إلاّ أنّه يختلف عنّا، حتى في صَيرورته ابنَ البشر. فنحن أبناء البشر من رغبة الجسد، وأمّا هو فابنُ البشر من أمانة بتول.. كل إنسانٍ إنّما يولد من كائنين بشريّين هما أبوه وأمّه، وأمّا المسيح فقد وُلد من الروح القدس ومن مريم العذراء، وصار ابنَ البشر مع استمرار كونِه ابنَ الله. ولذلك هو الوسيط. فهو لم يترك الآب ليأتي إلينا، وانطلق من عندنا دون أن يتركنا، وسوف يأتي إلينا دون أن يتركه[521]. (المغبوط أغسطينوس)

✞ – لنتأمّلْ سرّ التجسّد الإلهيّ بإيمان. لأنْ من يستطيع أن يفسّر كيفيّة حدوث الحبَل بكلمة الله معوّلاً على قوّة البرهنة العقليّة؟ كيف كانت ثمّة ولادةٌ بدون فَقْدِ بَكارة؟ كيف حدث أنّ أمّاً تلبث بعد الإنجاب بتولاً؟.. كيف كان الذي اعتمد وهو نقيّ؟.. كيف حدث أن يَرزق القوتَ مَن جاع؟ كيف حدث أن يَمنح القوّة مَن تعِب؟ كيف حدث أن يوزّع الشفاء مَن تألم؟ كيف حدث أن يهب الحياة مَن مات؟ ولكي نضع الأكثر أهميّة آخراً، كيف حدث أنْ صار الله إنساناً؟.. هذه الأسرار إنّما يستطيع الإيمان وحده اعتناقها، سيّما وأنّ الإيمان هو الذي يجعل الأمور غير المفهومة من الذهن والعقل حقيقيّةً بالنسبة إلينا.. إلى هذا، يرغب المسيح دوماً أن يولد بطريقةٍ سرّية، فيصير متجسّداً في أولئك الذين يُحرزون الخلاص، ويجعل النفس التي تلده أمّاً بتولاً.. أمّا ذاك الذي يحيا الآن ويتحرّك ويوجَد في المسيح (أع١٧:٢٨)، فقد أَبطل في نفسه نِتاجَ ما كان مختلَّ التوازن وعادمَ الوحدة[522]. (القدّيس مكسيموس المعترف)

✞ عندما نفكّر في المسيح، يمكننا في تأمّلنا أن نميّز لديه الطبيعتين، اللاهوت والناسوت، وكذلك الخواصّ والأعمال الخاصّة بكلٍّ منهما[523]. (سفيروس الأنطاكيّ)

✞ بالتجسّد مَنحنا المخلّص هاتين المنفعتين كلتيهما: فمن جهة، أَبطل الموت من وسطنا، ومن الجهة الأخرى جَدّدنا[524]. (القدّيس أثناسيوس الكبير)

✞ لم يكن لدى ابن الله سببٌ آخر ليولد إلاّ ليكون في وسعه أن يسمَّر على الصليب.. في حشا البتول اتُّخذ جسدٌ مائتٌ فعلاً، وفي هذا الجسد المائت تمّ تدبيرُ الآلام؛ ثمّ جرى، وبتصميمٍ من رحمة الله لا يوصف، أن يصير هذا لأجلنا ذبيحةً خلاصيّة، إزالةً للخطيئة، وبواكيرَ قيامةٍ للحياة الأبدية[525]. (القدّيس لاون الكبير)

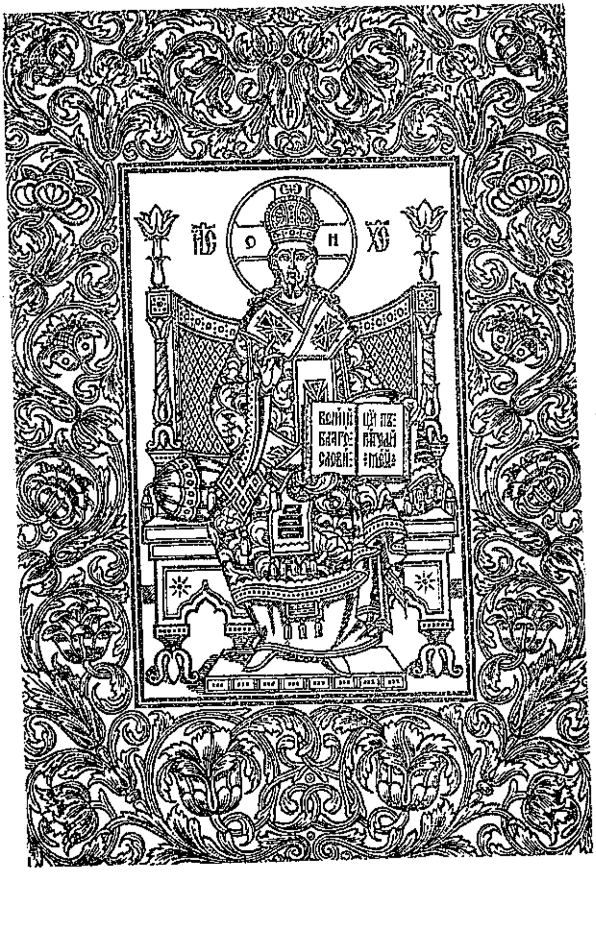

الجمعة من الأسبوع السادس

القراءات إشع٦٦: ١٠-٢٤ / تك٤٩: ٣٣-٥٠: ٢٦ / أم٣١: ٨-٣١.

"وفرغ يعقوب من توصيته لبنيه وضَمَّ رِجليه على السرير وخَفَت" (تك٤٩: ٣٣).

✠ إلى من لم يمُت بَعد، أُوعِزُ بالموت؛ وإلى من يتابع سوء السيرة، أوعز بالتغيير. لأنّ الذي كان يستسير على نحوٍ سيّئ، والذي بات الآن يرفض سوء السيرة، فهذا قد مات؛ وإن عاش حسناً، فقد قام[526]. (المغبوط أغسطينوس)

✠ نحن لا نبكي إلاّ تحت وطأة زلاّتنا، ولا نفرح إلاّ لتبرُّرنا بنعمة المسيح[527]. (المغبوط أغسطينوس)

✠ كلّما بذلنا عنايةً لخلاصنا صارت هجمات العدوّ أعنف.. إذْ ليس من عمل فضيلةٍ لا يَختبر التجربة، وليس من إيمانٍ بلا إثباتات، وليس من نضالٍ بلا عدوّ، وليس من انتصاراتٍ بلا التزام[528]. (القدّيس لاون الكبير)

✠ إن عميت النفس تمرّغ الجسد في الحمأة[529]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✠ كلّما ضعف الإنسان الخارجيّ فينا كلّما كان للإنسان الداخليّ نصيبٌ في التجدّد[530]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✠ من يُصغي بطيبة خاطرٍ إنّما يكون مستعدّاً لإثبات ذلك أيضاً بأعماله[531]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✠ من يعرف نفسَه لا يرى ما يفعله إخوته[532]. (يوحنّا موسخوس)

✠ متى خررت ساجداً عند أقدام إخوتك لامستَ المسيح[533]. (ترتليانوس)

✠ لا تؤْثر شيئاً على المسيح لأنّه آثرنا على كلّ شيء[534]. (القدّيس كبريانوس)

✞ أأنت عامل؟ فرتّلِ المزامير في العمل أيضاً. ولكن، أأنت عاجزٌ عن الترتيل في صوت مرتفع؟ إذن قمْ بذلك في الروح، وهكذا يمكنك أن تكون في مشغلك كما لو كنت في دير[535]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✞ من يحبّ يُرِدْ أن يكون نافعاً لموضوع حبّه[536]. (اكليمنضوس الإسكندريّ)

✞ التوبيخ هو بمثابة جراحةٍ لأهواء النفس[537]. (اكليمنضوس الإسكندريّ)

✞ أولئك الذين لم يَهدِهِم الإطراءُ يحثّهم النقد. أمّا الذين لم ينجح النقد في إيقاظهم ــ كالأموات ــ بغية دعوتهم إلى الخلاص، فهؤلاء إنّما تؤهّبهم الإهانات للتنقيب عن الحقيقة[538]. (اكليمنضوس الإسكندريّ)

✞ النسيان لما يقود إلى الحياة الحقّة إنّما هو مَزْلَقٌ نحو الهلاك[539]. (اكليمنضوس الإسكندريّ)

✞ التفكير بأنّ الربّ حاضرٌ هو الذي به ينبغي ضبط السلوك دوماً[540]. (اكليمنضوس الإسكندريّ)

✞ الثراء الأفضل إنّما هو الافتقار من الرغبات، والافتخار الحقيقيّ لا يكون في الافتخار بالثروات بل بالحري في احتقارها[541]. (اكليمنضوس الإسكندريّ)

✞ ينبغي ألاّ يُنتزَع من الإنسان كلّ ما هو طبيعيّ فيه، بل بالأحرى أن يُفرض عليه القياس والأوان المناسبان[542]. (اكليمنضوس الإسكندريّ)

✞ بائسٌ جداً هو ذاك الإنسان الذي لا يخشى سوى أعين البشر، والذي يظنّ بأنّه سيفلت من الله[543]. (اكليمنضوس الإسكندريّ)

✞ في الواقع، الطريقة الوحيدة للبقاء في مأمنٍ من السقوط إنّما تكمن في الإيمان بحضور الله الدائم إلى جانبنا[544]. (اكليمنضوس الإسكندريّ)

✞ من الضروريّ أن يَتمّ التطهُّر أوّلاً، ثمّ التطهير؛ والحصولُ على الحكمة ثمّ تلقينُها؛ والاستنارة، ثمّ الإنارة؛ والاقتراب من الله، ثمّ اجتذاب الآخرين إليه؛ والتقدُّس، ثمّ التقديس[545]. (القدّيس غريغوريوس اللاهوتيّ)

✞ إنّ السمع والبصر مسؤولان عن الحرب التي تُشَنّ عبرْ الأشياء، والعادة والشياطين عن تلك التي تُشَنّ عبْر الأفكار[546]. (إلياس الكاهن)

✞ قفْ بشجاعة إزاء الأفكار المندفعة عليك، بخاصّةٍ أفكار النزَق والتواني[547]. (القدّيس مكسيموس المعترف)

✞ إحفظ نفسَك من أُمّ الرذائل، التي هي حبّ الذات[548]. (القدّيس مكسيموس المعترف)

سبت لعازر

الرسالة عب١٢:٢٨-١٣:٨ الإنجيل يو ١١:١-٤٥

"أنا القيامة والحياة، من آمن بي وإن مات فسيحيا" (يو ١١:٢٥)

✞ نحن نقول أنْ لا بدّ من الإيمان بدينونة الله، المطلَقة والكاملة، بقدْر ما هي نهائيّةٌ ومؤبَّدة، وبذات القدْر عادلةٌ ولائقةٌ بالله وتامّةٌ بناءً على صبره نفسه. بيد أنّ تمام تلك الدينونة وكمالها لا يمكن حصولهما إلاّ بحضور الإنسان كلّه في محكمتها. إذاً، لا بدّ للإنسان كلّه، المركّب باتّحاد الجوهرين، أن يَمْثل للدينونة في هذه وذاك (الروح والجسد)، كونه عاش في هذه وذاك. فكما عاش، هكذا ينبغي أن يُدان، إذْ لا بدّ من أن يدان على حياته نفسها. وبما أنّ السيرة هي موضوع الدينونة، فلا بدّ إذاً من حضور الجوهرين اللذين فيهما تحقّقتْ! وعليه، فإنّ الجسد سيقوم، كلَّ جسدٍ حقّاً، الجسدَ الكامل الموحَّد حقّاً. فهو وديعةٌ في مكانٍ ما، هناك حيث يوجد، بغية المثول من ثمّ أمام الله، بواسطة الحارس القضائيّ الكلّيّ الأمانة لدى الله والبشر، يسوع المسيح الذي سيردّ اللهَ إلى الإنسان والإنسانَ إلى الله، الروحَ إلى الجسد والجسدَ إلى الروح(549). (ترتليانوس)

✞ إنّ من يؤمن بأنّ الجسد مدعوٌّ للقيامة يحترم سربالَ نفسه هذا ولا يقوى على إفساده بالفجور، أمّا من لا يؤمن بالقيامة فيستسلم للنجاسة ويستغلّ جسده كما لو كان يستغلّ مادّةً غريبةً عنه. وعليه، فإنّ الإيمان بالقيامة هو عقيدةٌ وشريعةٌ عظيمتان جدّاً في الكنيسة الجامعة الرسوليّة.. إذاً سنقوم جميعنا في أجسادٍ أبديّة؛ ولكن، لن نكون جميعنا متشابهين. ذلك أنّ من كان صِدّيقاً سيحصل على جسدٍ سماويٍّ بغية التمكّن من معاشرة الملائكة كما ينبغي. أمّا الشرّير، فسيحصل هو أيضاً على جسدٍ أبديّ، ولكنْ أهلٍ لتكبّد قصاص الخطأة، وعلى أن لا تستهلكه النار

الأبدية قطّ. والله إنّما يحكم هكذا بعدلٍ لكليهما، إذْ لا شيء يحدث فينا بدون اشتراك الجسد في الواقع. فبالفم نجدّف، وبالفم نصلّي؛ بالجسد نقترف الفجور، وبالجسد نحفظ العفّة؛ باليد نسرق، وباليد نتصدّق؛ وهلمّ جرّاً. إذاً، بما أنّ الجسد كان صالحاً للقيام بكلّ شيء، فلا بدّ له في الأبديّة أيضاً من الاشتراك في مصير كلّ شيء[550].

(القدّيس كيرلس الأورشليميّ)

✠ بما أنّنا انتهينا إلى التحدّث في شأن قيامة الجسد، فيا له من حزنٍ بالنسبة إلينا ومن سببٍ لذرف العبَرات أن نَعرف بوجود قومٍ يشكّون في تلك القيامة وهم في الكنيسة! والحال أنّ الآباء القدماء قد آمنوا إيماناً ثابتاً جدّاً بأنّها ستحدث، فيما لم يكن لديهم بعدُ أيُّ مثالٍ على ذلك. إذاً، أيّة دينونةٍ يستحقّها أولئك الذين امتلكوا قيامة الربّ مثالاً ومع ذلك لا يؤمنون بقيامتهم! فالعربون في حيازتهم، ولكنْ لا إيمان لديهم! يملأون الكنيسة، ولكنّهم فيها فارغو النفْس كونهم يشكّون في قيامتهم.. ولكن، إن كنّا لا ننهض من رقاد الموت، فكيف تكون قيامة الربّ باكورةً لدينا؟.. العناصر نفسها، جمال الأشياء نفسه، إنّما تُقدّم لنا صورة القيامة. فالشمس تموت كلّ يومٍ أمام عيوننا، وكلّ يومٍ تقوم.. وفي الجوّ الحارّ نعاين الأشجار الحافلة بالأوراق والأزهار والأثمار، فيما تبقى إبّان الموسم الشتويّ مجرّدةً من الأوراق والأزهار والأثمار، كما لو كانت يابسة. ثمّ تلبس زينتَها من جديد، حين تعود الشمس الربيعيّة، وحين يرتقي النُّسْغ من الجذر مجدّداً. وعليه، فلِمَ الشكّ بشأن الإنسان حول ما يُرى حدوثُه في الحطب؟ وإن كان ممكناً أن يُستخرج من بزرة شجرٍ واقعٌ ما كان بالإمكان أن يُرى فيها [قَبْلاً]، فلِمَ الشكّ إذاً أنِ انطلاقاً من غبار جسدٍ بشريٍّ يمكن لصورةٍ لم تكن فيه منظورةً أن تتشكّل من جديد؟.. فلا تيأسْ والحالةُ هذه من قيامة جسدك، بل احسبْ بحكمةٍ أنّ إصلاح ما كان موجوداً أسهلُ عند الله من تكوين ما لم يكن.

لقد خُلقتَ روحاً وطيناً بالتأكيد، أحدهما غير منظورٍ والآخر منظور، أحدهما محسوسٌ والآخر لا تدركه الحواسّ. إذاً، كيف استطاع الروح والطين أن يمتزجا فيك، وبألفةٍ تبلغ إلى حدّ فتور الروح عندما يضعف الجسد وذبولِ الجسد عندما تنهار الروح؟ ولكن، قد لا تكون بعدُ قادراً على معاينة ذاتك أيضاً. فأرجو منك إذاً أن تبحث- إن استطعت- كيف انشقّ البحر الأحمر بواسطة عصا (خر١٤:٢١)، وكيف أبرزت صلادةُ الصخرة المياهَ بضربة عصا (عد٢٠:١١)، وكيف أزهرت عصا هرون (عد١٧:٢٣)، وكيف حبلت البتول المتحدّرة من نسله (لو١:٢٦-٣٥؛٣:٢٣-٣٨)، وكيف لبثت بتولاً حتى في الولادة، وكيف أنّ إنساناً ميْتاً منذ أربعة أيّامٍ قد نهض بمجرّد أمْر، وخرج من قبره مربوط اليدين والرجلين، ليأمر الربُّ تلاميذه من ثمّ بأن يُطلقوا سبيله (يو١١:١٧،٤٤)، وكيف أنّ فادينا أيضاً، الناهض باللحم والعظم (لو٢٤:٣٩)، قد دخل على تلاميذه والأبواب مغلقة (يو٢٠:١٩،٢٦).. ها إنّك عاجزٌ عن تفسير هذه الأحداث، ولكنّك تؤمن بها. إذاً، لِمَ تشكّ في مجد القيامة، مجادلاً ومناقشاً، في حين أنّك آمنت دونما جدالٍ بأسرار هذا مقدارها؟ زِدْ على أنّك، إن لم تكن مؤمناً بقيامة الجسد، تكون قد آمنت عبثاً بكلّ ما تبقّى.. وعليه، فقُدّام أسرار القدرة الإلهيّة التي لا يمكن فهمها، يجب ألاّ يناقَش بالعقل، بل أن يبجّل بالإيمان. ولْنعلمْ أنّ كلّ ما يمكن فهمه بالعقل البشريّ يكفّ عن إثارة الدهشة، وأنّ الباعث الوحيد في المعجزات هو قدرة ذاك الذي يجترحها[551].
(القدّيس غريغوريوس الكبير)

✠ إنّ مَن لم يعُدْ حيّاً بفعل موته، حتى ولو استحالت رؤيته من بَعد، إلاّ أنّه سيولد ثانيةً كما لو أنّه لم يكن قد وُلد من قبل. بل حتى ولو أزالت النار جسدي، حتى ولو أذاب الناس رماده، حتى ولو سكبوه في الأنهر والبحار، حتى ولو مزّقته

الوحوش، فأنا محتجَزٌ في مستودعات سيّدٍ غنيّ. وعندما يشاء الله، يُعيد الجوهر، الذي يراه هو وحده، إلى حالته السابقة[552]. (تاتيانوس)

✠ إنّ الحياة الحاضرة هي كالبذار للحياة الآتية، بيد أنّ ما ينتظرنا مختلِفٌ جدّاً عمّا يوجد اليوم، مختلفٌ بقدْر ما تختلف النبتة عن الحبّة التي منها بَرزت. ذلك أنّ الحياة الحاضرة تشبه الحبّة، وأمّا الحياة التي تنتظرنا فستبدو كحُسن النبتة[553]. (القدّيس غريغوريوس النيصيّ)

✠ لقد دعا اللهُ الإنسانَ إلى الحياة والقيامة؛ وهو لم يدْعُ قسماً منه، بل [دعاه] كلَّه، أعني النفس والجسد [معاً][554]. (القدّيس يوستينوس)

✠ إنّ شفاء الأمراض المزمنة شاقٌ وطويل. إذاً فلْتطبَّق العلاجات بسرعةٍ ما دامت الجراح حديثة، حتى إذا نهضنا تماماً من كافّة سقطاتنا على الدوام، نستحقّ الوصول في المسيح يسوع ربّنا إلى تلك القيامة غير القابلة للفساد المختصّةِ بالجسد المدعوّ إلى التمجّد[555]. (القدّيس لاون الكبير)

✠ إن عشت بنقاوةٍ وصلاحٍ وبرّ، يمكنك أن تعاين الله. لكن، وقبل كلّ شيء، فلْيترعرع في قلبك الإيمانُ وخوف الله، وعندئذٍ تفهم. ثمّ متى طرحت عنك الفساد وتوشّحت بالخلود، فسترى الله آنذاك، وحسْبما تستحقّ. فهو يقيم جسدك، خالداً، مع نفسك؛ وإذْ تكون خالداً آنذاك ترى الذي لا يموت، إن كنت تؤمن به اليوم، ولَسوف تكتشف ظلم كِتماناتك[556]. (القدّيس ثيوفيلس الأنطاكيّ)

أحد الشعانين

القراءات تك٤٩: ١-٢، ٨-١٢ / زك٣: ١٤-١٩ / زك٩: ٩-١٥

الرسالة في٤: ٤-٩ إنجيل السحر متى٢١: ١-١١و ١٥-١٧

إنجيل القداس يو١٢: ١-١٨

"هوشعنا، مباركٌ الآتي باسم الربّ" (يو١٢: ١٣).

✞ "إن سكت هؤلاء، صرخت الحجارة (لو١٩: ٤٠)". كان يقصدنا نحن عندما قال ذلك. فمَن هم هؤلاء الحجارة إلاّ الذين [كانوا] يوقّرون الحجارة؟ إن سكت الأولاد اليهود، صرخ الوثنيّون كباراً وصغاراً. إنّا نتحدّر من الوثنيّين في الواقع، ولقد عبدنا الحجارة من خلال آبائنا؛ لذلك دُعينا بالكلاب (متى١٥: ٢٦). أولَم تلاحظوا كيف تلحس الكلاب الحجارة التي أُريق عليها الخمر؟ هذا ما يفعله كلّ عبّاد الأوثان. بيد أنّ النعمة أتتكم؛ "وجميع مَن قبلوه، قد آتاهم سلطاناً أن يصيروا أبناء الله (يو١: ١٢)"(557). (المغبوط أغسطينوس)

✞ عن قدرةٍ منه صار الربّ وضيعاً، عن قدرةٍ منه صار قابلاً للتألّم، عن قدرةٍ منه صار مائتاً. إذْ لإبادة سلطان الخطيئة والموت (رو٦: ٦)، كان من اللازم في آنٍ معاً أن تَقبل التألّمَ تلك الطبيعةُ التي كان بها ضعيفاً وأن لا تخسر شيئاً من مجدها تلك الطبيعة التي كان بها قديراً(558). (القدّيس لاون الكبير)

✞ إنّ تكرار الأمور نفسها مُضجر، لكنّه أكثر أمناً. من عادة المسيح مخلّصنا أن يَعزو – بنفعٍ – إلى قدرة الآب كلّ ما يتجاوز القوى البشريّة. فلقد تواضع في تأنّسه، وبما أنّه اتّخذ هيئة عبدٍ لم يحتقر تلك الحالة. ولكن، هذا لا يُلغي أنّه يفعل كل شيءٍ مع الآب. فذاك الذي ولده إنّما يفعل كلّ شيءٍ به، حسب قول المخلّص نفسه:"الآب المقيم فيّ هو يعمل الأعمال (يو١٤: ١٠). وعليه، فإذْ أعطى لحياته

المشتركة بالجسد النصيبَ العائد إليها، ردّ لله الآب ما يتجاوز القدرة البشريّة[559].
(القدّيس كيرلس الإسكندريّ)

✠ المسيح نفسه هو ابن الله الوحيدُ وابن البشر في آنٍ معاً. إذْ لم يكن في وسع أحدهما دون الآخر أن يخدم الخلاص، كما كان الخطر بالغاً أيضاً بأنّ الربّ يسوع المسيح هو إلهٌ فحسبُ بدون الإنسان أو إنسانٌ فحسبُ بدون الله. ينبغي في الواقع أن يُعترف بالمِثل بهذا وذاك، أي باللاهوت الحقيقيّ في الإنسان كما بالطبيعة البشريّة الحقيقيّة في الله. فالضعة كلّها في الجلالة، والجلالة كلّها في الضعة. الوحدة لا تسبّب التشويش، تماماً كما أنّ الميزة لا تنقض الوحدة. القابل التألّمَ من جهةٍ، والمنيع من جهة أخرى؛ ومع ذلك فالذي يخصّه الخزيُ هو نفسه الذي يخصّه المجد أيضاً. والذي في الضعف هو نفسه الذي في القدرة أيضاً. هو نفسه عرضةٌ للموت، وهو نفسه غالب الموت. إذاً، لقد اتّخذ الله الإنسانَ بجملته، فاتّحد بهذا الأخير وأتْحده بذاته، وذلك بداعي الرحمة والقدرة، بحيث تجد كلٌّ من الطبيعتين ذاتَها في الأخرى ولا تفقد أيٌّ منهما ما يختصّ بها لعبورها في الأخرى.. كلّ عاهاتنا الناجمة عن الخطيئة، إنّما اتّخذها على عاتقه دون أن يشارك في الخطيئة. وهكذا ترك ابن الله مخلّصنا لجميع المؤمنين به عوناً فعّالاً وقدوةً في آنٍ معاً: أمّا الأوّل فيُحرزونه في إعادة الولادة، وأمّا الثانية فيجارونها في الاقتداء.. ثمّ إنّه ظهر في طبيعتنا المكوّنة من جسدٍ ونفسٍ دون أن يكابد الإصابة بالإخلال القديم، وذلك مع بقائه إلهاً (في٢:٦) ومع عدم فقدانه شيئاً من جلالته الخاصّة. وحده ابن العذراء المغبوطة قد وُلد بلا تَشَةٍّ، وهذا لا يعني أنّه كان غريباً عن الجنس البشريّ بل غريباً عن الإثم؛ ففيه كانت البراءة الكاملة والطبيعة الحقيقيّة المختصّة بمن خُلق على صورة الله ومثاله. من نسل آدم، كان هو الوحيدَ الذي لم يكن بوسع الشيطان أن يدّعي امتلاك أيّ شيءٍ فيه. أمّا هذا، ففي مزاولة غضبه ضدّ إنسانٍ لم يكن يضبطه تحت ناموس

الخطيئة، خسر الحقّ الذي أنشأ سلطته التدنيسيّة. وهكذا صار ممكناً للإنسان، وبكلّ حرية، أن يفتخر بقدرة ذاك الذي جابه في عجز جسدنا عدوّاً شامخاً، والذي وهب انتصاره لمن في جسده انتصر.. وإذْ نعترف بأنّ كلمة الله والجسدَ لا يشكّلان فيه سوى شخصٍ واحدٍ وأنّ للجوهرين كليهما أعمالاً مشتركة، يلزمنا مع ذلك أن ندرك بإيمانٍ صادقٍ إلى أين ارتقت حالةُ ضعفنا الزريّة، وإلى أين نزلت رِفعة فضيلته؛ علامَ ترتكز حقيقةُ أنّ الجسد لا يتصرّف بدون "الكلمة"، وعلامَ ترتكز حقيقةُ أنّ "الكلمة" لا يُنجز شيئاً بدون الجسد. ففي الواقع، ما كانت العذراء لتحبل وتلد لولا قدرة الكلمة؛ ولولا حقيقة الجسد لما كان المولود الجديد نائماً هنا ملفوفاً بقُمُط. لولا قدرة الكلمة لما سجد المجوس للطفل الذي دلّ عليه نجمٌ جديد، ولولا حقيقة الجسد لما نُقل هذا الطفل إلى مصر بأمرٍ من العُلى حين أراد هيرودس قتله. لولا قدرة الكلمة لما قال صوتُ الآب من أعلى السماء:"هذا ابني الحبيب الذي به سُررت (متى٣:١٧)، ولولا حقيقة الجسد لما أكّد يوحنّا قائلاً:"هوذا حَمل الله الرافعُ خطيئة العالم (يو١:٢٩)". لولا قدرة الكلمة لما استعاد ذوو العاهات قِواهم بواسطته، ولا الأموات الحياة؛ ولولا حقيقة الجسد لما كان القوت ضروريّاً له عند الصوم، ولا النومُ عند التعب. أخيراً، لولا قدرة الكلمة لما صرّح الربّ عن نفسه أنّه مساوٍ للآب (يو١٠:٣٠)، ولولا حقيقة الجسد لما قال إنّ الآب أعظم منه (يو١٤:٢٨). إنّ إيمان الكنيسة الجامعة، في تسليمه بهذا وذاك، في دفاعه عن هذا وذاك، أي ما يختصّ بالجوهر الإلهيّ وما يختصّ بالجوهر الإنسانيّ، إنّما يؤمن بأنّ ابن الله الوحيدَ هو إنسانٌ وكلمةٌ في آنٍ معاً.. هذا ويمكننا أيّها الأحبّاء نقل العديد من الشواهد المأخوذة عن نصّ الأسفار بجملته، لدعم بيان الإيمان الذي نكرز به؛ إذْ لا شيء غالباً ما تُظهره الأقوال الإلهيّة أكثر من هذه الحقيقة التي مفادها أنّ ابن الله سرمديّ بحسب اللاهوت من جهة أبيه، وأنّه في الوقت نفسه مرتبطٌ بأجَلٍ بحسب الجسد من جهة

أمّه. أمّا الذين يُنكرون اتّخاذَ ابن الله جسدًا بحسب طبيعته الحقيقيّة، فهم يُعادون الإيمان المسيحيّ ويهاجمون التعليم الإنجيليّ على نحوٍ وقحٍ بإفراط؛ إذْ عند سماعهم، يكون صليب المسيح إمّا خدعة كائنٍ وهميٍّ وإمّا عذاباً قاسته الألوهيّة. حاشا لقلوبٍ ورعةٍ أن تحوي ادّعاءاتٍ مماثلة!.. إنّ كمال الإيمان الجامعِ يعترف بمسيحٍ واحد، إنسانٍ وإله، ويراه أبعد ما يكون عن إنسانٍ خياليٍّ أو إلهٍ قابلٍ للتألّم.. ذلك أنْ لا وجود فيه البتّة لأيّ نوعٍ من الشقاق بين الجوهرين الإلهيّ والإنسانيّ، بحيث أنّ الأعمال الناجزة في الزمن كانت أعمال شخصٍ واحدٍ طيلة نموّه الجسديّ. ومع ذلك، فلا الإلهيّ يضرّ الإنسانيّ ولا الإنسانيُّ يضرّ الإلهيّ، بل كلاهما يؤازِر للنتيجة عينها، دون أن يفقد شيئاً ممّا يختصّ به ودون أن يقسم الأقنوم.. إذاً، لقد اتّخذ "الكلمة" عاهاتنا بكلّ واقعها، ولم يتملّص من شيءٍ في الضعف البشريّ ما خلا المشاركة في الخطيئة، مُريداً بذلك أن يهبنا ما له وأن يشفي فيه ما لنا.. لقد اتّخذ لا المادة فحسبُ بل حالةَ الطبيعة الخاطئةِ أيضاً، وسمح بأن يكابد لاهوتُه غير القابل للتألّم كلّ ما تختبره الميتوتةُ البشريّة في شقائها الأقصى.. الضعف، نعم، والميتوتة، وهما عقوبة الخطيئة فحسب لا الخطيئة، قد اتّخذهما فادي العالم في عذابه، لكي يدفع فِديتنا بواسطتهما[560]. (القدّيس لاون الكبير)

✠ نحن نعترف جميعاً بأنّ كلمة الله غير قابلٍ للآلام بطبعه، مع أنّه في تدبير سرّه الكلّيّ الحكمة قد شوهد ناسباً لذاته التألّم الذي أصاب جسده الخاصّ. هكذا أيضاً يقول بطرس الكلّيّ الحكمة:"لقد تألّم المسيح لأجلنا في الجسد (١بط٢:٢١؛ ٤:١)"، وليس في طبيعة اللاهوت غير الموصوف. فلِكي يُستطاع الإيمانُ به على أنّه هو مخلّص العالم، أخذ على عاتقه التألّمَ في جسده الخاصّ كما قلت، وذلك انسجاماً مع ما يلائم التجسّد ويلازمه، تماماً حسْبما سبق فدلّ عليه صوت النبيّ

القائل:"بذلت ظهري للسياط وخدّي للّطم، ووجهي لم أستره من عار البصاق (إشع٥٠:٦)"[561]. (القدّيس كيرلس الإسكندريّ)

✞ في الواقع، إن كان غيرُ المألوم بطبيعته كابد التحوّل وتحمّلَ التغيُّر، وإن كان من تحوّل وتغيّر لم يعُد بلا تبدّلٍ ولا تغييرٍ منذئذٍ، فكيف يمكن لله أن يهتف بفم النبيّ قائلاً:"أنا أنا ولا أتغيّر (ملا٣:٦)"؟ إذاً، إن كان الله يصرّح هو نفسه أنّه بلا تغيير، وإن كان الآباء المطوَّبون، الأوفياءُ لهذه الكلمة، يَحرمون المتجاسرين على التصريح بأنّه قابلٌ للتحوّل والتغيّر، فمن سيمكنه من بعدُ أن يبدو غير مُبالٍ لخلاصه الشخصيّ إلى حدّ الزعم ضدّ الله بآراء معاكسةٍ والمُقاوَمَةِ العلنيّة لمَن أُطلِعوا على الإلهيّات بدقّة؟.. أمّا نحن الأمناء لفكرهم، فنعترف بمسيحٍ واحد، قابلٍ للألم في ما هو منظور، وغير قابلٍ للألم في الطبيعة غير المنظورة.. وإذْ نعترف بابنٍ وحيد، نُقِرّ أيضاً بالخواصّ الفارقة لكلٍّ من طبيعتيه[562]. (ثيوذوريتس القورشيّ)

✞ بعد أن وُلد المسيح، وأُرضع، وكبر، واجتاز مختلف مراحل الحياة البشريّة حتى بلوغهِ النضج الإنسانيّ، كابد الجوع والعطش، وتعَب الطريق، على غرارنا.. ولقد أعطت هذه الأمور برهاناً على طبيعته البشريّة.. وبما أنّه كان قد اتّخذ طبيعتنا بلا نقصان، فقد تقبّل جسدُه الختانة أيضاً، وكانت لديه هيئةٌ خارجيّةٌ مماثلةٌ لهيئتنا.. ولذلك اختبر الوجع أيضاً، حينما ضرب، وتألّم عندما جلد، وكابد العذابات في جسده لمّا سُمّرت يداه ورجلاه على الصليب. هذا لأنّه أعطى الطبيعة البشريّة ــ عندما شاء ذلك ــ فرصة إجراء وتحمُّل ما يختصّ بها، لكي لا يُعتبر تجسّده المجيد وكأنّه أمرٌ ظاهريٌّ ومشهدٌ فارغ. ذلك أنّه لم يَقبل بهذه الأمور رغماً عنه أو على مضض ــ مع أنّها جرت طبيعيّة وبشريّة، ومع أنّه عملِها ونفّذها بحركاتٍ بشريّة ــ حاشا لنا أن نفكّر بهذا الكفر! لأنّ الإله هو الذي كان يكابد هذه الأمور بالجسد، والذي كان

يخلّصنا بآلامه الخاصّة ويزوّدنا عبْرها بعدم التألّم. ولقد حصل ذلك عندما قرّر هو نفسه التألّم والتصرّف وتنفيذ الفعل بشريّاً، حسْبما كان يرى في هذا منفعةً لناظِريه، وليس عندما كانت الحركات البشريّة الجسديّة تريد أن تُحَثّ طبيعيّاً إبّان حدوث الفعل، حتى عندما كان الكفّار المفعَمون كَيداً مُجِدّين متحمّسين في تنفيذ مكائدهم بوقاحةٍ لا يخامرها تريُّب.. إذاً، وهو الذي لم يقترف خطيئة، قد صعد إلى الآلام الطوعيّة وأسلم نفسه طوعاً إلى اليهود، لأجل خلاص البشر[563]. (القدّيس صفرونيوس الأورشليميّ)

✠ لقد كان مسيح الله، الذي بُشّر به منذ الأزمنة القديمة أنّه سيحلّ في وسْط البشر ويُذبحُ عوضاً عن الحمل لأجل الجنس البشريّ برمّته.. فوقتئذٍ، وُجد الفداء العظيم الثمين لليهود وللأمم في آنٍ معاً، تطهيراً للعالم أجمع، وخلاصاً للبشر كافّةً، وذبيحةً بريئةً من كلّ عيبٍ ومن كلّ خطيئة.. وقتئذٍ، بطُلت الذبائح الأخرى، لأنّ تلك الذبيحة جُعلت بحيث تكون كافيةً مرةً واحدةً لخلاص العالم أجمع[564]. (إفسافيوس القيصريّ)

الاثنين العظيم المقدّس

القراءات حز ١:١-٢٠ / خر ١:١-٢٠ / أي ١:١-١٢

إنجيل السحر متى ٢١:١٨-٤٣ إنجيل القدّاس متى ٢٤:٣-٣٥

"فأخذوه وأخرجوه خارج الكرْم وقتلوه" (متى ٢١:٣٩)

✠ لقد انقضّت المرأة الهاذية على الشابّ الفطن، وأمسكت بثوبه، وجرّت قسْراً يوسف المتواضع قائلة:"أصغِ إليّ يا محبوبي، وهلمّ اضطجع معي (تك٣٩:٧ي)". كانت المرأة المصريّة تسحبه من جهة، فيما كانت النعمة تسحبه من الجهة الأخرى. أمّا الأولى، فكانت تصرخ قائلة:"نَمْ معي"؛ وأمّا من فوق، فكانت النعمة تصرخ قائلة:"إبقَ مستيقظاً معي". معها، كان الشيطان يعارِك بشراسة، وبيديها كانت تقبض بشدّةٍ على يوسف الشابّ، إلاّ أنّ الفطنة تحرّكت من جديدٍ إلى الشجار، آتيةً بيدها لمساعدته:"قد ينشقّ لباس الرجل الفطِن، فلا أدَعَنّ جسدَه يتلوّث. ومِن ذاك الذي يعيّن الجائزة سينال ــ كمنتصرٍ ــ ثوب الخلود، بما أنّ العين الساهرة تراقب كلّ شيء"[565]. (القدّيس رومانوس المرنّم)

✠ لقد تأثّر يعقوب لا لعلمه أنّ ابنه يوسف كان حيّاً فحسب (تك٤٥:٢٧-٢٨)، بل بخاصّةٍ لتلقّيه الخبرَ أنّه هو من "كان يتسلّط على جميع أرض مصر (تك٤٥:٢٦)". إذْ كان أمراً عظيماً حقّاً في عينيه أن تُخضع مصرُ لسلطانه، وأن يُداس إغراء الجسد، أن يُفَرّ من الفسق، أن تُكبح وتُلجم شهواتُ الجسد كافّة، فهوذا "التسلّط على جميع أرض مصر".. هذا ويدخل كلٌّ منّا أيضاً إلى مصر وإلى وسْط الصراعات بالطريقة نفسها وعبْر السبيل نفسه؛ وإن استحقّ أن يبقى الله دوماً معه، يجعل الله منه "أمّةً عظيمةً (تك٤٦:٣)". لأنّ كثرة الفضائل ووفرة البرّ هي الأمّة العظيمة، حيث يقال بأنّ القدّيسين يتكاثرون ويزدادون. وفي كلٍّ منهم أيضاً يتحقّق

القول:"أنا أُصعِدك منها في النهاية (تك٤٦:٤)؛ والنهاية في الواقع إنّما تُفهم بكمال الأمور وإتمام الفضائل.. ولكن، إذا ما جزم أحدهم أنّ هذه الكلمات:"يوسف هو الذي سيضع يديه على عينيك (تك٤٦:٤)" ـ وحيث يُشير الله إلى المستقبل عبْر مظهر شهادةٍ للورَع ـ تُستدرَج للتعبير عن فعلٍ يستحقّ الشجب، فعندها نقول بأنّ يوسف الحقيقيّ، ربّنا ومخلّصنا، وعلى غرار ما فعل حين وضع يد جسده على عيني أعمى فأعاد إليه البصر الذي كان قد فقده، كذلك بَسط يديه الروحيّتين على عيني الناموس، اللتين كان قد أعماهما تفكير الكتبة والفريسيّين الجسديّ، فأعاد إليهما البصر، لكي يكتشف الرؤيةَ والتفكير الروحيّين لدى الناموس أولئك الذين كشف لهم الربُّ الكتب (لو٢٤:٣٢). فحبّذا لو يطبّق الربُّ يسوع "اليدين على العينين" عندنا نحن أيضاً، لكي نَشرع في تحويل الأبصار لا "إلى ما يُرى بل إلى ما لا يُرى (٢كور٤:١٨)". حبّذا لو يَفتح لنا الأعين التي لا تتأمّل في الحاضرات بل في المستقبلات، ويكشف لنا نظرة القلب تلك التي تُبيح رؤية الله في الروح، بالربّ يسوع المسيح نفسه.. إذاً، حتى ولو بدَونا نازلين إلى مصر، حتى ولو تحمّلنا مقاوَمات هذا العالم وصراعاته بأمرٍ من حالتنا الجسديّة، حتى ولو سكنّا وسْط عبيد فرعون (تك٤٧:٢٠-٢٥)، إلاّ أنّنا، إن كنّا مُنكبّين على التأمّل في وصاياه، إن كنّا نتوخّى باهتمامٍ "سننه وأحكامه (تث١٢:١)"- إذْ هذا ما يعنيه القرب دوماً من الله، والتفكير في الإلهيّات، والتماسُ الإلهيّات (في٢:٢١)- فعندها سيكون الله هو أيضاً معنا على الدوام بالمسيح يسوع ربّنا[566]. (أوريجانيس)

✞ ذاك الذي يقبل كلّ ما يحدث له إنّما هو حرٌّ من كلّ قيد، ولا يرفع يديه ضدّ الله الذي يأمر بما يشاء لأجل تنشئتنا. بل ولا يتذمّر سرّاً في أفكاره، التي لا يستطيع البشر إدراكها. فطريقة التذمّر هذه هي خاصّة العبيد الأردياء، الذين لا يدينون أوامر أسيادهم علانية، بل يتذمّرون دون أن يُعلوا الصوت وبكلّ نفوسهم على ما

يحدث، كما لو كانوا يودّون إخفاء موضوع شكاواهم عن العناية وعن ربّ الكون. إلى هذا يلمّح سِفر أيوب كما يلوح لي[567]. (أوريجانيس)

✞ فلْنعْلم أنّ خبث الشيطان مفيدٌ لخلاص البشر، لا لأنّ الشيطان يودّ أن يكون مفيداً، بل لأنّ خبثه نفسه يُحوّله الربُّ رغماً عنه لخلاصنا. فهذا الخبث هو الذي جعل فضيلة أيّوب الصدّيق وصبره أشدّ سطوعاً. وهذا الخبث هو الذي امتحن برّه، ما جعله يناضل، وينتصر، ويستحقّ الإكليل بهذا النصر؛ سيّما وأنْ ما من أحدٍ يكلَّل إلاّ ذاك الذي ناضل كما يجب[568]. (القدّيس أمبروسيوس)

الثلاثاء العظيم المقدّس

القراءات حز ١:٢١-٢:١ / خر ٢:٥-١٠ / أي ١:١٣-٢٢

إنجيل السحر متى ٢٢:١٥-٢٣:٣٩. إنجيل القداس متى ٢٤:٣٦-٢٦:٢

"إذهبن إلى الباعة وابتعن لكنّ" (متى ٢٥:٩)

✠ لا وجود لأيّة منفعةٍ يا إخوة في أن يُقال بأنّ لدينا إيماناً إلهيّاً، إن لم تكن لدينا الأعمال التي توافق الإيمان. فأيّة منفعةٍ جنتها العذارى الجاهلات من المصابيح التي لم يكن فيها زيت، أيْ أعمال المحبّة والرأفة[569]؟ (القدّيس غريغوريوس بالاماس)

✠ إذا ما كانت خمسٌ بين العذارى العشر فطِناتٍ وعاقلات، فإنّ الخمس الأُخريات كنّ جاهلاتٍ وطائشات، لأنّهن لم يحتطن ويجهّزن قواريرهنّ [لتكون] زاخرةً بالزيت؛ وهكذا لبثن مجرَّداتٍ من العدل. إنّه يلمّح هنا إلى تلك اللواتي يتحفّزن لبلوغ ذُرى البتوليّة، ويجاهدن بإحكامٍ ودقّةٍ في كلّ شيءٍ لإرضاء هذه الرغبة، واللواتي، مع مجاهرتهنّ رسميّاً أنّ ثمّة هدفاً كهذا لديهنّ، يتهاونّ وينهزمن أمام تقلّبات العالم. وليس هذا الأمر من جهتهنّ سوى رسم صورةٍ ظلّيةٍ للفضيلة، بدلاً من تشكيلها وعيشها في حقيقتها بالفعل.. لقد أخذت بعضهنّ معهنّ ما يغذّي مصابيحهنّ بوفرةٍ ويعيد تهيئتها، في حين أنّ الأخريات عن رخاوةٍ منهنّ لم يهتمِمْن إلاّ بالحاضر.. ولكنّ تأخّر العريس هو المهلة المعطاة لنا قبل مجيء المسيح.. إذاً، هلمّ يا رهط الأحداث الجديد، هلمّ املأوا مصابيحكم عدلاً، فها هوذا أوان استيقاظكم من الآن فصاعداً لتواجهوا الختن. هلمّ تلافوا سِحْر الحياة وجمالاتها دفعةً واحدة، والتي تفتن دوّامتُها النفس، فتنالوا من ثمّ ما قد وُعدتم به[570]. (القدّيس مثوذيوس الأولمبي)

✠ كما حدث قديماً للعذارى الجاهلات، حين لم يلاحظن وصول الختن الفجائيّ، كذلك يا نفسي، ما دام النهار فلْنخرج للمضيّ إلى عملنا، لأنّ الليل الذي

تحدّث المسيح بشأنه يأتي، وفيه لا يستطيع أحدٌ عملاً (يو٩:٤)؛ بل نبقى فقراء معوزين لأننا لم نبذل جهداً. كما وأنّ الأغنياء لن يُشفقوا على فقراء الزمن الآتي، إذْ لم تشفق العذارى العاقلات على الجاهلات. هناك، ستكون الدينونة بلا رحمةٍ على من لا يَرحم (يع١٣:٢). فهلمّ بنا إذاً منذ الآن لنبلغ باب الرحيم صارخين:"افتح لنا". ولِمَ نتعب دون أن ندّخر شيئاً في صرّتنا؟ عساها تكون خاليةً من الظلم إن شاء الله!.. هلمّ بنا نحن أيضاً يا إخوتي، قبل أن ينقضّ علينا الغضب، كأوجاع المرأة الحبلى، بغتةً. إذْ لم يكن أكثر رداءةً منّا أولئك الذين في صور، ولا أكثر فظاعةً منّا أولئك الذين في الكرمل (إشع٢٣؛ حز٢٦؛ ١مل١٨: ٢٠ي). لا بدّ أن نهلك نحن أيضاً بالمِثل، إن لم نكن ساهرين.. فلْنتُب إذاً، آخذين الماضي بعين الاعتبار بغية التخلّص ممّا يأتي، حين سنصرخ بقلق:"افتح لنا"! لقد تصلّب فكرنا إلى حدّ أنّنا لا نتأدّب في شيءٍ عند سماعنا الكلام عن مصائب الآخرين. ليس من أحدٍ يفهم، ليس من أحدٍ يسعى، بل نحن منحرفون وفاسدون. لقد تاب أهل نينوى قديماً على نداءٍ واحدٍ من النبيّ (متى١٢: ٤١)، فيما نحن لا نفهم نداءً ولا وعيداً. بدموعه، هزم حزقيّا الأشوريّين مُظهِراً إزاءهم العدالة التي من فوق (٢مل١٩؛ إشع٣٧)، فيما نحن لم نبكِ ولا صرخنا "افتح لنا"! فيا أيّها الربّ العليّ ديّان الكلّ، لا تنتظر شيئاً من سلوكنا. فأنت غير محتاجٍ لمآثرنا، سيّما وأنّ كلاًّ منّا يقف نفسَه للطالحات بالفكر والإرادة. وبما أنّ الأمر كذلك، أنت احكُمْ أيّامنا بحسب مشيئتك، دونما انتظارٍ لتوبتنا لأنّها لن تأتي. بل حتى ولو أتت لبعض الوقت، إلاّ أنّها لا تثبت إلى النهاية، تماماً كالبذار الذي سقط وسْط الصخور (متى١٣: ٥-٦)، أو كعشب السطح الذي يذبل قبل أن يُقلَع (مز١٢٨: ٦). فابسط إذاً مراحمك علينا وعلى جميع من يصرخون "افتح لنا"[571]. (القدّيس رومانوس المرنّم)

الأربعاء العظيم المقدّس

القراءات حز ٢:٣ – ٣:٣ / خر ٢:١١ – ٢٢ / أي ٢:١ – ١٠

إنجيل السحر يو ١٢:١٧ – ٥٠ إنجيل القدّاس متى ٢٦:٦ – ١٦

"وقال لهم ماذا تريدون أن تعطوني فأسلمه إليكم، فجعلوا له ثلاثين من الفضّة" (متى٢٦:١٥)

✠ يا لَشقاء يهوذا! فالخسارة التي ظنّ أنّه تكبّدها بداعي الطيب المسكوب (متى٢٦:٨–٩)، قد شاء تعويضَها بالثمن المسحوب من معلّمه.إلاّ أنّه لم يطالِب بثمنٍ محدّد، ما سيُعطي لخيانته أن تبدو مُربِحةً له على الأقلّ، بل كما لو كان يُسلّم عبداً حقيراً، هكذا تَرك العرضَ لتقدير المُشترين[572]. (القدّيس يرونيمس)

✠ أيَّ مصيبةٍ تُزاد على مصائبنا، إن خاننا أولئك الذين يدّعون أنّهم أصدقاؤنا[573]! (القدّيس غريغوريوس اللاهوتيّ)

✠ ينبغي أن يُعايَن قَدْرَ الإمكان إلى أيّة هوّة كبرياء يُجَرّ الإنسان، في عدم مشاركته إلهَه المتّضعَ مشاعرَه، وأيّة خسارةٍ يتلقّاها في احتماله بملل ما يريده ربُّه العادل، فيما أنّ الله قد تحمّل بصبرٍ ما أراده مُهينُه الظالم[574]. (المغبوط أغسطينوس)

✠ لقد كابد [ابن] الله الولادة، بصبر، فانتظر في حشا أمّه (لو ١:٣١)، وحالما وُلد قَبِل النموّ (لو ٢:٥٢)، وعندما كبر لم يسْعَ إلى الشهرة، بل وضع نفسَه (في ٢:٨)، واعتمد من خادمه (متى ٣:١٣)، ولم يَستخدم سوى كلماتٍ ليدحر هجمات المجرِّب (متى ٤:١– ١١). وحينَ صار معلّماً كونه الربّ (يو١٥:٧)، لقّن الإنسانَ التخلّصَ من الموت (يو ٨:٥١؛ ١كو ١٥:٥٤ – ٥٧)، هو الذي كان قد اعتاد منْح الغفران، الكاملِ بالتأكيد، عن الإساءات الموجَّهة إلى صبره (إشع ٥٠:٤ي). لَمْ يُجادل ولم يطالب، وما من إنسانٍ سمع صوته في الساحات العامّة، لم يكسر القصبة المرضوضة، ولم يطفئ الفتيلة المدخنة (متى١٢:١٩– ٢٠). في الواقع، لم يكذب

النبيّ، أو بالأحرى شهادةُ الله نفسِه الذي أودع روحَه في ابنه مع كامل صبره! فقَبِل كلَّ من كان راغباً في الارتباط به، ولم يحتقر مائدة ولا سقف أحد، بل وقد قام هو نفسه بغسل أرجل تلاميذه (يو ١٣: ٤ – ٩). لم يرفض الخطأة ولا العشّارين (مر ٢: ١٦)، كما ولم يستشِط على المدينة التي كانت قد رفضت استقباله، فيما تلاميذه كانوا لَيودّون رؤية استنزال النار من السماء على مدينةٍ وقحةٍ إلى هذا الحدّ (لو ٩: ٥٢ – ٥٥). ولقد شفى الكنودين، واستسلم للخونة (لو ١٧: ١١ – ١٩). وكان هذا قليلاً بَعد، لو لم يكن ذاك المزمعُ على تسليمه موجوداً معه أيضاً، لو لم يكن قد وبّخه دونما جلبة (لو ٢٢: ٢١؛ يو ١٣: ٢١ – ٢٨). وعندما أُسلم، عندما سيق إلى الذبح كبهيمة (إشع ٥٣: ٧)،هو الذي كانت لَتُساعده ربوات ملائكةٍ يفِدون من السماء على كلمة منه، لو شاء ذلك، لم يؤيّد حتى السيفَ المنتقِم من جهة أحد تلاميذه (متى ٢٦: ٥١ – ٥٣). ولقد تقبّل صبرُ الربّ جرحاً في شخص ملخس (يو ١٨: ١٠)، ولذلك لَعن من ثمّ أعمال السيف؛ وإذْ أعاد الكمالَ الجسديَّ إلى ذاك الذي لم يؤذِه بيده، أصلحه بالصبر الذي هو أمّ الرحمة (لو٢٢: ٥١). ولستُ بقائلٍ شيئاً عن صلبه، فلأجل ذلك أتى (يو ١٢: ٢٧). ولكن، أتُراه كان محتاجاً إلى المزيد من الإهانات لمجابهة الموت؟ ففيما كان ماضياً إليه، كانت رغبته أن يَشبع من متعة الصبر. وهكذا بُصق عليه، وضُرب، وهُزء به، وأُلبس بطريقةٍ مهينة، وتُوِّج بطريقةٍ أكثر مهانةً أيضاً (متى ٢٧: ٢٧–٣١). يا لَلإيمان العجيب في رباطة الجأش! فالذي حدّد لنفسه أن يستتر في هيئةٍ بشريّةٍ لم يقتدِ بشيءٍ من نفاد الصبر البشريّ! إذاً، ثمّة عِبَرٌ جميلةٌ وعظيمةٌ للغاية ــ سموُّها هو بلا ريبٍ حجّةٌ ضدّ الإيمان عند الأمم، فيما هو برهانه ودعامته عندنا ــ وهي تحمل بوضوحٍ كافٍ، إلى مَن أُعطي لهم أن يؤمنوا، الدليلَ لا في كلام الربّ وتعليمه فحسب، بل وفي آلامه أيضاً، وبداعي شجاعته، على أنّ الصبر هو سِمةٌ نوعيّةٌ عند الله... وبما أنّنا نرى كافّة الخدّام الشرفاء الحسني الاستعداد يتقيّدون في طريقة حياتهم بطبع سيّدهم،

فكم بالأحرى يجب علينا الكشفُ بأنّا نُحكِم حياتنا وفقاً للربّ بانقياد، نحن خدّام الله الحيّ، الذي لا تَستعمل دينونتُه لأخصّائه قيوداً أو غطاءً واقياً، بل عقاباً أو خلاصاً أبديّاً أيضاً[575]! (ترتليانوس)

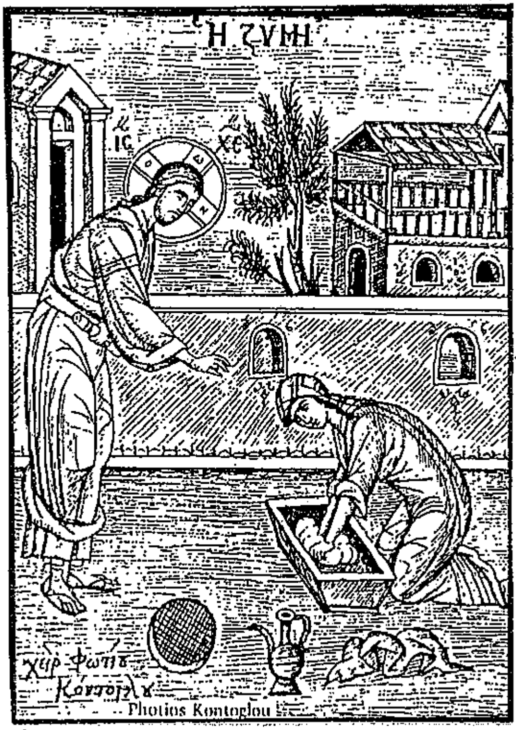

الخميس العظيم المقدّس

إنجيل السحر لو ٢٢:١ - ٣٩

في الساعة الأولى إرم١١:١٨ - ١٢:٥، ٩-١١، ١٤-١٥

في خدمة الغسل يو ١٣:٣-١١ / يو ١٣:١٢ - ١٧

قراءات الغروب خر١٩:١٠-١٩ / أي٣٨:١- ٢٣؛ ٤٢:١-٥ / إشع٥٠:٤-١١

الرسالة ١كور ١١:٢٣-٣٢ إنجيل القدّاس متى ٢٦:١ - ٢٠ يو ١٣:٣ - ١٧، متى ٢٦:٢١ - ٣٩، لو ٢٢:٤٣ - ٤٥، متى ٢٦:٤٠ - ٢٧:٢

الغسل وإعلان الخائن

"وأخذ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التي كان متّزراً بها" (يو ١٣:٥)

✠ لقد غسل الربّ بيديه أرجل تلاميذه، أي (أرجل) البشريّة[576]. (القدّيس إيريناوس)

✠ لاحظْ كم أنّ الكلمة المتجسّد، العظيم والمجيد للغاية، يتواضع بهذه البادرة. أمّا إبراهيم، وعند استقباله الرجال الثلاثة، فلم يأخذ الماء بنفسه، بل رتّب [المسألة] فحسْب:"دعوني أقدّم لكم الماء لتغسلوا أرجلكم (تك ١٨:٢ - ٤)". وكذلك يوسف لم يقُم بهذه البادرة إزاء إخوته (تك ٤٣:٢٤)[577]. (أوريجانيس)

✠ قال لهم يسوع: "إنّ واحداً منكم سيُسلمني (متى ٢٦:٢١). كان يقدّم له فرصةً للتوبة، حتى إذا فَهم أنّ أفكاره وخفايا مقاصده قد عُرفت، يتوب عن فعلته. ومع ذلك لم يُشِر إليه يسوع بصراحة، خوفاً من أن يصبح بهذا أكثر وقاحةً وقد فُضح علناً، بل صاغ اتّهامه بشكلٍ عامّ، لكي يتوب ذاك الذي يَعرف نفسه أنّه المذنب[578]. (القدّيس برونيمس)

✠ أجاب: إنّ الذي يغمس يده معي في الصَّحفة هو الذي يُسلمني (متى٢٦:٢٣)". يا لَصبر الربّ العجيب! فلقد قال أوّلاً: "إنّ واحداً منكم سيسلمني

(٢١:٢٦)"، وإذ استمرّ الخائن في خبثه، حدّد يسوع اتّهامه بدقّة، ولكنْ دون أن يُشير إلى أحدٍ بشكلٍ خاصّ. أمّا الآخرون، فإذ قد غمرتهم الكآبة سحبوا أيديهم وكفّوا عن حَمْل طعامهم إلى أفواههم؛ وأمّا يهوذا، فمع الجسارة والوقاحة اللتين كان مزمعاً على إظهارهما في خيانته، قد مضى حتى إلى وضْع يده في الصحفة مع المعلّم ليتصنّع الضمير الصالح بعلامة التهوّر هذه..لقد غذّى صبرُ المعلّم وقاحتَه، وعندها تنبّأ له يسوع بالعقاب (ويلٌ لذلك الرجل الذي يُسلم ابن الانسان(٢٦:٢٤))، لكي يُعيد إنذارُ العذاب إلى جادة الصواب ذاك الذي لم يهزمه الخجل. أمّا بقيّة قوله: "كان خيراً لذلك الرجل أن لا يولد"، فتعني قوله بكلّ بساطةٍ أنّ عدم العيش أفضل من العيش الرديء.. ولكن، لئلاّ يبدو البتّة خائناً لذاته بصَمْته، طرح يهوذا السؤال نفسه (ألعلّي أنا، ربّي؟ (٢٦:٢٥))، مُضيفاً بذلك ما هو تملّقٌ ودودٌ أو علامةُ إنكار.. والذي رشّح نفسَه لتسليمه لم يدْعُه ربّاً، بل معلّماً، كما لو كان هذا الرفض لدعوته ربّاً يُبرّئه على الأقلّ من تسليمه معلّمَه". فأجابه يسوع: أنت قلت (٢٦:٢٥)؛ وهذا الجواب لإفحام الخائن هو نفسه الذي سيُقال لبيلاطس (متى ٢٧:١١)[579].
(القدّيس برونيمس)

سرّ الإفخارستيّا

"كلّما أكلتم من هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الربّ إلى أن يأتي" (١كور ١١:٢٦)

✠ على الخبز قال الربّ:" هذا هو جسدي"، وعلى الخمر:"هذا هو دمي"، لكيلا تتوهّم فتظنّ أنّ الأمر الظاهر ليس سوى صورة، بل لكي تعتقد بثباتٍ أنّ القرابين المقدَّمة قد تحوّلت حقّاً إلى جسد المسيح ودمه[580]. (القدّيس كيرلس الإسكندريّ)

✠ لكي نَنزع إلى الوحدة مع الله وفي ما بيننا، ولكي نمتزج معاً، حتّى ولو كنّا نشكّل جميعاً أفراداً متميّزين لجهة النفوس والأجساد، هيّأ الابنُ الوحيد وسيلةً استنبطها بحكمته الخاصّة وبمشورة الآب. إذْ في تقديسه المؤمنين بذاته فعلاً في

جسدٍ واحدٍ هو جسده، عبْر الشركة السرّية، إنّما جعلهم أعضاء في الجسد الواحد (أف ٦:٣) معه وفي ما بينهم. في الواقع، من تُراه سيَفصل ويُبعد عن هذا الاتّحاد الجسديّ أولئك المرتبطين بالمسيح إلى درجة أنّهم واحدٌ معه بواسطة هذا الجسد المقدّس الأوحد؟ ذلك أنّنا نشكّل جسداً أوحد إن كنّا جميعاً مشتركين في خبزٍ أوحد، ولا يمكن للمسيح أن يكون منقسماً. لذلك تدعى الكنيسة هي أيضاً جسد المسيح، ونحن أعضاءه، بحسَب فكر بولس (١كور ٢٧:١٢).. كذلك الروح واحدٌ وغير منقسم، هو الذي يجمع بذاته أرواح الجميع، على الرغم من تميّزهم وفقاً لوجودهم الشخصيّ، وهو الذي يُظهرهم جميعاً كما لو كانوا لا يشكّلون فيه سوى كائنٍ واحد[581]. (القدّيس كيرلس الإسكندريّ)

✟ هو لم يقُل: "هذا رمز جسدي"، كما ولم يقل: "هذا رمز دمي"، بل قال: "هذا هو جسدي ودمي"، بغية تعليمنا وجوبَ عدم النظر إلى طبيعة ما هو موجود أمامنا، بل أنّ ما هو هنا قد تحوّل إلى جسدٍ ودمٍ بالإفخارستيّا[582]. (ثيوذورس الموبسوستيّ)

✟ إنّ هذا السرّ الذي تلقّيتَه قد أنشأته كلماتُ المسيح. وإن كانت لصلاة إيليّا القدرة على إنزال النار من السماء، أفَلن تكون لصلاة المسيح القدرة على تحويل طبيعة الموادّ؟ ثمّ إنّك تقرأ بصدد خَلْق العالم أنّه " قال فصُنع كلّ شيء، وأمر فخُلق كلّ شيء (مز ٥:١٤٨)؛ وعليه، فكلام المسيح الذي كان باستطاعته إخراج الوجود من العدم، أفَلا يستطيع أن يحوّل ما هو موجودٌ إلى شيء آخر؟ هل خَلقُ الكائنات الجديدة أقلُّ شأناً من تحويل تلك الموجودة؟.. عندئذٍ، قد تجرِّب فتقول: "إنّما أرى شيئاً آخر تماماً، فكيف يمكنك القول لي بأنّ جسد المسيح هو الذي أتلقّاه؟.. ولكن، ينبغي علينا الكشف بأنّ ما نجده هنا ليس ما شكّلته الطبيعة، بل ما كرّسته البَركة. فقدرة البركة تفوق تلك التي للطبيعة، سيّما وأنّ الطبيعة نفسها تتحوّل بالبركة[583]. (القدّيس أمبروسيوس)

✞ "جسدي مأكلٌ حقٌ ودمي مشربٌ حقٌ (يو٦:٥٥)". لقد سمعتَ وهو يتحدّث عن جسده، سمعته وهو يتحدّث عن دمه، وتعرف السِّماتِ المقدسةَ لموت الربّ، أفَتقلق بشأن ألوهيّته؟ إسمعْ كلماته حين يقول:"الروح لا لحم له ولا عظم (لو ٢٤:٣٩)". وعليه، فكلّما تناولنا الأجزاء المقدّسة التي حُوّلت إلى جسد الربّ ودمه عبْر سرّ الصلاة المقدّسة، إنّما نُعلِن موت الربّ[584]. (القدّيس أمبروسيوس)

✞ لنتعلّمْ آية سرِّ الإفخارستيّا، والغايةَ من إنشائه، والمفاعيلَ التي يُحدثها. فنحن إنّما نصير جسداً واحداً ــ يقول الكتاب (أف ٥:٣٠) ــ أعضاء في جسده وعظامه، وهذا ما يصنعه الغِذاء الذي يُعطيناه. إنّه يمتزج بنا، لكي نصير كلّنا واقعاً واحداً، كالجسد المتّحد بالرأس[585]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✞ مع كوننا مقسومين نوعاً ما إلى شخصيّاتٍ مفصولةٍ جيّداً، نكون وكأنّنا ممتزجون ضمن جسدٍ واحدٍ في المسيح، عبْرَ اغتذائنا بجسدٍ واحد. كذلك كان يقول لأبيه السماويّ:"لكي يكونوا واحداً كما نحن واحد(يو ١٧:٢٢)". فبين كافّة أعضاء الكنيسة لا يسود وئامٌ خارجيٌّ فحسب، بل وحدةٌ يمكن تسميتها طبيعيّةً للدلالة على العمق الأنتولوجي، حيث تنعقد روابط المحبّة ولو كان لا بدّ بخاصّةٍ أن يُقال لها روحيّة. وحدةٌ إذاً، إتمامٌ للوحدة، والتي هي في الوقت نفسه الصورة والفعل لوحدة الأقانيم الإلهيّة في ما بينها. ومن ثمّ فلْنُسرع، إلى الانضمام في الخلاص، في الولادة الجديدة، في محبّةٍ واحدةٍ على غرار الاتّحاد السائد في طبيعة الله الوحيدة[586]. (القدّيس كيرلس الإسكندريّ)

✞ نحن سنقوم حقّاً، لأنّ المسيح يأتي فينا من خلال جسده (الإفخارستيّا). إذْ من غير المعقول أو بالحريّ من المُحال ألاّ تحيي الحياةُ مَن قد حلّت هي فيهم. وكما تغطّى الشرارة بالكثير من القشّ بغية الحفاظ على شعلة النار،كذلك ربّنا يسوع المسيح فينا يُخفي الحياة في أعماق كياننا من خلال جسده؛ فهو يُوْدعها بمثابة رُشَيم خلودٍ مرصودٍ لإتلاف كلّ الفساد الذي فينا[587]. (القدّيس كيرلس الإسكندريّ)

✞ إنّ الدم الإفخارستيّ يُنعش فينا زهرة الصورة الملَكيّة.. إنّه خلاص نفوسنا. فبه تتنقّى النفس، وتتجمّل، وتتوقّد؛ وبه يصير ذهننا أشدَّ ألَقاً من النار، ونفسُنا أوفرَ بهاءً من الذهب. فلقد أُهرق هذا الدم وفَتح لنا السماء. ولْنفترضْ، كما لو كان ذلك ممكناً، أنّ أحداً غطّس يده أو لسانه في الذهب المذوَّب، فإنّه سيستعيده مذهَّباً بغتةً. هكذا هي عظيمة، لا بل أكثر عظمة أيضاً تلك التأثيراتُ التي تولّدها في النفس القرابينُ الحاضرة[588]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✞ إنّ الاشتراك في جسد المسيح ودمه لا يعمل فينا شيئاً آخر سوى نَقْلنا إلى ما نأخذ وتوشيحنا كلّيّاً، روحياً وجسدياً، بذاك الذي فيه نموت، والذي فيه دُفنّا وفيه نقوم[589]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ إن كنتم قد اقتبلتم جسد المسيح ودمه باستعدادات حسنة، فأنتم واحدٌ ومَن اقتبلتم.. ولا تعتبر ذلك أمراً مألوفاً لمشاهدتك إيّاه بعينيك. فما تَراه يعبر، وأمّا غير المنظور الذي تجلّى فلا يعبر، بل يبقى.. ما قد دُلّ عليه سيبقى، ولو بدا عابراً ما قد دَلّ. اقتبلوه إذاً لمطابقة فكركم وإيّاه، لحفظ الوحدة في قلوبكم، لتثبيت قلبكم فوق[590]. (المغبوط أغسطينوس)

✞ ينبغي عليكم أن تتناولوا هذا الدم المخلِّص كما لو كان عليكم أن ترشفوه بشفاهكم من الجنب الإلهيّ الطاهر.. ويا لَكَم يوجد الآن من يقولون: " كنت لأَودُّ فعلاً رؤيته شخصياً، بهيئته وملابسه وحذائه"! ولكنّه هو نفسه من تراه، هو نفسه من تلمسه، هو نفسه من تأكله[591]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✞ أيمكن لدم حملٍ أن يخلّص بشراً وُهبوا العقل (أنظر خر ١٢:٧)؟ حتماً لا كدمٍ، بل لأنه يرمز إلى دم المعلّم.. الملاك المهلِك إنّما كان يعبر ولا يجرؤ على الدخول عند مشاهدة دم الحمل فوق الأبواب، فلَكم بالأحرى سيبتعد العدوّ عندما يلمح لا دم الحمل على عتبات الأبواب العليا، بل دمَ المسيح الحقيقيَّ على شفاه

المؤمنين، على أبواب هياكل الله الحيّة؟ وإن كان الملاك يخشى الرمز آنفاً، فالأولى أن يفرَّ الشيطان من الحقيقة[592]! (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✠ فليعلم جنود المسيح أنّهم إذا ما شربوا دم المسيح من الكأس كلّ يومٍ فَلِكي يستطيعوا هم أيضاً أن يُهرقوا دماءهم لأجل المسيح[593]. (القدّيس كبريانوس)

✠ من تُراه يشكُّ في أنّ الاشتراك في الحياة دونما انقطاعٍ إنّما هو الحياة بملء؟ ومن ثمّ فالتناول كلّ يومٍ هو أمرٌ حسنٌ ونافع، لأنّ الربّ نفسه يقول بوضوح:" إنّ من يأكل جسدي ويشرب دمي له الحياة الأبديّة[594]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

✠ إن كان مَن يُغِمّ أخاه لمجرّد مسألة طعامٍ يجد نفسه ساقطاً من المحبّة (أنظر رو١٤:١٥)، التي بدونها لا يجدي نفعاً إنجاز المواهب العظيمة وأعمال البرّ الجسيمة (١كور١٣:١-٣)، فماذا يُقال في من يجرؤ بتوانٍ وعبثاً على أكل جسد ربّنا يسوع المسيح وشرب دمه، محزناً الروح القدس هكذا بالأكثر، ومن يجرؤ على الأكل والشرب دون أن تحثّه المحبّة (٢كور٥:١٤) وتدفعه إلى التفكير بأنّا لا نحيا لأنفسنا، بل للمسيح يسوع ربّنا الذي مات وقام لأجلنا (٢كور٥:١٥)؟.. ولكن، ينبغي أيضاً أن نُبدي بالأعمال تذكُّرَ ذاك الذي مات وقام لأجلنا؛ وذلك في موتنا عن الخطيئة، وعن العالم، وعن أنفسنا، ثمّ في حياتنا لله في المسيح يسوع ربّنا[595]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

سرّ الكهنوت

"إصنعوا هذا لذِكري" (لو ٢٢:١٩)

✠ عظيمةٌ هي كرامة الكهنة. يقول: "من غفرتُم لهم خطاياهم غُفرت لهم (يو٢٠:٢٣)".. ومن ثمّ فالأمور التي وُضعت في أيدي الكهنة إنّما يتمتّع الله وحده بوَهبها. ليس في وِسع ملاكٍ ولا رئيس ملائكةٍ أن يقوم بأيّ شيءٍ فيما يتعلّق بما أعطاه الله. الآب والابن والروح القدس هم الذي يدبّرون ذلك كلّهُ، وأمّا الكاهن

فيُعير لسانَه ويقدّم يديه. وليست المسألة أن يتأذّى أولئك المتقدّمون بإيمانٍ إلى رموز خلاصنا من أحدٍ لا يُجارى.. فكما يُرسل الملك الولاةَ مانحاً إيّاهم السلطان ليَزجّوا في السجن أو يُعتِقوا منه، كذلك المسيح في إرساله هؤلاء يقلّدهم السلطان نفسه. ولكن، كيف يقول:" إن لم أنطلِق لا يأتيكم المعزّي (يو١٦:٧)"، والآن يعطيهم الروح؟ يقول البعض إنّه لم يعطِهم الروح، بل جعلهم أهلاً لاستقباله، عبْر النفخ فيهم (يو ٢٠:٢٢). لأنّه، إن كان دانيال قد ارتعد عندما رأى ملاكاً (دا ٨:١٧)، فما الذي لم يكابدوه هم عندما تلقّوا تلك الموهبة غير الموصوفة لولا أنّه أعلمهم بها أوّلاً؟ ولهذا السبب لم يقُل: " لقد أخذتم الروح القدس"، بل " خذوا الروح القدس". والآن لن يكون على خطأ من يؤكّد أنّهم تلقّوا آنذاك بعض القوّة الروحيّة والنعمة، لا لإقامة الموتى واجتراح العجائب، بل لغفران الخطايا.. وأمّا في الحالة الأخرى، أيّ بعد أربعين يوماً، فقد تلقّوا سلطان اجتراح العجائب. ولهذا السبب يقول: "سوف تنالون قوّةً بحلول الروح القدس عليكم، فتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي جميع اليَهوديّة (أع ١:٨)". وقد صاروا شهوداً بواسطة العجائب، لأنّ نعمة الروح لا توصف والموهبة متعدّدةُ الأشكال. هوذا ما يجري، لكي نتعلّم أنّ الموهبة والقوّة التي للآب والابن والروح القدس هي واحدة[596]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✞ ليست مواهب الله ذاتَ طبعٍ بحيث يمكن أن تكون نتيجةً لفضيلة الكاهن، بل هي صنيع النعمة بالكامل. أمّا دور الكاهن فيقتصر على فتح فمه، في حين أن الله هو الذي ينجز ما يَحدث.. فالقربان الإفخارستيّ يبقى هو هو، سواء كان بولس أم بطرس من يقدّمه. والتقدمة التي أعطاها المسيح لتلاميذه تُطابق تماماً تلك التي يُقرّبها الكهنة الآن. فهذه ليست دون تلك في أيّ شيء، سيّما وأن ليس البشر من يُقدّسونها، بل ذاك الذي قدّس التقدمة الأولى.. أيضاً عندما يُعمِّد الكاهن، لا يكون هو من يعمِّد، بل الله الذي يمسّ سلطانُه الإلهيّ رأسَك[597] (القدّيس يوحنا الذهبيّ الفم)

✟ مجد الأسقف أن يكون مدبّر مال الفقراء، وخِزيُ الكهنة أن يعملوا لصالح ثروتهم الخاصّة.. أمّا الكاهن الذي لن يرجو مكافأةً في الحياة الحاضرة، فما الذي لن تكُونَه مكافأتُه!.. وعند كاهن المسيح، ينبغي أن يكون القلب والفم على اتّفاق.. أيضاً فلْيعلم الأساقفة أنّهم كهنةٌ لا أسياد، ولْيُكرّموا [باقي] الإكليريكيّين كإكليروس، حتى يؤدّي هذا الإكليروس بدوره الاحترام الواجب للأساقفة.. ولْنعلم نحن أنّ الأسقف والكهنة اليوم هم بالنسبة إلينا كما كان هارون وأبناؤه [قديماً].. ولذلك، فلا يكن لدينا سوى سيّدٍ واحد، وهيكلٍ واحد، وكهنوت خدمةٍ واحد.. ولْيفرح الأسقف باختياره حينما يختار كهنةً كهؤلاء للمسيح.. وينبغي على كلام الكاهن أن يرتكز على قراءة الكتب المقدّسة.. فمعلّمي القديم، غريغوريوس النزينزيّ، إذْ سألته [مرّةً] أن يفسّر لي ما معنى السبت الذفتروپروتون ــ أي [السبت] الثاني [من الشهر] الأوّل ــ في لوقا (لو ٦:١/ أنظر لا ٢٣:٥-١٤ وفقاً لبعض المخطوطات)، أجابني مازحاً: "سوف أثقّفك بهذا الشأن في الكنيسة. فهناك، حين سيهتف الجميع لي، ستصير ملزَماً رغماً عنك بمعرفة ما لا تعرفه.. أو بالأحرى، إن سكتّ أنتَ وحدك، فلَسوف تكون متّهَماً من الجميع بالحماقة أنتَ وحدك". فلا شيء أسهل من أن يُخدع بالالتفاف على اللغة سوقةٌ عادمو الشأن وجمعٌ أميٌّ يكثر عندهم التعجّب ويقلّ الفهم.. بيد أنّ جنديّ المسيح لا يستسلم للكبرياء بداعي المديح ولا لفتور العزم بداعي اللوم.. [هنا]، تكون الفطنة والعدل والاعتدال والتأثير زينةً وصيانةً له في آنٍ معاً وتستحيل إلى دِرع[598]. (القدّيس يرونيمس)

✟ احرصوا فقط على أن يكون أساقفتكم مستقيمي الرأي وأن لا يعلّموا اعتقاداتٍ تتناقض والإيمان الصحيح، وأن لا يتشاطروا الطقوس مع المنشقّين والهراطقة. أمّا بالنسبة إلى باقي الأمور، فينبغي عَزْوها إلى جهلهم وإلى شرّ الأزمنة، أو إلى إرادتهم الضعيفة، ولسوف يكون عليهم هم وحدهم أن يؤدّوا لله حساباً عن ذلك[599]. (البطريرك جناديوس سخولاريوس)

✞ يجدر بالأسقف أن يعترف بالربّ(..) حيث يقود كنيسة الربّ، وهكذا يتمجّد كلّ الشعب باعتراف رئيسه. فالأسقف الذي يتكلم بإلهام من الله إنّما يكون متكلّماً باسم الجميع في أوان اعترافه. زِدْ على أنّ شرف كنيستنا سيُمسّ إن كنتُ أنا الأسقف تلقّيت الحُكم ورحلت إلى الربّ شهيداً في كنيسة أخرى غير هذه. لا، من أجلي ومن أجلكم، فعندكم أنتم ينبغي عليّ الاعتراف بالإيمان، وعندكم عليّ أن أتألّم، ومن عندكم عليّ أن أرحل إلى الربّ. هوذا ما أسأله بلا انقطاع في صلواتي، وهوذا ما أطلبه من كلّ أمنياتي(600). (القدّيس كبريانوس)

✞ [للكهنة المتبتّلين والرهبان].. ولا تطأنّ النسوة عتبة بيتك إلاّ نادراً بل أبداً. أمّا جميع الشابّات وعذارى المسيح فتجاهلهنّ بالتساوي أو أحببهنّ بالتساوي، ولا تشاطرْهنّ العيش تحت سقف واحد. لا تفتخر بعفّتك الماضية، إذْ لا يمكنك أن تكون أكثر قداسةً من داود ولا أوفر حكمةً من سليمان، وتذكّر دوماً أنّ المرأة هي التي هَجّرت ذاك الذي كان يسكن الفردوس(601). (القدّيس برونيمس)

✞ ألاّ يُساس المرء من أحدٍ أفضل له من أن يقوده إنسانٌ فاسق(602). (القدّيس باسيليوس الكبير)

✞ أيّ نوع من البشر يريده الكتاب المقدس ممّن عُهِد إليهم بإعلان الإنجيل؟ أن يكونوا رُسلاً وسفراء للمسيح، ووكلاء أمناء لأسرار الله، فيُتِمّوا الأمور التي أوصى بها الربّ فحسبُ دونما تقصيرٍ في الأفعال أو في الأقوال؛ أن يكونوا نذراء ملكوت السماوات، بغية إبادة ذاك الذي يَحتجز سلطان الموت في الخطيئة؛ أن يكونوا رموزاً وقواعد للتقوى، بغية توطيد الاستقامة الكاملة عند من يتّبعون الربّ، وتوبيخ الانحراف عند من يعصَونه أيّاً كانت طريقةُ العصيان؛ أن يكونوا كالعين في الجسد، بما أنهم يميّزون الخير عن الشرّ ويرشدون أعضاء المسيح نحو ما ينفع كلاًّ منهم؛ أن يكونوا رعاة خراف المسيح، فلا يرتدّوا حتى عن التضحية بحياتهم لأجلها عند الاقتضاء، لكي ينقلوا إليها معرفة إنجيل الله؛ أن يكونوا أطبّاء، فيعالجوا

أسقام النفوس بحنوٍّ بالغٍ عبْر إدراكهم لتعليم الربّ، ولكي يكسبوا لهم العافية في المسيح والمثابرةَ على ذلك؛ أن يكونوا نظير الآباء والمربّين لأولادهم الأخصّاء، فيستعدّوا بعاطفة حبهم الكبير في المسيح لا لتسليمهم إنجيل الله فحسب، بل ونفوسَهم أيضاً؛ أن يكونوا مماثلين لله، باذلين أنفسهم كليّاً لأجل الكنيسة في تلك الأعمال اللائقة بالله وحسب؛ أن يكونوا فلاّحين لأغصان الله، فلا يُقحِموا فيها ما هو غريبٌ عن الكرمة التي هي المسيح، أو ما يُخفِق في حَمْل الثمر، بل يعملون بكلِّ اجتهادٍ على تحسينها بحيث تلائمه وتثمر؛ أن يكونوا بناةً لهيكل الله فيكيِّفوا كلّ نفسٍ بحيث توافق أساس الرسل والأنبياء بانسجام(603). (القدّيس باسيليوس الكبير)

✠ ماذا تُعطيني في حبّك لي (يو ٢١:١٥-١٧)، حين أكون أنا من أعطاك أن تحبّني؟ ومع ذلك، فلديك الوسيلة لتثبت حبّك لي، لديك الوسيلة لجعله فاعلاً: إرعَ خرافي. ولكن، من أوكلهم المسيحُ بخرافه، عليهم أن يحبّوها إلى درجة الاستعداد للموت من أجلها(604). (المغبوط أغسطينوس)

✠ أيّها الرعاة، كونوا مبتيّين كمثل ذاك الراعي الكدود، رئيس القطيع بأسره، والذي اعتنى بقطيعه على نحوٍ بالغٍ في العظمة. فلقد قرّب البعيدين، وأعاد التائهين، وزار المرضى، وشدّد الضعفاء، وتعهّد المهشَّمين، وصانَ المسَمَّنين، وبذل نفسه لأجل الخراف. وقد اختار وعلَّم قادةً متفوّقين، ثمّ أسلم الخراف إلى أيديهم وأعطاهم السلطان على القطيع برمّته. ذلك أنّه قال لسمعان كيفا:" إرعَ خرافي وحملاني ونعاجي (يو ٢١:١٥-١٧). فرعى بطرس خرافه، وأتمّ خدمته، وأسلم إليك القطيع ورحل، فهلاّ ترعاهم وتقودهم جيّداً أنت أيضاً! سيّما وأنّ الراعي المعتني بقطيعه لا يرتبط بحرفةٍ أخرى مع هذه. فهو لا يعمل في الحقل، ولا يزرع الحدائق، ولا ينغمس في اضطرابات هذا العالم. كما ولا نرى البتّة راعياً يترك خرافه في البرّية ليصبح تاجراً، أو يترك قطيعه للضياع فيصير مزارعاً؛ بل إنْ هجر قطيعه وقام بهذه الأمور فقد أسلمه بذلك إلى الذئاب(605). (أفرهات)

✟ عندما قال ربّنا يسوع المسيح:"طوبى لذلك العبد الذي إذا جاء سيّده وجده يفعل هكذا (متى ٢٤:٤٦)"، أظهر بهذه "الهكذا" أنّ من لا يفعل "هكذا" مستبعَدٌ من الغبطة.. والحال أنّ "اللّيس هكذا" إنّما هي تَعَدٍّ مختصٌ إمّا بالمكان، أو بالزمان، أو بالشخص، أو بالمسألة، أو بالقدْر، أو بالترتيب، أو بالاستعدادت الداخليّة.. فلْنكن على يقينٍ من أنّ الوصيّة في خطرٍ عبْر التعدّي المختصّ بالمكان [مثلاً]، وبخاصّةٍ إن احتفلنا بالأسرار الكهنوتيّة في أماكن دنيويّة؛ لأن عملاً كهذا إنّما يُشير إلى الاحتقار [الموجود] عند المحتفِل، فضلاً عن أنّه يشكّك بطرقٍ عديدة، مؤثّراً في هذا بطريقةٍ ما، وفي الآخر بأُخرى(606). (القدّيس باسيليوس الكبير)

✟ "وفي رأيكم أنتم من أنا (متى ١٦:١٥)"؟ لاحظ أيّها القارئ النبيه في سياق النص الكامل أنّ الربّ لا يدعو الرسل بشراً على الإطلاق بل آلهة، إذْ بعدَ هذه الكلمات: "من هو ابن الإنسان في رأي الناس"؟، يضيف قائلاً: "وفي رأيكم أنتم، من أنا؟" أولئك، لأنهم بشر إنما لهم آراء بشر، أمّا أنتم الآلهة فمن تظنّون أنّي أنا هو؟ عندئذٍ، وباسم الرّسل كافّةً، أدلى بطرس بمجاهرة الإيمان هذه: "أنت المسيح ابن الله الحيّ(متى ١٦:١٦)". لقد وصف إلهه بالحيّ، ليميّزه عن أولئك الآلهة الذين يُعرفون بالآلهة مع أنّهم أموات.. هذا وقد عوّض يسوع على الشهادة التي أدّاها له الرّسل بقوله:" طوبى لك يا سمعان ابن يونا (١٦:١٧)". لماذا؟ لأنْ ليس اللحم والدّم أعلنا لك هذا، بل أبي(607). (القدّيس برونيموس)

✟ الإيمان لا الإنسان ما قد استحقّ سماع المدح لبطرس. إذْ من كان هو، كإنسان؟ إلاّ ما يقوله المزمور: "كلّ إنسانٍ كاذب (١١٥:١١)". فبعد تبادل الأجوبة هذا ـــ طوبى لك يا سمعان بن يونا الخ.. (متى ١٦:١٦-٢٣) ـــ في الحال أنبأهم المسيح بآلامه وموته. أمّا بطرس فارتعب وقال:" معاذ الله، يا ربّ! لا، لن يكون ذلك البتّة". فقال الربّ: "ابتعد عنّي يا شيطان". أبطرس، "شيطان"؟ أين هي الكلمات التي قيلت منذ قليل؟ وهل الشيطان مغبوط؟ إذاً، لمَ كلمة "طوبى" ؟ لأنّه "ليس اللحم

والدم ما قد أعلنا لك هذا بل أبي الذي في السماوات". ولِمَ كلمة "شيطان" بعدها ؟ "لأنّ أفكارك ليست أفكار الله". فعندما كانت أفكارك أفكار الله كانت لك الطوبى، ولكن أفكارك [الآن] أفكار الإنسان. هوذا كيف كانت قلوب التلاميذ تتقلّب كالنهار والليل؛ منتصبةً تارّةً، وعلى الحضيض طوراً؛ مستنيرةً تارّةً، مغشاةً بالظلمة طوراً؛ مستنيرةً بالله، مظلمةً بالأنا[608]. (المغبوط أغسطينوس)

✠ إذا ما شئنا أن نكون صادقين، فلْنلتجئ إلى الربّ، إذ به نكون صادقين، وإلاّ فنحن كاذبون (مز ١١٥:١١).. من أين لبطرس أن يكون صادقاً؟ "ليس اللحم والدم ما أعلنا لك هذا، بل أبي الذي في السماوات(متى ١٦:١٧)". ومن أين لبطرس أن يكون كاذباً؟"إذهب خلفي يا شيطان! لأن أفكارك ليست أفكار الله، بل أفكار الناس (١٦:٢٣)"، [ولأنّ] كلّ إنسانٍ كاذب.. إذاً، "كلّ انسانٍ كاذب" عبارةٌ قيلت لأجلنا، كي نهرب من أنفسنا ونسرع نحو الله الصادق هو وحده[609]. (المغبوط أغسطينوس)

✠ لا تسمحنّ بأن يضلّ الكاهن في الاعتقادات المتعلّقة بالله، وأمّا بخصوص باقي شؤونه فلستَ ديانه[610]. (القدّيس أنسطاسيوس السينائيّ)

✠ تعالَ أيّها الربّ يسوع وتفقّد عبدك، تعال أيها الراعي واطلب الخروف المضنيّ.. اترك التسعة والتسعين الأخرى واطلب الوحيد الذي ضلّ. تعالَ نحوي أنا الذي تترصّده غارة الذئاب. تعال نحوي، أنا المطرود من الفردوس. أطلبني لأني أبحث عنك. أطلبني، وجِدْني، واقبلني، واحملني. وإذْ في وسعك أن تجد من تطلبه، ارتضِ بقبول ذاك الذي وجدته، وضع على منكبيك ذاك الذي قبلته. فإنّ حِمل برٍّ ليس عبءاً بالنسبة إليك، كما أن عبءاً صحيحاً ليس حِملاً بالنسبة إليك. تعالَ إذاً يا ربّ.. تعالَ إذاً يا ربّ واطلب خروفك، لا بواسطة خدامٍ ولا بواسطة أجراء، بل أنت نفسك تعالَ، واحملني على الصليب، الخلاصيّ للضالّين، والمريح

للمتعَبين، والمحيي للمائتين. تعالَ ليكون الخلاص على الأرض والفرح في السماء[611]. (القدّيس أمبروسيوس)

✠ احفظ يا ربّ صنعتك وحافظ فيّ على النعمة التي آتيتنيها بالرغم من هروبي. فلقد اعتقدت أني لست أهلاً للأسقفيّة، ولكنّي بنعمتك ما أنا عليه حقاً، أصغر الأساقفة وآخرهم. وكونك قد أعطيتني أن أعمل لكنيستك، إحفظ إذاً ثمار عملي. لقد دعوتني إلى الكهنوت إذ كنت ولداً تائهاً، فلا تسمح بأن أُضيع نفسي الآن وأنا كاهن. أعطني قبل كل شيءٍ نعمة الرأفة. أعطني أن أعرف كيف أترأف على الخطأة من أعماق قلبي، إذْ ههنا الفضيلة العليا. أعطني أن أترأف كلَّ مرة أكون شاهداً فيها على سقوط خاطئ، فلا أعاقبه بغطرسةٍ بل أبكي وأحزن معه. وهب لي أن في بكائي على قريبي أكون باكياً أيضاً على نفسي، وأن أطبّق على نفسي العبارة التالية: "العاهرة أبرّ منّي (تك ٣٨:٢٦)"[612]. (القدّيس أمبروسيوس)

✠ أيّها الربّ الذي لا يشاء موت الخاطئ بل أن يرجع ويحيا أنت يا من نزل إلى الأرض بغية أن يهب الحياة للمائتين من جراء الخطيئة وأن يجعلهم مستحقّين لرؤيته، أنت النور الحقيقيّ، وقدر ما يمكن ذلك للبشر، أنت أرسل لي إنساناً يعرفك، حتى إنّي في خدمته وفي خضوعي له بكلّ قوّتي كما لو كان أنت نفسَك، وفي العمل بمشيئتك في مشيئته، أكون مرضيّاً لديك أيّها الإله الحقيقيّ الوحيد، وأكون من ثمّ أنا الخاطئ مستحقّاً لملكوتك[613]. (القدّيس سمعان اللاهوتيّ الجديد)

الرجاء والوصيّة

لكي يكونوا واحداً كما نحن واحد" (يو ١٧:٢٢)

✠ الرجاء هو غذاؤنا على الأرض، إذْ ليست لدينا حياةٌ كاملةٌ إلاّ تلك التي وُعدنا بها. فنحن في الدنيا إنّما نكون ضحيّة النواح والتجارب والقلق، والحزن، والأخطار. ومع ذلك، ينبغي على نفوسنا أن تسبّح الربّ حسب قول المزمور: "طوبى لسكّان بيتك، إنّهم إلى الأبد يسبّحونك (مز ٨٣:٤)"، وأن لا تفعل شيئاً آخر.

ومتى سيكون ذلك؟ في حياتي. ولكن، ما هي حالتك الحاضرة؟ فيكون في وسع النفس أن تجيب بالقول: "إنّها موتي". ولمَ موتك؟ ذلك أنّي نُفيت بعيداً عن الربّ. وإن كانت حياتي أن ألتصق به، فأن أبتعد عنه إنمّا يكون موتي. وما هي تعزيتك؟ الرجاء. إحيوا اذن راجين، وسبّحوا الله لأجل هذا الرجاء، وامدحوه لأجل هذا الرجاء. ولا تمدحوا ما يصنع موتكم، بل امدحوا من يصنع حياتكم.. وحينما يستحوذ عليكم الاضطراب، لا تفقدوا الرجاء، بل تطلّعوا إلى رئيسكم. وقولوا لأنفسكم: "عندما هتف الربّ قائلاً: " نفسي قد اضطربت (يو ١٢:٢٧)"، إنما كنّا نحن فيه، وكان هو يشخّصنا. نحن قد اضطربنا، ولكنّا لم نهلك(614)". (المغبوط أغسطينوس)

✞ "رئيس هذا العالم يأتي ولا يجد شيئاً (أي لا خطيئة) فيَّ. وإنّما ينبغي أن يعرف العالم أنّي أعمل بما أوصاني الآب. قوموا، ولننطلق من ههنا (يو١٤:٣٠-٣١)". ثمّ مضى من هناك إلى آلامه لكي يفي عنا نحن المدينين ما لم يكن هو مديناً به.. في الواقع، لقد أرجأ المسيح استخدام قدرته ليستطيع التصرّف أولاً حسبما كان ملائماً. ولهذا السبب، كان من الضروريّ أن يكون إنساناً وإلهاً في آن معاً. إذْ لو لم يكن انساناً لما استطاع أن يُقتل، ولو لم يكن إلهاً لاعتقد الإنسان لا أنّه لم يُرد استعمال قوّته بل أنّه لم يكن قادراً على إتمام مشيئته. أيُّ شيءٍ يمكنه أن يكون أكثر عدلاً من المضيّ حتى موت الصليب لأجل العدل؟ أيُّ صنيع قوةٍ أعظم من القيامة من بين الأموات، والصعود إلى السماء صحبة الجسد الحقيقيّ الذي به قُتل؟ لقد تغلّب العدل أولاً على إبليس، ثمّ القوة. العدل، لأنّه كان بلا خطيئة وقد قتله إبليس بمنتهى الظلم. أما القوة، فلأنه عاد حيّاً بعد الموت، ولكيلا يموت أبداً من بعد. كان على القوّة أن تغلب إبليس حتى ولو لم يُقتل المسيح على يده، بل وقد أظهرت قدرةً عظيمةً في قهر الموت نفسِه بالقيامة أكثر ممّا في تجنّبه بمواصلة الحياة.. وهكذا هُزم إبليس بهزيمة انتصاره.. ففي إغوائه الإنسان الأول قتله، وفي قتله الإنسان الأخير خسر الأولَ من فخّه(615). (المغبوط أغسطينوس)

✞ "هؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني (يو ١٧:٢٥)".. بهذا يُظهر ربّنا بأن لا أحد يعرف الله سوى أولئك الذين يعترفون بالابن[616]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✞ المحبّة التي أحبّ بها الآب الابن كيف تكون فينا أيضاً، إن لم يكن ذلك لأننا أعضاء المسيح ولأننا محبوبون فيه، ولأنّ الآب هو الذي يحبّه كلَّه، رأساً وأعضاء؟ لذلك أضاف: "وأكون أنا فيهم(يو ١٧:٢٦)"، كما لو كان يقول: "لأني أنا فيهم"[617]. (المغبوط أغسطينوس)

أناجيل الآلام الخلاصيّة

يو١٣:٣١-١٨:١ / يو١٨:١-٢٨ / متى ٢٦:٥٧-٧٥ / يو١٨:٢٨-١٩:١٦/ متى٢٧:٣-٣٢/ مر١٥:١٦-٣٢ / متى٢٧:٣٣-٥٤ / لو٢٣:٣٢-٤٩/ يو١٩:٢٥-٣٧ / مر١٥:٤٣-٤٧ / يو١٩:٣٨-٤٢ / متى٢٧:٦٢-٦٦

الصلاة العجيبة

"وخرّ على وجهه يصلّي.."(متى ٢٦:٣٩)

✞ "يا أبتاه، إن شئت، فأبعد عنّي هذه الكأس (لو ٢٢:٤٢)".. لستُ أُعَجب بحنوّ الربّ وجلاله في أيّ موضع آخر أكثر من هذا، سيّما وأنّ إحسانه كان لَيصير أقلّ ممّا هو عليه لو لم يتخذ مشاعري. إذاً، لأجلي أنا اكتأب، إذ لم يكن لديه هو ما يدعو للكآبة؛ بل في تنحيته نعيم ألوهيّته السرمديّة استسلم للإصابة بتقزّز عجْزي (عب ١٢:٢). وهكذا اتخذ حزني ليُجزل عليَّ فرحه، وانحدر في إثرنا حتى قلق الموت، مريداً استدعاءنا إلى الحياة في إثره. وعليه، فلستُ أتردّد في الكلام عن الحزن، بما أني أكرز بالصليب. ذلك أنه لم يتخذ من التجسّد المظهر بل الحقيقة، ومن ثمّ كان عليه أن يتخذ الألم أيضاً، بغية الانتصار على الحزن لا استبعاده. إذ لا يمكن أن يُمتدح المرء على شجاعته إن كان لا يعرف من الجراح سوى الدُّوار بلا وجع. ولقد قيل بأنه "رجل أوجاعٍ متمرّسٌ على حَمْل الآلام (إشع ٥٣:٣ - ٤)"، مريداً بذلك تعليمنا. وكان يوسف قد لقّننا ألاّ نخشى السجن (تك ٣٩)، أمّا في المسيح فنتلقّن الانتصار على الموت؛ بل وأكثر أيضاً، [أعني] كيف يُغلب القلق من الموت

الآتي.. أيضاً، كيف كان للتلاميذ أن يؤمنوا بأنّه كان مزمعاً على الموت لو لم يكونوا قد تبيّنوا قلق [إنسانٍ] محتضَر؟.. إذاً، لقد تألّمت يا ربّ، لا من جراحك بل من جراحنا، لا من موتكَ بل من عجزنا؛ لأنّك صرتَ منكوباً، ولكنْ بسبب خطايانا (إشع ٥٣: ٤ – ٥).. وكما أبادَ خطايانا في جسده، كذلك يبدّد قلقَ نفوسنا بقلق نفسه.. ولم يكن هو الحزين، بل نفسه. فالحكمة ليست حزينة، ولا الجوهر الإلهيّ، بل النفس. ذلك أنّه اتّخذ نفسي، اتّخذ جسدي. وهو لم يخدعني، بأن يكون مبايناً لما كان بادياً عليه، بل حزيناً كان يبدو وحزيناً كان بالفعل، لا بداعي آلامه بل بداعي تشتّتنا. ولذلك قيل: "سأضرب الراعي فتتبدّد خراف القطيع (زك ١٣: ٧؛ متى ٢٦: ٣١)". لقد كان حزيناً لتركه إيّانا صغاراً جداً. أمّا بشأن ما تبقّى، فيخبرنا الكتاب عن تلك الشجاعة التي بها وَهب نفسه للموت،مجابهاً الساعين في طلبه، موطّداً المضطربين، محرّضاً المرتعدين، متنازلاً لتلقّي قبلة الخائن. هذا وليس أمراً نقيضاً للحقيقة أنّه كان حزيناً على مضطهديه، عِلماً منه أنّهم سيقضون عقوبة انتهاكهم في العذابات. ولذلك قال :"أبعد عنّي هذه الكأس"، لا لأن ابن الله كان يخشى الموت، بل لأنّه لم يُرِد هلاك الأشرار أنفسهم. ولهذا سيقول:"يا ربّ، لا تُقِم عليهم هذه الخطيئة (لو ٢٣: ٣٤)"، لكي تصير آلامه خلاصيّةً للجميع[618]. (القدّيس أمبروسيوس)

✝ قال يسوع وهو عالمٌ أنّ زمان إتمام آلامه المجيدة قد حان:"إنّ نفسي حزينةٌ حتى الموت (متى ٢٦: ٣٨)"، وأيضاً: "يا أبتاه، إن أمكن، فلْتجُز عنّي هذه الكأس (٢٦: ٣٩)"؛ ومن خلال هذه العبارات الموحية بخوفٍ ما، إنّما كان يشفي أحاسيس ضعفنا بمشاطرتها ويُبطل خوفَ مكابدة العقوبة بخضوعه لها. إذاً، فينا نحن كان الربّ يرتجف خوفاً، بحيث يُلبس تقلّبنا الثباتَ الآتي من قوّته وقد اتّخذ هو ضعفنا وتوشّح به. وكان يؤْثِر من ثمّ مكابدة هلعنا على استخدام قدرته، ذاك الذي كان في إمكانه امتلاك أكثر من اثنتي عشرة كتيبةً من الملائكة في خدمته (متى ٢٦: ٥٣) لإبادة مضطهديه[619]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ صحّة النفس إنّما هي إتمام المشيئة الإلهيّة، تماماً كما أنّ سقم النفس المُفضي إلى الموت هو الارتداد عن هذه المشيئة الصالحة.ولقد أصبحنا نحن مرضى حينما تخلّينا عن نمط الحياة النافع في الفردوس وأترعنا أنفسنا من سمّ العصيان، الذي من خلاله أخضعت طبيعتنا لهذا السقم المؤذي والمميت.. بيد أنّ كلمات الصلاة لدى الربّ قد جلبت الشفاء للسقم الذي في النفس. ذلك أنّه صلّى كما لو كانت نفسه مغمورةً بالألم، وقائلاً:" لتكن مشيئتك (لو ٢٢:٤٢)"، ومشيئة الله هي خلاص البشر. إذاً، إن تهيّأنا لمخاطبة الله قائلين: "لتكن مشيئتك فيَّ أنا أيضاً"، فلا بدّ لنا أوّلاً وقطعاً أن نتخلّى عمّا كان معارضاً للمشيئة الإلهيّة فينا وأن نقدّم بياناً كاملاً عنه ضمن الاعتراف.. ومتى تحقّقت مشيئتك فيّ، فعندها تَبيد كلُّ حركةٍ طائشةٍ ومؤذيةٍ لدى حرّية إرادتي[620]. (القدّيس غريغوريوس النيصيّ)

✞ لقد نزل الابن من السماوات لا ليعمل مشيئته بل مشيئة ذاك الذي أرسله(يو ٦:٣٨). والذي نزل، لو لم يكن هو نفسُه قد قال ذلك، إذاً لقُلنا بأنّ العبارة صيغت كما لو كانت صادرةً من الناسوت [فقط]، سيّما وأنّ مشيئته البشريّة لا يمكنها معارضة الله نظراً إلى كونها متألّهةً تماماً، بل [لقُلنا] إنّها تولّدت على غِرار طبيعتنا فحسب، حيث لا تتبع المشيئةُ الإنسانيّة المشيئةَ الإلهيّة تماماً، لكنّها تجاهد ضدّها وتُقاومها عموماً. ذلك أنّا نفهم بالطريقة عينها هذه الكلمات: "يا أبتاه، إن أمكن فلْتجُز عني هذه الكأس! ولكن، ليس ما أريد أنا بل ما تريد أنت (متى ٢٦:٣٩)". إذْ ليس من المحتمل ألاّ يكون عالماً ما إذا كان ذلك ممكناً أم لا، أو أنّه كان يقابل ما بين مشيئةٍ ومشيئة. ولمّا كانت هذه لغةَ ذاك الذي اتّخذ طبيعتنا هو نفسه، لا لغةَ الطبيعة نفسها التي اتّخذها، علينا من ثمّ مقابلةُ الاعتراض بهذه الطريقة: أنّ الفقرة لا تعني بأنّ الربّ كانت لديه مشيئةٌ خاصةٌ مستقلةٌ فضلاً عن مشيئة الآب، بل أنّها لم تكن لديه[621]. (القدّيس غريغوريوس اللاهوتيّ)

✞ لكي يُثبت الربّ حقيقة الطبيعة البشريّة التي اتّخذها، حزن حقّاً (متى ٣٧:٢٦). ولكن، لئلاّ يستحوذ الألم قطّ على نفسه، شرع يحزن بداعي [مرحلة] ما قبْل الآلام، سيّما وأنّ الحزن شيء والشروع في الحزن شيء آخر. فلقد حزن لا خوفاً من الألم البتّة، هو الذي كان قد أتى بالضبط ليتألّم، ولام بطرسَ على مخاوفه، بل بسبب الشقاوة القصوى لدى يهوذا، وتشكّكِ رسله كافّة، ورفضِ الشعب اليهوديّ، ودمار أورشليم الشقيّة.. إنّها نفسه التي حزنت، وهو لم يحزن خوفاً من الموت، بل "حتى الموت"، حتى ينقِذ الرسل بآلامه. وعندما قال:"امكثوا هنا واسهروا معي"، لم يحظّر عليهم نعاساً في غير أوانه عند دنوّ الخطر، بل نعاسَ الشكّ والغفلةِ الروحيّة.. ثمّ، عند سقوطه على وجهه (٣٩:٢٦)، مُظهراً بوضعيّة جسده تواضع نفسه، قال بمودّة:" يا أبتِ، إن أمكن، فلْتعبر عنّي هذه الكأس! ولكن ليس ما أريد أنا، بل مل تريد أنت"، طالباً ذلك لا خوفاً من الألم، بل إشفاقاً منه على الشعب الذي كان خاصتّه، لكيلا يكون عليه شربُ الكأس التي يقدّمونها له. ولذلك تعمّد القول لا "أن تعبر عنّي الكأس"، بل "هذه الكأس"، أي كأس الشعب اليهودي، الذي لا يمكنه الاعتذار عن جهله إنْ أهلكني، بما أنّ لديه الناموس والأنبياء الذين يتنبأون عنّي كلّ يوم. ومع ذلك، فإنّ ما رفضه مرتاعاً كإنسان، إذْ فرَغ إلى نفسه، قَبِلَ به كإلهٍ وابنِ [الله][622]. (القدّيس يرونيمس)

✞ فلْيخزَ الذين يعتقدون بأنّ المخلّص خشي الموت، وأنّ خوف آلامه هو الذي جعله يقول:"يا أبتِ، إن أمكن، فلْتعبر عنّي هذه الكأس (متى ٣٩:٢٦)". فبعد يومين كان سيَصنع الفصح (٢:٢٦)، عارفاً أنّه سيُسلم للصلب، ومع ذلك لا يسعى البتّة إلى تجنّب المكائد، ولا يفرّ مرتعباً. حاشا! ففيما بات الآخرون لا يريدون التقدّم، تابعَ هو بإقدام ــ هنا صرّح توما قائلاً: "فلْنمضِ، نحن أيضاً، لنموت معه (يو ١٦:١١)" ــ وإذْ شاء أن يضع حدّاً لعيدٍ ماديّ، وأن يعيد إلى الفصح حقيقته، حينما غاب الظلّ، قال: "لقد اشتهيت جدّاً أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألّم (لو ١٥:٢٢)"[623]. (القدّيس يرونيمس)

✠ " يا أبتِ، إن كان يُستطاع فلْتعبر عنّي هذه الكأس". لو كانت هذه الكلمات تنمّ عن قلقه، لفهمتَها لا على أنّها [صدرت] من ذاك الذي يراه المخلّص (لأنْ لا شيء في مشيئة هذا الأخير يعارض الله، كونها متألّهةً بكلّيتها)، بل "من الإنسان الذي نراه نحن، بما أنّ المشيئة البشريّة لا تتبع دوماً مشيئة الله بل تقاومها وتعارضها في معظم الأحيان" كما يقول غريغوريوس الإلهيّ. أمّا بقيّة الصلاة، فهذه الكلمات: لكن لا كمشيئتي أنا بل كمشيئتك أنت". ما الذي يبدو لك؟ أهي كلمات رضى أم رفض؟ أمّا أنّ هذا ليس مقاومةً ولا خوفاً، بل بالحريّ موافقةٌ كاملةٌ ورضىً، فهو ما لن يناقضه أيُّ أحدٍ يملك بعض الإدراك..ولكن، إن كان أمراً منكَراً التفكيرُ في ذلك، فمن البداهة إذاً أنّ هذا النفي " لا كمشيئتي"، وقد أزال كلَّ معارضة، إنّما يُثبت جليًّا وئام مشيئة المخلّص البشريّة مع مشيئته الإلهيّة ومشيئة أبيه، لأن الكلمة بجملته قد أخذ على عاتقه الطبيعة بجملتها مؤلّهاً إيّاها تماماً بهذا الانتقال. من هنا، وقد صار لأجلنا مثلنا، قوله ــ كإنسانٍ ــ لله أبيه:" لا تكن مشيئتي بل مشيئتك"، بما أنّه – وهو الله بالطبع – يملك مشيئةً كإنسان، ألا وهي تنفيذ المشيئة الأبويّة. لذلك، وبحسب الطبيعتين اللتين منهما وبهما وهما كان بحسب الأقنوم، عرّف بنفسه على أنّه أهلٌ بالطبع ليشاء ويصنع خلاصنا، الأوّل بوفاقٍ مع الآب والابن على ذلك، والثاني "بطاعته للآب حتّى الموت بل الموت على الصليب"(624). (القدّيس مكسيموس المعترف)

✠ عندما أتى المسيح إلى آلامه كانت عيون التلاميذ ثقيلة، وإذْ وجدهم الربّ نائمين تركهم ينامون أوّل الأمر،ما كان يدلّ على صبر الله إزاء نعاس البشر. ولكنّه عاد فأيقظهم وأنهضهم، ما كان يدلّ على أنّ آلامه هي نهوض التلاميذ النائمين، الذين لأجلهم "نزل هو إلى أعماق الأرض"، ليرى بعينيه ما كان غيرَ ناجزٍ في الخليقة(625). (القدّيس إيريناوس)

الخيانة والتسليم

"حينئذٍ جاءوا وألقوا أيديهم على يسوع وأمسكوه" (متى ٢٦: ٥٠)

✠ إنّ عدم الإيمان الذي جعل يهوذا يُسلم معلّمه وربّه هو نفسُه الذي جعله يظنّ أنّ العجائب التي اجترحها المخلّص أمام عينيه كانت عمل سلطةٍ سِحريّةٍ لا عمل الجلالة الإلهيّة. وربّما يكون سمع كلاماً بشأن تجلّيه على الجبل، ولذلك كان خائفاً من أن يُبيح له تحوّل مماثلٌ الإفلات من أيدي الخدّام. وأعطاهم من ثمّ علامة ليتعرّفوا إليه،وليعلموا أنّه ذاك الذي سيدلّ عليه هو بقبلة (متى ٢٦:٤٨)[626]. (القدّيس يرونيمس)

✠ إنّ ثقل كفر يهوذا ما عاد يترك [فيه] مجالاً لجشعه الكبير. فعند رؤيته الربّ محكوماً عليه بالموت، ردّ يهوذا الثمن إلى الكهنة (متى ٢٧:٣)، كما لو كان في سلطانه أن يغيّر حُكم المضطهِدين. كان حسناً له أن يغيّر قراره، إلاّ أنّه لم يغيّر [بذلك] تأثير قراره الأول. وإن كان الذي أسلم دماً بريئاً قد خطئ، فكم خطئوا بالأحرى أولئك الذين اشتروا الدم البريء، وحرّضوا التلميذ على الخيانة بإعطائه الثمن.. هنا، ثمّة من يقولون بأنّ يهوذا الخائن كان ذا طبيعةٍ رديئة، وأنّ اختياره كرسولٍ لم يستطع إنقاذه. إذاً، فليقولوا كيف استطاعت طبيعةٌ رديئةٌ أن تندم.. إلاّ أنّه كان ندماً بلا منفعة، إذ لم يسمح له بالتخفيف من وطأة جريمته، حتى إنه لم يستطع محْو كفر خيانته فحسب، بل أضاف إلى هذه الجريمة الأولى جريمة انتحاره (٢٧:٥)[627]. (القدّيس يرونيمس)

✠ كلّ الهراطقة يقولون ليسوع كما قال له يهوذا: "يا معلّم"! ويقبّلونه كيهوذا، وبالأحاسيس نفسها كيهوذا، بغية خيانته. أمّا يسوع فيبكّتهم على مُراءاتهم كما فعل بيهوذا قائلاً: " يا صاحبي، لأيّ فعلٍ جئت(متى ٢٦:٥)"[628]؟ (أوريجانيس)

✠ في قبلة يهوذا، ثمة هذه الفكرة أن نتلقّن المحبة لجميع أعدائنا ولأولئك الذين نعرف بأنهم يزاولون عنفهم ضدّنا. في الواقع، لم يرفض الربّ قبلته. أمّا

العبارة الموجّهة إلى يهوذا: "ما أنت فاعله فافعله (يو١٣:٢٧)" فهي بندٌ إنشائي ترك له السلطان لتسليمه.. فلقد قال [الربّ] لبيلاطس: "ما كان لك عليَّ من سلطانٍ لو لم يعطَ لك (يو١٩:١١)". إذاً، حين قال: "ما أنت فاعله فافعله"، إنما أعطى سلطاناً على نفسه[629]. (القدّيس إيلاريوس)

✞ أيا يهوذا، مع أنّ الربّ كان يعرفك تماماً قبل جريمتك، لم يتردد في غسل قدميك الأثيمتين وفي منحك قطعةً من الخبز الإفخارستيّ. وبعد أن تلقيت منه هذه الإحسانات، خنته وقبلت ثمن الدم يا أقبح البشر، في حين أنْ ما من شيء كان ينقصك؛ سيّما وأنه كان قد انتزع منك عذرَ الفاقة وقد وضع المال كلّه بين يديك[630]. (القدّيس غريغوريوس اللاهوتيّ)

✞ لو كنتم تريدون أن تصيروا شهداء موضوعين تحت مذبح السيّد، لما كنتم تضحّون بنفوسكم للشيطان، مندفعين نحو اللهيب. ومن تراه يبتهج بنوبة جنونٍ ثائرٍ كهذه إلاّ الشيطان الذي يوحي بها إليكم؟ فهو الذي كان يلقي فتى الإنجيل تارةً في الماء وطوراً في النار (متى ١٧:١٥)، والذي غرّق قطيع الخنازير في البحر (متى ٨:٣١ – ٣٢). وهو أيضاً من كانت لديه الوقاحة القصوى ليقترح حتى على الربّ مجرِّباً إياه بفكرة رمي نفسه من على قمّة الهيكل (متى ٤:٦). وعليه، فأنتم إنمّا تكونون مشايعين للشيطان بلا أدنى شك طالما أنكم تؤْثرون طرق الموت(..) هذه، الماء والنار والجروف.. ثمّ إن الخائن (يهوذا الإسخريوطيّ) هلك بالمشنقة، وقد ترك المشنقة لمن يشبهونه[631]. (المغبوط أغسطينوس)

✞ إنّ أذن خادم رئيس الكهنة المقطوعة تعني أنّ الشعب الخاضع للكهنوت [آنذاك] قد قُطع سمعه المتمرّد على يد تلميذ المسيح، وأنه حُرم من العضو الذي لم يكن يسمع ليتمكّن من تسلّم الحقيقة[632]. (القدّيس إيلاريوس)

✞ لقد أُسلم لكامل سلطة الشيطان، ولكنّه سخّر هذه السلطة لتدبيره هو. كان يعرف – يقول الإنجيل – أنّ الآب جعل كلّ شيء في يديه (يو١٣:٣). ولمّا جعل

نفسه في يدي مضطهديه، كان على علمٍ بأنّهم هم الذين كانوا في يديه، وهكذا سخّر لمهمّته المقدسة قساوتهم الجاحدة[633]. (القدّيس غريغوريوس الكبير)

✞ إنّه الجسد لا الألوهيّة من ألقي القبض عليه، ومع ذلك فقد كان هذا الأمر تبكيتاً إضافياً ليهوذا الكنود، كونه أسلم ذاك الذي وهو ابن الله أراد أن يصير ابن الإنسان لأجلنا؛ كما لو كان يقول: "لأجلك، أيّها الكنود، اتخذتُ ما أنت تُسلمه". يا للمُراءاة!.. وقبّله، لا بغية تعليمنا النفاق، بل لئلاّ نبدو البتّة متهرّبين من الخيانة، ولكي يزيد في إرهاق الخائن بعدم منعه عن سمات الودّ. إذْ قيل: "سالمتُ مبغضي السلام (مز ١١٩ :٧).. إذاً، لأنّه أراد ذلك، أمسكت به الفرقة وأوثقوه بقيود (يو ١٢:١٨).. هذا ولم تغب حميّة التلاميذ، ولذلك ضرب بطرس غلام رئيس الكهنة، هو المتلقّن الشريعة المتحمّس القلب، وعلماً منه أنّ فنحاس حُسب باراً بقتله المنتهكين (عد ٧:٢٥ – ١١؛ مز ٣٠:١٠٥). بيد أن الربّ أزال الجراح الدامية ليستبدلها لهم بالأسرار الإلهيّة.. كم هم حمقى إذاً أولئك الذين يُقرّون بالإحسانات ويضطهدون فاعل الإحسانات! وهكذا فقدوا الأذن لسماحهم بفقدان منفعة الأذن.. لكن افهموا، كيف تلاشى الوجع وبرئت الجراح عند ملامسة يمين المخلّص، دون أن يُسكب عليها دواءٌ بل عند الملامسة التي غطّتها [وحسب].. ذلك أن الخالق يُصلح ما صنعه حسبما يشاء.. كان في وسعه إعطاء الأمر، ولكنه آثر العمل ليجعلنا نتعرّف إلى ذاك الذي، من تربةٍ طينيةٍ، كوّن أعضاء جسدنا صالحةً لمهمّاتٍ شتّى، ومنحها الحياة دافقاً فيها نشاط النفس.. هم كانوا يحملون الموت إلى الصدّيق، وأمّا هو فكان يشفي جراح المضطهِدين[634]. (القديس أمبروسيوس)

✞ لقد تجاوز سموّ المشورة الإلهيّة كلّ فهمٍ لدى الفكر البشريّ عندما طاب لله أن يخلّص المؤمنين بجهالة الكرازة، لكي يجعل عسرُ التصديق ثباتَ الإيمان أكثر عَجباً. كان يبدو في الواقع أمراً متناقضاً وغير مقبولٍ بأنّ بتولاً غيرَ منتهكةٍ تلد خالق كلّ البرايا في جوهر إنسانٍ حقيقيّ، وأنّ ابن الله المساوي لأبيه المالئ الكلّ

والحاويَ الكلّ يستسلم لتمسك به أيدي الثائرين، ويُقضى عليه بحُكمٍ جائر، ويسمَّر على صليبٍ بعد سخرياتٍ شائنة. بيد أنّ في ذلك كلّه اتّحدت ضعة الإنسان وعظمة الله، فلم يعتِّم قصد الرحمة من ثمّ على جلال ذاك الذي يَرحم، لأنْ وحدها قدرةٌ دقيقةٌ عن الوصف استطاعت التصرّف بحيث يُمنح المجد للإنسان عبر الخزي وعدمُ الفساد عبر العذاب والحياةُ عبر الموت، طالما أنّ ثمّة إنساناً حقيقياً هنا في إلهٍ لا يُنتهك وأن الإله الحقيقيّ في جسدٍ قابلٍ للتألم[635]. (القدّيس لاون الكبير)

جحود بطرس

"حينئذٍ جعل يلعن ويحلف إنّي لا أعرف الرجل" (متى ٢٦:٧٤)

✠ لقد استسلم بطرس للفزع من وشاية جارية رئيس الكهنة، فسقط من ثمّ في خطر الجحود ضعفاً منه. تردّدٌ سُمح به كما يبدو، كي يؤسّس علاجُ التوبة في ناظر الكنيسة، وكَيلا يجرؤ أحدٌ على الوثوق بفضيلته [الخاصّة]، طالما أنّ القدّيس بطرس نفسه لم يستطع التخلّص من خطر التقلّب. لكنّ الدموع وفَرت، حيث لم يكن الحبّ قد مات، فغَسل نبعُ المحبّة من ثمَّ عباراتِ الخوف، ومُنِح علاجُ الغفران دونما إبطاء، حيثُ لم تكن الإرادة قد وافقت. هكذا استعاد الصخر صلابته سريعاً ونال قوةً عظيمة، حتّى إنّه لم يخَف لاحقاً في عذابه الخاصّ ممّا قد أرجفه حينذاك في آلام المسيح[636]. (القدّيس لاون الكبير)

✠ لقد افتقر يهوذا لفضيلة التحمّل الصبور، ومن ثمّ كابد موتاً مضاعفاً (متى ٢٧:٥) بسبب غرارته في الحرب الروحيّة. أمّا بطرس، مقدّم الرّسل، فقد اقتناها لكونه محارِباً ذا خبرة، ولمّا سقط هَزم [بها] الشرير الذي كان قد أسقطه (متى٢٦:٧٥؛ يو ٢١:١٥–١٧)[637]. (القدّيس بطرس الدمشقي)

✠ عندما تخشى الموت، فأنتَ ميْت آنذاك، لأنّ جحود بطرس قد جعله ميْتاً؛ بيد أنّ دموعه عادت فأقامته[638]. (المغبوط أغسطينوس)

✞ (المسيح لأمّه): بناءً على طلبكِ، أمحي زلّة بطرس[639]. (القدّيس غريغوريوس اللاهوتيّ)

✞ هوذا الفرق ما بين الرّسل العشرة وبطرس: فهم هربوا (متى ٢٦:٥٦)، في حين أنّه تبع المخلّص مع ذلك من بعيدٍ بلا شكّ[640]. (القدّيس يرونيمس)

✞ صحيحٌ جداً أنّ بطرس كان يتبع المخلّص من بعيد (لو ٢٢:٥٤)، لمّا كان على وشك إنكاره؛ لأنّه ما كان ليستطيع إنكاره لو كان مقيّداً بشدّةٍ إلى المسيح.. ولكن، مع خوفه، لم يتخلَّ عن ربّه. بل تبعه، وهذا وفاء؛ وإنْ جحدَه، فهذه مفاجأة. كانت سقطته مصيراً مشتركاً، وأمّا توبته فناجمةٌ عن إيمانه.. ولقد عوقب على قوله بأنّه سيبذل حياته (يو ١٣:٣٧)، فهذا ممّا لا يتعلّق بالضعف البشريّ بل بالقدرة الإلهيّة. وإن كان عليه التعويض غالياً جداً عن عبارةٍ متهوّرة، فأيّ عقابٍ سيكون عقاب الزنادقة! ولكن، أين جحد بطرس؟ في دار رئيس اليهود، حيث لا يوجد الصدق.. كان شقاءً أن تقنع حواء آدم (تك ٣:٦)، وشقاءً كان أن تُدخل بطرسَ امرأةٌ (بوّابة اليهود/يو ١٨:١٧). أمّا الأوّل فقد سقط في الفردوس، حيث لا تُغفر الزلّة، وأمّا هذا ففي محكمة اليهود، حيث تَعسر البراءة. لم يكن جائزاً للأوّل أن يسقط، فيما ضلال الآخر كان متنبّأً به. زلّة الأوّل إنّما ألحقت الأذى بهذا، ولكنّ هذا حرّر الأوّل.. ويُظهر ذلك أيضاً أنّ سقطة القدّيسين نافعة. فجحود بطرس لم يؤذني، بل ربحتُ في توبته، وتلقّنتُ الحيطة بصدد الغادرين. لقد جحدَ بطرس وهو وسط اليهود، فيما سليمان المخدوع بعشيراته الوثنيّات قد زاغ (١مل ١١:٣). إذاً، بطرس بكى، وبمرارة كبيرة، لينتهي إلى غسل زلّته بالدموع. فأنتم أيضاً، أمحوا زلّتكم بالدموع إن شئتم نيل الغفران، سيّما وأن المسيح يكون ناظراً إليكم في الوقت نفسه، في الحال (لو ٢٢:٦١). وإن طرأت عليكم سقطة ما، فهو، الشاهد الحاضر في حياتكم الخفيّة، ينظر إليكم ليستردّكم ويجعلكم تُقرّون بضلالكم.. اقتدوا ببطرس، الذي قال في موضعٍ آخر، ثلاث مرّات:"يا ربّ، أنت تعرف أنّي أحبّك (يو

١٥:٢١– ١٧)؛ إذْ بما أنّه جَحد ثلاث مرّات، اعترف كذلك ثلاث مرّات. بيد أنّه جحد في الليل، واعترف في وضح النهار. والحال أنّ ذلك كلّه قد كُتب لتعرفوا أنْ من اللازم ألاّ يتباهى أحد. لأنّه، إن كان بطرس قد سقط لقوله:"حتى ولو تشكّك آخرون، لن أتشكّك أنا (متى ٢٦:٣٣)،" فأيّ [إنسانٍ] آخر سيكون لديه الحقُّ إذاً ليتّكل على نفسه[641]. (القدّيس أمبروسيوس)

♱ لقد أعطى البعض لهذا المقطع (متى ٢٦:٦٩ – ٧٥)هذا التفسير: يقولون إنّ بطرس لم يُنكر الله، بل الإنسان، [كما لو] كان يودّ القول:"إنّي لا أعرف الرجل، بما أنّي أعرف الإله". يا لَكَم من التفاهة في هذا التفسير، والقارئ النبيه يفهم ذلك! فهم يدافعون عن الرسول متّهمين الربّ بالكذب! إذْ لو لم ينكر الرسولُ لكان الربّ كاذباً، هو الذي كان قد قال [آنفاً]: "الحقّ أقول لك،إنّك في هذه الليلة، وقبل أن يصيح الديك،تنكرني ثلاث مرّات(٢٦:٣٤، ٧٥). انظر ما يقول:"سوف تنكرني، أنا، لا الرجل". ولكن، ما إن خرج حتى بكى بكاءً مرّاً. فلو بقي في دار قيافا، لما استطاع أن يتوب. لقد خرج من جمعيّة الكفّار تلك ليرحض بدموعٍ مرّةٍ دنس خوفه وجحوده. إذْ كان من المستحيل أن يبقى في ظلمات الجحود، ذاك الذي كان قد التفت إليه نورُ العالم بنظره(لو ٢٢:٦١)[642]. (القدّيس يرونيمس)

♱ لقد تألّم بطرس وبكى ضلاله. ولا أجد في الكتب المقدّسة أنّه تكلّم، بل أجد فيها أنّه بكى،وأقرأ فيها دموعه لا اعتذاره... أعرف لِمَ سكت بطرس: كان يخشى تعاظُم عاره بطلب المغفرة عاجلاً جدّاً.. لقد أنكر بطرسُ أوّلاً دون أن يبكي، إذْ لم يكن الربّ قد نظر إليه بعد. ثمّ أنكر ثانيةً، ودون أن يبكي، أيضاً لأنّ الربّ لم يكن قد نظر إليه بعد. ثمّ أنكر للمرّة الثالثة، فنظر إليه يسوع، وعندها شرع ينتحب بمرارة.. فيا أيّها الربّ يسوع، أنظر إلينا، لكي نعرف نحنُ أيضاً أن نبكي زلاّتنا[643]. (القدّيس أمبروسيوس)

الحكم على الديّان العادل!

"وما هو الحقّ"؟ (يو ١٨: ٣٨)

✞ عندما كان ينبغي منح الحرّية لعبد، كان يُلطم.وأمّا أنت يا ربّ، أنت السيّد، فقد قبلت هذه اللطمة الموجّهة إليك من عبد! ولكنّك بذلك اشتريت حرّيتنا... من يستطيع إذاً أن يقدّرك فيشكرك كفايةً على مجيئك من السّماء صائراً عبداً لأجل تحريرنا!.. فبهذه اللطمة التي طالت وجهك يا ربّ قد خُلّص العالم كلّه من العبوديّة[644]. (القدّيس إفرام السوريّ)

✞ أجابه يسوع:" أنت قلت (متى ٢٦: ٦٤)". أمام بيلاطس، وأمام قيافا، الجواب هو هو، وكلامهما يحكم عليهما.. لمَ تستحلفه أنت يا أكثر الكهنة كفراً (٢٦: ٦٣)؟ ألِتتّهِم أمْ لتؤمن؟ إنْ للاتهام، فلقد وشاه سواك؛ فاحكم عليه إذاً عندما سكت. وإنْ للإيمان، فلمَ رفضت أن تؤمن حين كان هو يؤكّد؟.. بل في شقّ ثيابه(٢٦: ٥٦)، أظهر رئيس الكهنة أنّ اليهود قد خسروا عظمة الكهنوت، وأنّ الأحبار باتوا يَشغلون مركزاً فارغاً[645]. (القدّيس برونيمس)

✞ يا لكَم تختلف عبارة "أنت قلتَ(متى ٢٧: ١١)" الموجّهة إلى بيلاطس عن تلك التي كانت قد وجّهت إلى رئيس الكهنة. فعلى الأخير الذي كان يسأله ما إذا كان هو المسيح شخصيّاً، ردّ قائلاً: "أنت قلت (متى ٢٦: ٦٤)"، لأنّ الناموس كلّه قد صرّح بأنّ المسيح سيأتي بمقتضى الناموس. أمّا ذاك الذي كان يجهل الناموس ويسأله ما إذا كان هو ملك اليهود شخصيّاً، فقد تلقّى "أنت قلت" جواباً، لأنّ خلاص الوثنيين يكمن في شهادة اعترافٍ راهنٍ ولأنّ ذاكَ الذي كان جاهلاً من قبلُ قال من تلقاء ذاته شيئاً أنكرهُ أولئك الذينَ كانوا يقولونه آنفاً[646]. (القدّيس إيلاريوس)

✞ وعلامَ تقوم البداهة أنّ المسيح توجّه إلى الموت من تلقاء ذاته؟ قبل كلّ شيء، على قدرته كربٍّ أن يقيم الأموات. لأنّ من أعطى الحياة لأمواتٍ لن يكون بإمكانه، قطعاً، أن ينقاد إلى الآلام رغماً عنه. من جهة أخرى، حتى ولو لم يُرد

استعمال قدرته الإلهيّة، فقد كان أمراً ممكناً بالنسبة إليه أن يدافع عن نفسه ويتجنّب الموت،أقلّه لو أراد ذلك. وقد كان لهُ بعدلٍ في بيلاطس حليفٌ يتوخّى هذا الحلّ، عندما قال: "إنّي لا أجد عليه ما يستوجب الموت (لو ٢٣:٢٢)"، وأيضاً "إنّي بريء من هذا الدم (متى٢٧:٢٤)"[647]. (القدّيس إيسيذورس البيلوسيّ)

✞ لم يُرد يسوع أن يجيب بيلاطس بشيء (متى٢٧:١٤). إذْ لو أبطل الاتهام (متى ٢٧:١٣)، لكان الوالي قد أطلقه، ولكانت إحسانات الصليب قد تأخرت[648]. (القدّيس برونيمس)

✞ لقد اتُّهم الربّ، فسكت. وكان على صوابٍ في سكوته، إذْ لا حاجة لديه في الدفاع عن نفسه، سيّما وأنّ الرغبة في الدفاع عن النفس تصلُح لمن يخشون الهزيمة. وعليه، فلم يُثبت الاتهام بصمته، وإنّما ازدراه دون أنْ يدحضه. إذاً، ما الذي سيخشاه، طالما أنّه لا يرغب في تخليص نفسه؟ فهو خلاص الجميع، وقد ضحّى بخلاصه [الشخصيّ] ليحصل على خلاص الجميع.. هذا وقد أُرسِل إلى هيرودس، ثمّ أعيد إلى بيلاطس (لو ٢٣:١ – ١٢). فمع أنّ أحداً منهما لم يعلنْه مذنباً، لا هذا ولا ذاك، إلاّ أنهما خدما مآرب القساوة عند الآخرين. فبيلاطس غسل يديه فعلاً، ولكنّه لم يمحُ أفعاله. لأنّه، وهو الحكم، ما كان يجب عليه أن يستسلم أمام الحقد وأمام الخشية إلى حدّ تسليم الدم الزكيّ. لقد حذّرته زوجته وأضاءتهُ النعمة أثناء الليل (متى ٢٧:١٩)، وفرضت الألوهيّةُ نفسَها (١٨:٣٦ – ٣٨؛ ١٩:٧ – ٨)، ومع ذلك لم يمتنع عن إصدار حكمٍ ينتهك القدسيّات[649]. (القدّيس أمبروسيوس)

✞ إنّ غسل يديْ بيلاطس لا يرحض دنس نفسه، وليس في نضحه الماء على أصابعه ما جعله يكفّر عن الفعل المرتكب بمشاركة قلبه الملحد. صحيحٌ أنّ زلّة بيلاطس قد تجاوزتها أيضاً جريمة اليهود، الذين دفعوه إلى اقتراف جرمه عبْرَ ترهيبه باسم قيصر وإصمامه بصرخاتهم الحقودة، إلاّ أنّه ليس مستثنى من الذمّ هو أيضاً، كونه استسلم للهياج الشعبي وعدل عن حكمه الخاصّ واشترك في جريمة

الآخرين.. عليكم أنتم أيّها اليهود الكذبة ويا رؤساء شعبٍ منتهكٍ للقدسيّات، عليكم أنتم يسقط كلُّ ثقل الجريمة هذه.. فسَير الأحداث بجملته يتّهمكم، والإكراه الذي زاوله جنونكم لم يسمح لمعارضي ظلمكم هم أنفسهم بأن يبقوا أبرياء[650]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ لم يُلبَس الربّ ثوباً لامعاً من هيرودس بلا سبب (لو ٢٣:١١)، بل للدلالة بأن آلامه لا تشوبها شائبة، سيّما وأنّ حمل الله الذي لا عيب فيه قد أخذ بعزٍّ على عاتقه خطايا العالم.. أمّا الرداء القرمزي الذي ألبسه إياه الجند (متى ٢٧:٢٨)، والثوب الأرجوانيّ (مر ١:١٧، يو ١٩:٢)، فأحدهما يرمز إلى انتصارات الشهداء، والآخر يدلُّ على السلطة الملكيّة؛ إذ كان جسده مزمعاً على جمع الدم المهراق في كلّ العالم لأجلنا، وآلامُه على تولية سلطانه علينا[651]. (القدّيس أمبروسيوس)

✞ وإذْ يبدو لنا مكلّلاً بالشوك، يُثبت لنا الربّ أنّه قد جاء لنجدتنا، نحنُ المخنوقين بالأشواك.. نحنُ نعلم أنّ إكليله الحقيقيّ هو النّور، إكليله هو الآب والروح القدس، وعرشَه السماء، والأرض موطئ قدميه، والسُحُبَ المتوهّجة والبروق برفيرُه، والشيروبيمَ مركبتُه، لكنّه ارتضى بأن يكلّل بأشواكنا.. وبداعي عظمة المُلك لديه، كان ثمة جمالٌ فائق الطبيعة يفيض على هذا الإكليل، وعلى الأسمال الساخرة التي كانوا قد وشّحوه بها. بيد أنّ هذه الأسمال كانت تفوق في جمالها الحُلى الأكثر نفاسة[652]. (القدّيس إفرام السّوري)

✞ كان الآب هو أيضاً يلزم الصمت في السماء.. والملائكة من حوله [تحت] كانوا يلزمون الصمت.كانوا ليدمّرون اليهوديّة كلّها بطيب خاطرٍ إزء هذا الجرم، ولكنهم لزموا الصمت. هل كانوا مرهقين من الحزن؟ أم كانوا فرحين لرؤيتهم خلاص العالم وهو يتحقّق؟.. ومع ذلك، كان ثمة من يطالب بموت مبدأ الحياة. كانوا يصرخون: إصلِبهُ! إصلِبهُ! والذي منحهم الصوت لم يسلبهم إيّاه البتّة. فمبارك ذاكَ الذي تألّم من أجلنا[653]. (القدّيس إفرام السوريّ)

✠ إنّ كلّ من يقتدون باليهود، ويريدون أن يماثلوهم في الظنّ ويعملوا بما يرضيهم، هم الذي يطلقون باراباس ويوثقون يسوع.. كان يسوع قد طرد اللصوص من الهيكل، فردَّ عليه اللصوص بالقول: "إصلبهُ"! أمّا بشأن اللصّ باراباس فقالوا: "أطلقهُ لنا"، فصارَ باراباس لديهم[654]. (أوريجانيس)

✠ لقد عرض بيلاطس على اليهود أن يختاروا ما بين إطلاق اللّص وإطلاق يسوع، هذا الذي سيبتغون [صلبه]، ولم يشكّ في أنهم سيختارون يسوع، وذلك لعلمه بأنّهم أسلموه عن حسد (متى ٢٧:١٨). إذاً، الدافع إلى الصليب إنّما هو الحسد بوضوح.. هذا وقد قدّم بيلاطس فرصاً عدّة لإطلاق المخلّص (متى٢٧:٢٢-٢٤).. فبهذه العبارة:" وأيّ شرٍ فعلَ (٢٧:٢٣)؟" ، برّأ يسوع. أمّا اليهود، فكانوا يتمادون في الصياح ويقولون:"ليُصلب"! لكي تتم حقاً تلك الكلمة التي نُطق بها في المزمور: "لأنّ كلاباً كثيرة أحاطت بي، جماعة عمّال الإثم اكتنفتني (مز٢١:١٦)"، وتلك التي في إرميا: "صارَ لي شعبي (ورثتي) كأسدٍ في الغابة، رفع عليّ صوته (إرم ١٢:٨)". ثمّ في غسل يديه (متى ٢٧:٢٤)، رحضَ بيلاطس أعمال الأمم وجعلنا إذا صحّ القول غرباء عن كفر اليهود الذين كانوا يصرخون قائلين: "إصلبْهُ". فقال: "أنتم وما ترون"، أمّا أنا فبريء من دم هذا الصدّيق. إنّي خادم القوانين، وكلمتكم هي التي أراقت الدم". فأجابَ الشعب كلّه. "دمه علينا وعلى أولادنا (٢٧:٢٥)"! اليوم أيضاً، لا تزال هذه اللعنة على اليهود، ولن يرفع عنهم دم الربّ.. إرثٌ كبير القيمة من اليهود لأولادهم، هذه الكلمات!.. هذا ولا يزال الشيطان اليوم أيضاً يسود عليهم، ولذلك لا يستطيعون إحراز السلام.. وبما أنّ القوانين الرومانية تقضي بأن يسبق الجلدُ الصلب (٢٧:٢٦)، جلد بيلاطس يسوع وأسلمه ليصلب. لذلك أسلم يسوع لضربات الجند (٢٧:٣٠).. وقد حدث هذا لكي يخلّصنا جلده من الضربات، إذْ كُتب: "كثيرة هي الجلدات المحفوظة للخطأة (مز٣١:١٠)"، ولأنّ الكتاب يقول للإنسان البارّ: "لا تدنو ضربة من مسكنك (مز ٩٠:١٠)[655]. (القدّيس يرونيمس)

✠ لقد كان الربّ يعاني تحت وطأة تجاديف اليهود، وفي الألم كان يتحمّل بصبر، شاهداً لهم بكلّ أشكال المحبّة. فهكذا كان يقاوم المحرِّضَ على أفعالهم، بصلاحه نحو من حُرِّضوا ضدّه. يا للحرب المتناقضة! فعوض الحقد لا يعطي سوى المحبّة، وبصلاحه يطرد أبا الشرّ. لهذا السبب كابد من جهتهم جمّاً من الشرور، أو بالأحرى، ولكي يقال الحق بأوفر دقّة، بسببهم قاوم حتى الموت، كإنسان، بغية حفظ وصيّة المحبّة. ثمّ بعد إحرازه الظفر الكامل على الشيطان، نال إكليل القيامة لمنفعتنا. هكذا جدّد آدم الجديد آدم العتيق[656]. (القدّيس مكسيموس المعترف)

✠ "وفيما هم يتقدّمون، سخّروا رجلاً قيروانياً ليحمل الصليب (متى ٢٧:٣٢)". ذلك لأنّ رجلاً يهودياً ما كان أهلاً لحمل صليب المسيح، ولأنّ حمل صليبه والتألّم معه كان أمراً عائداً إلى إيمان الوثنيين. ثمّ مكان الصليب، الموضوع في وسط الأرض والمرفوعِ كأنّه على قمّة هذا الكون، إنّما كان [هكذا] ليهب عموم الوثنيين أيضاً وسيلة احتضان معرفة الله. وإذْ قدّموا له خمراً ممزوجة بمرارة رفض أن يشرب (متى ٢٧:٣٤)، لأنّ مرارة الخطايا لا تختلط بنزاهة المجد الأبديّ. أمّا ثيابه التي اقتُرِع عليها بالأحرى دون أن تُشقّ (٢٧:٣٥)، فكانت تشير إلى حالة عدم قابليّة جسده للفساد، والتي كانت مرصودةً للبقاء سالمة[657]. (القدّيس إيلاريوس)

✠ لقد سألت عن السبب الذي لأجله عاتب المسيح النسوة اللواتي كنّ ينُحن عليه، حينما كان سائراً نحو الصليب، وهذا أفضل من أن يُقال حينما كان مقاداً إليه (لو ٢٣:٢٧ – ٣١) – حتى ولو بُرِّر سلوكهنّ بالجهل، بيد أنّه كان إشارةً إلى طيبة نفوسهنّ – فأجيبُ هكذا: لأنّ آلامه كانت مرتضاة بل ومرادة، كان على صوابٍ أن يرى في الشفقة إهانة. لأنّ الشفقة لا يمكن أن تُستحبّ بل ولا أن تُقبَل ممّن كانت آلامه آلاماً طوعيّة[658]. (القدّيس إيسيذورس البيلوسي)

✠ إنّ الثياب المقتسمة (يو ١٩:٢٣)هي أعمال المسيح، أو نعمته، لأنّ القميص لا يمكن اقتسامه، هذا الذي أرى فيه الإيمان، لأنّه لا يدخل في حصّة أحدٍ بل يحقّ

للجميع حتماً، سيّما وأنّ ما لا يُقتسم البتّة عند الأفراد يبقى كاملاً. وصحيحٌ جدّاً أنه كان "منسوجاً من فوق" ، لأنّ إيمان المسيح منسوجٌ بحيث ينحدر ممّا هو إلهيّ إلى ما هو بشريّ ، بما أنه وهو المولود من الله قبل كلّ الدهور قد اتّخذ الجسد واقترن به في وقتٍ لاحق، إذاً، لقد أظهر لنا بذلك وجوب عدم شقّ الإيمان، بل بقائه كاملاً[659]. (القدّيس أمبروسيوس)

✞ كما أنّ قيافا عندما قال: " خير [لكم] أن يموت رجلٌ واحدٌ عن الشعب (يو ١١:٥٠)" لم يكن عارفاً بما يقول، كذلك الجند في كلّ أفعالهم (متى ٢٧:٢٧ – ٣١)، قد نقلوا إلينا حقائق سريّةً مع أنّهم تصرّفوا لغاية أخرى. ففي الثوب القرمزيّ، احتمل يسوع وِزر الجرائم الدمويّة عند الأمم. وفي إكليل الشوك، أعتقنا من اللعنة القديمة (تك ٣). وفي القصبة، قتل الحيوانات السامّة، أو كان يحمل القصبة بيده ليسجّل انتهاك اليهود للقدسيّات.. وفيما كانوا يضربونه على رأسه بالقصبة، احتمل هو كلّ شيء بصبرٍ ليظهر حقيقة نبوءة إشعياء: "قصبةً مرضوضةً لا يكسر (إشع ٤٢:٣)" .. وحينما جُلد، وبُصق عليه، واستهزئ به، لم يكن يسوع لابساً ثيابه الخاصة، بل تلك التي ارتداها بسبب خطايانا. أمّا لصلبه، وإذْ وضع حدّاً لمشهد السخرية والهزء هذا، فحينئذٍ توشّح بثيابه الأولى ثانيةً وارتدى حلّته الخاصة (متى ٢٧:٣١). وعند خروجه من مقرّ الوالي، حمل يسوع هو نفسه صليبه (يو ١٩:١٧)، وبعدها التقى سمعان الذي سخّروه ليحمله. بحسب التفسير الروحيّ، يكون الأمم هم الذين حملوا صليب يسوع.. وعلى الجلجلة، أي موضع مقطوعي الرؤوس، صُلب الربّ، لكي تُرفع راية الاستشهاد حيث كان سابقاً بيدرُ المحكوم عليهم. وكما أنّه لأجلنا صار لعنةً بالصليب، وجُلد، وصُلب، هكذا لأجل خلاص الكلّ صُلب كمذنبٍ بين المذنبين... أمّا عبارة "ذاق الخمر الممزوجة بمرارة ولم يرد أن يشرب (متى ٢٧:٣٤)"، فتُظهر أنّه ذاق لأجلنا فعلاً مرارة الموت، ولكنّه قام في اليوم الثالث.. هذا وقد أفادت يقظة الجند والكهنة(٢٧:٣٦) في أن تُبدي لنا قدرة

القائم [من بين الأموات] بأوفر عظمة وأكثر وضوح.. وكان المجتازون إلى جانبه يجدّفون عليه (٢٧: ٣٩)، لأنّهم كانوا يجتازون إلى جانب "الطريق" ويرفضون اتّباع السبيل الحقّ، سبيل الأسفار المقدّسة. كانوا يهزّون رؤوسهم، لأنّ أرجلهم كانت قد تزحزحت ولم يعودوا واقفين على الصخرة (مز ٣٩: ٣). وفي شتائمه، لم يقم هذا الشعب الأحمق إلاّ بتكرار ما قد تخيّله شهود الزور بالضبط (متى٢٦: ٦١؛ ٢٧: ٤٠).. بل ورغماً عنهم، اعترف الكتبة والفرّيسيون أنّه خلّص آخرين (٢٧: ٤٢). "فلينزل الآن عن صليبه لنؤمن به". يا له من وعدٍ كاذب! أيّهما أكثر إقناعاً، النزول عن الصليب حيّاً أم القيامة من القبر بعد الموت؟ لقد قام، وأنتم لا تؤمنون... برأيي أن الشياطين هم الذين أوحوا إليهم بهذه الكلمات. لقد شعروا بقوّة الصليب في الواقع، مذ صُلب الربّ، وفهموا أنّ بأسهم قد سُحق، فقاموا بذلك لينزل عن الصليب، إلاّ أنّ الربّ الذي يعرف حيَل خصومه قد بقي على صليبه ليحطّم إبليس[660]. (القدّيس يرونيمس)

✞ الصبر على الأذى أمرٌ عجيب، فهو يضع النفس كما في مرفأ هادئ، محرراً إيّاها من التقاذف، ومن الأرواح الشريرة. هوذا ما علّمنا إيّاه المسيح في كلّ موضع، وبخاصةٍ الآن، حين كان يحاكم... ولكن، لِمَ حدث ألاّ يُجري بيلاطس التحقيق بحضور اليهود، بل على حدةٍ وقد دخل قاعة المحكمة (يو ١٨: ٢٣)؟ ذلك أنّه كان يشتبه بوجود أمرٍ عظيمٍ في ما يتعلّق به. وبشأن ما كان بيلاطس راغباً في سماعه منه، أي مملكته، أجاب قائلاً: "مملكتي ليست من هذا العالم (١٨: ٣٦)". وهذا يعني: "إنني ملكٌ فعلاً، بيد أنّي لستُ كأيّ أحدٍ ممن تظنّ، بل أرفع مجداً بكثير".. ولكنّهم صرخوا قائلين: "لا ملك لنا إلاّ قيصر (١٩: ١٥)"، فعرّضوا أنفسهم للعقاب باختيارهم. لذلك تخلّى عنهم الله أيضاً، كونهم قد طردوا أنفسهم هم أولاً من [حيّز] عنايته وإشرافه.. ولمَ كانوا يكافحون لقتله بهذه الطريقة؟ فقد كانت ميتة مخزية. ولئلاّ يبقى أيّ ذكرٍ له في ما بعد، شاؤوا اجتذابه إلى القصاص الملعون،

غير عالمين أنّ الحقّ يعلو بالعوائق... إكليل الشوك، الرداء، القصبة، اللطمات، الضرب على الخدّ، البصاق، الهزء، هذه الأمور إن تأمّل فيها المرء بلا انقطاعٍ كانت كافية لتذليل كلّ غضب. وإن هُزِء بنا، إن قاسينا الظلم، فلْنقل مع ذلك:" ما من عبدٍ أعظم من سيّده (يو ١٣:١٦)".. لأنْ لسببٍ واحدٍ قد تحمّل هذه الأمور كلّها، لكي نتمكّن من السير على خُطاه، ونتحمّل تلك السخريات المشوّشة أكثر من أيِّ نوعٍ آخر من التأنيب... ولنقتدِ بهذا أيضاً، إذْ لا شيء يسترضي الله كمحبّة الأعداء، والإحسان إلى من يعاملوننا بازدراء. فحينما يهينك أحد الناس لا تنظر إليه، بل إلى الشيطان الذي يحرّكه وصبَّ عليه كلَّ غيظك، أمّا الإنسان الذي يتحرّك بواسطته فارثِ له. لأنّه إن كان الكذب من الشيطان، فالغضب بلا سبب هو كذلك أكثر بكثير..

لقد مضى حاملاً صليبه دليل انتصارٍ على استبداد الموت؛ وكما يفعل الظافرون، كذلك حمل هو على منكبيه رمز الغلبة.. ثمّ صلبوه مع اللصّين، محقّقين النبوءة هنا أيضاً عن غير قصدٍ [منهم]، بما أن النبيّ كان قد أنبأ في غابر الزمن أنّه أُحصِيَ مع الأثمة (إشع٥٣:١٢). ثلاثة كانوا مصلوبين، فيما يسوع وحده كان ممجّداً، لكي تتعلّم أنّ قدرته هي التي أنجزت كل شيء.. إذْ لم ينسب أحدٌ أيّ شيء ممّا جرى لأيٍّ من الآخرين، بل ليسوع وحده، وهكذا جُعلت مكيدة إبليس عقيمة تماماً.. بل وحتى من هذين الاثنين خلُصَ واحد. لهذا السبب لم يُحقِّر مجدَ الصليب بل قدّم له ما ليس بقليل.. "وكتب بيلاطس لوحة (يو ١٩:١٩)"، فيما كان يقابل اليهود مدافعاً عن المسيح.. هكذا وضع بيلاطس كما على نصب تذكاريّ، تلك الحروف الناطقة بوضوح، مظهراً من ثمّ انتصاره (المسيح) ومنادياً بمملكته، حتى ولو لم تكن [بعدُ] في تمامها. وهذا الأمر لم يُبدِه بلغة واحدة بل بثلاث لغات.. ولكيلا يجهل [ذاك] الدفاع أحدٌ، دلَّ على جنون اليهود جهاراً باللغات كلّها، سيّما وأنهم تعمّدوا توجيه الأذى ضدّه، حتى عند الصلب.. وحينما كان على الصليب،

عهد بأمّه إلى التلميذ، معلّماً إيّانا أن نبدي كلّ عنايةٍ بذوينا حتى رمقنا الأخير.. ولم يكن بقليل الأهمية لدى التلميذ أن يكرّم بشرفٍ كهذا وأن يُحرز من ثمّ مكافأة إخلاصه.. أمّا هو، فقد قام بكلّ شيء دونما اضطراب، فكلّم التلميذ في شأن أمّه، وحقق النبوءات، وحمل للّص الآمال الرفيعة..

فلا نرتعدنّ إذاً عند الموت. فنفوسنا تقتني حبّ الحياة بطبعها،ولكن يتوقف علينا نحن إمّا التحرّر من قيود الطبيعة وإضعاف هذه الرغبة، وإمّا شدُّها أيضاً وجعلُ الرغبة أشدَّ استبداداً.. بيد أن النسوة وقفن عند الصليب، وبدا الجنس الأضعف من ثمّ على أنه الأكثر رجولة؛ وهكذا تحوّلت الأمور كلّها تماماً من الآن فصاعداً. ولكن، لمَ لمْ يأتِ على ذكر أيّة امرأة أخرى، مع أن أخرى [أو اثنتين] كانتا واقفتين هناك (يو ١٩:٢٦)؟ ذلك ليعلّمنا أن نحترم أمّهاتنا أكثر من المعتاد. إذْ كما يتوجّب علينا حتى ألاّ نعترف بأهلنا عندما يعارضوننا في الأمور الروحية، كذلك يتوجّب علينا أن نحترمهم الاحترام اللائق عندما لا يمنعوننا [عنها].. كان يودّ أن يُظهر في كلّ شيء بأنّ هذه الميتة كانت من نوعٍ جديد ــ ولو كان الكلّ يراهنون في الواقع على قدرة الشخص المائت ــ وأنّ الموت لم يلحق بالجسد قبل أن يريد هو ذلك؛ ولقد أراد ذلك بعد أن أتمّ كلّ شيء (يو١٩:٣٠).. أرأيت كيف أن الحقيقة راسخة؟ فلقد تحقّقت النبوءة بواسطة الأمور الحقيقية التي كانت محطّ حماستهم.. لأنْ عندما أتى الجند كسروا سوق الآخرين لا ساقَي المسيح (يو ١٩:٢٢-٢٣). ولكي يرضوا اليهود، طعنوا جنبه بحربة ، فأصابوا الجسد الميْت بالأذى.. كانت ثمّة نبوءةٌ تقول: "سينظرون إلى الذي طعنوه (زك ١٢:١٠)"، وأيضاً "لا يكسر له عظم (عد ٩:١٢؛ خر١٢:٤٦)".. وبهذا أيضاً تمّ سرٌّ لا يوصف. لأنْ خرج للوقت دمٌ وماء (يو ١٩:٣٤). ولم يخرج هذان المَعينان بلا غرض، بل لأنْ بواسطتهما معاً تتألّف الكنيسة. والمبتدئ يعرف ذلك، إذْ يجدَّد بالماء ويغذّى بالدم والجسد. من هنا تتّخذ الأسرار أصلها، بحيث عند دنوّك من تلك الكأس الرهيبة يمكنك الدنوّ كما لتشرب من الجنب بالذات[661]. (القدّيس يوحنّا الذهبي الفم)

"وقالوا في الحقيقة كان هذا هو ابنَ الله" (متى٢٧: ٥٤)

✞ لقد كان اليهود يفترون على المصلوب بخاصّةٍ حين كانوا يوسعونه شتماً، كما لو كان إنساناً تغلّبوا عليه. أمّا هو، فمن على صليبه قال: "يا أبتاه، اغفر لهم، فإنّهم لا يدرون ما يعملون (لو٢٣: ٣٤)". وهكذا، من أعماق خبثهم كانوا يبادلونه خيره بالشرّ، بينما كان هو في أوْج صلاحه يبادلهم شرّهم بالخير. ويمكن الإدراك أيضاً أنّه كان يصلّي لأجل تلاميذه، حسبما قال إنّه فعل قبل آلامه، "لكي لا يزول إيمانهم (لو٢٢: ٣٢)"، وذلك حين يقدّم لنا على الصليب مثالاً للصبر، دون أن يُظهر قدرته البتّة وسْط شتائم أولئك الذين كان في وسعه أن يبيدهم بسلطته المطلقة. ولكن، أن يعطينا مثالاً للصبر، كان أكثر نفعاً لنا من تدمير أولئك الأعداء في الحال، ومِن حَمْلنا على الثأر لأنفسنا ممّن آذَونا؛ فلقد كُتب: "البطيء الغضب خيرٌ من الجبّار (أم١٦: ٣٢)". وعليه، فالكتاب وقدوة يسوع المسيح ـــ الذي يقول لنا: "بدلاً من أن يحبّوني افتروا عليّ، أمّا أنا فاعتكفت على الصلاة (مز١٠٨: ٤)" ـــ يعلّماننا أن نصلّي متى التقينا بأناسٍ كنودين، لا أولئك الذين يُحجمون عن ردّ الخير فحسبُ بل والذين يبادلون الخير بالشرّ أيضاً[662]. (المغبوط أغسطينوس)

✞ سوف نكون محبّين لله حقّاً وشاهدين على محبّتنا لله وللقريب، إن كنّا أوفياء لعقيدته، وفي تحمّل المشقّات، والمذمّات، والإهانات، والاضطهادات، والوشايات؛ بل ولا يُحبِطنّ أيُّ شتمٍ من عزيمة محبّتنا تجاه من فعلوا ذلك بنا.. ويعلّمنا ربّنا أيضاً أن نصلّي إلى الله من أجلهم، كما فعل هو نفسه. فعندما كان اليهود يصلبونه، كان هو يقول: "يا أبتاه، إغفر لهم، فإنّهم لا يدرون ما يعملون (لو٢٣: ٣٤)". أنظروا هذه المحبّة الشديدة التي يكنّها لنا، انظروا هذا الصبر الذي يُربك أولئك الذين يحبّون ذواتهم، العادمي الصبر، الذين تبدو لهم الكلمة كطعنة خنجر، والذين إن لم يُجاوبوا عليها بأربع [كلماتٍ] يقال إنّ قلبهم سينفجر من الغيظ. هؤلاء يُظهرون أنّهم سائرون بدون النور،

وأنّهم لم يطالعوا الكتاب المجيد، كتاب يسوع المسيح. وأمّا من قرأه، فلْيتحمّل عيوب القريب بشفقةٍ ومحبّةٍ أخويّتين. ويُظهر الإنسان محبّته لله أيضاً في مكابدته بصبرٍ واحترامٍ لكلّ ما تهبُه أو تسمح به عناية الله، دونما سعيٍ قطّ إلى تقصّي أفكار الله، ودون أن يتبيّن في كلّ شيء سوى محبّة الله اللاّمتناهية.. فهو الذي، لأجل معاقبة الزلّة، قد أسلم نفسه لميتة الصليب المُخزية، فجعل من جسده سِنداناً يطرّق عليه الإنسان الجديد بنار محبّته، مستخدماً مطرقة الآلام العظيمةِ الشديدةَ الوطأة.. وتحمّل جهلنا، وتهاوننا، وكنودنا، لأنّه كان جائعاً إلى خلاصنا(663). (كاترينا السيانيّة)

✞ في بادئ الأمر، جدّف عليه اللصّان كلاهما (متى٢٧:٤٤)، ثمّ عند تواري الشمس (٢٧:٤٥) آمن أحدهما بيسوع ومحا جحودَه الأوّل عبر مجاهرته بالإيمان الذي تلاه (لو٢٣:٤٠-٤٢). في هذين اللصين، إنّما هما الشعبان، شعب الأمم وشعب اليهود، مَن شتموا الربّ في بادئ الأمر. ولكن، إذْ قد ارتعب أحدهما بعدئذٍ بعظمة المعجزات، تاب وهو لا يزال حتى اليوم يوبّخ اليهود المجدّفين.. هذا وما من أحد يرتاب في أن القمر كان بدراً في [ذلك] الفصح. ولكيلا يمكن الظنّ أنّ ظلّ الأرض أو عبوراً لكرة القمر أمام الشمس سبّبا ظلماتٍ وجيزةً صهباء، كانت المدّة محدّدة، ثلاث ساعات، بغية نفي كلّ حجّةٍ لدى المماحكين. أمّا النيّر الأكبر (تك١:١٦؛ متى٢٧:٤٥)"، فبرأيي أنّه سحب أشعّته لئلاّ يرى الربّ معلّقاً على الصليب، أو ليَمنع عن المجدّفين الكافرين إحسان نوره(664). (القدّيس يرونيمس)

✞ قال اللصّ وقد التفت إلى المسيح: "اذكرني يا ربّ متى جئت في ملكوتك (لو٢٣:٣٩-٤٣)". يا له من إيمان! إنّي لا أرى ما يمكن زيادته على هذا الإيمان. فلقد تردّد التلاميذ، هم الذين كانوا قد عاينوا المسيح مُنهضاً الموتى، فيما آمن هو بمن رآه معلّقاً على خشبةٍ إلى جانبه.. يا لها من ثمرةٍ جناها المسيح من على الخشبة اليابسة! فبينما كان اللصّ عابراً من جريمته إلى القاضي، ومن القاضي إلى الصليب، أكان بإمكانه توقّع العبور من الصليب إلى الفردوس؟ أيضاً، ومع وعيه

لما كان يستحقّه، لم يقل: "اذكرني لكي تحرّرني اليوم"، بل "متى جئت في ملكوتك، عندئذٍ اذكرني"، حتى ولو استحققتُ عذاباتٍ إلى حين مجيئك في ملكوتك. ذلك أنّ اللصّ لم يكن مؤمناً بقيامته فحسب، بل بمُلكه أيضاً. ومن ثمّ، فلهذا المعلَّق، المبجَّل على الصليب، المضرَّج بالدم، المشدود إلى العود، قال: "متى جئت في ملكوتك.."، فيما قالوا هم: كنّا نؤمّل (لو٢٤:٢١)". وهكذا، عندما وجد اللصّ الرجاء، فقدَه التلميذ[665]. (المغبوط أغسطينوس)

✞ "الحقّ الحقّ أقول لك: اليوم تكون معي في الفردوس (لو٢٣:٤٣)". إنّها لَشهادةٌ رائعة على ضرورة مزاولة التوبة، بما أنّ الغفران قد أُجزِل على اللصّ سريعاً جداً، وأنّ النعمة أكثر وفرةً من الصلاة. فالربّ يعطي دوماً أكثر ممّا يُطلب منه. ذاك سأل الربّ أن يذكره متى جاء في ملكوته، أمّا الربّ فقال: "الحقّ الحقّ أقول لك: اليوم تكون معي في الفردوس". ذلك أنّ الحياة ترتكز على الكينونة مع المسيح؛ وحيث المسيح، فهناك الملكوت. إذاً، لقد غفر الربّ بسرعةٍ لأنّ الآخر تاب بسرعة. وهذا ما قد يفسِّر كيف أبدى الإنجيليّان الآخران اللصّين وهما يتفوّهان [كلاهما] بالشتائم (متى٢٧:٤٤؛ مر١٥:٣٢)، فيما يقول هذا إنّ أحدهما كان يشتم الربّ والآخر يصلّي إليه (لو٢٣:٣٩-٤٣). من المحتمل أن يكون هذا الأخير قد بدأ بالشتم [فعلاً]، ثمّ تاب بغتةً؛ كما وأنّه ليس أمراً مدهشاً أن تُغفر الزلّة للتائب من ذاك الذي يُجزل الغفران على شاتميه[666]. (القدّيس أمبروسيوس)

✞ لم يُنعم الله قَدْر ما خطئ الإنسان؛ وهذا مبرَّر. لأنّ الشرور قد أدخلها عبد، فكانت من ثمَّ أقلّ؛ وأمّا الخيرات فهو السيّد الذي منحها، ولهذا السبب كانت أكثر وفرة[667]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✞ إنسانٌ لم تكن عليه خطيئة بل مجرّد وصمة عصيانٍ قد نفاه الشيطان، ولصٌّ مُثقَل بجَمٍّ من أوزار الخطايا قد أدخله المسيح إلى الفردوس وهو في هذه الحالة.. هذا ولم يرتضِ بإدخال لصٍّ [فحسب]، بل أدخله أيضاً قبل العالم بأسره وقبل

الرسل، كيلا ييأس من الدخول إليه أيٌّ ممّن سيأتون بعده، وكيلا يتخلّى هذا عن الأمل بخلاصه الخاصّ، عند رؤيته الإنسان المثقل بجمٍّ من السيّئات مقيماً في البلاط الملكيّ.. وليس نُبل مشاعره ما قد فعل ذلك بقدر ما كان حبُّ السيّد للبشر هو الذي قام بكلّ شيء. على الصليب نفسه نال الخلاص، بعد تصريحه. لاحِظ السرعة: من الصليب إلى السماء، ومن الدينونة إلى الخلاص.. لقد طلب الحصول على خيرات، في حين أنّه لم يُبدِ جهداً في أعماله؛ ولكنّ العارف القلب لا يعوّل على كلماتٍ بل على استعداد الفكر.. دونما سماعٍ للأنبياء ودونما معاينةٍ للمعجزات رأى اللصّ إنساناً مسمّراً على الصليب ولم يعوّل على الخزي، لم يلحظِ العار، بل بما أنّ بصره كان قد نفذ إلى الألوهيّة قال: "اذكرني في ملكوتك".. أوتَرى صليباً فتتذكّر ملكوتاً؟ ما الذي رأيته لائقاً بملكوت؟ إنساناً مصلوباً، ملطوماً على وجهه، مهزوءاً به، متّهَماً، مغطّى بالبصاق، مجلوداً؛ قل لي: أذلك كلُّه لائقٌ إذاً بملكوت؟ أرأيت أنّه نظر بعيني الإيمان وأنّه لم يتفحّص المظاهر؟ ولذلك الله أيضاً لم يتفحّص الكلمات المجرّدة.. بل وقد نفذ بصر الله أيضاً إلى قلب اللصّ فقال: "اليوم تكون معي في الفردوس"[668](القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✞ إلهي إلهي، انظر إليّ، لماذا تركتني (مز ٢١:١)"؟ هذه الكلمات ليست شكوى، بل تعليم. إذْ بما أنّ في المسيح شخصاً واحداً فحسب، وأنّه لم يكن بالإمكان تركُه، ممّن لا يمكن أن ينفصل عنه، إذاً لأجلنا نحن، القلقين والضعفاء، قد سأل لمَ لمْ يُستجب الجسد الذي يخاف الألم.. هو إذاً، الذي جعل المشيئة الأبويّة مشيئته منتصراً على تردّدات الجسد، والذي في ازدرائه بكلّ خشيةٍ من الموت قد أنجز العملَ المطابق لتصميمه، كيف، حين رُفع في الفوز نفسه بظفرٍ عظيمٍ إلى هذا الحدّ (يو١٢:٣٢؛ ١٣:٣١)، يسأل عن العلّة والسبب اللذين لأجلهما لم يُسمَع؟ لمَ تُرى إلاّ للكشف بأنّ المشاعر التي قبِل اختبارها لتبرئة الخوف البشريّ هي غيرُ تلك التي اختارَ الإحساس بها حسب الرضى الأبويّ لأجل مصالحة العالم. كما وأنّ قوله هذا نفسه يعلِن سرّاً عظيماً، ألا وهو أنّ قدرة الفادي لم تكن لتحمل شيئاً للجنس البشريّ لو كان عجزنا

البشريّ فيه قد حصل على ملتمَسه.. إذاً لم يترك الله جسدَ آلامه، وكذلك لم يجعل الجسدُ الله قابلاً للآلام، سيّما وأنّ اللاهوت الذي كان في المتألّم لم يكن هو في [حالة] الألم.. وعليه، فقد قال ذلك لا عن بؤسٍ بشريّ، بل عن رحمة؛ ولا حاجةً منه إلى نجدة، بل لأنّه قرّر الموت. أيّ تدخّلٍ ــ والحقّ يُقال ــ كان له أن ينفع حياته في حين أنّه استعمل سلطانه لبذل حياته وسلطانه لاسترجاعها (يو١٠:١٨)؟.. أيضاً كانت المشيئة الأبويّة بقدر ما كانت مشيئته الخاصّة، هما اللتان تصرّفتا بحيث يُسلَم الربّ إلى آلامه. فلم يتركه الآب من ثمّ فحسب، بل وهو نفسه قد ترك نفسه نوعاً ما، لا بإبعادٍ حثّ عليه الخوف بل بتركٍ طوعيّ. ذلك أنّ قدرة المصلوب قد تمالكت نفسها في الواقع لئلاّ تصدّ الكفرة، وإذْ شاءت التصرّف وفق ترتيبٍ سريٍّ لم تُرِد استعمال سلطةٍ ظاهرة. بل وكيف كان له أن يخلّص الخطأة لو قاوم المضطهِدين، طالما أنّه أتى ليحطّم بآلامه الموتَ ومسبّبَ الموت[669]؟ (القدّيس لاون الكبير)

✠ "في عطشي سقوني خلاًّ (مز٦٩:٢٢)". اليوم أيضاً، لا يزال اليهود وجميع الذين لا يؤمنون بقيامة الربّ يسقون يسوع خلاًّ ومرارة (متى٢٧:٤٨)، ويعطونه خمراً ممزوجةً بالمرّ (٢٧:٣٤) بغية تخديره ومنعه عن رؤية مساوئهم[670]. (القدّيس يرونيمس)

✠ "يا أبتاه، في يديك أستودع روحي (لو٢٣:٤٦)". يحقّ له جداً أن يستودع أباه روحَه، بما أنّه حفظها ولأنّ ما يُعهد به لا يضيع. إذاً، الروح هي رهنٌ صالح، وديعةٌ صالحة؛ ولذلك قيل أيضاً: "يا تيموثاوس، احفظ الوديعة الصالحة (٢تيم١:١٤)".. ثمّ أسلم الروح. صحيحٌ جداً أنّه أسلمها، لأنّه لم يخسرها رغماً عنه. فالاستيداع طوعيّ، فيما الخسران كَرهيّ. ولذلك أضيف القول: "[أطلق] صرخةً عظيمة". ثمّة هنا إمّا الشهادة الفخيمة أنّه نزل حتى الموت لأجل خطايانا ــ وعليه، فلن أخجل من الاعتراف، أنا أيضاً، بما لم يخجل المسيح من تأكيده بصرخةٍ عظيمة ــ وإمّا تجلٍّ لله يشهد على رباط الألوهيّة والجسد، فيصرخُ كإنسانٍ يوشك انفصاله عن الألوهيّة على

إماتته؛ إذْ بما أنّ الألوهيّة منزّهة عن الموت، لم يكن ممكناً للموت أن يحدث [في جسده] ما لم تنسحب الحياة، والحياة هي الألوهيّة[671]. (القدّيس أمبروسيوس)

✠ في إمالة رأسه، أسلم الربّ الروحَ وترك الرقاد يَلِجُ، لاستراحةٍ هادئة، إلى ذاك الجسد الذي كان عليه إنهاضه في اليوم الثالث[672]. (القدّيس لاون الكبير)

✠ نقرأ في يوحنّا أنّ يسوع بعد شربه الخلّ كلّه قال: "لقد تمّ (يو١٩:٣٠)"، وذلك لأنّه كان قد تجرّع كلّ ما وُجِد مَعيباً في البشريّة التي أُفسدت.. بعدئذٍ، انشقّ حجاب الهيكل (متى٢٧:٥١)، لأنْ منذ ذلك الحين انقسم الشعب في الحراسة (عد٩:٢٣)، ولأنّ شرف الحجاب قد انتُزِع وحراسةَ الملاك الحامي في آنٍ معاً (خر٢٥:٢٢،٣٣). والأرض تزلزلت، إذْ لم تكن قادرةً في الواقع أن تستقبل ميتاً كهذا. والصخور تشقّقت، لأنّ كلمة الله وسلطانَ قدرته الأزليّة كانا قد فتحا عنوةً كلّ ما كان صامداً متيناً عند اختراقه. والقبور تفتّحت، لأنّ حواجز الموت كانت قد رُفعت، ولأنّه، في إنارة ظلمات الموت وإضاءة عتمة الجحيم، كان قد انتزع من الموت غنائمه نفسها عند الحاجة إلى قيامة القدّيسين الذين تراءوا في الحالة الحاضرة (متى٢٧:٥٢-٥٣). ولكي يجعل إثمَ عدم الإيمان عند إسرائيل أكثر فداحة، عاين قائد المئة والحرّاسُ هذه الزعزعة في الطبيعة بأسرها واعترفوا أنّه ابن الله (٢٧:٥٤)[673]. (القدّيس إيلاريوس)

✠ لقد تمزّق حجاب الهيكل، متألّماً معه ومشيراً إلى رئيس الكهنة السماويّ الحقيقيّ. كان العالم بأسره سيضمحلّ وشيكاً، وسيتفكّك ذهولاً من الألم، لو لم يكن يسوع العظيم قد نفخ عليه الروحَ الإلهيّ قائلاً: "يا أبتاه، في يديك أستودع روحي (لو٢٣:٤٦)". فالكون إنّما كان في الفوضى والاضطراب يرتعش ذعراً، سيّما وأنّ كلّ شيء كان قد تزعزع[674]. (القدّيس إيبوليتس)

✠ إنّ الحجاب الذي كان يغلِق قدس الأقداس كحاجزٍ قد تمزّق من فوق إلى أسفل، وهذا الموضع السريّ قد فُتح إذْ لم يعد ثمّة تميّزٌ لحِفظه حيث لم تعد تسكن القداسة.. إذاً، بعدلٍ يحكم عليكم العهدان، أنتم (اليهود) الخالين من النعمة

والمحرومين من الناموس في آنٍ معاً، والمقاومِين الترتيب الجديد لعدم إيمانكم بالقديم[675]. (القدّيس لاون الكبير)

✠ "أمّا يسوع فأطلق من جديد صوتاً جهيراً وأسلم الروح (متى٢٧: ٥٠)". أن يُسلم الروح هي إشارةٌ إلى قدرته الإلهيّة، مثلما كان قد قالها هو أيضاً: "ما من أحدٍ ينتزع حياتي منّي، وإنّما أنا أبذلها باختياري وسوف أسترجعها (يو١٠: ١٨)".. عندئذٍ، انشقّ حجاب الهيكل. وهكذا، كلّ أسرار الناموس التي كانت خفيّةً قبلاً قد كُشفت وانتقلت إلى شعب الأمم. "والأرض تزلزلت، والصخور تشقّقت، والقبور تفتّحت (متى٢٧: ٥١-٥٢)"؛ وما من أحدٍ يتردّد عند المعنى الحرْفيّ لهذه المعجزات العظيمة. فالسماء، والأرض، والعناصر كافّة، إنّما كانت تشهد بأنّ ربّها قد صُلب. ولكن، برأيي أنّ زلزلة الأرض والعجائب الأخرى تصوّر المؤمنين [أيضاً]. فبعد أن تخلّوا عن رذائل ضلالاتهم القديمة، ولطّفوا قساوة قلوبهم، أولئك الذين كانوا قبلاً مماثلين لقبور الأموات قد اعترفوا في ما بعد بالخالق. تماماً كما قام لعازر الميت (يو١١)، هكذا قام الكثير من أجساد القدّيسين [الراقدين] ليُظهروا قيامة المسيح. إلاّ أنّهم لم يقوموا قبل أن يقوم الربّ، مع أنّ القبور قد انفتحت، وذلك ليكون البكرَ في القيامة من بين الأموات. أمّا المدينة المقدّسة حيث شوهدوا عند قيامتهم (متى٢٧: ٥٣)، فلْنفهم بها أورشليم السماويّة، أو أورشليم الأرضيّة خاصّتنا، المقدّسة سابقاً لتمييزها عن بقيّة المدن حيث كانت الأوثان توقّر. وأمّا هذه الكلمات "تراءوا لكثيرين من الناس"، فتُظهر لنا أنّ تلك القيامة لم تكن عامّة، منظورة للجميع، بل محفوظةً لكثيرين، حتى يراها الذين كانوا يستحقّون الرؤية.. ثمّ عند الصليب، وفي خضمّ فضيحة الآلام، اعترف قائد المئة أنّ [المصلوب] هو ابن الله حقّاً (٢٧: ٥٤)، فيما جزم آريوس في الكنيسة أنّه خليقة[676]. (القدّيس يرونيمس)

✠ من المؤكّد أنْ بعد الموت يتجمّد الدم في أجسادنا، وأمّا من ذاك الجسد الذي لا يعروه فسادٌ قطعاً، والذي مات مع ذلك، فكانت حياة الكلّ تَسيل؛ لأنْ منه خرج الماء والدم (يو١٩: ٣٤)، أوّلهما للرحْض، والآخر للافتداء[677]. (القدّيس أمبروسيوس)

✞ إذ فُتح جنب المخلّص على الصليب سال منه الماء والدم، فسقط هذا الندى السماويّ على رفات الإنسان الأوّل ليبدأ الفداءُ بزعيم الجنس البشريّ، ويطهِّر فيه الجميع قاطبة[678]. (القدّيس إبيفانيوس)

✞ لقد خرج منه دمٌ يحرّرنا من العبوديّة، وماءٌ لغسل كلّ من يقبل بالدم الفادي، ولتنقيته من عبوديّة الشرّ.. بمساميرٍ شكّوك، لكنّك حوّلتها إلى دواء. بحربةٍ طعنوك، فخرج ماءٌ لغَسل زلاّتنا. خرج ماء، وخرج دمٌ أيضاً، ليكون في وسعهم التوقّف، مقهورين، ويتبرّأوا بفضل دمك. فعندما ذُبح، أعطى دمه والماء الذي كان في وسع قاتِليه أن يغتسلوا به فيجدوا الحياة[679]. (القدّيس إفرام السوريّ)

✞ إنّ انتصار يسوع على الشرّ والشيطان قد بدأ في آلامه، وهو يتواصل عبر الأجيال؛ كما لو أنّه كان كاملاً بداعي اللاهوت الذي في يسوع[680]. (أوريجانيس)

✞ وإن كان اليهود هم أنفسهم قد توجّعوا ــ في قتلهم الوارث (متى٢١:٣٩) ــ أكثر ممّا في أيّة فاجعة، فلا تدَع نفسك تضطرب بتلك الآلام، بل فلتدفعك إلى الشكر الوافر، سيّما وأنّ الملك غير القابل للألم (لأنّ اللاهوت لا يتألّم) والذي لا يمكن أن يعتريه ظلٌّ تغيُّر (يع١:١٧)، قد أسلم جسدَه. وإذْ أبدى ذاته مراراً كإنسانٍ ضعيف، حيلةً منه لخداع الخبيث، صعد إلى السماوات ثانيةً بعد أن رفع شارات الظفر الباهرة، ولابساً بواكير طبيعتنا[681]. (القدّيس إيسيذورس البيلوسيّ)

✞ مباينٌ جداً، ومعاكِسٌ تماماً ما قد عُرف مقدّماً في خبث اليهود وما قُرِّر في آلام المسيح. إرادة القتل من جهة، وإرادة الموت من الجهة الأخرى، لا تنبعان من المصدر نفسه؛ كما وأنّ الروح ليس هو نفسه الذي حرّك وحشيّة الجريمة وآلام الفادي. ذلك أنّ الربّ لم يُطلق على نفسه أيدي الضارين الملحدة، بل سمح لها بذلك؛ كما وليس لعِلمه مقدّماً بما كان مزمَعاً فِعلُه أنّه أُجبر على القيام به، مع أنّه اتّخذ جسداً لحصول ذلك. أخيراً، تختلف قضيّة المصلوب وقضيّة جلاّديه جذرياً، حتى أنّ ما ارتضى المسيح مكابدته لم يكن في الإمكان إلغاؤه، في حين أنّ ما اقترفوه هم كان ممكناً مَحْيُه. فالذي أتى ليخلّص الخطأة فعلاً لم يمنع الرحمة حتى

عن قاتليه، بل وقد حوّل لخير المؤمنين الشرّ الذي ارتكبه الكفرة. إذاً، حتى ولو أراد الربّ يسوع المسيح تحمّلَ غضب الضارِين، إلاّ أنّه لم يكن قطْعاً مؤلّفَ جريمتهم. لم يتصرّف بحيث يريدون ذلك، بل استسلم ليستطيعوا ذلك. لقد استَخدم جنون شعبٍ أُصيب بالعمى، واستخدم أيضاً غدر الخائن، الذي لتحويله عن شناعة الجرم الذي ابتكره، كان قد ارتضى هو بذل الجهد بإحساناتٍ وأقوال، فاتّخذه تلميذاً، ورفعه إلى مقام رسول، ونبّهه بمعجزات، وكرّسه بالأسرار، كيلا تكون أيّة سمةٍ من سمات الصلاح قد مُنعت عنه، بغية مساعدته لإصلاح نفسه، وكيلا تبقى لديه أيّة حجّةٍ لتبرير جريمته[682]؟ (القدّيس لاون الكبير)

✠ لا تقل: "لمَ لمْ يساعد نفسه وهو على الصليب"؟ ذلك أنّه كان معجِّلاً إلى إنهاء الصراع مع الموت نفسه. وهو لم ينزل عن الصليب، لا لأنّه لم يكن قادراً على ذلك، بل لأنّه لم يكن راغباً في ذلك. إذْ كيف كان باستطاعة المسامير أن تحتجز على الصليب مَن لم يحتجزه طغيان الموت[683]؟ (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✠ هكذا حَمل كلّ ضعفات جسدنا، وسمّر على الصليب معه كلّ ما كان يجعلنا ضعفاء، لكي تموت مع جسده وآلامه كلُّ أوجاع عاهاتنا، فيما يكون علينا نحن أن نقاوم إبليس في نضال الشهادة. وإن كان لا يمكن أن تعبر عنه تلك الكأس دون أن يشربها، فذلك لأنّنا غير قادرين على التألّم إلاّ بآلامه[684]. (القدّيس إيلاريوس)

الجمعة العظيم المقدّس

الساعة الأولى زك ١١:١٠-١٣ / غلا ٦:١٤-١٨ / متى ٢٧:١-٥٦

الساعة الثالثة إشع ٥٠:٤-١١ / رو ٥:٦-١١ / مر ١٥:١٦-٤١

الساعة السادسة إشع ٥٢:١٣-٥٤:١ / عب ٢:١١-١٨ / لو ٢٣:٣٢-٤٩

الساعة التاسعة إرم ١١:١٨-٢٣؛ ١٢:١-٥، ٩-١١، ١٤-١٥ /

عب ١٠:١٩-٣١ / يو ١٩:٢٣-٣٧

قراءات الغروب خر٣٣:١١-٢٣ / أي٤٢:١٢-١٦ / إشع٥٢:١٣-٥٤:١

الرسالة ١ كور ١:١٨-٢:٢ الإنجيل متى ٢٧:١-٣٨ لو٢٣:٣٩-٤٣

متى٢٧:٣٩-٥٤ يو١٩:٣١-٣٧ متى ٢٧:٥٥-٦١

خدمة الجنّاز حز ٣٧:١-١٤ الرسالة ١ كور ٥:٦-٨ غلا٣:١٣-١٤

الإنجيل متى ٢٧:٦٢-٦٦

تألّم ليشفينا

"إذْ كان قد تألّم مجرَّباً، فهو قادرٌ على أن يغيث المصابين بالتجارب" (عب٢:١٨)

✝ اليهود يأكلون الخبز الفطير مع الأعشاب المرّة، أمّا مخلّصنا فقد رفع كأس المرارة هذه وانتزع كلّ حموضة الشعوب عندما ذاقها ولم يُرد أن يشرب. اليهود يستذكرون خطاياهم، موسماً فموسماً، أمّا نحن فنصنع ذكرى صَلب الربّ وإهانته. هم، كانوا قد خرجوا في الفصح من عبوديّة فرعون؛ أمّا نحن، فيوم الصلب خُلّصنا من عبودية الشيطان. هم كانوا قد ضحّوا بحَملٍ من الخراف ورشّوا دمه ضدّ المهلِك؛ أمّا نحن، فبدم الابن المحقّق خُلّصنا من المفاسد التي اقترفناها. هم، كان موسى مرشدهم؛ أمّا نحن، فلدينا يسوع ربّاً ومخلّصاً. لأجلهم، كان موسى قد شقّ البحر وجعلهم يعبرون (خر١٤)؛ أمّا لأجلنا نحن، فلقد اخترق مخلّصنا الجحيم، وكسّر أبوابها عند دخوله، ففتحها، وشقّ الطريق لجميع المؤمنين به[685]. (أفرهات)

✞ إنّ موحِّد الأوائل بالأواخر هو سيّدهم، الذين ظهر لهم المحراث في النهاية، العودُ المرتبط بالسِّنان، الذي ينغرز في الأرض (..) منقِّياً عبْر اقترانهما بالمسامير الأرض البائرة.. والدليل على رفع النفوس بواسطة العود أنّ التألّم هو القادر على رفع النفوس، تلك المواكبة له في رفعه(686). (القدّيس إيريناوس)

✞ لقد شاء أبو الكون أن يحلّ مسيحه نفسه محلّ البشر أيّاً كانت سلالتهم وأن يأخذ على عاتقه لعنات الجميع، لعِلمه تماماً بأنّه سيقيمه بعد صلبه وموته. فلمَ تتحدّث إذاً عن ذاك الذي قبِلَ هذه الآلام بحسب مشيئة الآب كما لو كنت تتحدّث عن شخصٍ ملعون؟.. وليس من قبيل الصدفة، عندما كان حور وهارون يسندان موسى بأيديهما، أنّه بقي على تلك الحالة "حتى المساء (خر١٧:١٢)"؛ ذلك أنّ الربّ بقي على عود الصليب حتى المساء تقريباً، وأنّه وُضع في القبر نحو المساء ليقوم من ثمّ في اليوم الثالث(687). (القدّيس يوستينوس)

✞ لقد كان المذبح في أورشليم، وأمّا دم الذبيحة فأروى المسكونة بأسرها(688). (أوريجانيس)

✞ لقد صُلب ليُظهر على الصليب موتَ الإنسان العتيق الذي كان فينا، وقام ليُظهر في حياته تجديد حياتنا(689). (المغبوط أغسطينوس)

✞ بآلامه حطّم الربّ الموت، وأزال الضلالة، وأباد البلى، وأبطل الجهل، وأظهر الحياة، وكشف الحقّ، ومنح عدم الفساد(690). (القدّيس إيريناوس)

✞ من الواضح أنّ الآب تقبّل ذبيحة [الصليب] لا لأنّه بحاجةٍ إليها، بل لأنْ في تدبيره، كان لا بدّ، للإنسان أن يتقدّس عبْر ناسوت المسيح، ولله أن يستدعينا إليه عبْر ابنه الوسيط الذي أتمّ كلّ شيء لأجل مجد الآب(691). (القدّيس غريغوريوس اللاهوتيّ)

✞ اسمع وأنت مرتعد! فذاك الذي علّق الأرض قد عُلّق، والذي ثبّت السماوات قد ثُبّت بالمسامير، والذي سند الأرض قد أُسنِد على عود، والربّ قد عُرّض للخزي بجسدٍ عارٍ، والله قُتل(692). (القدّيس ميليتون)

✞ "المجد له، يا لَكَم تألّم"! فلْتثبتِ السماوات والأرض ممتلئةً رهبةً تشاهده هو الذي يَحكم بعقوبة النار والمُبتلى هو نفسه [الآن] بعقوبة الجلْد، تشاهده هو الذي يبسط فوق الأرض حجابَ السماوات، ويثبّت أساسات الجبال، ويحفظ توازن الأرض فوق المياه، ويرسِل وهج البرق إلى الدنيا، والذي يضربه الحقيرون الآن على عمودٍ حجريّ قد خلقته كلمتُه[693]! (القدّيس إفرام السوريّ)

✞ في بسْطه يديه المقدّستين على الخشبة، نشر المسيح جناحين، الأيمن والأيسر، داعياً إليه جميع المؤمنين ومظلِّلاً إيّاهم كما تحمي الأمّ صغارها[694]. (القدّيس إيبوليتس)

✞ ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار تلك الحالة التي فيها غَلب الربّ وهو على صليبه. فإنّي أراه عرياناً! إذاً، هكذا يجب الارتقاء عند التأهّب لقهر الدهر، دونما التماسٍ لنجدات الدهر. لقد هُزم آدم، هو الذي سعى في طلب ثوب (تك ٣:٧)، فيما الغالب كان ذاك الذي تجرّد من ثيابه. ثمّ ارتقى، مثلما كانت الطبيعة قد شكّلتنا بفعل الله؛ فعلى هذا النحو سكن الإنسان الأوّل الفردوس، وعلى هذا النحو دخل الإنسان الثاني الفردوس. ولكيلا يكون غالباً لأجل نفسه فقط بل لأجل الجميع، بسط يديه ليجتذب إليه الجميع (يو ١٢:٣٢)، بغية أن يفكّ من قيود الموت ويربط إلى نير الإيمان ويوحِّد بالسماء مَن كان مِن الأرض قبلاً[695]. (القدّيس أمبروسيوس)

✞ لو كانت هذه الآلام ظاهريّةً وحسب لكانت أكيداً بلا جدوى، سيّما وأنّ العذاب الذي لا يكون سوى صورةٍ لن ينفع أحداً. إذاً، كان ينبغي أن يتوشّح اللاهوت الحقيقيّ بجسدٍ بشريّ مع حواسّه الحقيقيّة، لكي يَعمد أقنومٌ واحدٌ وحيد هو ابن الله وابن البشر، غيرُ الملموس من جهةٍ والقابلُ التألّم من الجهة الأخرى، إلى إحياء ما كان مائتاً فينا بما كان خالداً فيه. هذا ولم يكن منزّهاً عن الكآبة، ولا عن الخوف، لكي يعطينا من ثمّ قوّة الانتصار على اضطراباتٍ مماثلة، بنعمة اتّحاده،

وأيضاً بقدوة شجاعته. إذ كان لَيبدو أمراً غير عادلٍ أن يحضنّا أحدٌ على الصبر دون أن يشارك ضعفنا في شيء[696]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ إنّ كلمة الله، الذي لا جسد له، قد اتّشح بالجسد المقدّس المقترض من العذراء القدّيسة، كما الخطيب بثوب عرسه، ناسجاً إيّاه لنفسه في ألم الصليب، بغية ضمّ جسدنا المائت إلى قدرته، وإشراك القابل للفساد بمن هو غيرُ قابلٍ للفساد، والضعيف بالقويّ، وبغية تخليص الإنسان الهالك[697]. (القدّيس إيبوليتس)

✞ لقد وُطئ على ربّنا بالموت [جسديّاً]، ولكنّه عاد فسحق هو الموت بما لا يُقاس. إنّه هو الذي جعل نفسه عرضةً للموت وكابده طوعاً، وذلك ليُطرح تحت الموت وفقاً لمشيئة الموت. لكنّه صرخ وهو على الصليب فأبرز الموتى من داخل الجحيم خلافاً لمشيئة الموت، إذ قد حمل الغلبة على الموت متّخذاً قتْل الموت له بالذات بمنزلة دِرع[698]. (القدّيس إفرام السوري)

✞ لقد صُلب ابن الله [فعلاً]، وذلك ليس موضوع خجلٍ بل هو عار. لقد مات ابن الله، وذلك [أمرٌ] يصدَّق لأنّه منافٍ للعقل. لقد دُفن وقام، وذلك أكيدٌ لأنّه مُحال[699]! (ترتليانوس)

✞ في تقريب هيكله وأداة جسده فدية عنّا، كان من العدل أن يسدّد كلمةُ الله دَيننا بموته. وإذْ قد اتّحد هكذا بجميع البشر عبْر جسدٍ مماثلٍ لجسدهم، استطاع ابن الله العادمُ الفساد بحقٍّ أن يوشّح كافة البشر بعدم الفساد.. لقد صار الكلمة جسداً لكي يقرّب هذه الذبيحة ولكي نستطيع التألّه عبر اشتراكنا في روحه، في آنٍ معاً.. إذاً، كان موته عنّا على الصليب موافقاً وملائماً تماماً. وبدا السبب في ذلك وجيهاً حتماً إذْ كان له ما يبرّره بمنتهى الإتقان، ألا وهو أنّ خلاص الجميع ما كان ليتمّ إلا بالصليب. لأنّه، وبعد أن كشف لاهوته من خلال أعماله، بقي عليه أن يقرّب الذبيحة لأجل الكلّ، بتسليمه هيكل جسده للموت لأجل الكلّ، بغية إعتاقهم وتخليصهم جميعاً من [مغبّة] التعدّي القديم. من هنا ظهر أشدّ بأساً من الموت، كاشفاً في جسده

العادم الفساد بواكيرَ القيامة العامّة.. كان موت الجميع يتحقّق في جسد الربّ، فيما كان الموت والفساد يتحطّمان بفعل الكلمة الذي كان مقيماً في هذا الجسد. كان موته ضرورياً إذاً، وكان لا بدّ له من أن يموت لأجل الكلّ، ليسدّد دَين الكلّ[700]. (القدّيس أثناسيوس الكبير)

✠ أيّ شيء أجمل من أن يصبح المرء في اعترافه باسم المسيح شريك آلامه[701]! (القدّيس كبريانوس)

✠ إنّ آلام ربّنا تمثّل بلا انقطاعٍ حتى نهاية العالم. إذْ كما أنّ المسيح في أشخاص قدّيسيه هو نفسه من يُجَلّ، هو نفسه من يُحَبّ، وكما أنّ المسيح في أشخاص فقرائه هو نفسه من يعطى القوت واللّباس، كذلك في أشخاص المتألّمين ظلماً لأجل البرّ يكون المسيح هو نفسه من يتألّم[702]. (القدّيس لاون الكبير)

✠ لا يمكننا الدخول إلى الآب إلا في حالة تضحية، والحال أنّا لا نكون كذلك إلاّ حين يأخذنا المسيح فيه بتضحيته أو حين يستقرّ هو فينا[703]. (القدّيس كيرلس الإسكندريّ)

✠ لا تكون آلام المسيح نافعةً إلاّ لمن يقتفون آثاره[704]. (المغبوط أغسطينوس)

✠ كما يُنقّى الحديد عندما يُحرق ويُضرب، أو كما أنّ الذهب المختلِط بالنحاس أو الحديد ينفصل [عنهما] بالنار، كذلك عبر آلام المخلّص الكلّية الطهر تُطهَّر النفس وقد أُضرمت وخُتمت بالروح القدس من كلّ هوى وكلّ خطيئة[705]. (القدّيس مكاريوس)

<u>ومات ليُحيينا</u>

"أمّا الله فيدلّ على محبّته لنا بأنّه إذْ كنّا خطأةً بعدُ مات المسيح عنّا" (رو ٥:٨)

✠ أؤمن حقّاً أنّه هو الله نفسه من خلال أعماله، وأمّا موته فأعزوه إلى حكمة وتمييز العناية [الإلهيّة] التي شاءت تخليص جنسنا من الموت. لقد ظهر كإنسانٍ لا مثيل له، ثمّ مات؛ وفي قيامته سيُعترف به أنّه إله. لو بقي في السماوات لجُهل صلاحه وهلّلت له القوّات السماويّة وحدها دون أن يتحدّث أحدٌ عن انتصاره في

السماء. إذاً، هذه هي أسباب ميلاده وموته: إنّه خلاص البشر باختصار[706]. (القدّيس غريغوريوس اللاهوتيّ)

✟ لم يكن في وسع العالم أن يخلص إلا بموت المسيح، ومثالُ الربّ إنّما كان يدعو إيمان المؤمنين إلى الفهم ـــ دون وجوب الشكّ في الغبطة الموعود بها، ووسْط تجارب هذه الحياة ـــ بأنّ من اللازم التماسَ الصبر قبل المجد، إذ لا يمكن لغبطة الملكوت في الواقع أن تسبق أوان الألم[707]. (القدّيس لاون الكبير)

✟ بما أنّ الطبيعة الإلهيّة لا تستطيع تقبّل سمة الموت، اتّخذ المسيح بولادته منّا مع ذلك ما سيكون في وسعه أن يقدّمه لنا. هكذا خضع بموته لنواميس القبر، ولكنّه كسرها بقيامته[708]. (القدّيس لاون الكبير)

✟ حين أتى يسوع قاتِل الموت، واتّشح بجسد من ذرّيّة آدم، فصُلب بجسده وذاق الموت، عندئذٍ تأكّد الموت من أنّ يسوع كان مزمعاً على الانحدار إليه، فأخذ يرتجف في مقاطعته، مُصاباً بالتّشنّجات عند رؤيته يسوع. ثمّ أحكم إغلاق أبوابه، إذ لم يكن راغباً في استقباله. آنئذٍ، كسّر يسوع أبوابه، واقتحمه وشرع يجرّده من ممتلكاته.. كان الموت قد ذاق السمّ الذي سيقتله، فانحلّ سلطانه، وعرف أنّ الأموات سينبعثون، مخلَّصين من عبوديّتهم. يسوع الميْت إذاً هو الذي أبطل الموت، إذ به هو تسود الحياة، وبه هو حُطّم الموت الذي قيل عنه: "أين غلبتك أيّها الموت (٢كور١٥:٥٥)"[709] ؟ (أفرهات)

✟ إنّ إظهار كلمة الله لذاته يكون في كلّ بُعد: في الخَلق فوق، وفي التجسّد أسفل، وفي الجحيم في اللجّة، وفي العالم بأسره في اتجاه العَرض. لقد امتلأت كلّ الأمور من معرفة الله، ولهذا السبب لم يقرّب الذبيحة لأجل الكلّ فور مجيئه. فلو أنّه أسلم جسده للموت في الحال ثمّ أقامه ثانيةً، إذاً لكفّ عن أن يكون محطّاً لحواسّنا. بل على العكس من ذلك بقي في جسده، فأفسح المجال ليُشاهد وهو فيه، قائماً بالأفعال ومقدّماً الأدلّة التي تُظهر أنّه ليس إنساناً فحسب بل وأنّه الإله الكلمة أيضاً.

وعليه، فبالمسيح نقرّب ذواتنا، وبه نجرؤ نحن النجسين على الاقتراب. بيد أنّا نقترب من خلال الإيمان، ونقرّب ذواتنا للآب، مع عَرفٍ زكيّ، فقط حين نكفّ عن العيش لأنفسنا وحسب، حين نمتلك في أنفسنا المسيحَ فقط رائحةً للروح طيّبة.. وهذه الرائحة الطيّبة إنمّا هي موت المسيح(710). (القدّيس كيرلس الإسكندريّ)

✠ لم يكن لدى المسيح في ذاته ما يموت به لأجلنا لو لم يكن قد استعار منّا جسداً مائتاً. هكذا استطاع العديم الموت أن يموت، هكذا شاء بذْل حياته عن المائتين، جاعلاً إياهم شركاء في ما هو عليه، بعد أن شاركهم هو أوّلاً في ما هم عليه. إذْ لم يكن لدينا ما نحيا به من جهتنا، ولم يكن لديه ما يموت به من جهته. فأنشأ معنا من ثمّ بعدلٍ علاقةً مدهشة: ما قد مات هو به كان لنا، وما سنحيا نحن به سيكون له. ومع ذلك فقد مات بما هو له، طالما أنّ الجسد أيضاً، الذي مات به، كان هو مَن خلَقه(711). (المغبوط أغسطينوس)

✠ عندما يموت أيّ إنسان، فما يجعله إنساناً بالضرورة، أي ما يميّزه عن الحيوان، أي واقع امتلاكه عقلاً، وتمييزِه ما هو بشريّ عمّا هو إلهيّ، وما هو وقتيّ عمّا هو أبديّ، وما هو باطل عمّا هو حقّ، أعني بذلك نفسه العاقلة، هذه النفس لا تقاسي الموت كجسده؛ بل عندما يموت، إذْ تلبث هي حيّة تتركه، ومع ذلك يُقال: "قد مات إنسان". وعليه، فلمَ لا يقال أيضاً: "قد مات الله"، دون أن يُفهم من ذلك أنّ اللاهوت هو الذي أمكنه الموت، بل [فقط] القسم المائت الذي اضطلع به الله لأجل المائتين؟ على هذا المنوال، وكما أنّ النفس التي في جسد الإنسان لا تموت عندما يموت هو، كذلك الألوهيّة التي كانت في الناسوت لم تمت عندما مات المسيح(712). (المغبوط أغسطينوس)

✠ لقد رقد لنسهر، هو الذي مات لنحيا(713). (المغبوط أغسطينوس)

✠ إنّكم تودّون جميعكم غبطة العيش. ولكن ما الذي يجعل الإنسان مغبوطاً؟ هذا ما لا تريدون التنقيب عنه. كلّ ما يمكنك البحث عنه هنا، حينما تبحث على

طريقة العالم، عندما تبحث وأنت تحبّ الدنيا، حينما تبحث وأنت تلحس التراب (مز ٧١:٩)، إنّما نقوم به لغبطتك؛ بيد أنّه ما من شيءٍ أرضيّ قادر على أن يجعلك مغبوطاً. فلمَ لا تكفّ إذاً عن ابتغاء الكذب (مز ٤:٣)؟.. ولكن، إذْ نزل إليك ووجد الشقاء في بيتك الفقير، لم يأنف منِ الجلوس إلى مائدتك، كما هي، واعداً إيّاك بمائدته.. لقد اتّخذ شقاءك، وسوف يمنحك غبطته.. لقد وعدنا بحياته. بل وما أنجزه هو أكثر إذهالاً أيضاً، إذ أعطانا موته مقدَّماً. ذلك كما لو كان يقول لنا: "إنّي أدعوكم إلى حياتي، حيث لا أحد يموت، حيث توجد الغبطة الحقيقيّة. أوَلا تريدون أن تصدّقوا بأنّي سأعطيكم حياتي؟ إذن خذوا موتي عربوناً". ولذلك، إذْ نعيش الآن في هذا الجسد المعرَّض للهلاك، فلْنمت مع المسيح بتغيير سيرتنا، ولْنحيَ مع المسيح بحبّ البرّ. ذلك أنّا لن نجد الغبطة ما لم نمضِ إليه، هو الذي أتى إلينا، وما لم نبدأ الحياة معه، هو الذي مات لأجلنا[714]. (المغبوط أغسطينوس)

✠ لم يكن إنساناً تافهاً من مات لأجلنا، ولم يكن نعجةً ماديّةً، كما وأنّه لم يكن مجرّد إنسان، ولم يكن ملاكاً فحسب، بل كان إلهاً متأنّساً! ولم يكن إثم الخطأة بمستوى البرّ الذي مات من أجلهم، فنحن لم نخطئ إلى حدٍّ كبيرٍ مثلما زاول البِرَّ ذاك الذي بذل حياته لأجلنا[715]. (القدّيس كيرلس الأورشليميّ)

✠ لا تخشوا من بعدُ المذمّات والصلبان والموت. فلو كانت هذه كلُّها تضرّ الإنسان حقّاً، لما قبلها ابن الله لأجل البشريّة التي اتّخذها[716]. (المغبوط أغسطينوس)

✠ لا ريب في أنّ كلّ ذلك لم يكن لائقاً بالله، ولكنّه كان ضروريّاً للإنسان. من هنا صار لائقاً بالله، سيّما وأنْ لا شيء يليق بالله أكثر من خلاص الإنسان[717]. (ترتليانوس)

✠ ينبغي أن تكون وصيّة المسيح محفورةً على أجسادنا. وهذه الوصيّة إنّما تكون محفورةً على أجسادنا حين نحمل موته فينا، حين نكوِّن في ذواتنا مشابهةَ هذا الموت؛ وها هي الشهادة المؤدّاة لتجسّده التي ينتظرها منّا[718]. (أوريجانيس)

✝ فيما كنّا نحن محكوماً علينا بالموت بداعي الخطايا التي اقترفناها، فيما كنّا قد تلقّينا هذا الحكم لأجل هذا السبب، كان هو من قبِل الموت لأجلنا. وفيما كنّا نسقط نحن تحت وطأة اللعنات لمخالفتنا الناموس، كان هو مَن "صار لعنةً" لأجلنا، على ما كُتب: "ملعونٌ كلّ من عُلّق على خشبة (غلا ٣:١٣)".. أمّا نحن، فكنّا نسقط تحت وطأة العقوبات لأنّنا خطئنا، ولكنّه هو من تحمّل العقوبات لأجلنا واستحقّ لنا السلام، مع أنّه كان منزّهاً عن الزلاّت. يا لها من طريقةٍ غريبةٍ ومستغرَبةٍ للشفاء! فالطبيب [هنا] هو مَن تكبّد العمليّة الجراحيّة، والمريض هو مَن نال الشفاء. وقد لزِم الصمت في حين آلامه، في حين أنّه كان قبل آلامه يتحاور ليلاً ونهاراً باسطاً تعليمه المفعَم بالمنفعة. وفيما كان يُذَلّ، كان في الواقع كنعجةٍ تُساق إلى الجزّ والذبح دون أن يفتح فاه (إشع ٥٣:٧).. لم يقترف زلّةً لا في الأفعال ولا في الأقوال، بل عُني بالحفاظ حتى على طبيعته البشريّة دونما وصمةٍ وخلوّاً من الزلل؛ ومع ذلك سمّروه على الخشبة كفاعل شرّ. وهو لم يتحمّل العقاب المحفوظ للمجرمين فحسب، بل وقد صُلب بصحبة اللصوص أيضاً. وفيما كان اليهود يُشركونه في مصير اللصوص المجرمين، كان من جهته يأخذ على عاتقه خطايا جميع البشر، محتملاً آلامه، ومقاوماً الشياطين المخالِفي الناموس. ولكن، بيده هو حطّم أوجاع الموت، وأظهر نور القيامة، مُطيحاً بالشياطين وموزّعاً أسلابهم على الرسل الذين قد نصّبهم معلّمين[719]. (ثيوذوريتس القورشيّ)

✝ لم يُصلب مع المسيح بعدُ ذاك الإنسان الذي لا يزال عرضةً للنزوات (غلا ٢:١٩-٢٠)، ولم يُدفن معه إن كان لا يزال يصطحب معه الأفكار الفطريّة. إذاً، كيف يمكنه النهوض مع المسيح ليحيا في جدّة الحياة [720] ؟ (الياس الكاهن)

✝ حتى الخليقة نفسها قد كسرت صمتها عند أمره، والعجيب للسَّرْد أنّها اعترفت بصوتٍ واحدٍ أمام الصليب، مَعْلَم الغلبة ذاك، بأنّ الذي تألّم عليه بالجسد لم يكن مجرّد إنسان، بل كان ابن الله ومخلّص الكلّ. فالشمس استترت، والأرض

تزلزلت، والجبال تشقّقت، وارتاع جميع البشر. وأظهرت الأحداث أنّ المسيح على الصليب كان الله، وأنّ الخليقة بأسرها كانت أَمَته وكانت تشهد بخوفها لحضور سيّدها. ولذا، فإنّ طبيعة موته الجسديّ هي في الواقع محور إيماننا نفسُه، إذْ به أيضاً، وليس أقلّ ممّا بسائر أفعاله، قد ظهر المسيح على أنّه الله وابن الله.. ذلك أنّه اتّخذ جسداً، تماماً لكي يصير قابلاً للموت، ويمنع الموت الذي اعتاد على اعتراض سبيل القيامة.. ومع كونه مات ليفتدي الكلّ، إلاّ أنّه لم يرَ فساداً، بل قام جسده بمنتهى الكمال، إذْ لم يسكن جسدَ أحدٍ آخر سوى مَن هو الحياة بالذات. لقد قبِل الموت بأيدي البشر، وبهذه الوسيلة ليُبيده تماماً بواسطة جسده. وكان على الموت أن يسبق القيامة، لأنْ لم يكن في الإمكان أن توجد قيامة بدونه. إذْ إنّ موتاً غامضاً وبلا شهودٍ كان لَيترك القيامة بلا أيّ برهانٍ أو بيّنةٍ لتأييدها. بل، ولمَ يموت موتاً غامضاً طالما أنّه صرّح بحدث قيامته جهاراً؟ وكيف كان باستطاعة تلاميذه أن يتجاسروا على التحدّث في القيامة لو لم يتمكّنوا من إعلانها كواقعٍ لكونه مات أوّلاً؟ أو كيف كان يمكن التوقّع من سامعيهم أن يصدّقوا توكيدهم إلاّ لكونهم قد شهدوا هم أنفسهم أيضاً لموته. أو كيف كان من الممكن أن يعلَن هلاك الموت والانتصار عليه لو لم يكن الربّ قد تحدّاه هكذا على مرأى من الجميع، وبرهن عن إلغائه وإبطاله من الآن فصاعداً بعدم انحلال جسده؟.. وهنا، ثمّة تناقضٌ عجيبٌ استثنائيٌّ قد حدث، لأنّ الموت الذي اعتقدوه عاراً أو خزياً يُلحِقونه به قد صار الأثرَ الباقي المجيد على هزيمة الموت. كما وأنّه لم يكابد ميتة يوحنّا، الذي قُطعت هامته، ولا نُشِر إرباً مثل إشعيا، بل قد حفظ جسده سالماً غير منقسمٍ حتى في الموت، بحيث لا يكون ثمّة عذرٌ من بعد لمن يودّون شقّ الكنيسة. ولكن، إن شاء أيّ مسيحيّ صادق أن يعرف لماذا كابد الموت على الصليب وليس بأيّة طريقةٍ أخرى، فنجيبه هكذا: ليس من طريقةٍ أخرى كانت تلائمنا، فقدّم الربّ لأجلنا بالفعل تلك الميتة التي كانت مفيدةً [لنا] بامتياز. ذلك أنّه أتى ليحمل اللّعنة التي كانت تثقّل علينا؛ وكيف كان له أن

"يصير لعنةً (غلا ٣:١٣)" إلاّ في قبوله الموتَ الملعون؟ وذاك الموت إنّما هو [موت] الصليب، إذْ قد كُتب: "ملعونٌ كلّ من عُلّق على خشبة". إلى هذا، موت الربّ هو افتداء الجميع، وبه هُدم "الحائط الحاجز (أف ٢:١٤)" وتمّت دعوة الأمم. إذاً، كيف كان باستطاعته أن يدعونا لو لم يُصلب، سيّما وأنْ على الصليب فقط يموت الإنسان ممدود الذراعين؟ هكذا الأمر تماماً، إذ قد سبق فأنبأ عن طريقة موته المحرِّر [بقوله]: "وأنا متى رُفعت اجتذبت إليّ جميع البشر (يو١٢:٣٢)".. هنا أيضاً ترى كم كان أمراً صحيحاً وطبيعيّاً أن يتألّم الربّ على هذا النحو، لأنْ في "رفعه" هكذا، طهَّر الجوّ من تأثيرات العدوّ الشرّيرة كافة. يقول: "رأيت الشيطان ساقطاً كالبرق (لو ١٠:١٨)"، وهكذا أعاد فتْح الطريق نحو السماء، إذْ قال أيضاً: "إرفعوا أيّها الرؤساء أبوابكم، وارتفعي أيّتها الأبواب الدهريّة (مز ٢٣:٧)". لأنْ ليس "الكلمة" نفسه من كان محتاجاً إلى فتح الأبواب، كونه ربّ الكلّ، ولا كان أيٌّ من أعماله محظوراً على صانعه. لا، بل كنّا نحن المحتاجين إلى ذلك، نحن الذين رَفَعَنا هو نفسه في جسده، ذاك الجسد الذي قرّبه هو أوّلاً ليموت عن الجميع، والذي صنع به من ثمّ السبيل إلى السماء. وممّا لا ريب فيه أنّه كان قادراً على إقامة جسده وإبرازه حيّاً بعد الموت على الفور، إلاّ أنّ المخلّص الكليّ الحكمة لم يفعل ذلك، خشية أن ينكر البعض حقيقة أو نجازَ موته. عدا هذا، لو لم تكن الفترة الفاصلة ما بين موته وقيامته يومين لما ظهر مجدُ عدم فساده. فلقد انتظر يوماً كاملاً ليُظهر أنّ جسده مات حقّاً، ثمّ وفي اليوم الثالث أظهره عادم الفساد للجميع. لم تكن الفترة الفاصلة أطول من ذلك، لئلاّ ينسى الشعب أمره وينبت لديه الشكّ في ما إذا كان هذا الجسد هو نفسَه في الواقع. لا، بل فيما المسألة لا تزال تطن في آذانهم، وفيما كانت عيونهم لا تزال مفتوحةً بسَعةٍ وعقولهم مضطربة، وفيما كان قاتلوه لا يزالون في المكان نفسه يشهدون هم أنفسهم على حدث موته، أظهر ابن الله جسده الميْت مرّةً خالداً وعادم الفساد بعد ثلاثة أيّام. وكان من البيّن عند الجميع أنّ الجسد الذي سكنه

"الكلمة" قد مات لا عن ضعفٍ طبيعيّ، بل لكي يُقتل الموت فيه بقدرة المخلّص. قبل وِفادة المخلّص الإلهيّة، حتّى أقدس البشر كانوا يخافون الموت، ويتفجّعون على الموتى كونهم قد هلكوا. أمّا وقد أقام المخلّص جسده الآن فلم يعد للموت من رهبة، بل كلّ الذين يؤمنون بالمسيح يدوسون الموت تحت أقدامهم كلا شيء، ويؤْثرون الموت على جحْد إيمانهم بالمسيح، عارفين تمام المعرفة أنّهم لن يهلكوا عندما يموتون، بل يحيون حقّاً ويصيرون عادمي الفساد عبر القيامة.. أيضاً، بعلامة الصليب يعطَّل كلّ سحر، وتُدحض كلّ شعوذة، وتُخذل كلّ الأصنام وتُترك، وتنقطع كلّ متعةٍ حمقاء، لأنّ عين الإيمان ترفع بصرها من الأرض إلى السماء. إذاً، من الذي ندعوه ميْتاً؟ هل ندعو المسيح ميتاً، هو الذي أنجز كلّ شيء؟ ولكن، ما من قدرةٍ لدى الميْت لإنجاز أيّ شيء. أو هل ندعو الموت موتاً، هو الذي ما أنجز شيئاً البتّة، بل ظلّ عادم الحياة وعاجزاً كالأرواح النجسة والأصنام؟.. إنّ الإنسان الأعمى لا يستطيع رؤية الشمس، لكنّه يعرف أنّها موجودة فوق الأرض من الدفء الذي تعطيه؛ وبالمثل فليَعترف القابعون في عمى عدم الإيمان بألوهيّة المسيح، وبالقيامة التي أحدثها من خلال قدرته الظاهرة في آخَرين[721]. (القدّيس أثناسيوس الكبير)

✠ في مَن "يسوع ميْت"؟ بلا أدنى شكّ، في أولئك الذين يُقال عنهم إنّهم غالباً ما بتوباتهم ثمّ انتكاساتهم يُهينون موت يسوع، أولئك الذين يكشف عنهم الرسول في رسالته إلى العبرانيين قائلاً: "إنّهم يصلبون ابن الله بأنفسهم ثانيةً ويسخرون منه علانيةً (عب٦:٦)". ها أنت ترى إذاً، أنْ في أولئك الذين يخطأون، من المؤكّد لا أنّ يسوع يموت فحسب، بل أنّه "يُصلب" من قِبلهم و"يُستهزأ به". إلى ذلك، أنت نفسك لاحظ نفسك. وإذا كنت تفكّر في البخل وترغب في الاستيلاء على مال الآخر، أفَيمكنك القول: "المسيح يحيا فيّ"؟ أو إذا كنت تفكّر في الفسق، إذا ما زعزعك الغضب، إذا ما ألهبك الاشتهاء، إذا ما غزّتك شوكة الحسد، إذا ما استولى عليك السكر، إذا ما تحمّست بالكبرياء، إذا ما أفعمت ذاتك بالقساوة، أفَيمكنك القول

في هذا كلّه: "المسيح يحيا فيّ"؟ إذاً، "المسيح يموت" بالنسبة إلى من يخطأون؛ إذ لا يُحدث البرّ فيهم شيئاً، ولا الصبر، ولا الحقّ، وكلّ ما يكونه المسيح.. وأيّة فائدة لي إن لم يكن حيّاً فيّ وفي قلبي، إن لم يُنجز فيّ أعمال حياة؟ أيّة فائدة لي إن جاء المسيح يرعى ويستعيد ثروته عند شخصٍ آخر، بداعي الدراسات الصالحة والإيمان الصالح والأعمال الصالحة، بينما عندي وفي قلبي، وبسبب الأفكار السيّئة والرغبات الكافرة والدراسات الجزيلة الضرر، يكون مخنوقاً ومقتولاً؟.. أمّا الآن، فلْيستجوب كلّ واحدٍ نفسه، وليتفحّص في قلبه بهدوءٍ أيّة شعلة حبٍّ تُلهبه إيثاراً فوق كلّ ما تبقّى، وأيّ شعورٍ يضطرم فيه بأوفر حرارةٍ من كافّة المشاعر الأخرى. أنتم أنفسكم احكموا، وفي ميزان فحصكم قَبِّنوا؛ وإن كان ثمّة شيء له وزن في ميزان حبّك أكثر، فهذا هو الإله بالنسبة إليك. وأمّا نحن، فعسانا نستطيع التفوّه أقلّه بهذا (رو ٨:٣٨-٣٩): "لا الذهب ولا الفضّة، ولا متعة الجسد، ولا مجد الدهر، ولا الكرامة الوقتيّة الزائلة، ولا الملذّات الحسيّة، ولا العاطفة تجاه الأولاد أو الزوجة، تقدر أن تفصلنا عن محبّة الله"؛ إلاّ إذا أُبيح لنا القول بثقةٍ أنْ "لا محبّة الأدب الدنيويّ، ولا سفسطات الفلاسفة، ولا خِدع المنجّمين مع دوران الكواكب المزعوم، ولا التكهّنات المبتكَرة من غشّ الشياطين الماكر، ولا ـــ حتماً ـــ أيُّ حبٍّ لسابق عِلمٍ يُتوخّى بوسائل محرّمة، تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع". إلى ذلك، أوَليس أصل الضلال عند الوثنيّة كلّها كامناً في ابتغاء البشر أن تكون آلهةً تلك الحقائقُ التي يحبّونها جداً، وفي تعيين اسمٍ إلهيٍّ للرذائل كلّها ولشهوات البشريّة كافة؟.. فلْنسهر إذاً، ولنسرع إلى تطهير ذواتنا من الرذائل ومن الرغبات الرديئة، بغية التمكّن من استبقاء الله في داخلنا، ولكي يتنازل إلى السكنى فينا ما دام يُسرّ بأعمالنا وأقوالنا وأفكارنا، إن قمنا بكلّ ما نقوم به حسب مشيئته[722]. (أوريجانيس)

ودُفِن ليُقفِر قبورنا

"فمضوا وضبطوا القبر بالحرّاس خاتمين الحجر" (متى٢٧:٦٦)

✠ أمّا يوسف الذي من الرامّة، فقد وُصف بأنّه كان غنيّاً (متى٢٧:٥٧)، لا افتخاراً من الكاتب البتّة للإشارة إلى أنّ رجلاً معروفاً وغنيّاً جداً كان تلميذاً ليسوع، بل لكي يكشف السبب الذي لأجله استطاع الحصول من بيلاطس على جسد يسوع (٢٧:٥٨-٥٩). ذلك أنّ [رجلاً] فقيراً أو غير مشهورٍ ما كان ليتمكّن من الدخول على بيلاطس، ممثّل السلطة الرومانيّة، والحصول منه على جسد المصلوب. وإذ أخذ يوسف جسد يسوع، لفّه في كفنٍ نظيف (٢٧:٥٩). إنّ بساطة قبر الربّ تشجب طموحات الأغنياء، الذين لا يستطيعون الاستغناء عن الثراء حتى في قبورهم. وهوذا أيضاً ما يمكننا فهمه بالمعنى الروحيّ: أنّ من يلفّ يسوعَ في كفنٍ نظيفٍ هو ذاك الذي تلقّاه في قلبٍ نقيّ. ولقد وُضع يسوع في قبرٍ جديد (٢٧:٦٠)، حتى إذا كانت لا تزال فيه أجسادٌ أخرى بعد قيامته لا يُظنّ أنّ من قام كان سواه. أمّا الحجر الموضوع على مدخله، الحجر الضخم، فكان هناك ليُبرهن أنّ القبر لا يمكن فتحه بلا معونةٍ من أشخاصٍ عديدين. ولقد ترك الآخرون الربّ، فيما واظبت النسوة على تأدية واجباتهنّ له. كنّ ينظرن نجاز وعد يسوع، ولذلك استأهلن أن يشاهدنه قائماً هنّ أوّلاً[723]. (القدّيس يرونيمس)

✠ لقد تبلّغ الكهنة أنّهم اشتروا دم صدّيقٍ وظنّوا أنّهم سيفلتون من اتّهام دينونة؛ ومع ذلك، ففي حين أنْ بهذه الكلمات "أنت وما ترى (متى٢٧:٤)" ثبّتوا الذنب على البائع، كانت خطيئة الشارين بالضدّ هي التي أثبتتها شهادةُ البائع. وإذ ابتعد هذا، أهلك نفسه كونه حكم على المسيح. وهكذا تُحدَّد ساعة موت يهوذا بحيث لمّا سبّبت آلام الربّ اهتزازَ وتخريب العلويّات والسفليّات وتعطُّلَ انتظام كافة العناصر المضطربة إلى حدّ إهمال واجبها، لا يعايَن يهوذا عند الأموات (١بط٣:١٩) ولا تكون لديه مَلَكة التوبة بين الأحياء بعد القيامة[724]. (القدّيس إيلاريوس)

✠ لقد اختلس اليهود المال المعطى لنفقة الهيكل بغية شراء كذبة (متى٢٨:١٢-١٤)، وكذلك كانوا قد أعطوا الثلاثين من الفضّة قبْلاً ليهوذا الخائن. إذاً، كلّ الذين يأخذون عائدات الهيكل وما يُحمل إليهم لحاجات الكنيسة فيستخدموها لغاياتٍ غريبةٍ إشباعاً لرغباتهم الخاصّة، إنّما يماثلون الكتبة والفريسيين الذين يشترون الكذب ودم الربّ[725]. (القدّيس يرونيمس)

✠ حقّاً إنّ رؤساء الكهنة يصفّون من البعوضة ويبلعون الجمل (متى٢٣:٢٤). فإن لم يُلقوا الفضّة في الخزانة (٢٧:٦)، بين التبرّعات المقدّمة لله، لأنّها ثمن دم، فلِمَ إذاً أُهرق هذا الدم نفسُه؟.. وفي شراء "حقل الفخّاريّ" بهذا الدم مقبرةً للغرباء (٢٧:٧)، لم تكن نيّتهم البتّة أن يخلّفوا باقتناء هذا الحقل الشهادة الأبديّة على كفرهم. أمّا نحن الذين كنّا غرباء عن الناموس والأنبياء، فلقد تلقّينا ثمر جورهم لخلاصنا وامتلكنا الراحة بثمن دمه. إلى هذا، سُمّي الحقل "حقل الفخّاريّ"، لأنّ فخّاريّنا هو المسيح (تك ٢:٧؛ يو ١:٣؛ إشع ٤٥:٩)[726]. (القدّيس يرونيمس)

✠ لقد تلقّى الجند الأمر بحراسة جسد يسوع، لئلاّ يتمكّن التلاميذ من تمويه سرقته كما قيل (متى٢٧:٦٤)؛ بيد أنّ سَير الأحداث انتهى إلى عدم بقاء أيّ عذرٍ سفيهٍ عند من كانوا يودّون تمويه البرهان على القيامة[727]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✠ "مرْ إذاً أن يُضبط القبر إلى اليوم الثالث، لئلاّ يأتي تلاميذه ويسرقوه ويقولوا للشعب: إنّه قام من الأموات (متى٢٧:٦٤)". لم يكن ليكفي رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين أن يصلبوا الربّ والمخلّص، بل كان لا بدّ لهم أن يضبطوا قبره، وأن يطلبوا حرساً، وأن يختموا الحجر، وأن يقاوموا قيامته بقدْر ما كان هذا الأمر متوقّفاً عليهم، وذلك لتكون اهتماماتهم المدقّقة نافعةً لإيماننا. في الواقع، كلّما ازديد في اتّخاذ الحيطة تجلّت أكثر قدرة القيامة. ولهذا السبب أيضاً دُفن في قبرٍ جديدٍ محفورٍ في الصخر، خشية أن يستطاع القول بأنّ أساسات القبر نُقبت من تحت وسُرق الجسد سرّاً، لو كان مبنيّاً من حجارةٍ كثيرة[728]. (القدّيس يرونيمس)

✝ وكان أيضاً في هذا الوقت رجلٌ حكيمٌ اسمه يسوع إن كان جائزاً أن يدعى إنساناً وكان صانعاً عجائب كثيرة ومعلّماً للذين أرادوا أن يتعلّموا الحقّ وكان له تلاميذ كثيرون من اليهود والأمم هو المسيح الذي اشتكى عليه رؤساؤنا وأكابر أمّتنا وسلّمه بيلاطس البنطيّ للصلب. ومع هذا كلّه الذين تبعوه من البداءة لم يتركوه وقد نُظر إليه حيّاً ثلاثة أيّام بعد صلبه كما كان قد تنبّأ بعض الأنبياء وصنع معجزات أخر كثيرة ولم يزل إلى يومنا هذا بعض الناس يدعون مسيحيين الذين يعترفون به رئيساً لهم... ولأنّ نور الله سبحانه يستقرّ في المواضع الطاهرة والمقدّسة ولا يلبث ولا يقطن في المواضع النجسة والأماكن الدنسة فإذا انتقل نور الله من بينكم وبعُد عنكم فأيّ خير ترجونه بعد ذلك. وأنا أعلم أنّ كلامي لا يؤثّر فيكم وأنّكم لا ترجعون عمّا أنتم عليه ليتمّ ما حكم الله به عليكم من هلاك هذه المدينة وخراب هذا القدس الجليل إذ سفكتم به دم الزكيّ البار فلذلك قد قست قلوبكم وصارت كالحجارة.. وأنتم لا تنجع فيكم المواعظ مع كثرتها ولا يحصل لكم انتفاع بها ولا تلين قلوبكم ولا تخضع. غير أنّي قد بلغت الغاية فيما يلزمني من نصحكم والمشورة عليكم بما ينفعكم ويعود بصلاح أحوالكم فاقبلوا نصحي[729]. (يوسيفوس المؤرّخ اليهوديّ / مقتطفات من كلامه لليهود عند حصار أورشليم)

✝ هوذا قبر المسيح في الواقع، والذي لا يعرف غشّاً ولا إثماً. فهو قطع السبيل على كلّ الأعذار، والانتصار على اليهود بشهادةٍ منهم (متى٢٨: ١٢-١٥). لأنْ لو كان الرسل هم الذين دفنوه، إذاً لقال اليهود حتماً بأنّه لم يُدفن، بما أنّهم قالوا إنّه سُرق[730]. (القدّيس أمبروسيوس)

✝ إنّ من لم يكن مماثلاً للأموات الآخرين، ومَن عند موته بدا ينبوع حياةٍ بذلك الدم وذلك الماء الخارجَين من جنبه المفتوح، كان لا بدّ له أن يدفن في قبرٍ جديدٍ خالٍ من كلّ دنس. كان لا بدّ أن يكون قبره مكتنفاً بالطهارة على غرار مولده البتوليّ[731]. (أوريجانيس)

✞ لقد رُتّب من العناية الإلهيّة أن يوضع [الربّ] في قبرٍ جديدٍ لم يوضع فيه أحد من قبل لكيلا تُحسب قيامته وكأنّها لأحدٍ آخر مدفونٍ هناك معه، ولكي يتمكّن التلاميذ من المجيء بسهولة فيعاينوا ما قد جرى، سيّما وأنّ الموضع كان قريباً، ولكيلا يكونوا هم وحدهم شهود دفنه، بل أعداؤه أيضاً، لأنّ الختوم الموضوعة على القبر وإقامة الجند لحراسته (متى٢٧:٦٦) كانت أفعال بشرٍ يشهدون على الدفن. إذْ قد شاء المسيح أن يُعترف بهذا جدّياً، وليس أقلّ ممّا بالقيامة. ولذلك، كان التلاميذ هم أيضاً بمنتهى الجدّيّة في هذا الشأن، ليُظهروا أنّه مات [فعلاً]. لأنّ كلّ الزمن اللاحق كان ليؤكّد القيامة، بواسطة الموت، ولو كُتم هذا الأخير جزئياً في ذلك الحين أو لو لم يكن بيّناً تماماً لأساء على الأرجح إلى أهميّة القيامة. وهو لم يُدفن على مقربةٍ لأجل هذه السبب فقط، بل ولكي يتثبّت أيضاً أنّ الإشاعة بشأن السرقة كانت كاذبة (متى٢٨:١٢-١٥).. فلقد نهض فيما كان الحجر والختم كلاهما يتربّصان به، بل وإذ كان ضرورياً أن يبدّد الشكّ تماماً لدى الآخرين، فُتح القبر بعد القيامة، وهكذا ثُبّت ما قد حدث.. وكيف سرقوه؟ يا أشدّ الناس حماقةً بين كلّ البشر! فبسبب وضوح الحقيقة وجلائها، لم يكن في وسعهم حتى أن يخترعوا كذبة، سيّما وأنّ ما قالوه كان أمراً لا يصدّق بالفعل وأنّ الكذبة لم تكن معقولةً أبداً. وإني لأسأل: كيف سرقه التلاميذ، أيّها الجديرون بالازدراء والجهّال، دون أن يجازفوا إلى حدّ كشف أنفسهم؟ ماذا؟ أولَم يكن ثمّة ختمٌ قد وُضع فوقه؟ ماذا؟ أولَم يكن ثمّة حراس، وجند، ويهودٌ قد وُضعوا حوله؟ ماذا؟ أولَم يكن أولئك القوم يرتابون في هذا الأمر بالذات، فيهتمّون له ويُنهكون استراحتهم ويواصلون القلق بشأنه؟ وفضلاً عن ذلك، لِمَ سرقوه؟ ألكي يتمكّنوا من تلفيق عقيدة القيامة؟ وكيف كان لها أن تلج أذهانهم ليختلقوا أمراً كهذا، هم الذين كانوا مرتاحي البال تماماً بما أنّهم مختبئون وعلى قيد الحياة؟ وكيف كان باستطاعتهم أن ينزعوا الحجر الذي وُضع بلا ريب؟ كيف كان باستطاعتهم أن يفلتوا من مراقبة الكثيرين؟.. زِد على أنّهم كانوا جبناء،

وقد أظهرت أفعالهم السابقة ذلك بوضوح؛ أقلّه عندما رأوه مقبوضاً عليه فسارعوا جميعهم ليبتعدوا عنه. في الواقع، حتى هذا الأمر يُثبت القيامة، أعني حقيقة قولهم بأنّ التلاميذ سرقوه؛ إذ هذه لغة قومٍ يعترفون بأنّ الجسد لم يعُد هناك. إذاً، لمّا اعترفوا بأنّ الجسد لم يكن هناك بدت سرقته كاذبةً وأمراً لا يصدَّق، سيّما وأن بحراستهم على مقربةٍ منه، وبالختوم، وبجبن التلاميذ، ظهر البرهان على القيامة من هذه الأمور خصوصاً بما لا يقبل الجدل[732]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

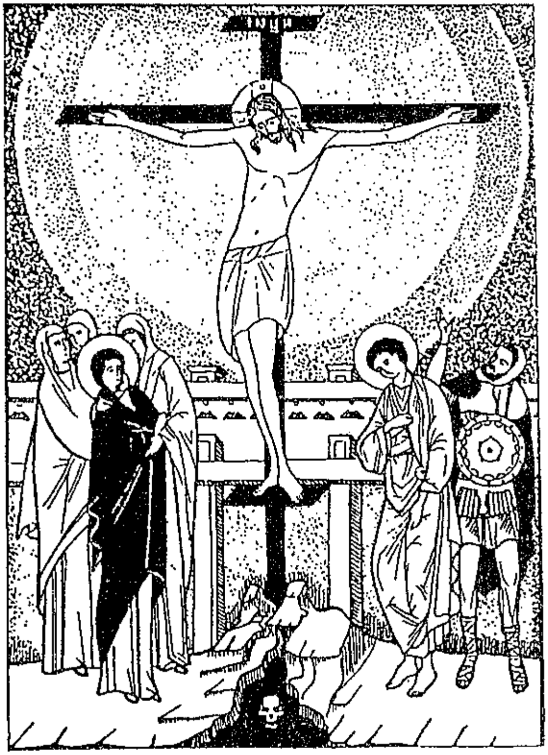

السبت العظيم المقدّس (سبت النور)

قراءات الغروب تك١:١-١٣/ إشع ٦٠:١-١٦/ خر ١٢:١- ١١/
يون ١:١ ي/ هو ٥:١٠-١٥/خر ١٣:٢٠-١٩:١٥ / صف ٣:٨-١٥/
١مل ١٧:٨-٢٤/ إشع ٦١:١٠-٦٢: ٥ /تك ٢٢:١-١٨/ إشع ٦١:١-٩/
٢مل ٤:٨- ٣٧ / إشع ٦٣:١١- ٦٤:٥ / إرم ٣١ :٣١-٣٤/ دا ٣:١-٢٣
(+) تسبحة الفتية.

وفي القدّاس الرسالة رو ٦:٣-١١ الإنجيل متى ٢٨:١-٢٠

المسكنة القصوى

"وكان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ" (يون١:١٧)

✠ إنّك لم تنحدر إلى الجحيم إلاّ لتحرير هؤلاء الأموات، وأمّا هم فلن يباغتوك. سوف تنقذهم جميعاً، لأنّك أنت وحدك حرّ. لديك أنت وحدك هذه الجرأة بين البشر، عليك أنت وحدك التألّم لأجلِ الطبيعة البشريّة. الحروب التي كانت تنتظرك قد انتهت الآن ولم يعد لديك سوى الفوز بالغلبة على أعدائك، في سحقك الجحيم والحيّة والموت إلى الأبد.. على موتك أنْ يقلب مصيرنا المشترك، ولَسوف تحرز المجد على الأرض بأسرها عند قيامتك، عبر جلبك الخلاص وتجلّي جسدك في قرابتك للآب[733]. (القدّيس غريغوريوس اللاهوتيّ)

✠ لقد انحدر إلى الجحيم ليثبت بأنه لا يزال ينبوع الحياة ولو انفصل عن جسده الذي كان قد اتّخذه[734]. (إفسافيوس القيصريّ)

✠ عندما تسمع بأنّ المسيح نزل إلى الجحيم ليخلّص النفوس التي هناك، لا تَحسبْ أنّ ما يجري الآن مختلفٌ جداً. فالقلب قبرٌ وفيه دُفنت أفكارنا وذهننا، محبوسةً في ظلمة عميقة. وهكذا يأتي المسيح إلى النفوس التي تدعوه من الجحيم، فينحدر، أي إلى أعماق القلب، وهناك يأمر الموتَ بأن يُطلق النفوس المحبوسة التي تدعوه، لأنّه قادر على تحريرنا. وبعد أن يرفع الحجر الثقيل الذي يضغط على

النفس، ويفتح القبر، يقيمنا ــ لأننا كنّا أمواتاً حقاً ــ ويُطلق نفسنا المحبوسة من سجنها المظلم[735]. (القدّيس مكاريوس)

✠ بغية أن ينبت عدم الفساد حيث زُرِع الفساد، وبغية أن يظهر العادم الموت عادم الموت وهو بهيئة نفس بشريّة حيث كانَ الموت يحارِب، لم يترك اللاهوتُ الجسد في القبر، كما أنّه لم ينفصل عن النفس في الجحيم.. ذلك أنّ الجحيم ما كانت لتستطيع احتمال اللاهوت بلا حجاب[736]. (القدّيس أثناسيوس الكبير)

معموديّة الخلاص

"إن كلّ من اصطبغ منّا بالمسيح يسوع اصطبغ في موته" (رو ٦ :٣)

✠ لقد أتى ملكوت الحياة ولا وجود لسلطان الموت من بَعد. وثمّة ولادة جديدة، وعيشة جديدة، ونهج حياةٍ جديد، لا بل ثمّة استحالة جوهريّة لطبيعتنا بالذات. فهذه الولادة إنما تحدث "لا من دمٍ ولا من مشيئة رجل، ولا من مشيئة جسد، بل من الله (يو ١٣:١)". وكيف تحدث؟ سوف أعطيكم رسماً توضيحياً للنعمة بكلمات. ذلك أنّ هذه الولادة تُعقل بالإيمان، فهي تبرز نحو النور عبر الميلاد الثاني في المعمودية، والكنيسة ترضعها، من تعليمها الذي هو بمنزلة ثديين لأجلها، فيما يكون الخبز الذي من العلى هو غذاءها. أما السيرة النبيلة فتقابل ملء القامة، والزواجُ حياةً تعاش معاً بحكمة، والأولاد الرجاء، والعائلة الملكوت، والميراث والثروة مباهجَ الفردوس، وأخيراً، بدلاً من الموت، الحياةُ الأبدية في الغبطة المعدّة للقدّيسين[737]. (القدّيس غريغوريوس النيصيّ)

✠ لاحظ هنا أيضاً كيف يوضح الرسول فكرته بحذر، فهو لا يقول إنهم تركوا الناموس لأنه فاسد، بل لأنه ضعيف. وإن كان الناموس عاجزاً عن منح الصلاح، فينتج عن ذلك أنّ الختان غير ضروريّ. ثم يتابع فيُظهرَ أنّه ليس غير ضروري فحسب بل أنّه خطر؛ بل يتكلّم بلهجة أشدّ ويقول: لو كان الإيمان بالمسيح غير نافع لتبريرنا بل كان ضرورياً أيضاً أن يُعتنق الناموس، ولو كنّا بتخلّينا عن الناموس

لأجل المسيح لا نبرّر بل ندان على تخلٍّ كهذا، إذاً لَسوف نؤثر المسيح، الذي لأجله تخلّينا عن الناموس وانتقلنا إلى الإيمان. لاحظ تمييز الرسول. فلقد سعى خصومه إلى الكشف بأن من لم يواظب على الناموس كان متعدّياً، لكنّه ردّ الحجج عليهم وأظهر بأن من واظب على الناموس كان متعدّياً، لا للإيمان فحسبُ بل وللناموس نفسه. وهو يعني ما يلي : لقد توقّف الناموس باعترافه هو نفسه، فتخلّينا عنه ولجأنا إلى الخلاص الذي من الإيمان. ولكن، إن كنّا مصرّين على تنصيبه ثانيةً، فلسوف نصير عبر هذا الفعل بالذات متعدّين، إذ نجاهد للتمسك بما أبطله الله. ويضيف السبب لحياته (غلا ٢ :٢٠)، مُظهراً أن الناموس حين عاش قتَلَه، وأنّ المسيح حين مات أعاده عبر الموت إلى الحياة. ثم يُظهر عَجَب [هذه] الثنائية :أنْ بالمسيح وُلد الأموات إلى الحياة وأن بواسطة الموت وُلدوا، في آنٍ معاً. وهو يعني هنا الحياة الخالدة، إذ هذا هو معنى الكلمات "لكي أحيا لله أنا مصلوب مع المسيح (غلا ٢ :١٩)". وهنا يُسأل : كيف لإنسان أن يعيش ويتنفس الآن وقد صُلِب؟.. إنه يلمّح إلى المعمودية، ونمط حياتنا اللاحق، الذي به تُمات أعضاؤنا. وبقوله: "المسيح يحيا فيّ"، قصد أن لا شيء ممّا يستهجنه المسيح يحدث بواسطتي. إذ كما بالموت لم يكن يعني ما هو مفهوم عادةً، بل الموت للخطيئة، كذلك بالحياة قصد التحرّر من الخطيئة. لأن لا يمكن لإنسانٍ أن يحيا لله إلا بالموت للخطيئة، وكما قاسى المسيح الموت جسدياً كذلك مات بولس للخطيئة (كو ٣ :٥)... أمّا الخطيئة، فكما أنّها حين تسيطر تكون هي نفسُها القاعدة الأساسية، وتقود النفس حيثما تريد هي، كذلك حين تُقتل وتكون مشيئة المسيح مُطاعةً لا تعود هذه الحياة ممكنة، بل المسيح هو الذي يحيا، أي يعمل ويسود فينا[738]. (القدّيس يوحنّا الذهبي الفم)

✠ إن الأسفار المفتوحة التي يتحدث عنها دانيال (دا ٧ :١٠) في ديونونة الله، لا يمكنها أن تكون إلاّ سجلاّت زلاّتنا، إذ ندوّنها نحن بحبر زلاّتنا. إنّك تسجّل زلّتك متى خطئت. ولكن، متى وافيت إلى صليب المسيح وإلى نعمة المعمودية، يسمَّر

صكّ خطاياك على الصليب ويمزّق في مياه المعمودية. فلا تكتب ثانيةً تلك الكلمات الممحوّة، ولا تُصلح ذلك الكتاب الممزّق، ولا تحفظ في قلبك شيئاً ما عدا كتاب الروح القدس[739]. (أوريجانيس)

✞ إذ يسكب الكاهن الميرون في جرن المعموديّة المنقّي على دفعاتٍ تحمل شكل صليب، إنّما يُري أعين المتأمّلين في ذلك أنّ يسوع قد انحدر بالصليب إلى الموت نفسه، لأجل ولادتنا نحن من الله، وأنّه تماماً بهذا الانحدار الإلهي الظافر يتكرّم فيُخرج المعتمدين لموته، حسب القول الروحاني (رو ٦:٣)، من هاوية الموت المؤذي القديمة، ويجدّدهم في سبيل وجودٍ ممتلئ من الله وأبديّ[740]. (ذيونيسيوس المنتحل)

✞ كما أن حشا الأم يقتبل زرعاً في الولادة الجسدية وتأتي اليد الإلهية لتجبله، هكذا يصبح الماء في المعمودية حشاً لذاك الذي يولد منه؛على أن نعمة الروح [القدس] هي التي تجبل فيه المعتمد بولادة جديدة[741]. (ثيوذورس الموبسوستي)

✞ يا للرحم الذي يلد أبناء ملكوت السماوات كلّ يوم بلا ألم. فهم ينزلون فعلاً مع زلاّتهم وشوائبهم، ولكنّهم يصعدون أنقياء كالأطفال. ذلك أن المعمودية أصبحت رحماً ثانياً لهم، هو الذي يجعل من الشائخين شباباً في ولادتهم، كما ردّ نهر الأردن نعمان إلى شبابه (٢مل ٥:١٤)[742]. (القدّيس إفرام السوري)

✞ إن الشيطان يحاصرنا بقساوة أشد مذ لبسنا كرامة الأبناء، لأنه ينفلق حسداً عند رؤيته جمال الإنسان الجديد متقدّماً نحو المدينة السماوية، التي منها طُرد. فهو يثير فيكم التجارب الفظيعة ويكدّ في تجريدكم من زينتكم الثانية، كما فعل في المرة الأولى. وعندما نلاحظ غاراته إذاً، علينا أن نكرر قول الرسول: "نحن جميع من اعتمدوا للمسيح، قد اعتمدنا لموته (رو٦:٣)". ثمّ إن كنّا أمواتاً فالخطيئة ميتة بالنسبة إلينا، إذ قد طُعنت بالرمح كما فعل فنحاس في حميّته بالفاسق (عد ٢٥:٨). هيا اذهبي إذاً أيتها الشقية، فأنت إنما تريدين سلب ميْتٍ كان قد استسلم لك قديماً،

والذي كانت شهواته الماضية قد أفقدته الصواب. فالميت لا يميل قطّ إلى جسده، الميت لا تغريه الثروات، الميت لا يفتري، الميت لا يكذب، ولا يختلس ما ليس له، ولا يحتقر من يصادفهم. لقد غيّرتُ أسلوب حياتي، وتلقّنت ازدراء الدنيا، واحتقار الخيرات الأرضية، وتوخّي الخيرات العلوية. ولقد قالها بولس، إذ "صُلب العالم له وهو صُلب للعالم (غلا ٦:١٤)". هوذا خطاب النفس المتجدّدة حقاً، هوذا كيف يعبّر الإنسان الجديد الذاكرُ إعلانَ الإيمان الذي قدّمه لله عند قبول السرّ، حين وَعد باحتقار كل مشقّة وكل لذّة حبّاً له[743]. (القدّيس غريغوريوس النيصي)

✞ إنكم تجاهرون بإعلان الإيمان الذي يخلّص وتغطّسون ثلاث مرات في ماء المعمودية لتبرزوا منه ثانية، إشارةً رمزيةً لأيام المسيح الثلاثة في القبر. يا للمفارقة الغريبة! فنحن لم نمت حقاً، ولم ندفن حقاً، ولم نصلب حقاً قبل أن نقوم، بل نقلّد [هذه الأمور] صُوَرياً؛ ومع ذلك فنحن قد خَلُصنا حقاً. أما المسيح فقد صلب بالفعل، ودفن بالفعل، وقام حقاً. وكل ذلك إنّما وُهب لنا نعمة، حتى إذا ما اشتركنا في آلامه بالاقتداء نحصل على حقيقة خلاصه! يا للصلاح الوافر! فلقد تلقّى المسيح المسامير في يديه الطاهرتين وتألم، فيما حصلت أنا الذي لم يتألم ولم يتعب على الخلاص بنعمته، من جرّاء هذه المشاركة[744]! (القدّيس كيرلس الأورشليمي)

✞ كما أن المصلوب، عندما تلقّى الحكم بالموت، قد انفصل نهائياً عن رفقاء حياته القدماء، كونه ارتفع بالنسبة إلى الكائنات القاصية والدانية على الأرض، كذلك المصلوب مع المسيح بالمعمودية إنما يجد نفسه مترفّعاً عن جميع الأشخاص العائشين بحسب هذا الدهر في آن معاً، كونه قد رفع مشاعره إلى علو المواطنية السماوية، بحيث يمكنه القول بالحق واليقين اللذين في المسيح: "أمّا نحن فموطننا في السماوات (في ٣:٢٠)[745]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

✞ إن كان من كابد الختانة بحسب موسى على جزء من جسده قد ألقي على عاتقه تطبيق الناموس كله، فكم بالحري ذاك الذي كابد الختانة بحسب المسيح،

والتي تقوم كما كتب على خلع جسد الشهوة الخاطئة بجملته، قد ألقي على عاتقه تطبيق كلام الرسول :"إني صُلبت للعالم وصُلب العالم لي (غلا ٦:١٤)"!.. وذلك لأنه التزم عبر ميثاق منيع بأن يتبع الربّ في كل شيء، أي بأن يحيا لله بالكلّية[746]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

✞ المعمودية هي الصليب. إذاً، ما هو الصليب والدفن بالنسبة إلى المسيح تكونه المعمودية بالنسبة إلينا، حتى ولو لم يكن ذلك مماثلاً من حيث الصلة. هذا لأنه مات هو نفسه ودفن بالجسد، فيما نموت نحن وندفن بداعي الخطيئة.. هنا يلمِّح إلى موضوع القيامة، في موازاة الواجب لمسيرةٍ دقيقة ؛لأنك إن شاركت في الموت والدفن فلسوف تشارك في القيامة والحياة بالأكثر.. فهو يطلب منا، بعد أن وُضعت القيامة الآتية أمامنا، حديثاً جديداً آخر يسبّبه تحوّلٌ على مستوى السلوك في الحياة الحاضرة[747]. (القدّيس يوحنا الذهبي الفم)

✞ لقد جُعلتَ ملكاً وكاهناً ونبياً أنت أيضاً في جرن المعمودية. ملكاً، لأنك حططت إلى الأرض كافة أعمال الشر وقتلت خطاياك. كاهناً، كونك قد قرّبت ذاتك لله وضحّيت بجسدك، فصرت من ثم ذبيحاً أنت أيضاً[748]. (القدّيس يوحنا الذهبي الفم)

✞ ليس الفردوس ما قد وعدنا الله بإدخالنا إليه، بل السماء عينها؛ كما وأنه لم يبشِّر بملكوت الفردوس، بل بملكوت السماوات.. لقد خسرت الفردوس، ولكن الله قد أعطاك السماء، لكي يظهر لك أيضاً الحب الذي يكنّه للبشر، ولكي ينال من الشيطان مظهراً له أنه ولو حاك الدسائس آلاف المرات ضد النسل البشري فلن ينفعه ذلك في شيء، لأن الله لا يزال يرفعنا نحو شرف أعظم. لقد خسرت الفردوس إذاً ففتح لك الله السماء، حُكم عليك بعقاب وقتي فأُكرمت بالحياة الأبدية. لقد أمر الأرض بأن تنبت [لك] الشوك والعوسج (تك ٣:١٨)، فأبرزتْ نفسك ثمر الروح [القدس]. أرأيت كم أن الوفرة تفوق الخسارة، وكم أن الغنى أرفع شأناً؟ وهذه مقارنة:لقد صنع الله الإنسان من التراب والماء ثم أقامه في الفردوس، إلاّ أن المصنوع لم يُجدِ نفعاً، بل

ضلّ. ومن ثم، لم يعد الله يشكّله من التراب والماء بل بواسطة الماء والروح؛ وهو لا يعده بالفردوس من بعد بل بملكوت السماوات. إذاً، إن وعدنا بملكوت السماوات وأدخل اللص إلى الفردوس، فهذا يعني أنه لم يعطه الخيرات بعد. ذلك أن اللص دخل الفردوس حكماً لا اختباراً، (..) إذ ما من أحد حصل بعد على الخيرات كمكافأة (عب١١: ١٣، ٤٠)[749]. (القدّيس يوحنا الذهبيّ الفم)

✞ إن من اعتمد في المسيح قد أعطي نعمة، بيد أن هذه النعمة تعمل نسبةً إلى مدى اتّباعه هو الوصايا. وعلى الرغم من أن هذه النعمة لا تكفّ عن مساعدتنا في الخفية، تبقى إجادة الفعل أو عدمها وقفاً على سلطاننا، على مشيئتنا. هذه النعمة إنّما تحثّ ضميرنا بإحكام.. أيضاً قد تتحجب هذه النعمة في نصيحة أحد الإخوة [لنا]، وهي تلقّننا الحقيقة بين الفينة والأخرى من خلال المطالعة الروحية[750]. (القدّيس مرقس الناسك)

✞ أيّها المسيحي، اعترف بكرامتك. وإذ تشارك في الطبيعة الإلهية، لا تعد إلى قذاراتك الغابرة عبر أسلوب حياة لا يجدر بأصلك. تذكّر في أي رأس وفي أي جسد أنت عضو؟ أذكر انك بعدما انتُزعت من سلطان الظلمات، قد نُقلت إلى ملكوت النور الذي هو ملكوت الله. كما أنك صرت هيكل الروح القدس بسرّ المعمودية، فلا تطرد بأعمالك الفاسدة ضيفاً من تلك المنزلة، ولا تجعل نفسك مجدداً تحت سيطرة إبليس، سيّما وأن ثمن افتدائك هو دم المسيح. أمّا ذاك الذي افتداك في رحمته، فسيدينك في حقّه، هو الذي له الملك مع الآب والروح القدس إلى دهر الداهرين[751]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ أريد أن يحسب كل منكم نفسه كذاك الرجل الأعمى. لاحظ عيني روحك، كم كانتا مكفوفتين في الزمن الغابر عن الإلهيات وعن الحياة الجديدة المعطاة في الأسرار، وكم كان بإمكانك النظر إلى العلامات الخارجية فحسب لا إلى الحقيقة الداخلية. ثم التقيت بيسوع يوماً، فأخذ طيناً ووضعه على عينيك. فتسأل: "ومتى كان

ذلك؟ كان ذلك يوم قدّمت اسمك كمرشّح للمعمودية والتحقت بمصف الموعوظين. تلك كانت البداية لكامل عملية استنارتك. فلقد تلقّنت الاعتراف بكل ما كان خطأً في حياتك، والتوبةَ عن خطاياك مُقرّاً بها، والتسليم بالحالة التي فيها ولدنا كلّنا عمياناً عن نور معرفة الله[752]؟ (القدّيس أمبروسيوس)

✞ من المستحيل أن يتلقّى الجسد سرّ المعمودية إنْ لم تتلقّ النفسُ قبلاً حقيقة الإيمان[753]. (القدّيس يرونيمس)

✞ بعد حميم المعمودية، يصبح جسد المجدَّد جسدَ المصلوب.. هوذا ما يرفع رغبات النفس بحياة جديدة(رو ٦:٤) ويطفئ شهوات الجسد[754]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ إن التغطيس الثلاثي في إعادة الولادة إنما هو صورة الأيام الثلاثة لموت الرب[755]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ إن من لبس المسيح يكون لابساً بالمقدار الكافي، وبأناقة[756]. (القدّيس كبريانوس)

✞ لقد أهّلنا، بناء على هذه الولادة من فوق، أن نبدّل الأمكنة والشيَم ورفقاء السيرة[757]. (القدّيس باسيليوس الكبير)

✞ أتريد أن تكون مسيحيّاً؟ إذن احذُ حذو يسوع المسيح دوماً.. ويتوجّب على من يصبُون إلى الاقتداء بيسوع المسيح أن ينقلوا صورته في كلّ شيء، لأنّهم لبسوا يسوع المسيح، وبات عليهم من ثمّ أن ينشروا مثاله في قلوبهم وفي كلّ طريقة حياتهم وسلوكهم[758]. (القدّيس اكليمنضوس الرومانيّ)

أحد الفصح العظيم المقدّس

الإيوثينا (٢) في الهجمة.

الرسالة أع١:١–٨   الإنجيل يو١:١–١٧

وفي العشية يو ٢٠:١٩– ٢٥

"أنتن تطلبن يسوع الناصري المصلوب. قد قام، ليس هو ههنا" (مر ١٦:٦)

✞ لقد ضحيت بلساني مع المسيح إبان الصوم، ثم أعدت إليه الحياة عندما قام المسيح. أما سبب صمتي، فكان أن أقرّب كذبيحةٍ فكراً محروماً من كل وسيلةٍ للتعبير، وذلك بغية التمكن الآن من تقريب الأقوال المطهّرة(759). (القدّيس غريغوريوس اللاهوتي)

✞ ها نحن قد أنزلنا حِمل الصوم، وأما ثمر الصوم فلا ننزلنّه! إذ من الممكن إنزال حِمل الصوم وجَني ثمر الصوم. اختبار الجهادات بات ينتمي إلى الماضي، ولكن لا تنتمينّ حميّة استحقاقاتكم إلى الماضي. الصوم مضى، ولكن فليبقَ الورع(760). (القدّيس يوحنا الذهبي الفم)

✞ هوذا يوم القيامة، فلنقرّب لله ذبيحةً–هي نحن أنفسنا– ولنقدّم لمن هو "الصورة" ما قد خُلق على صورته، أمراً مكتسباً له والأكثر كرامة بالنسبة إليه. لنعترف بقيمتنا، ولنوقّر النموذج الأصلي، ولنبلغ إلى إدراك قوّة السرّ ومَن لأجله مات المسيح(761). (القدّيس غريغوريوس اللاهوتي)

✞ الخطيئة أن لا تدرك نعمة القيامة. أين الجحيم التي في وسعها أن تكدّرنا؟ أين الدينونة التي سترهبنا إلى حدّ انتصارها على فرح محبّة الله؟ ما هي الجحيم أمام نعمة القيامة؟.. فبدلاً ممّا يستحقه الخطأة بكل عدل يهبهم القيامة، وبدلاً من الأجساد التي انتهكت ناموسه يوشّحهم بالمجد. هكذا ربي، لا أستطيع السكوت إزاء أمواج نعمتك(762). (القدّيس إسحق السوري)

✞ يقول الرسول :"فيه يحلّ كلّ ملء اللاهوت جسدياً، وفيه أنتم تمتلئون (كو ٢:٩-١٠)". إن جوهر الله غير جسدي فكيف أمكنه أن يحلّ في المسيح جسدياً، لو لم يحصل ذلك لأن جسد نسلنا قد صار جسد اللاهوت؟ ولذا نمتلئ نحن من الله في ذاك الذي فيه صلبنا، والذي فيه دفنّا، والذي فيه أُقمنا أيضاً[763]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ إن قيامة المخلّص لم تحفظ نفسه في الجحيم طويلاً، ولا جسده في القبر؛ فالحياة قد عادت إلى جسده غير الفاسد بسرعةٍ حتى إنه بدا نائماً أكثر ممّا بدا ميتاً. ذلك أنّ اللاهوت الذي لم ينسحب من الجوهرين المكوّنين للإنسان المتّخذ إنما ضمّ بقدرته ما كانت قدرته قد فصلته[764]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ من تُراه يكرّم حقّاً المسيح المتألم والمائت والقائم، إلاّ ذاك الذي معه يتألم ويموت ويقوم؟ أن تنفذ مسامير خوف الله في الجسد، ماذا تراه سوى حفظ الحواس من إغراء الرغبات المحرّمة، في خشية الدينونة الإلهية؟.. ولكن، من المهم أن نعرف لمن نموت ولمن نحيا، لأن ثمة موتاً يحيي وحياةً تميت؛ والحال أن ليس في مكان آخر يفتَّش عن هذه وذاك إلاّ في الزمان الزائل. فلنمت إذاً للشيطان ونحيَ الله، ولنمت عن الإثم حتى نقوم للبرّ، لِتغب الحالة القديمة فتنهض الجديدة. وإذ "لا يستطيع أحدٌ أن يخدم سيّدين، حسب قول الحقّ (متى٦:٢٤)، فلنتّخذ سيّداً لنا لا ذاك الذي يزعزع الواقفين ليفضي بهم إلى سقوطهم، بل ذاك الذي يُنهض الساقطين ليقودهم إلى المجد[765]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ إنّ سرّ تجسّد الكلمة يحوي في ذاته معنى كافة الرموز وكافة الألغاز التي في الكتاب، إضافةً إلى المعنى المستتر في كلّ الخليقة الحسّية والعقلية. أما من أحاط بسرّ الصليب والقبر فيعرف أيضاً المبادئ الأساسية لكلّ الأمور. وأما من جدّ بعدُ أكثر، وألفى نفسه مندرّجاً في سرّ القيامة، فيستشعر النهاية التي لأجلها خلق الله كلّ الأشياء منذ البدء[766]. (القدّيس مكسيموس المعترف)

✞ أيّ برهانٍ على القيامة أعظم من تلك القدرة المذهلة التي أظهرها المسيح الذبيح بعد موته! فهو يُقنع بشراً مفعمين حيويّةً بوجوب نكران الوطن والعائلة والأصدقاء والأهل والنفس أيضاً من أجله، وأن يؤثروا الصدمات والأخطار والموت على الخيرات الحاضرة[767]. (القدّيس يوحنا الذهبيّ الفم)

✞ لقد قام الربّ ومعه أقام الكون. قام بعد أن كسّر أغلال الموت، وأقامنا كلّنا مقطّعاً سلاسل خطايانا (..) إذ كان آدم قد احتجز من الشيطان. يوم أمس الأول صُلب المسيح، لكنّه قام الليلة الماضية ومعه المعمّدون الجدد. وأنتم بدوركم، إنما يسلّحكم المسيح ضد الشيطان. بل وكمثل معلّم الرياضة المتفوّق، الذي يهتمّ برجلٍ وسخٍ، بمصارعٍ منهوك، متهاون، والذي يمسحه بعد تدريبه، والذي بعد جعله قويّاً لا يَدَعُه يستريح، هكذا يأمرك المسيح بالنزول إلى القتال. لقد أسخطت البهيمة، ولكن لا يعترينّك الخوف بعد أن حصلت على سيفٍ مسنون، بل به اطعن الحيّة. ثمّ إنّ ذاك الذي لا يُسلم جسده للسكر والفسق والرخاوة، والذي يتجهّز بنفسٍ أكثر رشاقةً وأشدّ تجنحاً، كمن يسنده جناحان ويهبط من علوّ الفضاء، إنما بعنفٍ بالغٍ يندفع ضدّ كتائب الشياطين، وبيسرٍ يقلب التسلّطات التي يواجهه بها الشيطان ويخضعها. هذا وعندما يفرح الملائكة، عندما يحتفل رؤساء الملائكة وسيّد قوّات السماوات كلّها بالعيد معنا، أفَثَمّة سببٌ بعدُ ليقبع أحدنا في اليأس[768]؟ (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✞ كان لا بدّ من إعادة طبيعتنا برمّتها من الموت إلى الحياة. وهكذا انحنى الله على جثّتنا ليمدّ يد العون ــ إن جاز القول ــ إلى الكائن الذي كان هناك راقداً. لقد دنا من الموت إلى حدّ أنه لامس حالة الجثة، فزوّد تلك الطبيعة عبر جسده الخاص بمنطلق القيامة، إذ أقام بقدرته الإنسان بجملته. فالإنسان الذي فيه تأنس الله، الإنسان الذي سما بقيامته مع الألوهية، لم يكن قد استُخرج في الواقع إلا من طينتنا. وكما أن نشاط إحدى الحواس في جسدنا يسبّب إحساساً عامّاً لكامل الجسم المتّحد بعضو

[الحاسة]، كذلك الطبيعة بأسرها إذ تشكّل كائناً حيّاً إن جاز القول، تمتد قيامة العضو فيها إلى المجموع، ومن الجزء تنتشر إلى الكلّ، بفضل اتصال الطبيعة ووحدتها[769]. (القدّيس غريغوريوس النيصي)

✠ علينا الأخذ بعين الاعتبار أنّ حكماً ناشزاً في قضية بمثل هذه الأهمية (المسألة المتعلقة بيوم الفصح المقدّس) وأن احتراماً ناشزاً لعيدٍ دينيٍّ كهذا، إنما هو خطأ. ذلك أنّ مخلّصنا قد ترك لنا عيداً واحداً تكريماً لذكرى يوم تحريرنا، أعني يوم آلامه الكليّة القداسة. ولتتبصر حصافة قدسكم (= آباء المجمع المسكونيّ الأول) في مقدار الفداحة والفظاعة أن يكون البعض ملتزماً بالصوم فيما يكون البعض الآخر منهمكاً بفرح العيد في الأيام ذاتها. سيّما وأنّ كلّ ما يحدّده الأساقفة في المجامع المقدسة يجب اعتباره مؤشراً إلى المشيئة الإلهيّة[770]. (القدّيس قسطنطين الكبير)

✠ أوّل البارحة، ضرب الراعي وتبدّدت حملانه، واليوم فرّت الذئاب وجذل القطيع. أوّل البارحة، قبل يهوذا الفضّة، وأسدى قيافا النصائح فسُمع، ووجّه حنّان التهمة، وحصل الشقاق بين الكتبة، وجلس بيلاطس في مجلس القضاء، وأُوثق ربّنا على العمود، وجحده بطرس، وهرب أندراوس، وابتعد يوحنّا، وتوارى توما، وغاب يعقوب، واختفى فيليبس، واستتر متّى، وانصرف برثلماوس، وارتعب الغيور، وتبدّد الجميع في كل الجهات. أما اليوم، فقد خزي قيافا، واكتأب حنّان، واختنق يهوذا، ورُفضت الفضة، وسكت الكتبة، وحجب رؤساء المجمع وجوههم، وبكّت اللاويون أنفسهم، وانذهل بيلاطس، وتلاشى باذرو الشقاق، وتشتّت رهط الذئاب، وتكلّم الراعي مع النعاج، وشمّ القطيع رائحته فاجتمع، وجذلت مريم [المجدليّة]، وأشرقت صالومي [فرحاً]، وحملت مرتا البشائر، ونقلت حنّة رسائل السلام، وأبدى التلاميذ رؤوسهم، وخرج الرسل من مخابئهم، وركض سمعان ويوحنا إلى القبر، ونسي متّى وبرثلماوس أحزانهما، وتهلّل أندراوس ويعقوب في فرحهما، وجاهر توما،

وسبّح فيليبس، وأصدى طريق القبر فيما أقفر طريق الجلجلة، وديس الموت عند باب الجحيم كما الأبطال عند أبواب السامرة (٢ مل ٧: ١٦-٢٠). هكذا النبوءة ــ والوجه متهلّل ــ سخرت من الموت قائلة:"أين غلبتك أيّها الموت؟ وأين شوكتك أيّها الجحيم (١كور١٥:٥٥)"؟ فبآلامه، دخل المصلوب لسلب كنوز الموت وطرْح تاجه أرضاً. لذلك صرخ هذا الأخير في الجحيم، وانكسرت شوكته، وتداعت أسواره إلى السقوط.. لقد استسلم البطل، فقيّده الضعفاء وجلسوا، ثم طفقوا يحرسونه لئلا يحرّر نفسه وينتقم منهم. بل ولمَ حُفظ القبر إذاً، إن لم يكن ذلك خوفاً من البطل الذي وهو مقيّد كان يرعب أعداءه؟ كانت الظلمات تحرس الفجر لمنعه من البزوغ، إلاّ أنّ أعداءه ظلال النور قُوصِصوا، حالما أُدرك اقتحام وضح النهار. وإذْ غشي الذعر الحرّاس (متى٢٨:٤)، أسرعوا إلى القبر فتأكدوا أنّ الختوم كانت سالمة. في الواقع، كان اليهود قد ختموا القبر بالاشتراك مع الجند، كما يعلّمنا الكتاب (متى٢٧:٦٦)، وكان هؤلاء قد تلقّوا الأمر بحفظ القبر، بضغط من اليهود. ثمّ إذ امتلأوا ذهولاً، هرعوا إلى رؤساء الكهنة وقالوا لهم: "هلمّوا انظروا دمغاتكم السليمة وختوم الحجر التي لم تُفضّ ودعونا نذهب بلا لوم، لأن ذاك الذي وضعتموه في القبر قد صعد إلى السماء. كان علينا أن ننقل إليكم الختوم المحفوظة جيداً. هلّموا خذوا الختوم، ولكن لا تطالبوا بالجثة من أيدينا. فلا أحد في القبر من بعد، غير أننا لم نفضّ الختوم لحراسة القبر. كنّا قد تلقّينا الأمر بمنع التلاميذ عن الدنو إليه، وهذا ما قد نفّذناه بدقّة، لكن من الواضح بالنسبة إليكم أن مقاومة الملائكة لم تكن من شأننا. الأرضيّون لم يقتربوا إليه إذاً، أمّا السماويون فلم يتوقفوا عن الدخول والخروج. ما من تلميذٍ واحدٍ شوهد بجوار القبر، بل رأينا رجالاً من نور، متلألئين بثياب بيض، وكانوا ينزلون من السماء مباركين وعابدين ذاك الذي وضعتموه أنتم في القبر". هكذا، ولأجل كلّ تلك الأحداث التي كانت جلية وساطعةً كالشمس، فقد جذل التلاميذ

بداعي القيامة فيما اغتمّ صالبوه بسببها. لذلك قال الرسل بثقة: " نحن نعلم أنّ المسيح بعدما قام من بين الأموات لا يموت أيضاً، وأن الموت لا يسود عليه من بعد (رو٦:٩)"، فله التسبيح إلى دهر الداهرين آمين[771]. (يعقوب السروجيّ)

أناجيل القيامة (الإيوثينا)

متى٢٨:١٦-٢٠ / مر١٦:١-٨ / مر١٦:٩ -٢٠ / لو ٢٤:١ -١٢ / لو ٢٤:١٢- ٣٥ / لو٢٤:٣٦ -٥٣ / يو٢٠:١ -١٠ / يو٢٠:١١-١٨ / يو٢٠:١٩-٣١ / يو٢١:١ -١٤ / يو٢١:١٤- ٢٥

"أما كان ينبغي للمسيح أن يتألم هذه الآلام فيدخل إلى مجده؟ " (لو ٢٤ : ٢٦)

✟ هوذا ما دفع ربّنا يسوع المسيح إلى إعلان قيامته للمرأة أولاً:إذ قد سقط الرجل بواسطة المرأة، أُنهض الرجل بواسطة المرأة. ها بتولٌ قد أنجبت المسيح، وامرأةٌ بشرت بقيامته. بامرأةٍ الموت، وبامرأة الحياة [772]. (المغبوط أغسطينوس)

✟ تعيّن الأناجيل لزيارات النسوة أوقاتاً مختلفة، وهذا الأمر ليس دليلاً قطّ على الكذب كما يعترض الكفّار، بل أنّهن التزمن بزيارة القبر مسرعات ؛ فكنّ يذهبن إليه ويعُدن منه بلا توقف، ودون أن يقبلن بالتنحي بعيداً عن قبر الربّ لفترة طويلة.. إلى هذا، ثمّة ملائكة قد أتوا هنا أيضاً لخدمته (متى٢٨:٢-٣)، هم الذين ما برحوا يشهدون لألوهيته منذ مطلع ميلاده. "هلمّ وانظرن المكان الذي كان موضوعاً فيه (٢٨:٦)، لكي تصدّقن هذا القبر الفارغ إن كنتنّ لا تصدّقن الأقوال.. ثم تنازع قلبَ هؤلاء النسوة شعوران، الخوف والفرح (٢٨:٨) ؛أولهما حثّت عليه عظمة الأعجوبة، والآخر الرغبة في رؤية القائم [من الأموات]، ولكن الشعورين كليهما جعلا هؤلاء النسوة يُسرعن. فلقد ذهبن إلى الرسل لينشروا بذار الإيمان، واستأهلن بذلك أن يلاقين الربّ القائم[773]. (القدّيس يرونيمس)

✞ لم تطلبن الحيّ بين الأموات؟ إنه ليس ههنا، لكنّه قد قام (لو ٢٤: ٥ -٦)".
ذلك أنّ كلمة الله حيّ على الدوام، وهو حياةٌ بطبعه. ولكن، حين أخلى ذاته متواضعاً، واستسلم ليكون مصنوعاً مثلنا، تذوق الموت. بيد أن ذلك قد أثبت موت الموت؛ لأنه نهض من الأموات، ليكون الطريق الذي بواسطته نرجع نحن بالأحرى إلى عدم الفساد لا هو. ولا يطلبنّه أحد هو الحيّ دوماً بين الأموات، لأنه ليس ههنا، أي في القبر. ولكن أين هو؟ في السماء ببساطة، في المجد الإلهي. ولكي يوطد [الملاكان] (لو ٢٤: ٤- ٨) إيمان النسوة بهذه الأمور على نحو أشدّ رسوخاً، أعادا إلى أذهانهنّ ما قاله المسيح، أنّه ينبغي له أن يُسلم إلى أيدي الخطأة ويتألم، وأن يقوم في اليوم الثالث[774]. (القدّيس كيرلس الاسكندري)

✞ لقد بدت أقوال النسوة القدّيسات للرسل ولسائر التلاميذ هذياناً صرفاً (لو ٢٤: ١١). بَيْد أن روح الحقّ ما كان ليسمح قطّ بأن يتسرب شكّ كهذا إلى قلب نذرائه ويجعلهم حيارى، ضحايا الضعف البشري، لو لم يكن هذا القلق الخائف وهذا الحذر المملوء استفهاماً قد أرسى قواعد إيماننا. إذاً، كان يعالج في الرسل اضطراباتنا وأخطارنا. في هؤلاء البشر، إنما كنّا نحن من يتلقّى المعرفة للتمكن من مجابهة وشايات الملحدين وسفسطات الحكمة الأرضية، كنّا نحن من يتلقّن عندما كانوا هم ينظرون، كنّا نحن من يتثقّف عندما كانوا هم يسمعون، كنّا نحن من تقوّى في الإيمان عندما كانوا هم يلمسون (لو٢٤: ٣٩). لقد شكّوا هم لئلاّ نشكّ نحن. ولكن، ليس بإيمانٍ مترددٍ بل بمعرفةٍ أكيدةٍ جدّاً سيقفون على [حقيقة] أن الطبيعة المزمعة على اعتلاء عرش الله الآب هي تلك التي كانت قد استراحت في القبر[775]. (القدّيس لاون الكبير)

✞ لقد أعدّ تلميذا عمواس المائدة (لو ٢٤: ١٣-٣٥)، وأعطياه ليأكل؛ أمّا هذا الإله الذي لم يعرفاه عبر التأمل في الكتب المقدسة، فها هما يكتشفانه في تقاسم الخبز! لم

يكونا قد استتارا في سماع وصايا الله، بل كانا كذلك في تطبيقها. أحبّوا إكرام الضيف إذاً، أيّها الإخوة الأعزّاء للغاية، وأحبّوا أعمال المودّة.. اسمعوا هذه القصة الذائعة الصيت جداً، والتي نقلها إلينا آباؤنا. ثمة ربّ بيتٍ وفيّ لواجبات الضيافة، هو وعائلته كلّها، كان يستقبل غرباء إلى مائدته يومياً. وذات يوم حضر أحدهم فدعي إلى الطعام. وإذ شاء ربّ البيت إرغام ضيفه على أن يغسل له يديه، التفت ليأخذ الإبريق، بيد أنه ما عاد يرى أحداً عند سكب الماء. ثم في الليلة عينها، تراءى له الربّ في الحلم وقال له: "حتى الآن كنت تستقبلني في أعضائي، وأمّا البارحة فكنت أنا نفسي من استقبلته". سوف يقول لنا في يوم الدينونة :"كل ما فعلتموه بمن هو أصغر أخصّائي، فبي قد فعلتموه (متى٢٥: ٤٠)". وقبل ذلك اليوم، عندما يُستقبل هو في أعضائه، يدعو مضيفيه في ذاته أيضاً. فيا لكم نحن كسالى، مع ذلك، إزاء نعمة الضيافة! يا إخوتي، قدّروا عظمة هذه الفضيلة، واستقبلوا المسيح إلى موائدكم، لكي يستقبلكم هو نفسه في ولائمه الأبديّة. أضيفوا يسوع المسيح، الغريب، لكيلا ينظر إلينا كما لو كنّا غرباء، بل يستقبلنا في ملكوته كإخوته، وذلك بمعونة الله نفسه الحيّ والمالك إلى دهر الداهرين(776). (القدّيس غريغوريوس الكبير)

✞ بعد قيامته، استهلك الربّ ما قد أكله بطريقة عجيبة، (..) بقوة إلهيّة. فهو لا يحتاج [من بعد] قوتاً مماثلاً ليحيا، (..) وإنما بغية الإثبات(777). (القدّيس كيرلس الأورشليمي)

✞ لو كان ثمّة أشخاص نقلوا جسد [الربّ] من القبر لوجب عليهم تجريده قبل ذلك؛ ولو حدث أن سرقه أحدٌ لكان عليه أن يتجشم عناء نزع الأكفان، ثم تجميعها، ثم تركها في الموضع وحدها. إذاً، كيف؟ كان عليهم أن يأخذوا الجسد كما هو. وفي هذا الصدد، يخبرنا يوحنا سلفاً أنه دُفن مع الكثير من المرّ، واللفائف المغرّاة إلى الجسد بقوة لا تقلّ عن تلك التي للرصاص، لكيما إذا سمعت بأن الأكفان كانت موضوعة

جانباً لا يمكنك من ثمّ تحمّل القائلين بأنه سُرق. ذلك أن اللص لن تبلغ به الحماقة إلى حدّ تبديد الكثير من المشقة على أمر غير ضروريّ. فلِمَ يحلّ الأغطية؟ وكيف كان باستطاعته تجنب اكتشافه لو فعل ذلك؟.. بل، ولِمَ كانت اللفائف مطروحةً جانباً فيما كان المنديل مطوياً وحده في آن معاً (يو٢٠:٦-٧)؟ هذا لتعلم أنّ ذلك لم يكن فعل أناسٍ مرتبكين أو على عجلةٍ من أمرهم، ليضعوا بعضها هنا والبعض الآخر ثمّة ويَطووها في آنٍ معاً. من هنا آمنوا بالقيامة ، ولهذا السبب تراءى لهم يسوع في ما بعد، حين باتوا مقتنعين من خلال ما رأوه. لاحظ هنا أيضاً غياب التبجّح عند الإنجيلي، وكيف يشهد لدقّة التفتيش عند بطرس. فإذ قد تخطّى هذا المتحمّس إلى ما هو أبعد، تفحّص كلّ شيء بعناية ورأى أكثر من ذلك إلى حدّ ما، وعندها دُعي [التلميذ] الآخر أيضاً إلى النظر (٢٠:٨)[778]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✞ لقد كرّر الربّ الكلام بعينه قائلاً: "يا امرأة، لمَ تبكين؟ ومن تطلبين (يو٢٠:١٢،١٥)"؟ وهذا يعني أنك أنت سببُ بكائك، أنت مبدعة نواحك، لأنك لا تؤمنين بالمسيح. آمني، فتريه، سيّما وأن المسيح حاضرٌ وليس هو بغائبٍ البتة عمّن يطلبونه. "من تطلبين"؟ هذا يعني: ألا ترين بأن المسيح حاضر؟ ألا ترين بأن المسيح هو قوة الله، أنّ المسيح هو حكمة الله، أنّ المسيح قداسة، أن المسيح من الآب ومع الآب وفي الآب دوماً، مولودٌ وغير مخلوق، غيرُ وضيع أبداً بل محبوبٌ على الدوام، إلهٌ حقٌ من الألوهية الحقّ[779]؟ (القدّيس أمبروسيوس)

✞ بعد قيامته، قال الرب لمريم المجدلية صورة الكنيسة، فيما كانت تبادر لتلمسه: "لا تلمسيني فإني لم أصعد بعد إلى الآب (يو٢٠:١٧)". أي لا أريدك أن تأتي إليّ جسدياً، ولا أن تعرفيني بحسّ الجسد؛بل أدّخر لك حقائق أكثر سموّاً، وأعدُّ لك ما هو أعظم. فعندما أصعد إلى أبي، سوف تلمسينني على نحوٍ أكثر كمالاً وأوفر حقيقة، إذ إنك ستمسكين بما لا تلمسين وستؤمنين بما لا ترين[780]. (القدّيس لاون الكبير)

✠ أن يلمس المسيح بالقلب روحياً يعني العلم بأنّه مساوٍ للآب، ولهذا السبب منع مريم عن لمسه قائلاً لها: "لا تلمسيني، فإنّي لم أصعد بعدُ إلى الآب (يو ٢٠:١٧)". ما هذا؟ أفَيقدّم نفسه ليجُسّه التلاميذ ويجتنب لمسة مريم ؟.. أو، هل لنا القول بأنه ما كان يخشى ملامسة الرجال له وخشي أن تلمسه النسوة؟ ولكنّ ملامسته تطهّر كلّ جسد. إذاً، أفَيَخشى أن تلمسه أولئك اللواتي شاء هو الظهور لهنّ أولاً؟ أفَلَم يبشّر بقيامته من النسوة إلى الرجال، حتى تُهزم الحيّة بمكيدةٍ مضادةٍ نوعاً ما؟ لأنه هو أولاً من بواسطة المرأة أعلن الموت للرجل، ولذلك أُعلنت الحياة أيضاً للرجال بواسطة امرأة. إذاً، لِمَ كان يعارض ملامسته، إلاّ لرغبته في أن تُفهم من خلالها تلك اللمسة الروحيّة؟ واللمسة الروحيّة إنما تحدث [انطلاقاً] من قلب نقيّ. فمن كان نقي القلب يبلغ المسيح، بلمسته التي تدرك أنه مساوٍ للآب. وأمّا من لا يدرك بعد ألوهيّة المسيح، فهذا يصل إلى الجسد فقط ولا يصل إلى الألوهيّة[781]. (المغبوط أغسطينوس)

✠ الجنس النسويّ مفعمٌ بالأحاسيس نوعاً ما، وهو أكثر ميلاً إلى الشفقة. أقول هذا خشية أن تتساءلوا كيف أمكن أن تبكي مريم عند القبر بمرارة، فيما لم يكن بطرس متأثراً هكذا بأية طريقة. إذ يقول: "ورجع التلميذان إلى مقرهما (يو ٢٠:١٠)"، وأما هي فكانت واقفة تذرف العبرات. ذلك أن طبيعتها كانت ضعيفة، وكانت لا تزال جاهلة تفسير القيامة بشكل صحيح، في حين أنهما عاينا اللفائف وآمنا ثم غادرا إلى مقرهما مندهشين (انظر أيضاً لو ٢٤:١٢). ولقد تلقّت مكافأةً ليست بصغيرةٍ على هذه الحميّة العظيمة من قِبلها، لأن ما لم يره التلميذان قد رأته هذه المرأة أولاً، أعني الملاكين الجالسين، أحدهما عند الرأس والآخر عند الرجلين، بثياب بيض (يو٢٠:١٢). وعلم يسوع ما كانت راغبة في طلبه، فأرشدها إلى الإجابة.. ولكن، لِمَ يقول: "لا تلمسيني (٢٠:١٧)؟.. أظنّ أنها كانت تودّ البقاء للتحدّث وإيّاه كما من ذي قبل، وأنّها ــ لفرحها ــ لم تلاحظ عليه شيئاً عظيماً، مع

أنّه كان قد صار أكثر تفوّقاً في الجسد بكثير. إذاً، بغية إرشادها انطلاقاً من هذه الخطّة، ولكي تستطيع مخاطبته برهبةٍ أوفر، أنهض أفكارها بحيث تلتفت إليه مع المزيد من التوقير. أمّا قوله: "لا تلمسيني، كما كنت تفعلين آنفاً، لأن الأمور لم تعد مماثلة من حيث الحالة، كما ولن أكون معك بالطريقة نفسها من الآن فصاعداً"، فكان [قولاً] مؤلماً وطنّاناً؛ وأمّا قوله: "لم أصعد بعد إلى الآب (يو ١٧:٢٠)"، وعلى الرغم من أنّه لم يكن [قولاً] مزعجاً للسمع، فقد كان قول من يصرّح بالشيء نفسه. سيّما وأنّه لم يكن على وشك القيام بذلك توّاً، بل بعد أربعين يوماً. إذاً، لم قال هذا ؟ ذلك لرغبته في إنهاض أذهانهم، وإقناعهم بأنه ماضٍ إلى السماوات. ولما حلّ المساء، برز هو نفسه أمامهم (١٩:٢٠)، وذلك بطريقة عجيبة للغاية. ولِمَ ظهر "عند المساء"؟ لأن كان من المرجّح أن يكونوا خائفين آنذاك بشكل خاصّ. ولكن الأعجوبة كانت: لمَ ظنّوا أنهم يرون روحاً (لو ٣٧:٢٤)؛ كونه دخل"فيما كانت الأبواب مغلقة (يو ١٩:٢٠)"، فجأة. أمّا السبب الرئيسيّ فهو أنّ المرأة كانت قد سبقت فأحدثت فيهم إيماناً عظيماً (١٨:٢٠)، فضلاً عن أنّه كشف لهم ملامحه صافية ولطيفة. ولم يأتِ نهاراً، لكي يكون الجميع ملتئمين معاً. أرأيت كيف تنتهي الأقوال إلى الأفعال؟ فالذي قاله قبل الصلب، أن "سأراكم من جديد، فتفرح قلوبكم، وفرحكم هذا لا يقدر أحدٌ أن ينتزعه منكم (٢٢:١٦)، ها هو الآن يتمّمه بالفعل؛ إلاّ أنّه في كلّ هذه الأمور كان يقودهم إلى إيمان أكثر دقة[782]. (القدّيس يوحنا الذهبي الفم)

✠ "الإيمان هو قوام المرجوّات وبرهان غير المرئيات (عب١١:١). هنا يعلن الطوبى لا للتلاميذ فحسب، بل ولمن سيؤمنون من بعدهم أيضاً. وربّ قائلٍ: "مع ذلك رأى التلاميذ وآمنوا". أجل، ولكنّهم لم يلتمسوا شيئاً أبداً، بل من برهان الأكفان تلقّوا الرسالة بشأن القيامة على الفور، وأبدوا كلّ الإيمان قبل أن يروا الجسد (يو ٨:٢٠). أمّا الأمر الجدير بالتحقيق فهو كيف أنّ جسداً عادم الفساد قد عرض آثار المسامير ولُمس

من يدٍ مائتة. لقد ظهرت هذه الأعجوبة ليؤمَن بالقيامة، وليعرف البشر أنه المصلوب نفسه، وأنّ أحداً سواه لم يقم بدلاً منه. لهذا السبب نهض حاملاً سمات الصليب، ولهذا السبب تناول طعاماً (لو ٢٤: ٤٣). أقلّه الرسل قد جعلوا من هذا الأمر علامةً للقيامة حيثما حلّوا، قائلين :"نحن الذين أكلوا وشربوا معه (أع ١٠: ٤١)". إذاً، وكما عند رؤيته ماشياً على الأمواج قبل الصلب (يو٦: ١٩) لا نقول إنّ ذاك الجسد كان من طبيعة مختلفة، بل من طبيعتنا، كذلك بعد القيامة، عند رؤيته مع آثار المسامير، لن نقول بالأكثر إنّه كان لهذا السبب قابلاً للفساد. ذلك أنّه أبدى هذه الظهورات لأجل التلميذ (يو٢٠: ٢٤-٢٨)[783]. (القدّيس يوحنا الذهبيّ الفم)

✞ إن القدرة نفسها التي أحضرت جسد الشاب عبر الأبواب المغلقة في ما بعد، هي التي أحضرت جسد الطفل من رحم الأمّ غيرِ المنتهَك. فلنسلّم إذاً بأنّ الله قادرٌ على فعل شيء نعترف به دون أن نتمكن من سبر غوره. في أمورٍ مماثلة، يكون التفسير الكامل لما نفّذ موجوداً في سلطان من نفّذ[784]. (المغبوط أغسطينوس)

✞ ما هو كمال الإيمان؟ ألاّ يؤمَن بالمسيح أنّه إنسانٌ فقط، وأيضاً ألاّ يؤمن بالمسيح أنّه إلهٌ فقط، بل أنّه إنسانٌ وإله.. هكذا التلميذ الذي حباه مخلّصه بأن يلمس أعضاء جسده وندباته، ما إن لمس حتى صرخ قائلاً: "ربي وإلهي (يو٢٠: ٢٨)". لقد لمس الإنسان، فاعترف بالإله. لمس الجسد، فالتفت نحو الكلمة؛ ذلك أنّ "الكلمة صار جسداً، وسكن في ما بيننا (يو١: ١٤)". ولقد سمح الكلمة بأن يعلّق جسده على الخشبة، سمح الكلمة بأن تثبّت المسامير في جسده، سمح الكلمة بأن تنفذ الحربة في جسده، سمح الكلمة بأن يوضع جسده في القبر، ثم أقام الكلمة جسده، وبسطه لأبصار تلاميذه، وارتضى أن يُضغط بأيديهم، فلمسوا وصرخوا: "ربّي وإلهي". هوذا اليوم الذي صنعه الربّ[785]. (المغبوط أغسطينوس)

✠ تقنعني يد توما بقصّة موسى، لأنها لم تلتهب البتّة بملامستها الجنب كما بشعلةٍ محرِقة، مع أنّها سريعة التلف، مع أنّها شائكة. في ذلك الحين، انتهت النار إلى الشوك (خر٣:٢؛ مز١١٧:١٢)، وأمّا اليوم فعود العلّيق هو الذي أسرع إلى النار؛ وقد لوحظ الإله نفسه حافظاً هذا وذاك. هوذا إيماني، هوذا المجد الذي أؤدّيه للإله نفسه، الذي هو إنسان أيضاً، وأقول: "أنت ربّي وإلهي (يو٢٠:٢٨)".. يا للأعجوبة، يا للصبر، يا للعذوبة التي لا قياس بها! فالذي لا يُمسّ ارتضى بأن يُلمس، فضُبط من عبدٍ وكشف للخادم جراحه، هو السيّد، تلك التي في وقتها تزعزعت الخليقة بأسرها!. بالنسبة إليّ، لا شكّ في أنّ صيغة هذا الإيمان قد كتبت بيد توما، لأن بملامسة المسيح صارت [هذه] كريشة كاتبٍ ماهرٍ (مز٤٤:٢) يكتب ليلقّن المؤمنين من أين يتفجّر الإيمان. من هنا استقى اللصّ وثاب إلى نفسه، من هنا أروى التلاميذ قلوبهم، من هنا اغترف توما معرفة ما كان يفتّش عنه. لقد شرب هو أولاً، ثم سقى؛ وبعد لحظة شكٍّ حضّ الكثيرين من البشر على القول :"أنت ربّنا وإلهنا"[786]. (القدّيس رومانس المرنّم)

✠ لقد رسّخ شكُّ البعض إيماننا بعد قيامة يسوع[787]. (القدّيس يرونيمس)

✠ وهذا ما يذكره لوقا أيضاً (لو٢٤:٣٧)، مع أن المناسبة لم تكن ذاتها، بل أخرى. ولقد تعقّب التلاميذ الآخرون [بطرس] (يو٢١:٣)، إذ باتوا غير منفصلين أحدهم عن الآخر من الآن فصاعداً، فتاقوا إلى مزاولة الصيد معاً، وإلى استعمال وقت فراغهم أيضاً. ولمّا كانوا متعبين مرهقين ظهر يسوع أمامهم، دون أن يكشف لهم ذاته على الفور (يو٢١:٤). ولكن، حين تعرّف إليه بطرس ويوحنا التلميذان أبديا ثانيةً ميزات طبعَيهما الخاصّة. فأحدهما كان أكثر حماسة، والآخر أكثر شموخاً؛ الواحد أكثر حدّة، والآخر أكثر حصافة. ولهذا السبب تعرّف يوحنا إلى يسوع أوّلاً، فيما أتى بطرس إليه أولاً (يو٢١:٧). إذ لم تكن ثمّة علاماتٌ عادية

تحدث. وما كانت ؟ أولاً، أنّ سمكاً كثيراً قد اصطيد (٦:٢١)، ثمّ أنّ الشبكة لم تتخرّق (١١:٢١)، ثم أنّ الجمر كان موجوداً وعليه السمك، مع الخبز (٩:٢١). وذلك أنّه ما برح يجعل الأمور التي تعوزها المادّة موجودةً، الآن كما كان يفعل قبل الصلب من خلال تدبيرٍ لا ريب فيه. علّك حين تسمع بهذه الأمور تحمرّ خجلاً، فتغبّط من كانوا معه آنذاك ومن سيكونون معه في يوم القيامة العامة. إذاً، فلنبذل كل جهدّ لنتمكن من رؤية ذلك الوجه الرائع. وتأمّل كم هو أمرٌ عظيمٌ أن لا يعايَن من بعد وهو في جسدٍ مائت، ولا متمّماً أعمالاً بشرية، بل في جسد يحرسه الملائكة، فنكون نحن أيضاً على شكل طهارةٍ خالصة، ناظرين إليه ومتمتّعين براحة ذاك النعيم الذي يفوق كلّ نطق. ولهذا أتوسلّ أن فلْنستخدم كلّ الوسائل بحيث لا نفوّت مجداً كهذا... "إن صبرنا فسنملك معه (٢تيم٢:١٢)". "لأن الضيق الحاليّ الخفيف ينشئ لنا ثقل مجدٍ أبديّاً يفوق القياس في السموّ؛ إذ لا ننظر إلى ما يرى، بل إلى ما لا يُرى (٢كور٤:١٧-١٨)". إذاً، فلنحوّل أعيننا نحو السماء، ولنتصوّر "تلك الأمور" بلا انقطاع ملاحظين إيّاها[788]. (القدّيس يوحنا الذهبيّ الفم)

✞ لا حاجة لليأس أيّها الإنسان. انظر، فما زالت لديك وسيلةٌ لإرضاء دائنك الأكثر ورعاً. أوتريد أن يغفر لك؟ إذن أحبِب! فالمحبّة تستر جمّاً من الخطايا (١بط٤:٨). أيّة جريمةٍ أسوأ من الجحود؟ ومع ذلك فقد استطاع بطرس أن يمحو حتى هذه بالمحبة وحدها، حينما قال له الربّ مختبراً إياه: "يا بطرس، أتحبّني (يو٢١:١٥-١٧)"؟ وهكذا تحتلّ المحبّة المرتبة الأولى بين جميع وصايا الله[789]. (بطرس الذهبي النطق)

✞ لقد قال ابن الله للقدّيس بطرس كما لرئيس بلا ريب :"إرعَ خرافي (يو٢١:١٧)"، ولكنّ الربّ وحده هو الذي يقود الرعاة كافّة والذي يغذي كلَّ من يَرِد الصخرة (عد٢٠:٨؛ خر١٧:٦؛ ١كور١٠:٤)، في المراعي الخصيبة والمرويّة

جيّداً، حتى إن خرافاً لا يُحصر عددها، محصّنةً بوفرة حبّه، لا تتردّد في الموت لأجل اسم راعيها، كما تنازل هو الراعي الصالح أن يبذل حياته لأجل خرافه (يو ١٠:١٥) [790]. (القدّيس لاون الكبير)

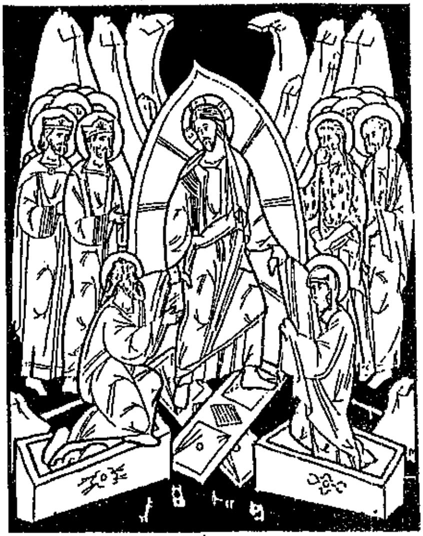

ملحـــق

كلمة في خميس الصعود المقدّس

✠ العيد الذي نحتفل به عظيمٌ ومَهيبٌ يا إخوتي الأعزّاء، فهو يفوق كلّ فكرٍ بشريّ، وهو ملائمٌ حقّاً لسخاء الله مبدِعه. فاليوم تصالح الله مع البشر، اليوم بغضاءُ قديمةٌ وحربٌ طويلةٌ قد توقّفتا، اليوم توطّد لأجلنا ذلك السلام العجيب الذي ما كنّا قطّ لنؤمّله.. ذلك أنّنا، نحن غير المستحقّين للأرض، قد نُقلنا اليوم إلى السماء؛ نحن الذين ما كنّا أهلاً حتى للسيادة الأرضيّة، قد رُفعنا إلى الملكوت السماويّ، واتّخذنا لنا موضعاً على عرش الملك الأسمى. فطبيعتنا التي أغلق الشيروبيم دونها باب الفردوس، قد استوت اليوم فوق الشيروبيم. ولكن، كيف تمّ هذا العَجب العُجاب؟ ونحن الذين كانوا قد أهانوا العليّ، والذين كانوا غير مستحقّين للأرض، والذين جُرّدوا من السيادة الأرضيّة، كيف ارتقينا إلى رفعةٍ عظيمةٍ كهذه؟ كيف انتهت الحرب؟ كيف تبدّد الغضب؟ كيف؟ والعجيب أنّ السلام حصل، لا عبر توسّلات أولئك الذين كانوا قد ثاروا على الربّ جَوراً، بل عبْر تحريضات الربّ نفسه، الذي كان قد غضب بعدل. يقول القدّيس بولس: "نحن سفراء يسوع المسيح، والله هو نفسه الذي يعِظ بنا (٢كور٥:٢٠)". فماذا إذاً؟ هو الذي أُهين، وهو الذي يعِظنا. أجل، بلا ريب، لأنّه هو الله، ولذلك يعظنا كأبٍ حنون. وانظروا ما حصل! فابنُ ذاك الذي يعظنا هو من صار وسيطنا، لا إنسانٌ ولا ملاكٌ ولا رئيسُ ملائكةٍ ولا أيُّ مخلوق. وما الذي يفعله الوسيط؟ خدمة الوساطة.. وكيف توسّط؟ كابد، من جهة أبيه، العقوبة المستحَقّة لنا، وتحمّل الإهانات من جهة البشر.. "فلقد افتدانا يسوع المسيح من لعنة الناموس ـــ يقول الرسول ـــ صائراً لعنةً لأجلنا (غلا٣:١٣)". أرأيتم كيف كابد العقوبة من جهة أبيه وتحمّل الإهانات من جهة البشر؟ فالكتاب يقول: "تعييرات معيِّريك وقعت عليّ (مز٦٨:٩)". وهكذا ترون كيف أنّه بدّد كلّ بغضاء،

وكيف أنّه ما كفّ عن القيام بكلّ شيء وتحمّل كلّ شيء، إلى أن أعاد لله الإنسان الذي كان يعاديه علناً، جاعلاً إيّاه صديقاً لله. هذا هو اليوم الذي نحتفل به، والذي هو أصل كلّ الخيرات. ففي هذا اليوم، سلّم يسوع المسيح لأبيه بواكير طبيعتنا التي كان قد اتّخذها. واستحسن أبوه للغاية هذه التقدمة، سواء لجهة كرامة ذاك الذي قرّبها، أو نظراً إلى طهارة التقدمة نفسها، التي تلقّاها بيديه ووضعها إلى جانبه قائلاً: "اجلس عن يميني (مز١٠٩:١)". ولأيّة طبيعةٍ قال الله: "اجلس عن يميني"؟ لتلك التي كانت قد سمعت من فمه هذه العبارة: "أنت تراب والى التراب تعود (تك٣:١٩)". فلم يكن كافياً لها أن ترتفع فوق السماوات، وأن تُستقبل وسْط الملائكة؛ إذ لم يكن هذا الشرف سامياً كفايةً ولو أنّه غير موصوف. بل ارتفعت فوق الملائكة ورؤساء الملائكة، فوق الشيروبيم والسيرافيم، وبعدما اخترقت القوّات والسلاطين كافّةً لم تتوقّف إلى أن رأت ذاتها جالسة على عرش السيّد الأسمى.. فلقد أجاز يسوع المسيح طبيعتنا كلّ تلك المسافة، وارتقى بها إلى ذلك العلوّ. أنظروا إلى أيّة لجّةٍ كانت قد انحدرت، والى أيّ أوْج مجدٍ قد صعدت. من المُحال النزول أكثر ممّا نزل الإنسان، ومن المُحال الصعود أكثر ممّا صعد المسيح.. فتعلّموا إذاً ما هي الطبيعة التي رفعها هكذا إلى فوق، وماذا كانت قبلاً.. لقد كنّا رماداً وغباراً.. وكنّا قد صرنا أشدّ غباوة من البهيمة، لا لأنّنا انخفضنا إلى مستواها فحسب ونحن بشر، بل ولأنّنا بَدَونا فعلاً أكثر انعداماً للحسّ منها.. ولكن، لا نخجلنّ قطّ من حالتنا السابقة، طالما أنّ "النعمة طفحت حيث كثرت الخطيئة (رو٥:٢٠)".. اليوم، شاهد الملائكة ورؤساء الملائكة ما كانوا يرغبون في مشاهدته منذ زمنٍ بعيد، أي أن تكون طبيعتنا جالسةً على عرش الملك الأسمى، متلألئةً بالمجد ولامعةً بجمالٍ لا يموت.. أمّا الملاكان اللذان ظهرا للرسل فأعلماهم أنّ يسوع المسيح قد صعد إلى السماء، لكي يعرفوا أنّه صعد إليها حقّاً، ولئلاّ يتخيّلوا بأنّه لم يصعد إليها إلاّ كإيليّا. ولذلك استدركا فقالا: "إنّ يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء

(أع١:١١)"، وهي عبارةٌ لم يستخدماها قطّ على سبيل الصدفة. فإيليّا، العبد، بدا مرتفعاً نحو السماء فحسب (٢مل٢:١١)؛ أمّا يسوع المسيح، السيّد، فقد ارتفع إليها حقّاً. الأوّل صعد على مركبةٍ ناريّة، فيما الآخر على سحابة. فعندما كان لا بدّ من استدعاء العبد، أُرسلت إليه مركبة؛ وعندما وجب استدعاء الابن، أُرسل إليه العرش الملكيّ، أو بالأحرى عرشُ الآب نفسُه؛ لأنّ إشعيا يقول بشأن الآب: "ها هو الربّ جالسٌ على سحابةٍ خفيفة (إشع١٩:١)". وعليه، فبما أنّ الآب جالسٌ على سحابة، لذلك أرسل سحابةً إلى ابنه. ثمّ إنّ إيليّا في انسحابه ترك رداءه يسقط على أليشع؛ وأمّا يسوع المسيح، ففي صعوده إلى السماوات أرسل إلى تلاميذه المواهب الروحيّة، التي لا تلِد نبيّاً واحداً فحسب، بل رِبوات أليشع، وأعظم وأشهر من [أليشع] الأوّل.

فلنرتفع إذاً يا إخوتي الأعزّاء، ولنحوّل عيني ذهننا نحو عودة مخلّصنا.. فعندئذٍ، سوف نُنقل نحن أنفسنا في السحب (١تسا١٧:٤). وعندما أقول نحن، لا أجعل نفسي البتّة في عداد أولئك الذين سينعمون بتلك الحسنة المجيدة، سيّما وأنّي لست مسلوب الحسّ والعقل حتى لأجهل خطاياي الخاصّة.. أمّا ذاك الذي سيكون أهلاً ليُنقل في السحب، حتى ولو كان أشدّ الناس فقراً، فهو مغبوطٌ ومثلّث الغبطة؛ وأمّا الذي سقط من النعمة، حتى ولو كان أعظم الأنام ثراءً، فهو أشدّهم بؤساً وأكثرهم مدعاةً للرثاء. وإنّي أتكلّم على هذا النحو حتى يبكي العائشون في الخطيئة على أنفسهم، وحتى يتيقّن المفعَمون بالأعمال الصالحة؛ أو بالأحرى، حتى لا يتيقّن هؤلاء فحسب بل يثبتوا في الصلاح، وحتى لا يكتفي أولئك بالبكاء بل يتغيّروا، طالما أنّ العائش في الرذيلة قادرٌ على نبذها، للعودة إلى الفضيلة، والتمتّع من ثمّ بتلك المزايا نفسها التي يَنعم بها أولئك الذين عاشوا دوماً في السيرة الحكيمة[791].
(القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

كلمة في أحد العنصرة المقدّس

✠ إذْ وُلد المسيح، كان الروح القدس قد هيّأ ميلاده. وإذِ اعتمد يسوع، شهد له الروح القدس. وإذْ جُرّب يسوع في البريّة، كان الروح القدس هو الذي اقتاده إليها. وإذِ اجترح يسوع المعجزات، كان الروح القدس يؤازره. وعندما صعد يسوع إلى السماء، أتى الروح القدس ليواصل عمله على الأرض.. وكما أنّ الابن أتى شخصيّاً ليعيش معنا، كذلك الروح القدس يودّ أن يسكن فينا[792]. (القدّيس غريغوريوس اللاهوتيّ)

✠ الروح القدس إنّما هو الفرح السرمديّ الذي للآب والابن، والذي فيه يفرحان معاً. هذا الفرح يُرسَل من الاثنين كليهما إلى من هم أهلٌ له، وأمّا وجوده فيتأتّى من الآب وحده[793]. (القدّيس غريغوريوس بالاماس)

✠ ما الذي يستطيعه الناموس إن نزعتَ الروح [القدس]؟ يجعل المرء متعدّياً. ولذلك كُتب: "الحرف يقتل (٢كور٣:٦)". فهو يأمر ولكنّه بلا فاعليّة. يؤمَر فلا تفعل، يحرّم فتفعل، ولذلك الحرف يقتل.. إذاً، ماذا ينفعك إن كنت تعرف الناموس ولا تتمّه؟ سوف تكون متعدّياً، إذ لا بدّ لتتميمه من عون. ومن أين يأتي هذا العون؟ من الروح [القدس][794]. (المغبوط أغسطينوس)

✠ الروح، في الكتاب المقدّس، لا يستقرّ على الإنسان كائناً مَن كان، بل على القدّيسين والمغبوطين فحسب. فلقد استقرّ روح الله على "أنقياء القلوب"، وعلى من طهّروا أنفسهم من الخطيئة؛ إلاّ أنّه ــ بخلاف ذلك ــ لا يسكن جسداً مستسلماً للخطيئة، حتى ولو سكن هناك ذات وقت. إذْ إنّ الروح القدس لا يمكنه تحمّل الاجتماع ولا الاشتراك مع روح الشرّ الذي في نفس الخاطئ، أو أن يلعب هناك دوراً. فحالما نَدَعه يدخل ونستقبله فينا بأفكارٍ سيّئةٍ ورغباتٍ سيّئة، يُطرد الروح القدس منّا وقد امتلأ حزناً وألفى نفسه محصوراً، إن تجرّأت على توضيح فكرتي

هكذا. لذلك، ولعلمه بأنّ الأمور تحدث على هذا المنوال، فقد أعطى الرسول المشورة قائلاً: "لا تحزنوا الروح القدس الذي خُتمتم به لأجل يوم الفداء (أف٤: ٣٠)". بالخطيئة إذاً نحزن الروح القدس، ولكنّا نُعِدّ له بالعكس مستقَرّاً فينا عبر سيرةٍ بارّةٍ ومقدّسة[795]. (أوريجانيس)

✠ خلافاً للشيطان، يقوم الروح القدس بكلّ الأمور لخيرنا وخلاصنا. أوّلاً وروده عذْب، ونفوذه حلو، ونيره خفيف جداً. ثمّة أشعّة نورٍ وعلمٍ تتقدّم حضوره، وهو يأتي بمشاعر صديقٍ حقيقيّ. ذلك أنّه يأتي ليخلّص، ويشفي، ويعلّم، ويَهدي، ويشدّد، ويعزّي، وينير الذهن، أوّلاً عند من اقتبله ثمّ بواسطته عند الآخرين[796]. (القدّيس كيرلس الأورشليمي)

✠ إن كنّا الآن مع بواكير الروح فقط نصرخ قائلين: "أبّا، أيّها الآب"، فماذا سيكون إذاً عندما نقوم ونراه وجهاً إلى وجه؟ سيكون ذلك نظير نهرٍ يجمع أعضاء المسيح جميعاً. سيكون نشيدَ تسبيحٍ لمجد ذاك الذي أقامهم من بين الأموات وأفعمهم من الحياة الأبديّة. إنّ مجرّد بواكير تُمسك بالإنسان كرداءٍ وتجعله يصرخ قائلاً: "أبّا، أيّها الآب"؛ فما الذي لا تفعله إذاً نعمة الروح الكاملة التي أعطاها الله للبشر؟ عندئذٍ سنكون أمثاله، عندئذٍ ستتحقّق مشيئته، عندئذٍ سيصبح الإنسان حقّاً على صورة الله ومثاله[797]. (القدّيس إيريناوس)

✠ من أراد إرضاء الله حقّاً، والحصول منه على نعمة الروح السماويّة، والنموَّ ليصير كاملاً في الروح القدس، عليه أن يغصب نفسه لتطبيق وصايا الله كافّةً وأن يُخضع لها قلبَه الذي لا يودّ ذلك.. وهو الروح نفسه الذي يمنحه كلّ هذا ويعلّمه الصلاة الحقيقيّة، والمحبّة الحقيقيّة، والوداعة الحقيقيّة، التي لأجلها غصب نفسه ووراءها سعى ولها كرّس همومه واهتماماته، والتي أُعطيت له؛ وإذ ينمو هكذا ويَكمُل في الله، يُحسب أهلاً من ثمّ ليصير وريث الملكوت. في الواقع، الإنسان

المتواضع لا يسقط أبداً. بل ومن أيّ علوٍّ يمكنه السقوط طالما أنّه تحت الجميع؟.. فلْنغصب أنفسنا إذاً ولْنقسرها على التواضع، حتى ولو نفر منه قلبنا، كذلك على الوداعة والمحبّة، متضرّعين ومتوسّلين إلى الله بلا انقطاع، بإيمانٍ ورجاءٍ ومحبّة، منتظِرين وهادِفين أن يرسِل روحه إلى قلوبنا، لنتمكّن من الصلاة ومن عبادة الله بالروح والحقّ (يو٤:٢٤).. فالروح هو نفسه من سيصلّي فينا، وهو الذي سيعلّمنا التواضع الحقيقيّ أيضاً، ووصايا الربّ كافّة. سوف يلقّننا المحافظة عليها بكل صدق، دون مشقّةٍ ولا إكراه؛ لأنّ الروح قادرٌ على غَمرنا بعطاياه. وإن أتممنا وصايا الله على هذا المنوال بروحه الذي يعرف وحده مشيئة الربّ، إن جعلَنا هذا الروح كاملين فيه وكان هو كاملاً فينا وقد تطهّرنا من الأدناس كلّها ومن وصمات الخطايا كافّة، فلَسوف يقدِّم نفوسنا للمسيح، كعرائس جميلاتٍ نقيّاتٍ لا عيب فيهنّ(٢كور١١:٢). عندئذٍ نستريح في الله، في ملكوته، ويستريح الله فينا إلى الدهور التي لا نهاية لها. فالمجد لرأفته، لرحمته، لحبّه، لأنّه أهّل البشر لشرفٍ كهذا ومجدٍ كهذا[798]. (القدّيس مكاريوس)

✞ وإذْ كان يوحنّا (الذهبيّ الفم) يسوس كنيسة القسطنطينيّة على نحوٍ ممتاز، كان يجتذب إليه العديد من الوثنيّين، والعديد من الهراطقة أيضاً. وكان يتوافد عليه جمعٌ غفيرٌ كلّ مرّة، بعضهم لسماعه في سبيل بنيانهم، والبعض الآخر على سبيل الاختبار. وكان يحضّهم جميعاً، مقنِعاً إيّاهم أن يعتنقوا الآراء نفسها التي لديه حول الشأن الإلهيّ. وغفيراً جداً كان الجمع المشدود له والذي ما كان يشبع قطّ من فصاحته، بحيث أنّ الناس المحتشدين كانوا يتدافعون ويعرّضون أنفسهم للخطر، إذْ كان كلّ منهم يتقدّم عنوةً ليكون أكثر قرباً منه وليسمعه بشكلٍ أفضل وهو يتكلّم؛ ولذلك كان يتّخذ له محلاً في وسْطهم على منبر القرّاء، حيث كان يجلس ويُلقي تعليمه.. وها هي الفرصة لأُدرج في كتابي تلك الأعجوبة التي حدثت إبّان أسقفيته.

فثمّة مقدونيّ (من أتباع مقدونيوس الذين لا يؤمنون بألوهيّة الروح القدس) كان قد تزوّج امرأةً من البدعة نفسها، ولمّا سمع يوحنّا معلّماً ما ينبغي اعتناقه من فكرٍ حول الله، قبِل بالعقيدة ودعا امرأته إلى مشاطرته الرأي. بيد أنّ هذه الأخيرة كانت لا تزال مأخوذة بما اعتادته وبرفقة النسوة عشيراتها. ومع أنّ زوجها كان يناشدها غالباً، ولكن بلا جدوى. فقال لها أخيراً: "إن لم تشاركيني الأسرار الإلهيّة، فلن تكوني شريكة حياتي بعد الآن". عندئذٍ، وافقت المرأة على القيام بذلك، ولكنّها تفاهمت مع جاريةٍ تثق بها على أن تكون مساعِدتّها في خداع زوجها. وفي أوان الأسرار، احتفظت بما تلقّته وحنت رأسها كأنّها تصلّي، وأمّا جاريتها التي كانت إلى جانبها فأعطتها ما كانت قد أتت به في يديها (الخبز العادي)؛ بيد أنّ هذا الأخير تجمّد كالحجر بين أسنانها. وإذِ ارتاعت المرأة، خشيت أن يصيبها سوء إن سترت مسألةً إلهيّة كهذه جرت معها، فأسرعت إلى الأسقف وبلّغته الأمر، كاشفةً له الحجر الذي كان يحمل طابع قضمتها، والذي كان من مادّةٍ مجهولةٍ وذا لونٍ غير مألوف. ثمّ طلبت الصفح بدموع وشاطرت زوجها الرأي منذئذٍ. وإن بدا هذا غير معقولٍ عند البعض، فالحجر نفسه يُثبت ذلك، هو الذي لا يزال محفوظاً الآن أيضاً في خزنة كنيسة القسطنطينيّة[799]. (سوزومنوس المؤرّخ)

✞ نحن لا نقول أفكارنا، بل أفكار الروح [القدس][800]. (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)

✞ الروح القدس لا يخاف من أحدٍ ولا يحتقر أحداً[801]. (القدّيس سمعان اللاهوتيّ الجديد)

✞ الروح [القدس] لا يولّد أيّة مشيئةٍ تقاومه، كما وأنّه لا يحوّل ويؤلّه إلاّ تلك التي تريده[802]. (القدّيس مكسيموس المعترف)

✞ الروح [القدس] لا يُعطى لنا إلاّ بالصلب والموت الطوعيّ للعالم[803]. (القدّيس سمعان اللاهوتيّ الجديد)

دعاء إلى الروح القدس

أيّها المعزّي الصالح الروح الكليّ قدسه، روح الحق، المنبثق من الآب على نحوٍ لا يُنطق به ولا يدرك، تمامُ الثالوث القدّوس المبدئ الحياة إلهنا الواحد، المسجودُ له والممجَّد مع الآب والابن، الإله الحقيقيّ حقّاً والمؤلّه، المقدّس والمنير والباني المستحقّين له برضاه ونعمته، المبدع مع العقل والكلمة الأولّين كلَّ ذي عقلٍ وكلَّ خليقةٍ محسوسة، المرتضي بأن يسكن فينا، الذي منه تجسّد الكلمة المساوي له في الأزليّة، الذي معه قدّس طبيعتنا، والذي بعد صعوده المجيد إلى السماوات أرسله جوهريّاً إلى الأرض، الحاضرُ في كلّ مكانٍ والمالئ الكلّ، الظاهرُ بهيئة ألسنةٍ ناريّةٍ على الرسل القدّيسين، الذي ملأهم من نعمته غير الموصوفة ومن قوّته، والذي بواسطتهم أرشد المسكونة كلّها إلى معرفة الحقّ.

أنت أيّها الملك السماويّ، المحبّ البشر، الكريم والسخيّ، والشفوق والكليّ الرحمة، كنز الصالحات ورازق الحياة، تعطّف واطّلع من ذُرُوات مجدك المقدَّس على شقائي وحقارتي في هذا اليوم الحاضر والساعة الحاضرة، وكلّ وقتٍ ومكانٍ، متى استدعيت ولو بدون استحقاقٍ اسمك الكليّ قدسه والمسجود له، ولا تأنف منّي أيّها المحبّ الصلاح، منذ طفولتي وحتى مزاولة سخافاتي الحاليّة ومخالفاتي وخطاياي. بل كما آزرت منسّى وداود قديماً في سبيل التوبة، وكما رئفت باللصّ على الصليب، وكما حوّلت الزانية إلى الصلاح، وكما نفخت في الأنبياء القدّيسين وفي اللاهوتيين، ناطقاً بهم، هكذا الآن وإلى منتهى الدهر، آزر كلّ الراغبين في الفضيلة والمخافة الإلهيّة، وأعنّي أيضاً أنا الخاطئ لكي أسرع نحو بهائك ونعمتك.

أصعدني من قعر الباطل ومن لجّة الجهل والقساوة، يا محرّر العالم من ضلالة العدوّ. قدّسني بقوّتك المحيية، أيّها الطبيعة القدّوسة والنور الذي قبل الدهور، والذي منه يتدفّق مَورد الصالحات على كلّ الخليقة. أحرق دنس زلاّتي المفرط، يا ماحق حيَل التنين الجاحد بنار لاهوتك اللاّهيوليّ. إسحق رأسه تحت قدميّ بسلام، أحطني

بأسلحة نورك، احفظني بترس الإيمان، سيّجني بدرع البرّ، طهّر فمي بكلام الله. روحاً مستقيماً جدّد في أحشائي، وبروحك المدبّر اعضد فكري المتقلقل. توّجني جليّاً بإكليل المجد والكرامة الأبديّ الذي من لدنك، وزيّني بمجموعة الفضائل المقدّسة، ومجّدني بمواهبك المتنوّعة أيّها المعزّي الصالح يا ضابط زِمام جيش السماوات بأسره، وامنحني روح حكمةٍ وفهمٍ ومشورةٍ وقوّةٍ ومعرفةٍ وتقوى ومخافة الله (إشع١١: ٢-٣). غذّني بثمارك المقدّسة، يا مالئ كلّ حيٍّ سروراً ونعمة، واجعل حياتي في مأمنٍ من السيطرة الذاتيّة ومن العصيان. وأبهج قلبي بفرح الوداعة وثبات الإيمان، وابنِ بيت نفسي، صلاحاً، واحفظ أفكاري في السكينة، وروّض نيّتي العادمة التمييز على التعاطف مع طيبة القلب، وقوّم طيشي بلطف طول الأناة، وهبْ سلاماً عذباً لقوى نفسي، وأزِل حزن خطيئتي بالفرح الكامل، وبالتقرّب إلى المحبّة الخالصة أوصِلني إلى محبّتك.

أنت أيّها المعزّي الصالح، أنِر بلمعانِ قدرتك الخلاصيّة ذهني المظلم في عتمات الأهواء، وعلّمني الكلام بطاعة الصمت، وجهّزني للسيطرة على ميولي الخرقاء، وأرشدني إلى طريق مشيئتك المقدّسة المستقيم. أقصِ روحي عن معاودة الطيش، وأمِت غرور خطيئتي، وأضرم فيّ نعمتك المحيية، وحوّل إرادتي ضدّ المكوث في الخطيئة وضدّ الحيّة المهلِكة، وارفع رغبتي نحو ما ترغب فيه أنت فحسب. دبّر كلّ ما يتعلّق بفكري، وأصلحه بحسب مشيئتك الكليّة القداسة، وأهّلني أن أسجد لك بالروح والحقّ أيّها الإله المعزّي، وأعبدَك، وأمجّدك، وأسبّحك، وأشكرك، في كلّ حين، أيّها الممجَّد من القوات العادمي الأجساد القدّيسين في الأعالي عبْر كلّ الدهور.

أنت أيّها المعزّي الصالح، والإله الفائق الصلاح، المكمّل الأسرار المقدّسة في الكنيسة، بواسطتك يا من هو غير مولودٍ وغير مخلوق، أيّها الإله الذي لا هيئة له والذي لا يسهو، الذي بمسحته الملكيَّة يرسم ويختم في نصيب الله، والذي بمائدته

التي لا تنفد من الأسرار المحيية تحضر عطيّة نعمته، فأصيرَ على صورة المسيح وإلهاً بحسب النعمة. أنت صانع الكهنوت، ومؤازر المتزوّجين إلى العفّة، ورازق المتبتّلين النقاوة، ودليل المتغرّبين عن التوبة إلى العيش فيها، أنجدني أنا الذي في الخطر، وهَبني عوْناً بقوّتك التي لا توصف يا قادراً على كلّ شيء، واعضد ضعفي، وتغاضَ عن تهاوني وطيشي. ولا تجعلني ألعوبةً يحرّكها الشياطين مُفسدو النفوس، ولا تتركني فتأسرَني الأهواء المُشبَعة. بل أعطني، حتى النفَس الأخير، أن أميل إلى النقاوة واليقظة والمخافة الإلهيّة، وأن أبلغ خاتمة الحياة الحاضرة متّجهاً نحو طلائع الحياة واللّذة الآتية الأبديّة، متيقّناً بوضوحٍ منذ الآن، من نَيل الخيرات السماويّة، ومن تمجيدك أيّها الإله المعزّي الممجَّد، ومن شكرك والسجود لك مع الآب والابن، إلى دهر الداهرين، آمين[804]. (يوحنّا إفجانيكوس)

خاتمـــــة

نشيد إلى المحبة الإلهية

المشغوف بالله قد أحبّه الله أولاً، ولم يحبّ هو الإلهيّ إلاّ لاحقاً. فعاشق الإلهيّ قد صار ابن المحبة قبلاً، وبعدها أحبَّ الآبَ السماويّ. قلب محبٍّ الربّ لا ينعس أبداً بل يسهر من جرّاء قوّة محبّته. النّفس المشغوفة بالله تتفكّر بأقوال الله وتُمضي وقتها في مظالّه. إنّها تعلّي الصوت لتحدّث بعظائم الله، وعندما تحاور، إنّما تتكلّم عن مجده وجلاله. ترنّم لله وتسبّحه بلا انقطاع، تخدمه بحماسة. المحبّة الإلهيّة تستحوذ على هذه النفس بكلّيتها وتهذّبها. مغبوطةٌ هي النفس المُحبّة لله، لأنّها التقت الديّان الإلهيّ الذي أفعم رغباتها. كلُّ رغبة، كلُّ عاطفة، كلُّ ميلٍ غريبٍ عن المحبّة الإلهيّة، تطرحه بعيداً عنها كمُحتقَرٍ وغير لائقٍ بها. النفس المجروحة بالمحبّة الإلهيّة تفرح في كلّ حين. إنّها في البهجة، ترتكض فرحاً، ترقص، إذْ تجد ذاتها مستريحةً في محبّة الربّ كما لو على مياهٍ هادئة. لا شيء ممّا يُحزن في هذا العالم قادرٌ على تعكير هدوئها وسلامها. ما من شيء مُحزنٍ قادر على انتزاع فرحها وبهجتها.

المحبّة الإلهيّة تولّد الألفة مع الله، والألفة تولّد الجرأة، والجرأة الطَّعم، والطعم الجوع.. النفس التي مُسّت بالمحبّة الإلهيّة تتنهّد بلا انقطاعٍ قائلة:

" يا ربّ متى أظهر أمام وجهك؟ تشتاق نفسي إليك، يا أللهُ، كما يشتاق الأيّل إلى مجاري الماء الحيّ (مز ٤١:١).. أيّتها المحبّة الحقيقيّة والثابتة! أيّتها المحبّة، مثال الصورة الإلهيّة! أيّتها المحبّة، فرح نفسي العذب! أيّتها المحبّة، إمتلاء مهجتي الإلهيّ! أيّتها المحبّة تأمّلُ فكري المتواصل! بقدرتك المحيية تشدّدين قوّة نفسي.. فأنت كنز المؤمنين الأثمن وهِبة المواهب الإلهيّة الأوفرُ كرامة، أنتِ تجعلين المؤمنين بنين لله، أنتِ زينة المؤمنين والمشرّقة لأصدقائك، أنت الخير الدائم لأنّك سرمديّة، أنت وشاح الجمال لأصدقاء الله، أنتِ مصدر الطيّبات اللذيذة لأنّكِ ثمر

الروح القدس، أنتِ تدخلين المؤمنين المقدَّسين إلى ملكوت السماوات.. بكِ يشترك المؤمنون في فردوس المشتهيات، بكِ يبزغ نور الشمس الروحيّة في النفس، بكِ يولد فينا اشتهاء السماوات، أنتِ التي تنشر السلام على البشر، أنتِ التي توحّد البشر والملائكة، أنتِ الغالبة في كلّ شيء، أنتِ الكائنة فوق كلّ شيء، أنتِ الضابطة الكون حقاً، أنتِ التي تسوس العالم بحكمة، أنتِ، لا تسقطين أبداً!

أيّا محبّة، يا صورة جزيلة العذوبة ليسوع الجزيل العذوبة! أيا محبّة، يا تاجاً مقدّساً لتلاميذ الربّ! باركي قلبي برغبتك، أفعميه خيراتٍ وصلاحاً، وبهجة. إجعليه هيكلاً للروح الكليّ قدسه، أشعليه كلّه باللهيب الإلهي، حتى إذا ما استُهلكت أهواؤه البائسة، يتقدّس وينجذب إلى تسبيحكِ المتواصل. إملئي قلبي من عذوبة حبّك، كي لا أحبّ سوى يسوع الجزيل العذوبة، المسيح ربّي، وكي أرنّم له النشائد على الدوام من كلّ نفسي، من كلّ قلبي، من كلّ قدرتي، من كلّ ذهني، آمين[805]. (القدّيس نكتاريوس)

دعاء إلى والدة الإله فادينا

يا من ولدت النور الذي لا يغرب، أنصتي إلى ما أعلنهُ مبتهلاً. فلقد تلطّخت بالحمأة، وتدنّست، وبتّ مظلماً أنا الشقيّ، أنا المخضّب بكثرة خطاياي ويا لتعاستي، أيّتها السيّدة، ولذلك أصرخ الآن نائحاً، وكأنّي أمام الديّان العادم الفساد، ملوماً ويا للأسف، وتشهد عليّ السماء مع الكواكب والشمس. فعاصفة الأفكار انقضّت عليّ، والآن تُغرّقني في اليأس. نفسي اشتملها الذعر، منتظرةً الحكم ويا حسرتاه! فعليك أضع كلّ رجائي يا والدة الإله، أنا البائس. فانظري يا ممتلئة كلّ شرفٍ إلى خادمكِ الذي قبالتكِ مُعوزاً. وكَوني أُبدي الارتباك باستمرار، إرأفي بي أيضاً أنا غير المستحقّ. وفكّي وحدك أغلالي غير المنحلّة، يا من حبلتْ بفادي العالم. وأنا الحالك الصائر ظلاماً، بيّضيني بدموع التّوبة. أنا الميْت بداعي كثرة تهاوني، أنهضيني يا من ولدت حياتي. أنا المتغرّب عن الله والملائكة، قوديني إليهم في الحال. يا للعَجب المرعب، إذْ كيف يتحمّل الربّ خطاياي!؟ كيف لا يُحدرني توّاً، أنا الشقيّ الحيّ،

إلى قعر الجحيم؟ كيف لا يرميني بعَصاً من فوق، كيف لا يضربني بالسيف على نحوٍ غير منظور؟ لكن، بتوسّلاتك أنتِ ولا ريب، أنعم أنا بحياتي أيّتها السيّدة، يا مفتقدة حقارتي، فاستجيبي لي أنا عبدك. لأنّك أنت أيتها الفائقة الصلاح سوري، وملاذي، وحصنُ نموّي. فأنيريني بنور وجهكِ الإلهيّ، أنا الراقد في ليل التواني. وهبيني ندماً، أيّتها السيّدة، وأنيناً لا يهدأ، ودموعاً، راحضةً دنس نفسي، ومُسبِغةً عليّ العتق في آخر المطاف. وبما أنك وُجدت إنساناً لابساً اللاهوت وولدت إلهاً لابساً الناسوت، أتطلّع إليك يا مريم البريئة من كلّ عيب، بعينين متهوّرتين، وأفرح. يا قوّة عبدك، ورجاءه الذي لا يُخزى، وحياته، ونوره اللطيف، فأنصتي إلى صلاتي هذه، من لسانٍ دنسٍ وفمٍ قذر. إذْ ها أوان المعونة فخلّصيني، من الأهواء والزلاّت والمضايق. وليفرحْ بي الآن الملائكةُ أيّتها السيّدة، مع الأرواح الأمينة (لو١٥:١٠). وهكذا أمجّدك بشكر، وأمجّد اسمك الكليّ القداسة بفرح، لأنّك، أيّتها الفائقة التسبيح، تقتدرين لدى الله وتنظرين كلّ من تشائين، بما أنّك ولدتِه [806].
(القدّيس يوحنّا الدمشقي)

فهرس المؤلّفين

- (القدّيس) **إبيفانيوس** القبرصي أسقف سلامينا († ٤٠٣).
- (القدّيس) **أثناسيوس الآثوسي** مؤسس دير اللافرا في جبل آثوس († القرن العاشر).
- (القدّيس) **أثناسيوس الكبير** رئيس أساقفة الاسكندرية (†٣٧٣).
- **أثيناغوراس** الفيلسوف الأثينائي (القرن الثاني).
- (القدّيس) **إسحق السوريّ** أو السريانيّ أسقف نينوى الناسك (أواخر القرن السادس).
- (المغبوط) **أغسطينوس** أسقف إيبونة في أفريقيا (†٤٣٠).
- (القدّيس) **إغناطيوس بريانشنينوف** أسقف ستافروبوليس في روسيّا (†١٨٦٧).
- **إفاغريوس** البنطيّ الشمّاس الناسك الذي انحرف في بعض تعاليمه عن الإيمان القويم (†٣٩٩).
- (القدّيس) **إفرام السوريّ** أو السريانيّ شمّاس كنيسة الرها (†٣٧٣).
- **أفرهات** الحكيم الفارسيّ (†٣٥٠ تقريباً).
- **إفسافيوس القيصريّ** أسقف قيصريّة فلسطين وأبو التاريخ الكنسيّ (†٣٤٠).
- **إكليمنضوس الإسكندريّ** علاّمة مدرسة الإسكندريّة (†٢١٥).
- (القدّيس) **إكليمنضوس الرومانيّ** أسقف رومية الشهيد (†١٠٠).
- **إلياس (إكذيكوس) الكاهن** اللاهوتيّ وناظم التسابيح († أواخر القرن الحادي عشر أو مطلع القرن الثاني عشر).
- (القدّيس) **أمبروسيوس أسقف ميلان** في إيطاليا (†٣٩٧).
- (القدّيس) **أمبروسيوس ناسك أوبتينو** في روسيّا (†١٨٩١).
- (القدّيس) **أنسطاسيوس السينائي** رئيس دير سيناء († مطلع القرن الثامن).
- **أوريجانيس** العلاّمة الإسكندريّ الذي انحرف في بعض تعاليمه عن الإيمان القويم († ٢٥٤).

- (القدّيس) **إيپوليتس** رئيس أساقفة رومية الشهيد (✝٢٥٠).
- (القدّيس) **إيريانوس** أسقف ليون في فرنسا (✝٢٠٢).
- (القدّيس) **إيسيخيوس الأورشليمي** الكاهن (+٤٣٢).
- (القدّيس) **إيسيذورس الإشبيليّ** الأسقف (+٦٣٦).
- (القدّيس) **إيسيذورس البيلوسيّ** في مصر وتلميذ الذهبيّ الفم (✝٤٣٥).
- (القدّيس) **إيلاريوس** أسقف پواتييه في فرنسا (✝٣٦٨).
- (القدّيس) **باسيليوس الكبير** رئيس أساقفة قيصريّة الكباذوك (✝٣٧٩).
- (القدّيس) **پاييسيوس الكبير** أحد كبار النسّاك في بريّة النطرون بمصر (✝القرن الرابع).
- (القدّيس) **برصنوفيوس الكبير** ناسك غزة بفلسطين (✝ القرن السادس).
- **برنار** مؤسس دير كليرڤو في فرنسا وأحد ملافنة الكنيسة الغربيّة، وقد دعا الى الحملة الصليبيّة الثانية (✝١١٥٣).
- **بطرس الذهبي النطق** (Chrysologus) أسقف راڤينا وأحد قدّيسي الكنيسة الغربيّة (✝٤٥٠).
- (القدّيس) **بطرس الدمشقيّ** الراهب الهدوئيّ الذي له مؤلّفات في الفيلوكاليّا (✝القرن الثاني عشر).
- **بلاديوس** أسقف هيلينوپوليس في غلاطية ومؤلف كتاب "فردوس الرهبان" (✝بعد ٤٢٠).
- (القدّيس) **بنديكتوس** الراهب الإيطاليّ ومؤسّس البندكتيّين (✝٥٤٧).
- **تاتيانوس** تلميذ القدّيس يوستينوس (✝١٨٠ تقريباً).
- **ترتليانوس** العلاّمة القرطاجيّ والزائغ لاحقاً إلى البدعة المونتانيّة (✝ بعد ٢٢٠).
- (القدّيس) **ثيوذورس الستوديتيّ** رئيس دير ستوديون في القسطنطينيّة (✝٨٢٦).

- **ثيوذورس الموبسوستيّ** أسقف موبسوست في اليونان والذي حكم عليه مجمع القسطنطينيّة سنة ٥٥٣ (✝٤٢٨).
- **ثيوذوريتس القورشيّ** الأسقف وأحد كتبة الكنيسة السريانيّة (✝٤٦٦).
- (القدّيس) **ثيوفانيس الحبيس** أسقف تامبوف في روسيّا (✝١٨٩١).
- (القدّيس) **ثيوفيلس الأنطاكيّ** الأسقف (✝١٨٥).
- **جناديوس الثاني سخولاريوس** بطريرك القسطنطينيّة (✝ القرن الخامس عشر).
- **ذيذيموس الأعمى** المعلّم الإسكندريّ وتلميذ أوريجانيس والذي حكم عليه مجمع القسطنطينيّة سنة ٥٥٣ (✝٣٩٨).
- **ذيوذورس الطرسوسيّ** أسقف طرسوس في كيليكيا (✝ قبل ٣٩٤).
- **ذيونيسيوس الأريوباغي** الكاتب المنتحِل (ما بين القرنين الخامس والسادس).
- (القدّيس) **رومانس المرنّم** شمّاس بيروت ثمّ القسطنطينيّة (✝٥٦٠).
- **سفيروس الأنطاكيّ** البطريرك القائل بالطبيعة الواحدة مجدداً (✝٥٣٨).
- (القدّيس) **سلوان** الراهب الآثوسيّ (✝١٩٣٨).
- (القدّيس) **سمعان التسالونيكيّ** رئيس أساقفة تسالونيك وآخر تلامذة القدّيس غريغوريوس پالاماس (✝ القرن الخامس عشر).
- (القدّيس) **سمعان اللاّهوتيّ الجديد** رئيس دير القدّيس ماما في القسطنطينيّة (✝١٠٢٢).
- (القدّيس) **سمعان المترجم** الراهب القسطنطينيّ وجامع سير القدّيسين (✝القرن الحادي عشر).
- (القدّيسة) **سنكليتيكي** البتول الناسكة الإسكندريّة وأمّ الراهبات (✝ أواسط القرن الرابع).
- **سوزومنوس** (هرميوس–) المؤرّخ الكنسيّ في القسطنطينيّة للردح الممتدّ ما بين عامي ٣١٢ و ٤٣٩ (✝ القرن الخامس).

- (القدّيس) **سيرافيم ساروفسكي** الناسك الروسيّ (✝١٨٣٣).
- (القدّيس) **صفرونيوس** بطريرك أورشليم (✝٦٣٨).
- (القدّيس) **غريغوريوس السينائي** أحد مؤلفي الفيلوكاليّا (✝١٣٦٠).
- (القدّيس) **غريغوريوس الكبير** بابا رومية والملقّب بالذيالوغوس (✝٦٠٤).
- **غريغوريوس الناريكي** أحد قدّيسي الكنيسة الأرمنيّة (✝١٠١٠).
- (القدّيس) **غريغوريوس النزينزيّ** الملقّب باللاهوتيّ رئيس أساقفة القسطنطينيّة (✝٣٨٩).
- (القدّيس) **غريغوريوس النيصيّ** الأسقف أخو القدّيس باسيليوس الكبير (✝٣٩٦).
- (القدّيس) **غريغوريوس پالاماس** مطران سالونيك المدافع عن الإيمان القويم (✝١٣٥٩).
- (القدّيس) **فوتيوس** المعترف بطريرك القسطنطينيّة المعادل الرسل (✝٨٩١).
- (القدّيس) **فيلوثاوس السينائي** أحد مؤلّفي الفيلوكاليّا (ما بين القرنين التاسع والعاشر).
- **فيلوكسينوس** أسقف منبج شمال حلب أحد الكتّاب السريان والذي مال الى الهرطقة (✝٥١٩).
- (القدّيس) **قسطنطين الكبير** الملك المعادل الرسل (✝٣٣٧).
- **كاترينا السّيانيّة** إحدى قدّيسات الكنيسة الغربيّة وشفيعة إيطاليا (✝١٣٨٠).
- (القدّيس) **كبريانوس** أسقف قرطاجة الشهيد (✝٢٥٧).
- (القدّيس) **كيرلس الإسكندريّ** رئيس أساقفة الإسكندريّة البارز في مجمع أفسس (✝٤٤٤).
- (القدّيس) **كيرلس الأورشليميّ** رئيس أساقفة أورشليم (✝٣٨٧).
- (القدّيس) **كيساريوس** أسقف آرل في فرنسا (✝٥٤٢).
- (القدّيس) **لاون الكبير** بابا رومية (✝٤٦١).

- **لَكْتانسيوس** (لوكيوس كيتشيليوس فيرميانوس–) الأفريقيّ المهتدي إلى المسيحيّة والمدافع عنها (†٣٤٠).
- (القدّيس) **مثوذيوس الأولمپيّ** الأسقف الشهيد (القرن الثالث).
- (القدّيس) **مرقس إفجانيكوس مطران أفسس** المدافع عن الإيمان القويم (†١٤٤٤).
- (القدّيس) **مرقس الناسك** في آسيا الصغرى وأحد تلامذة الذهبيّ الفم كما يبدو (†مطلع القرن الخامس).
- (القدّيس) **مكاريوس الإسكندري** الملقّب بالمدنيّ ثمّ الناسك في النطرون وأحد تلامذة القدّيس أنطونيوس الكبير (القرن الرابع).
- (القدّيس) **مكاريوس الكبير** المصريّ معلّم البرّية (†٣٩٠).
- (القدّيس) **مكسيموس المعترف** اللاهوتيّ الشهير والمحارب أصحاب المشيئة الواحدة (†٦٦٢).
- (القدّيس) **منصور (ڤانسان) الليرينيّ** الراهب والكاهن في دير ليرين بفرنسا (†٤٥٠).
- (القدّيسة) **ميلاني** الروميّة الزوجة ثمّ الراهبة والناسكة في تونس وفلسطين (†٤٣٤).
- (القدّيس) **ميليتون** أسقف سرديس في آسيا الصغرى (القرن الثاني).
- **نرساي** أحد الكتّاب السريان ومؤسّس مدرسة نصيبين (القرن الخامس).
- (القدّيس) **نكتاريوس العجائبيّ** أسقف المدن الخمس في أفريقيا (†١٩٢٠).
- (القدّيس) **نيقوذيموس الراهب الآثوسيّ** (†١٨٠٩).
- (القدّيس) **نيقولا كاباسيلاس** العلمانيّ اللاهوتيّ البيزنطيّ († قبل ١٣٩١).
- **نيكيتا ستيثاتوس** رئيس دير ستوديون في القسطنطينيّة (†١٠٩٠).
- (القدّيس) **نيلس تلميذ الذهبيّ الفم** والناسك في دير سيناء (†٤٣٠).

- (القدّيس) **نيلس سورسكي** الناسك الروسيّ (+١٥٠٨).
- (القدّيس) **يرونيموس** مترجم الأسفار المقدّسة إلى اللاتينية / VULGATA (✝٤١٩).
- **يعقوب السروجيّ** أسقف سروج في الفرات وأحد الكتّاب السريان (✝٥٢١).
- **يوحنّا إفجانيكوس** الشمّاس أخو القدّيس مرقس الأفسسيّ (القرن الخامس عشر).
- (القدّيس) **يوحنّا الدمشقيّ** الكاهن والراهب في دير القدّيس سابا بفلسطين والملقّب بمجرى الذهب (✝٧٥٣).
- (القدّيس) **يوحنّا الذهبيّ الفم** الأنطاكيّ رئيس أساقفة القسطنطينيّة (✝٤٠٧).
- (القدّيس) **يوحنّا السلّمي** رئيس دير طور سيناء وكاتب "سلّم الفضائل" (✝٦٠٣).
- (القدّيس) **يوحنّا كاسيانوس** الرومانيّ المعترف (✝٤٣٥).
- (القدّيس) **يوحنّا كرونشتات** الكاهن الروسيّ (✝١٩٠٨).
- **يوحنّا موسخوس** كاتب "المرج الروحيّ" (✝٦١٩).
- (القدّيس) **يوستينوس** الفيلسوف الفلسطينيّ الشهيد (✝١٦٥).
- **يوسيفوس** فلافيوس المؤرّخ اليهوديّ (✝١٠٠).

(792)- L'Evangile médité avec les Pères (T.5) –op.cit. –pp.410,416.
(793)- STANILOAE ,Dumitru –**Prière de Jésus et Expérience du Saint-Esprit** –Théophanie,DDB,1981 –p.93.
(794)- Sermons pour la Pâque –op.cit. –pp.321,323.
(795)- Arsène Henry (Mme) – **Les plus beaux textes sur le Saint-Esprit-** La Colombe, éd. Vieux colombier, Paris , 1957 –p.180.
(796)- ibid. –p.185.
(797)- Irénée de Lyon (St.)- **La Symphonie du Salut** – Fontaine vive/Centurion, Paris ,1982 –p.101.
(798)- Les Homélies spirituelles de St.Macaire –op.cit. –pp.226,227.
(799)- **SOZOMÈNE** – **Histoire Ecclésiastique** (Livres VII – IX)-S.C.516- Cerf ,Paris ,2008 –pp.259..263.
(800)- Sermons sur la Genèse –op.cit. –p.335.
(801)- EVDOKIMOV,Paul – **Sacrement de l'amour** (Le mystère conjugal à la lumière de la Tradition orthodoxe)-éd. L'ÉPI , France ,1962 –p.65.
(802)- ibid. –p.74.
(803)- Syméon Le Nouveau Théologien - **Traités Théologiques et éthiques I**– S.C.122-Cerf,1966 –p.381.
(804)- ΘΗΣΑΥΡΟΣ ΠΡΟΣΕΥΧΩΝ - op.cit. - σσ. 52…55.
(805)- Nectaria (Moniale) – **Sous l'Étole bénie de Nectaire d'Egine** (Sa vie et Ses miracles) – col.Les théophores ,éd.Désert,2003 –pp.49..51.
(806)- ΘΗΣΑΥΡΟΣ ΠΡΟΣΕΥΧΩΝ - op.cit. - σσ. 72…74.

(757)- Sur le Baptême –op.cit. –p.187.
(758)- La félicité de connaître la voie –op.cit. –p.90.
(759)- Pour garder la flamme –op.cit. –pp.17,18.
(760)- Connaissance des Pères de l'Eglise (93) –op.cit. –p.33.
(761)- The Bible and the Holy Fathers –op.cit. –p.10.
(762)- Sources –op.cit. –p.274.
(763)- Sermons III –op.cit.- p.93.
(764)- ibid. –pp.124,125.
(765)- ibid. –pp.119,120,124.
(766)- The Orthodox Ethos –op.cit. –p.83.
(767)- Christus 34 –op.cit. –p.173.
(768)- Connaissance des Pères de l'Eglise (93) –op.cit. –pp.37,38.
(769)- DESEILLE, Placide – **La Spiritualité orthodoxe et la philocalie** – Coll. spiritualités vivantes (197), éd. Albin Michel, France, 2003 – pp. 109, 110.
(770)- A scientific examination of the Orthodox Church calendar–op.cit.–p.122.
(771)- Connaissance des Pères de l'Eglise (93) –op.cit. –pp.41..43.
(772)- Sermons pour la Pâque –op.cit. –p.263.
(773)- Commentaire sur St. Matthieu II –op.cit. –pp.309..313.
(774)- The Bible and the Holy Fathers –op.cit. –p.930.
(775)- Sermons III –op.cit. –pp.136,137.
(776)- Les chemins vers Dieu –op.cit.–pp.286,287.
(777)- Dogmatique de l'Eglise Orthodoxe Catholique (T.3) –op.cit. –p.501.
(778)- The Bible and the Holy Fathers –op.cit. –pp.939,940.
(779)- ibid. –pp.940,941.
(780)- Sermons III –op.cit. –p.142.
(781)- The Bible and the Holy Fathers –op.cit. –p.942.
(782)- ibid. –pp.941,942.
(783)- ibid. –pp.945,946.
(784)- ibid. –p.943.
(785)- Sermons pour la Pâque –op.cit. –pp.349,351.
(786)- Hymnes V –op.cit. –pp.35,51,37.
(787)- Commentaire sur St.Matthieu II –op.cit. –p.315.
(788)- The Bible and the Holy Fathers –op.cit. –pp.946,947.
(789)- ibid. –p.948.
(790)- Sermons III –op.cit. –pp.82,83.
(791)- **CHRYSOSTOME**,Jean (St.) –**Oeuvres Complètes, Tome 3ème** – trad.de M.JEANNIN–ARRAS, Sueur Charruey imp.,1887–pp. 252,255,257,258.

(725)- Commentaire sur St. Matthieu II –op.cit. –p.315.
(726)- ibid. -p.277.
(727)- CHRYSOSTOME,Jean (St) -**Sur Babylas** –S.C.362 –Cerf,1990 –p.221.
(728)- Commentaire sur St.Matthieu II –op.cit. –pp.307,309.
(729)- **تاريخ يوسيفوس (بن كريون) اليهوديّ** – بيروت، طبع سنة ١٨٧٢ بنفقة
الخواجات سليم مدوّر وابراهيم سركيس – ص ص. ٢١٤، ٢٧٢.
(730)- Traité sur L'Evangile de St. Luc II –op.cit. –p.202.
(731)- L'Evangile médité avec les Pères (T.5) –op.cit. –p.235.
(732)- The Bible and the Holy Fathers –op.cit. –pp.933..935.
(733)- La Passion du Christ –op.cit. -pp.251,253.
(734)- L'Evangile médité avec les Pères (T.5) –op.cit. –p.229.
(735)- The PHILOKALIA –op.cit. –p.337.
(736)- Philosophie orthodoxe de la vérité (T.3) –op.cit. –pp.238,240.
(737)- **Jesus Christ,the Life of the World** (An orthodox contribution to the vancouver theme) – éd.by Ion BRIA – World council of churches, Geneva, 1982 – p.66.
(738)- The Bible and the Holy Fathers –op.cit. –pp.1029,1030.
(739)- Les chemins vers Dieu –op.cit. –p.110.
(740)- La divinisation du Chrétien d'après les Pères grecs –op.cit. –p.307.
(741)- Sources –op.cit. –p.95.
(742)- DILLISTONE,F.W. – **Christianity and Symbolism** – SCM Press, London, 1985 –pp.186,187.
(743)- Les Pères de l'Eglise (HAMMAN) –op.cit. –pp.189,190.
(744)- **LA BIBLE** (Parole pour aujourd'hui) - Département Histoire Chrétienne **(HACHETTE) –Vol.9** (Lectures),1988 –p.38.
(745)- Sur le Baptême –op.cit. –p.151.
(746)- ibid. –pp.207,209.
(747)- The Bible and the Holy Fathers –op.cit –p.924.
(748)- Orthodox Psychotherapy –op.cit. –p.89.
(749)- Sermons sur la Genèse –op.cit. –pp.337,339,343,345.
(750)- The teaching of the Fathers on the passions –op.cit. –p.41.
(751)- Les Pères de l'Eglise (HAMMAN) –op.cit. –pp.309,310.
(752)- Preaching the Word of God –op.cit. –p.86.
(753)- Commentaire sur St.Matthieu II –op.cit. - p. 317.
(754)- Sermons III –op.cit. –p.83.
(755)- ibid. –p.119.
(756)- Saints Anciens de l'Afrique du Nord –op.cit. –p.108.

(692)- **New Catholic Encyclopedia** – McGRAW, Hill Book Company, U.S.A, 1967(vol X) –p.1059.
(693)- idem.
(694)- La femme et le salut du monde –op.cit. p.265.
(695)- Traité sur L'Evangile de St.Luc II –op.cit. –pp.192,193.
(696)- Sermons III –op.cit. –p.91.
(697)- La divinisation du Chrétien d'après Les Pères grecs –op.cit. –p.188.
(698)- The Bible and the Holy Fathers –op.cit. –p.877.
(699)- Lire les Pères de l'Eglise –op.cit. –p.342.
(700)- Initiation à la doctrine des Pères de L'Eglise –op.cit. –pp.389, 391, 392.
(701)- Lire les Pères de l'Eglise –op.cit. –p.383.
(702)- New Catholic Encyclopedia (vol.X) –op.cit. –p.1061.
(703)- Dieu est amour –op.cit. –p.57.
(704)- **Dictionnaire de Spiritualité (Tome XII,1ère partie)** – Beauchesne, Paris, 1984 –p.323.
(705)- The PHILOKALIA –op.cit. –p.302.
(706)- La Passion du Christ –op.cit. –p.261.
(707)- Sermons III –op.cit. –p.19.
(708)- ibid. –p.62.
(709)- Les Exposés II - op.cit. –pp.844,846.
(710)- Theology and the Church –op.cit. –pp.193,195.
(711)- Sermons pour la Pâque –op.cit. –pp.201,203.
(712)- ibid. –p.205.
(713)- ibid. –p.221.
(714)- ibid. –pp.255..259.
(715)- Initiation à la doctrine des Pères de L'Eglise –op.cit. –p.397.
(716)- L'Evangile médité avec les Pères (T.5) - op.cit. –p.6.
(717)- ibid . –p.125.
(718)- ibid. –p.385.
(719)- Théodoret de Cyr – **Commentaire sur Isaïe III** – S.C.315 – Cerf, 1984 – pp.151..161.
(720)- The PHILOKALIA –op.cit. –p.49.
(721)- St.Athanasius – **On the Incarnation** (The treatise De Incarnatione Verbi Dei) –St.Vladimir's Orthodox theological seminary,N.Y, 1953 –pp.48,51..57,62,63.
(722)- Origène – **Homélies sur les Juges** –S.C.389 –Cerf,1993 –pp.75,77, 83, 85, 87, 93.
(723)- Commentaire sur St.Matthieu II –op.cit. –pp.305,307.
(724)- Sur Matthieu II –op.cit. –p.245.

(662)- Augustin –**Discours sur les Psaumes II** (du Psaume 81 au Psaume 150) –Sagesses Chrètiennes,Cerf,Paris,2007 –pp.613,614.
(663)- BÉZINE,S.(O.P.)-**Sainte Catherine de Sienne vous parle** (1ère partie/vers La perfection) –éd.de l'Abeille,Lyon,1941 –pp.237..240.
(664)- Commentaire sur St.Matthieu II –op.cit. –pp.295,297.
(665)- Sermons pour la Pâque –op.cit. –pp.273,275.
(666)- Traité sur L'Evangile de St.Luc II –op.cit. –pp.195,196.
(667)- Sermons sur la Genèse –op.cit. –pp.325,327.
(668)- ibid. –pp.327..333.
(669)- Sermons III –op.cit. -p.39.
(670)- Commentaire sur Matthieu II –op.cit –p.299.
(671)- Traité sur L'Evangile de St.Luc II –op.cit. –pp.197,198.
(672)- Sermons III –op.cit. –p.39.
(673)- Sur Matthieu II –op.cit. –p.257.
(674)- LE GUILLON ,M.J. – **L'Esprit de l'Orthodoxie greque et russe** – je sais je crois 135, Librairie Arthème Fayard,Paris,1961 –pp.40,41.
(675)- Sermons III –op.cit. p.72.
(676)- Commentaire sur St. Matthieu II –op.cit. –pp.299..303.
(677)- Traité sur L'Evangile de St. Luc II –op.cit. –p.201.
(678)- L'Evangile médité avec les Pères (tome 5) –op.cit. –p.144.
(679)- BROCK,Sebastien – **L'œil de Lumière** (La vision spirituelle de Saint Ephrem) –Spiritualité Orientale (50) –Abbaye de Bellefontaine, 1991 – pp. 94, 95.
(680)- L'Evangile médité avec les Pères (t.5) –op.cit. –p.204.
(681)- Lettres I (S.C.422) –op.cit. –p.201.
(682)- Sermons III –op.cit. –pp.101..103.
(683)- The Bible and the Holy Fathers –op.cit. –p.1025.
(684)- Sur Matthieu II –op.cit. –pp.237,239.
(685)- Aphraate Le sage persan – **Les Exposés II** – S.C.359 –Cerf,1989 – pp. 578, 579.
(686)- **ΘΡΗΣΚΕΥΤΙΚΗ ΚΑΙ ΗΘΙΚΗ ΕΓΚΥΚΛΟΠΑΙΔΕΙΑ (11°τομος)**- Αθαν. ΜΑΡΤΙΝΟΣ, ΑΘΗΝΑ , 1967 - σ.421.
(687)- HAMMAN, Adalbert – **La philosophie passe au Christ** (L'œuvre de Justin) –Littératures chrétiennes (3) – éd. de Paris,1958 – pp.282,284.
(688)- L'Evangile médité avec les Pères (T.5) –op.cit. –p.200.
(689)- Sermons pour la Pâque -op.cit. –p.249.
(690)- La divinisation du Chrétien d'après Les Pères grecs –op.cit. –p.151.
(691)- Theology and the Church –op.cit. –pp.197,198.

(624)- Maxime Le Confesseur –**<u>Opuscules théologiques et polémiques</u>** – Sagesses Chrétiennes,Cerf,Paris,1998 –pp.142..144.
(625)- Lire les Pères de l'Eglise –op.cit. –p.299.
(626)- Commentaire sur St.Matthieu II –op.cit. –pp.259,261.
(627)- ibid. –p.275.
(628)- L'Evangile médité avec les Pères (Tome 5) –op.cit. –p.61.
(629)- Hilaire de Poitiers –**<u>Sur Matthieu II</u>** – S.C.258 –Cerf , 1979 –p.241.
(630)- La Passion du Christ. –op.cit. –p.153.
(631)- La mort et les morts d'après Saint Augustin –op.cit. –pp.295..297.
(632)- Sur Matthieu II –op.cit. –p.243.
(633)- L'Evangile médité avec les Pères (Tome 5) –op.cit. –p.8.
(634)- Traité sur l'Evangile de St. Luc II –op.cit. –pp.178..180.
(635)- Sermons III –op.cit. –p.118.
(636)-ibid. –pp.67,68.
(637)- The Philokolia –op.cit. –p.222.
(638)- Sermons pour la Pâque –op.cit. –p.331.
(639)- La Passion du Christ –op.cit. –p.193.
(640)- Commentaire sur St. Matthieu II –op.cit. –p.265.
(641)- Traité sur l'Evangile de St.Luc II -op.cit. –pp.181,182,186,187.
(642)- Commentaire sur St.Matthieu II –op.cit. –pp.271,273.
(643)- Lire Les Pères de l'Eglise –op.cit. –pp.657,658.
(644)- L'Evangile médité avec les Pères (Tome 5) –op.cit. –p.72.
(645)- Commentaire sur St. Matthieu II –op.cit. –p.269.
(646)- Sur Matthieu II –op.cit. –pp.247,249.
(647)- Isidore de Péluse – **<u>Lettres I – S.C.422</u>**-Cerf,1990 –p.305.
(648)- Commentaire sur St.Matthieu II –op.cit. –p.279.
(649)- Traité sur L'Evangile de St.Luc II –op.cit. –p.189.
(650)- Sermons III –op.cit. –pp.57,58.
651)- Traité sur l'Evangile de St.Luc II –op.cit. –p.190.
(652)- L'Evangile médité avec les Pères (tomes 5) op.cit. –pp.121,125.
(653)- ibid.- p.110.
(654)- ibid. –p.113.
(655)- Commentaire sur St.Matthieu II –op.cit. –pp.281,283,285.
(656)- L'Evangile au desert –op.cit. –p.222.
(657)- Sur Matthieu II –op.cit.- p.253.
(658)- Lettres I (S.C.422) –op.cit. –p.219.
(659)- Traité sur L'Evangile de St. Luc II –op.cit. –p.195.
(660)- Commentaire sur St. Matthieu II –op.cit. –pp.287..295.
(661)- The Bible and the Holy Fathers –op.cit. –pp.1026..1028.

(592)- Les Pères de l'Eglise (HAMMAN) –op.cit. –pp.228,229.
(593)- Saints Anciens d'Afrique du Nord –op.cit - p.73.
(594)- Sources –op.cit. –p.111.
(595)- Sur Le Baptême –op.cit. -p.199.
(596)- The Bible and the Holy Fathers –op.cit. –pp.943,944.
(597)- Initiation à la doctrine des Pères de L'Eglise –op.cit. –p.433.
(598)- GORCE,Denys –**Lettres spirituelles de Saint Jerôme (1)** – Bibliothèque patristique de spiritualité, Librairie Lecoffre,Paris, 1932 –pp.78..82,89,90.
(599)- The Calendar Question –op.cit. –p.67.
(600)- 2000 Ans de Christianisme (Tome 1) –op.cit. –p.136.
(601)- Lettres spirituelles de Saint Jerôme –op.cit. –p.75.
(602)- The Calendar Question –op.cit. –p.69.
(603)- CONIARIS, Anthony – **Preaching the Word of God** – Holy Cross Orthodox Press ,Brookline, Massachusetts,1983 –pp.136,137.
(604)- Sermons pour la Pâque –op.cit. –pp.329,331.
(605)- The Bible and the Holy Fathers –op.cit. –p.948.
(606)- Sur Le Baptême –op.cit. –pp.247,249,251.
(607)- Commentaire sur St.Matthieu II –op.cit. –p.13,15.
(608)- Sermons pour la pâque –op.cit. –pp.267,269.
(609)- ibid. –pp.341,343.
(610)- The Calendar Question –op.cit. –p.67.
(611)- Ambroise de Milan (Jourjon) –op.cit. –p.124.
(612)- Sources –op.cit. –p.115.
(613)- Syméon Le Nouveau Théologien – **Traités Théologiques et éthiques II** –S.C.129-Cerf,Paris,1967 –pp.186,188.
(614)- Christus 34 –op.cit. –pp.181,182.
(615)-The Bible and the Holy Fathers –op.cit. –pp.902,903.
(616)- Les Paroles d'Adieux du Seigneur –op.cit. –pp.263,264.
(617)- ibid. – p.264.
(618)- Ambroise de Milan – **Traité sur l'Evangile de St.Luc II** –S.C.52 – Cerf,1958 –pp.175..177.
(619)- Sermons III –pp.33,34.
(620)- The Bible and the Holy Fathers –op.cit. –p.1001.
(621)- FARELL,Joseph / D.Phil (OXON) – **Free Choice in St. Maximus the Confessor**–St. Tikhon's Seminary Press, U.S.A (Pensylvania), 1989- p.76.
(622)- Commentaire sur St.Matthieu II –op.cit. –pp.253,255.
(623)- ibid. –p.233.

(562)- Théodoret de Cyr – **Correspondance IV** – S.C.429 – Cerf,1998-pp.145,149.
(563)- VON SCHÖNBORN, Christoph- **Sophrone de Jérusalem** (vie monastique et confession dogmatique) –Théologie historique (20) – Beauchesne,Paris,1972 –pp.204,205,209.
(564)-TREMBELAS,Panagiotis N. – **Dogmatique de l'Eglise Orthodoxe Catholique** (textes et études théologiques) ,**Tome 2,** Chevetogne (DDB),1967 –p.183.
(565)- The Orthodox Ethos –op.cit. –p.195.
(566)- Homélies sur la Genèse –op.cit. –pp.357,359,369,371,393.
(567)- Prières des premiers Chrétiens –op.cit. –pp.372,373.
(568)- Textes ascétiques des Pères de l'Eglise –op.cit. –p.178.
(569)- Homélies (YMCA) –op.cit. –p.157.
(570)- Le Banquet –op.cit. –pp.169,171,175,177.
(571)- Hymnes V –op.cit. –pp.299,301,319…327.
(572)- Commentaire sur St.Matthieu II –op.cit. –p.241.
(573)- La Passion du Christ –op.cit. –p.141.
(574)- Sermons pour la Pâque –op.cit. –p.209.
(575)- Tertullien – **De La Patience** –S.C.310. –Cerf,1984 –pp.67..71.
(576)- Lire les Pères de l'Eglise –op.cit. –p.299.
(577)- Les paroles d'Adieux du Seigneur –op.cit.- p.29.
(578)- Commentaire sur St.Matthieu II –op.cit. –p.243.
(579)- ibid. –pp.245,247.
(580)- L'Eucharistie et la Pénitence –op.cit. –p.46.
(581)- Points de vue Orthodoxes sur L'Unité des Chrétiens –op.cit. –pp.4,5.
(582)- L'Eucharistie et la Pénitence –op.cit. –p.46.
(583)- ibid. –pp.44,45.
(584)- The Bible and the Holy Fathers –op.cit. –p.939.
(585)- ALIVISATOS,Hamilcar S. – **Procès verbaux du premier congrès de théologie orthodoxe à Athènes (29 Nov – 6 Dec 1936)** – Imp.PYROS, Athènes,1939 –pp.401,402.
(586)- ibid. –p.402.
(587)- Lire Les Pères de l'Eglise –op.cit. –p.637.
(588)-La divinisation du Chrétien d'après les pères Grecs –op.cit. –p.259.
(589)- Le Christ au cœur des siècles –op.cit. –pp.199,200.
(590)- Sermons pour la Pâque –op.cit. –pp.236,237,243.
(591)- L'Eucharistie et la Pénitence –op.cit. –p.21.

(527)- ibid. –p.211.
(528)- Sermons II –op.cit. –pp.69,71.
(529)- Conversion –op.cit. –p.41.
(530)- ibid. –p.88.
(531)- Sermons sur la Genèse –op.cit. –p.303.
(532)- Le Pré spirituel –op.cit. –p.195.
(533)- Lire Les Pères de l'Eglise –op.cit. –p.348.
(534)- ibid. –p.380.
(535)- ibid. –p.628.
(536)- Le Pédagogue (vol.I) –op.cit. –p.225.
(537)- ibid. –p227.
(538)- ibid. –p.228.
(539)- Le Pédagogue (vol.II) –op.cit. –p.61.
(540)- ibid. –p.73.
(541)- ibid. – p.87.
(542)- ibid. –p.101.
(543)- ibid. –p.189.
(544)- Le Pédagogue (vol.III) –op.cit. –p.75.
(545)- Orthodox Psychotherapy –op.cit. –p.61.
(546)- ibid. –p.218.
(547)- ibid. –p.233.
(548)- ibid. –p.254.
(549)- Les plus beaux textes sur L'Au-Delà –op.cit. –p.144.
(550)- ibid. –pp.146,147.
(551)- Grégoire Le Grand – **Homélies sur Ézéchiel II** –S.C.360 –Cerf, 1990 –pp.389..401.
(552)- Dogmatique de l'Eglise Orthodoxe Catholique (Tome 3) –op.cit. –p.483.
(553)- Philosophie Orthodoxe de la vérité (tome 5) –op.cit. –p.417.
(554)- Orthodox Psychotherapy –op.cit. –p.108.
(555)- Sermons III –op.cit. –p.128.
(556)- QUERE-JAULMES,F./ HAMMAN,A. –**Les Chemins vers Dieu** – Lettres Chrétiennes(11) –éd.Centurion,Paris ,1967 –p.38.
(557)- Sermons pour la pâque –op.cit. –pp.227,229.
(558)- Sermons II –op.cit. –p.153.
(559)- Les Pères de l'Eglise (HAMMAN) –op.cit. -p.295.
(560)- Sermons III –op.cit. –pp.15,31,32,80,81,86..90,103,104,124,130.
(561)- Towards Unity (Geneva) –op.cit. – p.75.

(494)- ibid. –pp.30,31.
(495)- ibid. –pp.29,30.
(496)- ΘΗΣΑΥΡΟΣ ΠΡΟΣΕΥΧΩΝ - op.cit. - σσ. 37..41.
(497)-Ambroise de Milan – **Apologie de David** – S.C.239-Cerf,1977 – pp.79,81,83.
(498)- Les Homélies spirituelles de St.Macaire – op.cit. –pp. 334, 336, 356, 360.
(499)- Sermons II -op.cit. –pp.173,175,177.
(500)-Œuvres monastiques II –op.cit. –p.213.
(501)- La mort et les morts d'après St.Augustin –op.cit. –p.306.
(502)- Sur le Baptême –op.cit. –pp.97,99,101.
(503)- Les Pères de l'Eglise (HAMMAN) –op.cit. –p.71.
(504)- Sermons II –op.cit. –p.59.
(505)- The teaching of the Fathers on the passions –op.cit. –p.15.
(506)- Œuvres monastiques II –op.cit. –p.217.
(507)- Les vies des Pères des déserts d'Orient –op.cit. –p.116.
(508)- La Passion du Christ –op.cit. –p.195.
(509)- Orthodox Psychotherapy –op.cit. –p.198.
(510)- A Treasury of Russian Spirituality –op.cit. –p.258.
(511)- Le Starets Ambroise d'Optino –op.cit. –p.155.
(512)- L'Art de la prière –op.cit. –pp.249,250.
(513)- L'Echelle de Jacob et la vision de Dieu –op.cit. –p.3.
(514)- FLOROVSKY, G. (et autres) - **La Sainte Eglise Universelle** (Confrontation oeucuménique)- Cahiers théologiques de L'Actualité Protestante,Delachaux Neuchatel et Niestlé S.A.,Paris,1948-p.12.
(515)- Les Pères de l'Eglise(HAMMAN) –op.cit. -pp.212,216.
(516)- Sermons II –op.cit. –pp.67,69.
(517)- Penthos – op.cit. –p.63.
(518)- Sermons pour la Pâque –op.cit.-pp.205,207.
(519)- Lactance - **Épitomé des Institutions Divines** – S.C.335- Cerf, Paris, 1987-pp.181,183,179.
(520)- Sermons pour la Pâque –op.cit. –pp.289,291,293.
(521)- ibid. –pp.231,233.
(522)- The Bible and the Holy Fathers –op.cit. –pp.999,1000.
(523)- Towards Unity (Geneva) –op.cit. –p.78.
(524)- Partakers of God -op.cit. –p.44.
(525)- Sermons II –op.cit. –p.171.
(526)- Sermons pour la Pâque –op.cit. –pp.251,253.

(460)- Lire Les Pères de l'Eglise –op.cit. –pp.619,620.
(461)- ibid. –p.573.
(462)- Sermons II –op.cit. –p.199.
(463)- The teaching of the Fathers on the passions –op.cit. –p.23.
(464)- Philocalie des Pères Neptiques –op.cit. –p.286.
(465)- Writings from the Philokalia on Prayer of the heart –op.cit. –p.329.
(466)- Sermons II –op.cit. –pp.87,93,95.
(467)- Séraphim de Sarov (S.0.11) –op.cit. –p.246.
(468)- Sermons II –op.cit. –pp.85,87.
(469)- ibid. –p.97.
(470)- Textes ascétiques des Pères de l'Eglise –op.cit. –p.391.
(471)- ibid. –p.401.
(472)- L'Evangile médité avec Les Pères (Tome 5) –op.cit. –p.29.
(473)- Sur le Baptême –op.cit. –pp.299,301.
(474)- Sur la terre comme au ciel(LAROCHE)-op.cit. –p.87.
(475)- Le Pré Spirituel –op.cit. –p.284.
(476)- CLÉMENT,Olivier(et autres) –**La douloureuse joie** –Spiritualité orientale(14) –Bellefontaine,1974 –p.62.
(477)- Conversion –op.cit. –p.41.
(478)- Sermons por la pâque –op.cit. –p.199.
(479)- Œuvres monastiques I –op.cit. –pp.201,203.
(480)- ibid. –p.235.
(481)- A Théodor –op.cit. –p.189.
(482)- Le Pré Spirituel –op.cit. –p.162.
(483)- Les homélies spirituelles de St.Macaire –op.cit. –p.164.
(484)- Textes ascétiques des Pères de L'Eglise –op.cit. –pp.239,247.
(485)- A Théodor –op.cit. –p.213.
(486)- Lire les Pères de l'Eglise –op.cit. –p.621.
(487)- Règle de vie monastique –op.cit. –pp.45,48.
(488)- **Psautier Liturgique Orthodoxe** (Version de la Septante) – Trad.moniale Anastasia,Cerf,Paris,2007 –pp.45,46.
(489)- Extraits du commentaire de Diodore de Tarse sur les Psaumes – op.cit. –p.83.
(490)- ibid –p.101.
(491)- La Passion du Christ –op.cit. –pp.333..339.
(492)- Le Pré Spirituel –op.cit. –p.161.
(493)- The teaching of the Fathers on the passions –op.cit. –pp.32,33.

(427)- Le Pré Spirituel –op.cit. –p.107.
(428)- Orthodox Psychotherapy –op.cit. –199.
(429)- Œuvres monastiques II –op.cit. –p.87.
(430)- Sermons III –op.cit. –pp.143,144.
(431)- **Documents de la troisième conférence chrétienne pour la paix** – Le seul Avenir, Tchécoslovaquie,Praha,1960 –p.45.
(432)- St.Cyprien (BOUTET) – op.cit. -p.127.
(433)- BEHLER,G.M.- **Les Paroles d'Adieux du Seigneur** –Lectio divina 27,Cerf,1960 –p.64.
(434)- Les Pères de l'Eglise (HAMMAN) –op.cit. –pp277,278.
(435)- القدّيس يوحنا السلّمي-**السلّم الى الله**- تعريب رهبنة دير مار جرجس الحرف-منشورات النور-ط٢، ١٩٨٥
(436)- Textes ascétiques des Pères de l'Eglise –op.cit. –p.536.
(437)- The teaching of the Fathers on the passions –op.cit. –p.43.
(438)- Œuvres monastiques I –op.cit. –pp.311,313.
(439)- Orthodox Psychotherapy –op.cit. p.44.
(440)- ibid. –p.284.
(441)- The teaching of the Fathers on the passions –op.cit. –p.27.
(442)- ibid. –p.45.
(443)-ibid. –p.52.
(444)- ibid. –p.55.
(445)- Irénée de Lyon – **Contre les hérésies(livre V)** –S.C.153-Cerf,1969 pp.269,271,273.
(446)- Textes ascétiques des Pères de l'Eglise –op.cit. –p. 415.
(447)- ibid. –p.422.
(448)- Œuvres monastiques II –op.cit. –pp.143,147.
(449)-Sermons II –op.cit. –pp.75,77.
(450)- ibid. –pp.97,99.
(451)- ibid. –p.133.
(452)- Le Starets Ambroise d'Optino –op.cit. –pp.169,170.
(453)- Les Exposés I –op.cit. –pp.268,271,291.
(454)-Textes ascétiques des Pères de l'Eglise –op.cit. –pp.205,206.
(455)-Le Pré Spirituel –op.cit. –p.195.
(456)- ibid. –p.284.
(457)- Les Moines du Désert (Hist.Lausiaque) –op.cit. –p.20.
(458)- Conversion –op.cit. –p.89.
(459)- Sermons III –op.cit. –p.148.

(391)- ibid. - p.193.
(392)- Lire Les Pères de l'Eglise - op.cit. - p.396.
(393)- ibid. -pp. 517, 518.
(394)- ibid. - p.623.
(395)- Conversion - op.cit. - p.127.
(396)- Œuvres monastiques I - op.cit. - p.197.
(397)- Sermons II - op.cit. - pp. 135, 137, 143.
(398)- Sermons sur la Genèse - op.cit. -pp. 361, 363.
(399)- Les Pères de l'Eglise (HAMMAN) - op.cit. -pp. 161, 162.
(400)- St. Cyprien (BOUTET) - op.cit. -pp. 120..122.
(401)- LA BONNARDIÈRE, Anne Marie–**Chrétiennes des premiers siècles**– Eglise d'Hier et d'Aujourd'hui, éd. Ouvrières, Paris, 1957-p.130.
(402)- Le Pédagogue (Vol. II) –op.cit. –p.73.
(403)- ibid. –p.199.
(404)- ibid. – pp.205,207.
(405)- ibid. – p.211.
(406)- ibid. – P.217.
(407)- ibid. – pp.225,229.
(408)- ibid. –p.243.
(409)- Le Pédagogue(vol.III) –op.cit. –p.47.
(410)- ibid. – p.19.
(411)- ibid. – pp.21,23,39.
(412)- ibid. – pp.157,161.
(413)- A Théodore – op.cit.-pp159,161.
(414)-St.Cyprien (BOUTET) –op.cit-pp.119,120.
(415)- Lire Les Pères de L'Eglise -op.cit. –p.559.
(416)- idem.
(417)- La félicité de connaître la voie –op.cit. –p.42.
(418)- The teaching of the Fathers on the passions. –op.cit. –pp.49,50.
(419)- ibid. –p.45.
(420)- Le Pré Spirituel – op.cit. – p.250.
(421)- Orthodox Psychotherapy –op.cit. –p.114.
(422)- La divinisation du chrétien d'après Les Pères Grecs –op.cit.-p.251.
(423)- Praxis et Gnosis..-op.cit. –p.68.
(424)- Dieu est amour –op.cit. –p.68.
(425)-Partakers of God –op.cit. –p.61.
(426)-Lire Les Père de L'Eglise –op.cit. –p.568.

(358)- Orthodox Psychotherapy –op.cit. –pp.155,159.
(359)- ibid. –p.38.
(360)- ibid. –p.49.
(361)- ibid. –p.272.
(362)- ibid. –pp.143,314.
(363)- ibid. –pp.123,128,136.
(364)- The teaching of the Fathers on the passions –op.cit. –p.48.
(365)- virgines Christi –op.cit. –p.50.
(366)- Orthodox Psychotherapy –op.cit. –p.118.
(367)- DESEILLE, Placide (Archim.) –**L'Echelle de Jacob et la vision de Dieu** – Monastère St.Antoine Le Grand (Métochion de Simonos Petra) ,1995 –p.60.
(368)- Praxis et Gnosis.. –op.cit. –p.58.
(369)- The teaching of the Fathers on the Passions - op.cit. -pp. 52, 53.
(370)- ibid. - p.35.
(371)- ibid. -pp. 34, 35.
(372)- ibid. -pp. 38, 39.
(373)- Sermons pour la Pâque - op.cit. -pp. 157, 159.
(374)- Les vies des Pères des déserts d'Oient - op.cit. -pp. 135, 136.
(375)- The teaching of the Fathers on the Passions - op.cit. - p.38.
(376)- idem.
(377)- ibid. - p.37.
(378)- ibid. -pp. 37, 38.
(379)- La spiritualité de Nil Sorskij - op.cit. - p.350.
(380)- Philocalie des Pères Neptiques - op.cit. - p.262.
(381)- Martyria / Mission **(The witness of the Orthodox Church today)** - éd. by Ion Bria- World Council of Churches, Geneva, 1980 -pp. 83, 28.
(382)- Sermons sur la Genèse - op.cit. -pp. 171, 175.
(383)- NEYRON, Gustave - **Histoire de la charité** - Le Christianisme en Action, SPES, Paris, 1927 - p.56.
(384)- idem.
(385)- ibid. - p.58.
(386)- Sermons II - op.cit. - p.29.
(387)- ibid. -pp. 43, 45.
(388)- ibid. - p.33.
(389)- ibid. - p.129.
(390)- ibid. -pp. 179, 181.

(327)- The teaching of the Fathers on the passions –op.cit. –p.22.
(328)- **Buisson Ardent** (Cahier St. Silouane L'Athonite ,12) –Le sel de la terre, Belgique, 2006 –pp.48,49.
(329)- POPOVITCH, Justin (P.) –**Philosophie Orthodoxe de la vérité, Tome 3** –L'Âge d'Homme, Lausanne, 1995 –pp.203,204.
(330)- ibid. –p.213.
(331)- idem.
(332)- GILLQUIST, Peter –**Becoming Orthodox** (A journey to the Ancient Christian Faith) –Wolgemuth & Hyatt Publishers Inc ,U.S.A.,1989–P.126.
(333)- The Philocalia –op.cit. –pp.209,210.
(334)- Becoming Orthodox –op.cit. –p.131.
(335)- ibid. –pp.125,126.
(336)- Theology and the Church –op.cit. –p.200.
(337)- Césaire d'Arles (RICHÉ) –OP.CIT. –p.80.
(338)- Pour garder la flame –op.cit. –pp.50,51.
(339)- ibid. –pp.53..55.
(340)- ibid. –pp.55,56.
(341)- Sermons sur la Genèse –op.cit. –pp.325,327.
(342)- Textes Ascétiques des Pères de l'Eglise –op.cit. –pp.430,431.
(343)- L'Evangile médité avec les Pères (Tome5) –op.cit. –p.149.
(344)- Lire les Pères de l'Eglise –op.cit. –p.482.
(345)- ibid. –p.602.
(346)- Philosophie Orthodoxe de la vérité (Tome5) –op.cit. –p.357.
(347)- L'Evangile médité avec les Pères (Tome5) –op.cit. –p.148.
(348)- ibid. –p.14.
(349)- L'Art de la Prière –op.cit. –pp.275,276.
(350)- Sermons III –op.cit. –pp.132,133.
(351)- ibid. –pp.131,132.
(352)- Textes ascétiques des Pères de L'Eglise –op.cit. –pp.50,51.
(353)- Cassien, Jean (St.) –**Les Institutions Cénobitiques** (et les remèdes aux huit principaux vices) –Imp.Edouard Privat, Toulouse, 1923 –pp.250…253.
(354)- Les vies des Pères des déserts d'Orient –op.cit. –pp.138,144.
(355)- PALAMAS, Grégoire (St.) –**Homélies** –YMCA Press /OEIL, Paris, 1987 –pp.93,105..111,113.
(356)- Écrits d'Ascètes Russes –op.cit. –p.183.
(357)- LOT-BORODINE, Myrrha –**La deification de l'homme** (selon la doctrine des Pères Grecs) –Cerf, Paris,1970 –p.149.

(297)- Œuvres monastiques II –op.cit –p.143.
(298)- Lire les Pères de l'Eglise –op.cit. –p.622.
(299)- The teaching of the Fathers on the passions –op.cit. –pp.35,36.
(300)- ibid. –p.37.
(301)- Règle de vie monastique – op.cit. – pp.75,102,109.
(302)- Orthodox Psychotherapy – op.cit. – p.319.
(303)- ibid. –p.321.
(304)- ibid. –pp.312,337.
(305)- **La vie de Saint Athanase L'Athonite** – Chevetogne, Belgique, 1963 –p.84.
(306)- Sources –op.cit. –pp.260,261.
(307)- Conversion –op.cit. –p.57.
(308)- Sophrony (Archim.) –**La félicité de connaître La Voie** (des principes en Orthodoxie) –Perspective Orthodoxe (9) –Labor et fides, Genève, 1988 –p.92.
(309)- Œuvres monastiques I –op.cit. –p.199.
(310)- ibid. –p.315.
(311)- ibid. –p.335.
(312)- Œuvres monastiques II –op.cit. –p.79.
(313)- Sermons II –op.cit. –p.133.
(314)- The Bible and the Holy Fathers –op.cit. –p.943.
(315)- Bernard de Clairvaux –**A la Louange de la Vierge Mère** –S.C.390 – Cerf, Paris, 1993 –pp.179,181,185,187,189,229,231,239,241.
(316)- Athénagore –**Supplique au sujet des Chrétiens et sur la Résurrection des morts** –S.C.379 –Cerf,1992 –pp.205,207.
(317)- The teaching of the Fathers on the passions –op.cit. –pp.22,23.
(318)- ibid. –pp.20,21.
(319)- ibid –pp.21,22.
(320)- ibid. –p.22.
(321)- ibid. –p.26.
(322)- ibid. –p.27.
(323)- ibid. –p.20.
(324)- ibid. –pp.19,20.
(325)- MALONEY, G.A. –**La spiritualité de Nil Sorskij** (L'Hésychasme russe)–Spiritualité Orientale n°25 –Abbaye de Bellefontaine, France, 1978 –p.348.
(326)- Règle de vie monastique –op.cit. –pp.80,81.

(264)- ibid. –pp.85,87,91,93,109.
(265)- Sur le Baptême –op.cit. –pp.281..287.
(266)- Connaissance des Pères de l'Eglise (93) –op.cit. –p.33.
(267)- Le Pédagogue (Vol.II) –op.cit. –p.27.
(268)- ibid. –p.91.
(269)- Le Pédagogue (Vol. III) –op.cit. –p.91.
(270)- Orthodox Psychotherapy –op.cit. p.240.
(271)- Sur le Baptême –op.cit. –p.235.
(272)- Conversion –op.cit. –p.50.
(273)- Sermons III –op.cit. –p.96.
(274)- ibid. –p.81.
(275)- Theology and the Church –op.cit. –pp.161,162.
(276)- Sermons III –op.cit. –p.145.
(277)- ibid. –p.94.
(278)- Origène –**Homélies sur la Genèse** –S.C.7 bis –Cerf, 1976 –p.351.
(279)- Hilaire de Poitiers –**Traité des Mystères** –S.C.19bis –Cerf, 1947–.159.
(280)- Commentaire sur St. Matthieu II –op.cit. –p.263.
(281)- LUBICH ,Chiara –**Le Christ au cœur des siècles** (L'Évangile incarné par les Saints) –Nouvelle cité, France, 1995-p.198.
(282)- **Orthodoxy and Cultures** –éd. by Ioan Sauca –WCC, Geneva, 1996 –p.15.
(283)- Lire les Pères de l'Eglise –op.cit. –p.421.
(284)- ibid. –p.246.
(285)- Commentaire sur St.Matthieu II –op.cit. –p.295.
(286)- The Bible and the Holy Fathers –op.cit. –p.945.
(287)- Textes ascétiques des Pères de l' Eglise –op.cit. –p.161.
(288)- A Treasury of Russian Spirituality –op.cit. -.258.
(289)- Les vies des Pères des déserts d'Orient (Tome 3) –op.cit. –p.114.
(290)- Lettres I –op.cit. –p.122.
(291)- Chrysostome, Jean (St.) –**Les Cohabitations suspectes** (comment observer la virginité) – DUMORTIER, Société d'Edition "Les belles lettres",Paris, 1955 –pp.44,46,90..94.
(292)- Saint Cyprien (BOUTET) –op.cit. –p.127.
(293)- Lire les Pères de l'Eglise –op.cit. –pp.559,560.
(294)- Le Pédagogue (vol.II) –op.cit. –p.183.
(295)- Lire les Pères de l'Eglise –op.cit. –pp.556,557.
(296)- Orthodox Psychotherapy –op.cit. –p.52.

(233)- The Bible and the Holy Fathers –op.cit. –pp.731,732.
(234)- Orthodox Psychotherapy –op.cit. –pp.219,225,226.
(235)- ibid. –p.201.
(236)- ibid. –p.197.
(237)- ibid. –pp.176,178.
(238)- Sur le Baptême –op.cit. –p.153.
(239)- Sermons III –op.cit. –p.67.
(240)- Le Pré Spirituel –op.cit. - p.194.
(241)- Sources –op.cit. –p.254.
(242)- Sermons pour la Pâque –op.cit. –p.287.
(243)- LAROCHE , Michel –**Sur la terre comme au ciel** (La vie spirituelle au quotidien)- Nouvelle cité, Paris, 1985 –p.213.
(244)- Writings from the PHILOKALIA on prayer of the heart –op.cit. –p.40.
(245)- Paroles du Mont Athos –op.cit. –p.11.
(246)- Œuvres monastiques II –op.cit. –pp.91,97,99.
(247)- BOUTET, Joseph (Ab.)-**Saint Cyprien** (Evêque de Carthage et martyr),Tome 1 –Avignon, Imp.Aubanel frères, 1923 –pp.116..118.
(248)- MARIES, L. –**Extraits du commentaire de Diodore de Tarse sur Les Psaumes** –Recherches de Science Religieuse (RSR) ,Tome 10 , 1919 –p.95.
(249)- CHRYSOSTOME,Jean (St.) –**Sermons sur la Genèse** –S.C.433 –Cerf, 1998 –pp.319, 321,323.
(250)- ibid. –p.253.
(251)- ibid. –p.295.
(252)- ibid. –pp.359,361.
(253)- ibid. –pp.237,239.
(254)- A Théodore –op.cit. –p.183.
(255)- La Passion du Christ –op.cit. –p.151.
(256)- Œuvre monastiques II –op.cit. –p.225.
(257)- Orthodox Psychotherapy –op.cit. –p.201.
(258)- Œuvre monastiques II –op.cit. –p.217.
(259)- Conversion –op.cit. –p.84.
(260)- Textes ascétiques des Pères de l'Eglise –op.cit. –p.487.
(261)- The Orthodox Ethos –op.cit. -.159.
(262)- Sermons II –op.cit. –p.49.
(263)- DE LÉRINS, Vincent –**Tradition et Progrès** –Col. Les Pères dans la Foi (DDB), Paris, 1978 –p.76..79.

(205)- ibid. –p.626.
(206)- The Orthodox Ethos –op.cit. –p.159.
(207)- Sermons pour la Pâque –op.cit. –p.183.
(208)- Hilaire de Poitiers –**Traité des Mystères** –S.C.19 bis –Cerf, 1947–.157.
(209)- Sermons II –op.cit. –p.55.
(210)- Sur le Baptême –op.cit. –p.115.
(211)- DE GROSS, Jules – **la divinisation du Chrétien d'après Les Pères Grecs** (Contribution historique à la doctrine de la Grâce) –lib. Lecoffre, Paris, 1938 –p.159.
(212)- Vie de Sainte Mélanie –op.cit. –pp.209,210.
(213)- Sermons II –op.cit. –pp.155..159.
(214)- Clément d'Alexandrie –**Le Pédagogue, vol.III** –S.C.158 – Cerf, 1970 –p.151.
(215)- Orthodox Psychotherapy –op.cit. –p.230.
(216)- The teaching of the Fathers on the Passions –op.cit. –p.17.
(217)- Césaires d'Arles –**Œuvres monastiques I** –S.C.345 –Cerf, 1988–p.249.
(218)- Sur le Baptême –op.cit. –p.167.
(219)- Writings from the Philokalia on prayer of the heart –op.cit.- p.158.
(220)- LELOUP, Jean-Yves – **Praxis et Gnosis d'Evagre Le Pontique ou la guérison de l'esprit** –spiritualités vivantes (103) –Albin Michel, Cerf, 1992 –p.55.
(221)- BOULANGER, Fernand (Ab.) –**Saint Basile, Aux Jeunes gens** (sur la manière de tirer profit des letters helléniques) –éd. Les belles letters, Paris, 1952 –pp.54..58,60.
(222)- Syméon le Nouveau Théologien –**Catéchèses II** –S.C.104 –Cerf, 1964 –pp.157..161.
(223)- Sermons pour la Pâque –op.cit. –p.219.
(224)- Cyprien de Carthage –**La Jalousie et l'envie** –S.C.519, Paris, 2008 –pp.69,71,77,79,81,89,91.
(225)- Le Pédagogue (vol.III) –op.cit. –p.51.
(226)- ibid. –pp.151,153.
(227)- The teaching of the Fathers on the passions –op.cit. –p.2.
(228)- A théodore –op.cit. –pp.172,174.
(229)- La Colonne et le Fondement de la Vérité –op.cit. –p.142.
(230)-Sur Le Baptême –op.cit. –p.279.
(231)- Sermons pour la Pâque –op.cit. –pp.223,225.
(232)- Le Pré Spirituel –op.cit. –p.194.

(177)- ibid. –p.271.
(178)- ibid. –p.265.
(179)- Lire Les Pères de l'Eglise –op.cit. –p.233.
(180)- ibid. –p.653.
(181)- Saints Anciens d'Afrique du Nord –op.cit. –p.76.
(182)- ibid. - p.77.
(183)- ibid. – pp.79,80.
(184)- Aimilianos (Archim.) – **Le Sceau Veritable** (Catéchèses et discours1) – éd. ORMYLIA, Grèce, 1998 –p.268.
(185)- Philosophie orthodoxe de la vérité (Tome 5) –op.cit. –p.351.
(186)- ROPS, Daniel –**Jésus en son temps** (Histoire Sainte) –Les grandes études historiques,Lib.Arthème Fayard, Paris, 1945 –p.309.
(187)- THIRIET, Th.M. –**L'Evangile médité avec les Pères , Tome 5** –Lib. Victor Lecoffre, Paris, 1906 –p.7.
(188)- Lire les Pères de l'Eglise –op.cit. –p.449.
(189)- DESEILLE, Placide (Archim.) –**Points de vue orthodoxes sur l'Unité des chrétiens** –éd. Monastère St. Antoine Le Grand (Métochion de Simonos Petra), 1995 –p.8.
(190)- Sermons II –op.cit. –p.103.
(191)- Pour Garder la flamme –op.cit. –p.11.
(192)- ibid. –p.12.
(193)- Histoire des dogmes dans l'Antiquité chrétienne (tome 2) –op.cit. –p.211.
(194)- The Calendar Question -op.cit. - p.70.
(195)- Sermons II –op.cit. –pp.47,49.
(196)- ibid. –pp.71,73.
(197)- Cassian (Hieromonk) –**A scientific examination of the Orthodox Church Calendar** (or the Old Calendar and Science) –Center of Traditionalist Orthodox Studies, Etna, California, 1998 –p.125.
(198)- ibid. –p.124.
(199)- ibid. –p.122.
(200)- Sermons II –op.cit. –pp.33,35.
(201)- **Towards Unity** (The theological dialogue between the orthodox church and the Oriental Orthodox churches) –Inter-orthodox Dialogue ,Geneva, 1998(ed.by Chaillot / Belopopsky) –pp.75,76.
(202)- **2000 Ans de Christianisme, Tome 1** – Hachette, Paris, 1985 –p.153.
(203)- Lire les Pères de l'Eglise –op.cit. –p.226.
(204)- ibid. -.622.

(151)- Sermons III –op.cit. –p.147.
(152)- Théophane Le Reclus (St.) –**Pour garder La flamme** –L'Âge d'Homme, Suisse, 2001 - pp.27,28.
(153)- Grégoire de Nazianze –**La Passion du Christ** (tragédie) –S.C.149 – Cerf,1969 –p.219.
(154)- Sources –op.cit. –p.274.
(155)- KALOMIROS, Alexander –**Against False Union** –Holy Transfiguration Monastery, USA, 1967 –p.44.
(156)- La Passion du Christ –op.cit. –p.155.
(157)- EVDOKIMOV, Paul –**L'amour fou de Dieu** –éd. Seuil, Paris, 1973 –p.46.
(158)- Sources –op.cit. –pp.38,223,227.
(159)- **Règle de vie monastique** –éd. Monastère St. Antoine Le Grand, St. Laurent en Royans, 2000 –pp.54,55.
(160)- Sermons III –op.cit. –p.104.
(161)- The Teaching of the Fathers on the passions –op.cit. –p.45.
(162)- The Bible and the Holy Fathers –op.cit. –p.1001.
(163)- CAMELOT, Th. –**Virgines Christi** – Le cœur et la croix (5) –Cerf, Paris, 1944 –pp.34,35.
(164)- TYSZKIEWICZ,S./ BELPAIRE, Th.- **Écrits d'Ascètes Russes** –éd. Soleil Levant, Belgique, 1957 –p.184.
(165)- Sophrony (Achim.) –**The Undistorted Image** (staretz Silouane) – The Faith Press, London, 1958 –p.146.
(166)- EVDOKIMOV, Paul –**La femme et le Salut du monde** (Études d'anthropologie chrétienne sur les charismes de la femme) – Casterman, Paris, 1958 –p.220.
(167)- Sermons pour la Pâque –op.cit. –p.249.
(168)- La Passion du Christ –op.cit. –pp.169,171,173.
(169)- Textes ascétiques des Pères de l'Eglise –op.cit. –pp.199,200.
(170)- **The PHILOKALIA** –op.cit. –p.298.
(171)- Prières des premiers chrétiens –op.cit. –pp.280,281.
(172)- **Dictionnaire Apologétique de la Foi Catholique (A.D'ALÈS), Tome 3** -Gabriel Beauchesne éd. ,Paris, 1911 –p.230.
(173)- Prières des premiers chrétiens –op.cit. –pp.258,259.
(174)- Romanos Le Mélode –**Hymnes V** –S.C.283 –Cerf, 1981 –pp.537,539.
(175)- Sermons pour la Pâque –op.cit. –pp.159,161.
(176)- **Contacts (tome LIX, n°218)**,Avril /Juin 2007 –p.269.

(125)- ibid. –p.294.
(126)- Orthodox Psychotherapy –op.cit. –p.231.
(127)- LELOUP ,Jean-Yves – **Paroles du Mont Athos** –col.spiritualités vivantes –Albin Michel ,Paris, 1991 –p.51.
(128)- ibid. – p.16.
(129)- DUNLOP, John B. –**Le Starets Ambroise D'Optino** –Spiritualié orientale (34) –Abbaye de Bellefontaine, France, 1982 –p.170.
(130)- **The Struggle in Christ ,in the Apostasy of our times** (3[d.]éd.) –Holy Monastery of St.Gregorios, Mt.Athos, 1997 –p.66.
(131)- **ΤΟ ΛΟΥΤΡΟ ΤΗΣ ΨΥΧΗΣ** - ΧΡΙΣΤΙΑΝΙΚΗ ΒΙΒΛΙΟΘΗΚΗ ΤΗΣ ΤΣΕΠΗΣ (1), Αδελφ. "Ο Παρακλητος", Ωρωπος Αττικης, εκδ. 10, 1973 - σσ. 43,44.
(132)- Sur le Baptême –op.cit. –p.85.
(133)- Sermons II –op.cit. -.147.
(134)- SAXER,Victor –**Saints Anciens d'Afrique du Nord** –Tipografia poliglotta vaticana, 1979 –p.76.
(135)- ibid. –p.80.
(136)- ibid. –p.79.
(137)- Textes ascétiques des Pères de l'Eglise –op.cit. p.141.
(138)- Les Homélies spirituelles de St. Macaire –op.cit. –p.215.
(139)- Repentance and Confession –op.cit. –p.44.
(140)- **ΟΡΘΟΔΟΞΟΣ ΠΑΡΟΥΣΙΑ** - Τομος Α', Τευχοι 1&2, ΑΘΗΝΑ, 1964- σ.160.
(141)- Prières des Premiers Chrétiens –op.cit. –p.253.
(142)- SAKKAS, Basile – **The Calendar Question** – Holy Trinity Monastery, Jordanville, NY, 1973 –pp.65,66.
(143)- Césaire d'Arles (RICHÉ) –op.cit. –p.49.
(144)- Lire Les Pères de l'Eglise –op.cit. –p.623.
(145)- ibid. –p.738.
(146)- The Bible and the Holy Fathers –op.cit. –p.949.
(147)- CHRESTOU, Panagiotes K. – **Partakers of God** – Holy Cross Orthodox Press, USA, 1984 –p.64.
(148)- Lire les Pères de l'Eglise –op.cit. –p.570.
(149)- STANILOAE, Dumitru –**Dieu est Amour** -Perspectives orthodoxes n°1 –Labor et fides, 1980 –p.42.
(150)- Saint Jerôme –**Commentaire sur St.Matthieu II** –S.C.259 –Cerf, 1979 –p.317.

(96)- Archim. Aimilianos - **L'Expérience de la Transfiguration** (dans la vie du moine athonite) - Monastère St. Antoine le Grand (Métochion de Simonos Petras), France, 1996 -p. 19.
(97)- Lire les Pères de l'Eglise - op.cit. - p.620.
(98)- idem.
(99)- Césaire d'Arles (S.C. 398) - op.cit. -pp. 75, 77.
(100)- ibid. -pp. 225, 227.
(101)- ibid. -pp. 149…161.
(102)- Textes ascétiques des Pères de l'Eglise - op.cit. - pp. 545…547.
(103)- STANILOAE, Dumitru - **Theology and the Church** - St. Vladimir's Seminary Press, NY, 1980 - p.189.
(104)- Sermons II - op.cit. - p.57.
(105)- ibid. -pp. 191, 193.
(106)- ibid. –p.179.
(107)- ibid. –p.201.
(108)- Sources –op.cit. –p.274.
(109)- Sermons pour la pâque –op.cit. –p.195.
(110)- Prières des premiers Chrétiens –op.cit. –pp.399,400.
(111)- RICHÉ ,Pierre – **Césaire d'Arles** –Eglise d'Hier et d'Aujourd'hui , éd. Ouvrières,Paris ,1958 –p.86.
(112)- **Connaissance des Pères de L'Eglise (CPE),n° 93** (Pâque) –éd. Nouvelle cite,Mars 2004 –pp.34,35,36.
(113)- Sermons II –op.cit. - p.121.
(114)- Léon le Grand –**Sermons III** –S.C.74 –Cerf ,1961 –p.49.
(115)- Méthode D'Olympe – **Le Banquet** –S.C. –Cerf ,1963 pp.237. 241,245..251,255..259.
(116)- ΘΗΣΑΥΡΟΣ ΠΡΟΣΕΥΧΩΝ - op.cit. - (cover).
(117)- idem.
(118)- idem.
(119)- Textes ascétiques des Pères de l'Eglise –op.cit. –pp.78,79.
(120)- **Philocalie des Pères Neptiques (fascicule 11)** – Abbaye de Bellefontaine, France,1991 –p.236.
(121)- **Vie de Sainte Mélanie** –S.C.90 –Cerf,Paris,1962 –p.209.
(122)- Sermons pour la Pâque –op.cit. –p.339.
(123)- Textes ascétiques des Pères de l'Eglise –op.cit. –p.175.
(124)- Chariton de Valamo (Higoumène) –**L'Art de la Prière** – Spiritualité orientale n°18 –Abbaye de Bellefontaine, France, 1976 –p.295.

(72)- Les plus beaux textes sur l'Au-Delà - op.cit. - p.103.
(73)- Irénée de Lyon - **Contre les hérésies (Livre II)** - S.C. 294 - Cerf, 1982 -pp. 353, 355, 357.
(74)- KELLY, J. - **Initiation à la doctrine des Pères de l'Eglise** - Cerf, Paris, 1968 - p.488.
(75)- Clément d'Alexandrie - **Le Pédagogue, Vol. I** - S.C. 70 - Cerf, 1960 - p.233.
(76)- Dogmatique de l'Eglise Orthodoxe Catholique (Tome 3) - op.cit. - p.483.
(77)- Sermons II - op.cit. - p.63.
(78)- Initiation à la doctrine des Pères de l'Eglise - op.cit. - p.489.
(79)- ibid. - p.493.
(80)- FLORENSKY, Paul (P.) - **La Colonne et le Fondement de la vérité** - Sophia, l'Age d'Homme, Suisse, 1975 - p.166.
(81)- DESEILLE, Placide (Archim.) - **Le problème du mal** - Monastère St. Antoine Le Grand, St. Laurent en Royens, 1995 - p.9.
(82)- D'AGNEL, G. Arnaud (Abbé) - **La mort et les morts d'après Saint Augustin** - P. Lethielleux éd., Paris, 1916 -pp. 182, 187, 188.
(83)- LOSSKY, Vladimir - **Vision de Dieu** - Bibliothèque orthodoxe, éd. Delachaux et Niestlé, Suisse, 1962 - p.124.
(84)- KADLOUBOUSKY,E./PALMER,G. -**Writings from the Philokalia on prayer of the heart** - Faber & Faber limited, London, 1951 -pp. 44, 45.
(85)- Penthos - op.cit. -pp. 67, 68.
(86)- Les plus beaux textes sur l'Au-Delà - op.cit. - p.104.
(87)- St. Basile (lettres I) - op.cit. -pp. 122, 123, 124.
(88)- **HAMMAN**, A.G. - **Les Pères de l'Eglise** - DDB, 1977 - pp. 199, 200.
(89)- Palladius - **Les Moines du Désert** (Histoire Lausiaque) - Coll. Les Pères dans la Foi, DDB, 1981 -pp. 21, 22.
(90)- Textes ascétiques des Pères de l'Eglise - op.cit. - p.80.
(91)- Basile de Césarée - **Sur le Baptême** - S.C. 357 - Cerf, 1989 - p.303.
(92)- Clément d'Alexandrie - **Le Pédagogue, Vol. II** - S.C. 108 - Cerf, 1965 - p.183.
(93)-TIXERONT, J. - **Histoire des dogmes dans l'Antiquité Chrétienne, tome 2** - Lib. Victor Lecoffre, Paris, 1922 - p.194.
(94)- DESEILLE Placide (trad.) - **Les Homélies spirituelles de St. Macaire** (Le Saint-Esprit et le Chrétien) - spiritualité orientale (40) - Abbaye de Bellefontaine, 1984 -pp. 215, 216.
(95)- **Le Saint Prophète Elie** (d'après Les Pères de l'Eglise) - spiritualité orientale (53) - Abbaye de Bellefontaine, France, 1992 -pp. 477, 478.

(42)- POPOVITCH, Justin (P.) - **Philosophie orthodoxe de la vérité** (Dogmatique de l'Eglise Orthodoxe), **Tome 5** - L'Age d'Homme, Lausanne, 1997 - p.367.
(43)- Dogmatique de l'Eglise orthodoxe catholique (Tome 3)- op.cit. - p.406.
(44)- ibid. - p.396.
(45)- Sources - op.cit. - p.271.
(46)- Orthodoxe Psychotherapy - op.cit. - p.173.
(47)- Sr. Gabriel PETERS (o.s.b.) - **Lire les Pères de l'Eglise** (cours de Patrologie) - DDB, 1981 - p.621.
(48)- Dogmatique de l'Eglise orthodoxe catholique (Tome 3)- op.cit. - p.504.
(49)- ibid. - p.518.
(50)- GOUBERT, J. & CRISTIANI, L. - **Les plus beaux textes sur l'Au-Delà**–La Colombe, Paris, 1950 - p.101.
(51)- Textes ascétiques des Pères de l'Eglise - op.cit. - p.20.
(52)- ibid. -pp. 494, 495.
(53)- **Christus** (Cahiers Spirituels), **N° 34** (La mort) - Paris, 1962 - p.173.
(54)- Sermons pour la Pâque (S.C. 116) - op.cit. -pp. 215, 217.
(55)- PAPAKOSTAS, Seraphim (Archim.) - **For the hours of pain** - The "ZOE" Brotherhood of theologiens, Athens, 1987 - p.113.
(56)- Christus (34) - op.cit. - p.174.
(57)- ibid. - p.176.
(58)- idem.
(59)- The teaching of the Fathers on the passions - op.cit - p.45.
(60)- FEDETOV, G.P. - **A treasury of Russian Spirituality** - Harper Torchbooks, Harper & Row Publishers, NY., 1965 - p.122.
(61)- Les plus beaux textes sur l'Au-Delà - op.cit. - p.107.
(62)- The Arena - op.cit. - p.91.
(63)- Les Exposés I - op.cit. - p.463.
(64)- MANLEY, Johanna - **The Bible and the Holy Fathers** (for Orthodox) - Monastery books, Menlo park, California, 1990 - p.706.
(65)- Les plus beaux textes sur l'Au-Delà - op.cit. -p. 190, 191.
(66)- ibid. - p.199.
(67)- Philosophie orthodoxe de la vérité, Tome 5 - op.cit. -pp. 376, 377.
(68)- ibid. - p.392.
(69)- ibid. - p.412.
(70)- ibid. - p.410.
(71)- A treasury of Russian Spirituality - op.cit. -pp. 124, 125.

(19)- RAUSCHEN, G. - **L'Eucharistie et la Pénitence** (durant les six premiers siècles de l'Eglise) - lib. Victor Lecoffre, Paris, 1910- p.205.

(20)- Augustin d'Hippone - **Sermons pour la Pâque** - S.C 116 - Cerf, 1966 - pp. 275, 277, 279.

(21)- JOURJON, Maurice - **Ambroise de Milan** - Eglise d'Hier et d'Aujourd'hui- éd. ouvrières, Paris, 1956- p.59.

(22)- HAMMAN, A. -**Prières des premiers chrétiens**- Textes pour l'histoire sacrée, lib. Arthème Fayard, Paris, 1959- pp. 85, 86.

(23)- Léon Le Grand- **Sermons II** - S.C. 49 bis- Cerf, 1969 - p.125.

(24)- CLEMENT, Olivier - **Sources** (Les mystiques chrétiens des origines) / textes et commentaries - Stock, 1982 - p.25.

(25)- Saint Jérôme - **Les moines dans le désert** - Lectures chrétiennes - Lib. Revue française, Paris, 1932 - pp. 212, 214.

(26)- Orthodox Psychotherapy - op.cit. - p.142.

(27)- The teaching of the Fathers on the passions - op.cit - p.49.

(28)- **Séraphin de Sarov** (st.) - Spiritualité Orientale (11) - Abbaye de Bellefontaine, Paris, 1973 - p.237.

(29)- Saint Nectarios - **Repentance and confession** - Roscoe, NY., 2002 - p.33.

(30)- **The Orthodox Ethos** (studies in Orthodoxy), Vol. I - Holywell Press, Oxford, England, 1964 - p.285.

(31)- **Contacts** (Revue française de l'Orthodoxie) - **N° 65** (le mystère pascal) - France, 1969 - p.15.

(32)- **Paix** (Bulletin du Monastère orthodoxe St. Nicolas de la Dalmerie), **N° 107**, 3ème trimestre 2001 (Repentir et Confession) - p.22.

(33)- ibid. -pp. 22, 29, 31.

(34)- ibid. - p.26.

(35)- idem.

(36)- idem.

(37)- Jean Moschus - **Le Pré spirituel** - S.C.12 - Cerf, 1946 - p.161.

(38)- Conversion - op.cit. - p.126.

(39)- DESEILLE, Placide - **L'Evangile au désert** - YMCA Press/ O.E.I.L., Paris, 1985 - pp. 249, 250.

(40)- TREMBELAS, Panagiotis N. - **Dogmatique de l'Eglise Orthodoxe Catholique** (textes et études théologiques), Tome 3, éd. Chevetogne (DDB), 1968 - p.408.

(41)- ibid. - pp. 408, 409.

Bibliography

(1)-**ΘΗΣΑΥΡΟΣ ΠΡΟΣΕΥΧΩΝ** - Ορθοδοξος Χριςτιανικος Συλλογος "ΙΩΑΝΝΗΣ Ο ΒΑΠΤΙΣΤΗΣ" - εκδ. 4 , ΑΘΗΝΑ , 1966, σσ. 77…88.

(2)- **L'Evangile selon Luc commenté par les Pères** - Les Pères dans la Foi DDB, Paris, 1987 - pp. 135...137.

(3)- Césaire d'Arles - **Œuvres monastiques II** - Sources Chrétiennes (=S.C.)398 - Cerf, 1994- p.103.

(4)- **The teaching of the Fathers on the passions** - Nikodemos Orthodox Publication Society, New York, 8th ed., 2000, p.32.

(5)- idem.

(6)- Jean Chrysostome (st.) - **Conversion** - Les Pères dans la Foi, DDB(8)- p.51.

(7)- **The Philokalia** (the complete text) - faber & faber, London / Boston- vol. 3, 1984- p.24.

(8)- De Journel, M.J. Rouët- **Textes ascétiques des Pères de l'Eglise** - éd.Herder Fribourg (BADE), 1947- p.455.

(9)- MARIN, Michel-Ange (P.) - **Les Vies des Pères des déserts d'Orient** (leur doctrine Spirituelle et leur discipline monastique), Tome 3 - lib. Louis Vivès, Paris, 1869- p.134.

(10)- Hierotheos (Bishop of Nafpaktos) - **Orthodox Psychotherapy** (The science of Fathers) – Birth of the Theotokos Monastery, Greece, 1995-pp. 290, 291.

(11)- Césaires d'Arles (S.C.398) - op.cit. - pp.65, 67, 69, 73.

(12)- **Saint Basile** - **Lettres 1**- Société d'Editions " Les Belles Lettres", Paris, 1957- pp. 124, 125.

(13)- ibid. – pp.111, 112.

(14)- Ignatius Brianchaninov (st.) - **The Arena** (an offering to cotemporary monasticism)- Madras, India, 1970- pp. 231, 232, 234, 237, 238, 242.

(15)- Orthodox Psycotherapy- op.cit. – p.238.

(16)- Aphraate le sage persan - **Les Exposés (I)** - S.C. 349 - Cerf, 1988 - pp. 415, 424.

(17)- Jean Chrysostome (st.) - **A Théodore** - S.C.117- Cerf, 1966- pp.185, 187.

(18)- HAUSHERR, Irénée- **Penthos** (La doctrine de la componction dans l'Orient Chrétien) - Orientalia Christiana Analecta (= OCA) 132- Roma, 1944- p.156.